ترجمان الأديان

أ. د. أسعد السحمراني

أستاذ العقائد والأديان في جامعة الإمام الأوزاعي - بيروت

دار النفائس

ترجمان الأديان

تأليف: أ. د. أسعد السحمراني

الطبعة الأولى: 1430 هـ - 2009م

ISBN 978 - 9953 - 18 - 473 - 9

publisher نشر



دار النفائس

للطباعة والنشر والتوزيع

شارع فردان - بناية الصباح

وصفي الدين - ص.ب 5152 - 14

الرمز البريدي: 2020 - 1105

فاكس: 009611861367

هاتف: 803152 - 009611810194

بيروت - لبنان



DAR AN-NAFAES

Printing-Publishing-distribution

Verdun Str - Safiedine bldg.

P.o.Box 14-5152

Zip code 1105-2020

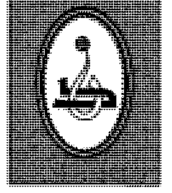
Fax: 009611 861367

Tel: 00961 1 803152 - 810194.

Beirut - Lebanon

Email: alnafaes@yahoo.com

Web Site: www.alnafaes.com



ترجمان الأديان

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلـى الدعاة المخلصين.

إلى من يسهمون في مسيرة الدور الرسالي للأمة.

إلى من يدعون بالحكمة والموعظة الحسنة.

أهـدي عملـي هـذا.

أسعد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ . صدق الله العظيم

[سورة الحج، الآية ١٧]

المقدمة

«ترجمان الأديان» يأتي في سياق سلسلة من الأعمال التي تقدَّم نشرها في «دار النفائس» ببيروت، وهذا الكتاب يستفيد من مادة كتب سابقة لكنه يجمع بين دفتيه مادة علمية في إطار التعريف بعقائد وشرائع وفلسفات اتخذها بعضهم ديناً له.

مادة الكتاب تستعرض معتقدات تُشكِّل في أمم ومجتمعات عنصراً رئيساً في الهوية الثقافية، وتحوي تراثاً حضارياً للأمم التي نشأت فيها، وتعطي أدبياتها فكرة جليَّة ودقيقة عن المعتمد عند هذه الشعوب في النسيج الاجتماعي وموضوع القيم الناظمة للمجتمع والسائدة فيه، كما أن الكتاب يعالج اليهودية والمسيحية وهما رسالتان سماويتان، وبعدهما اليزيدية التي هي حركة انحراف خرجت في فضاء المسلمين لتكون نموذجاً عن حركة هدَّامة تحوَّلت إلى معتقد خاص بفئة من المجتمع.

والاهتمام بالفكر الديني يزداد هذه الأيام مع الإلحاح غير المشهود سابقاً على أمر الحوار. وقد كثرت مؤخراً المؤتمرات والندوات والملتقيات التي تطرح عنواناً هو: «حوار الأديان»، وكان كثير من المهتمين، منهم صاحب هذا الكتاب، قد اقترحوا اعتماد عبارة: «حوار أتباع الرسالات والمعتقدات»، أو «حوار أتباع الأديان»، لأنه لا حوار بين دين ودين، ولا بين عقيدة وعقيدة، وعبادات وعبادات، وإنما الحوار يكون بين أَتباع الأديان والمعتقدات حول المشترك الإنساني وهو ضرورة، وهذا الحوار ضرورة من أجل مجتمعات مستقرة، وعلاقات سليمة يتحقق من خلالها مقصد يسعى له الجميع هو إسعاد الإنسان المستخلف في الأرض وأكرم المخلوقات.

لكن الحوار لا يكون من دون إلمام المحاور بما عليه الآخر، ومن هذا الباب يأتي موضوع هذا الكتاب ليؤمن مادة ضرورية للمهتمين بالحوار أفراداً كانوا أم مؤسسات. كما أن الكليات التي تختص بعلوم الشريعة والأديان

تكلف طلابها بمقرر أو أكثر حول العقائد، وهذا الكتاب يقدم لهم ما يحتاجونه لهذا الغرض.

جاء هذا الكتاب بناء لرغبة القائمين على كلية الدراسات الإسلامية في جامعة الإمام الأوزاعي ليكون بين مقرراتها لطلاب السنة الثالثة، واستجاب مدير دار النفائس الأستاذ أحمد راتب عرموش لنشر الكتاب بصيغته هذه، ويرجو المؤلف أن يكون هذا الكتاب مدماكاً في عمارة المكتبة العربية، وأن يلبي حاجة الراغبين في متابعة هذا الموضوع.

والله تعالى ولي التوفيق.

عكار ـ لبنان الشمالي

الثلاثاء في ٢١/٤/٢٠٠٩

تمهيد

الإنسان والدين

الإنسان، في هذه الدنيا، محتاج للانخراط في اجتماع بشري يمارس فيه تبادل الخدمات مع سواه من أجل توفير احتياجاته، وهو في الوقت نفسه ينظر في الكون من حوله، فيقف بعقله وإدراكه على ما فيه من سنن وآيات باهرات، فيدفعه ذلك إلى البحث عن خالق الكون ومنظمه، أو يصيبه العجز، ويشعر بالنقص حيال مواقف أو ظواهر كثيرة فيحفِّزه ذلك إلى البحث للتعرف على الكامل الذي يسمو الجميع باتجاهه. ويتعرض المرء لنكبات وأنواع من البلاء تشعره أن المعين له في هذه المواقف ليس مخلوقاً ولا مصدراً مادياً، فتنقشع المؤثرات السلبية عن نفسه لتتجلى صورة الفطرة الأصلية فيه فيقول عندها: ربِّي الله تعالى.

الإنسان، في حياته هذه، قد تأتيه النعم والخيرات، وتصيبه الهناءة، وفي مثل هذه الحال بعضهم لا يتذكر مصدر النعمة، بل تشغله المكاسب عن ذلك، وتخمد فيه الفطرة التي كوَّنه الله تعالى عليها، وإذا تحوَّلت الظروف، وأحاطت به المخاطر، في هذه الحال تنجلي الغبار المادية والميول الدنيوية لتبرز الفطرة على حقيقتها.

لقد جاء النص القرآني في سورة «يونس» مبلغاً عن هذا المشهد الإنساني، وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس/ ٢٢].

أما الفطرة، وهي التسليم بوجود خالق، أو ما يسميه علماء العقائد: إسلام الربوبية، فهي ما كان عليه مبدأ تكوين النفس البشرية فكراً ووجداناً بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم/ ٣٠]. وعند القرطبي في تفسيره: «وقالت طائفة من أهل الفقه والنظر: الفطرة هي الخِلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه؛ فكأنه قال: كل مولود يولد على خِلقة يعرف به ربّه إذا بلغ مبلغ المعرفة؛ يريد خِلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفته»[(١)]. وفي الحديث النبوي: **(ما من مولود إلا يولد على الفطرة)**[(٢)].

هذه الفطرة التي في أصلها يكمن التسليم والإيمان بخالق له سلطانه على كل شيء، هو الله تعالى حيث الربوبية: تعني الخلق والملك والسلطان، وهي غير الألوهية التي هي العبادة، فكل إنسان عاقل عنده إسلام الربوبية، ولكن قد تفسد فطرته فيعبد إلهاً (معبوداً) غير الحق سبحانه. وقد أوجز علماء العقائد هذه المسألة في عبارة قالوا فيها: «الله تعالى رب العالمين وإله، أي معبود، المؤمنين»، وذلك لأن غير المؤمنين إما أن يشركوا مع الله، في العبادة، إلهاً أو آلهة مزعومة، أو أن يعبدوا مظهراً، أو معبوداً، اصطنعوه؛ هذا ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية/ ٢٣].

فطرة التدين هذه في أصل خلق النفس البشرية منذ أن خلق الله تعالى آدم أبا البشر من الطين وأودع فيه قانون التوالد، أو كما يقول علماء التوحيد في عالم الذَّر، وقد جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ﴾ [الأعراف/ ١٧٢].

إن البشر، مهما طغوا وأفسدوا، لا يستطيعون تبديل هذا الميثاق، لقوله تعالى: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم/ ٣٠]، لذلك نجد في تاريخ الأمم والحضارات أنه لم يخلُ مجتمع من دين وشريعة حتى لو كان ذلك فلسفة أو رأياً لحاكم، أو عقيدة فاسدة، لأن الإنسان بطبيعته مولود على الطاعة والخضوع لمن يدين له.

---

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٦، تحقيق أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٤٢٥.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وسواهما.

الدين، حسب الراغب الأصفهاني، هو كالملة «لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة»[١]. وعند ابن منظور: «الدين الطاعة، وقد دنته، أو دنت له، أي أطعته. والدَّيان من أسماء الله عزَّ وجلَّ، ومعناه الحَكَم القاضي»[٢].

والحكم، من أجل الجزاء ثواباً أو عقاباً، لا يكون بدون شريعة تحوي المبادئ والأحكام والمعايير القيمية التي يتم الحكم على أساسها. هذا يقودنا إلى القول: إن الله تعالى لم يخلِّ الناس وشأنهم كي يستقيموا انطلاقاً من امتلاكهم العقل، كما زعم المعتزلة وأمثالهم، حيث صرحوا بأن الإنسان بعقله يهتدي لمعرفة الله، وبعقله يميِّز الحسن والقبيح والخير والشر. هذا ما لا يمكن اعتماده، بل الناس محتاجون إلى الرسل يبعثهم الحق سبحانه بالهدى ودين الحق وبالشريعة القويمة الإلهية المصدر، كي يحتكموا إليها، وتكون الفيصل بينهم، والضابط لعلاقتهم مع الله تعالى وفيما بينهم، ومع الشريعة وبهديها يكون دور العقل. هذا ما أبلغنا به البيان الإلهي في سورة الإسراء: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء/ ١٥].

وقد أجمل هذه المفاهيم مناع خليل القطان عندما قال: «هذا الكون الفسيح الذي يعج بمخلوقات الله تضاءلت جباله الشامخة، وبحاره الزاخرة، ومهاده الواسعة، أمام مخلوق ضعيف هو الإنسان، ذلك لما جمع الله فيه من خصائص، وما منحه من قوة التفكير التي تشع في الأرجاء لتسخِّر عناصر القوى الكونية، وتجعلها في خدمة الإنسانية. وما كان الله ليذر هذا الإنسان من دون أن يمدَّه بقبس من الوحي... يقوده إلى معالم الهدى ليسلك دروب الحياة على بيِّنة وبصيرة، إلا أن غلواءه الفطري يأبى عليه الخضوع لقرينه من بني الإنسان ما لم يأتِ بما لا يستطيع. الإنسان محتاج للرسل لتكون الشريعة التي يأتونه بها إلهية حتى يعترف ويخضع ويؤمن بقدرة عليا فوق قدرته، فكان رسل الله الذين ينزل عليهم الوحي، ويؤيدهم الله بخوارق العادات التي تقيم الحجَّة على الناس فيعترفون أمامها بالعجز، ويدينون لها بالولاء والطاعة...

---

(١) الراغب الأصفهاني: **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق نديم مرعشلي، بيروت، دار الكاتب العربي، سنة ١٩٧٢، ص ١٧٧.

(٢) ابن منظور: **لسان العرب**، م٢، تحقيق عبد الله علي الكبير، القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ، ص ١٤٦٩.

فلما اكتمل العقل البشري أذن الله بفجر الرسالة المحمدية الخالدة إلى الناس كافة، وكانت معجزتها معجزة العقل البشري في أرقى تطورات نضجه ونموه»[١].

الشريعة الإلهية المصدر لا يأتيها الباطل ولا يعتريها النقصان، أما لو دان بشريعة من صنعة بشرية فإن للبشر أهواءهم ومصالحهم ومفاهيمهم، وبذلك لا يمكنه أن يكون على الطريق القويم، والدارس للديانات والمقارن بينها يلمس كم من المشكلات نتجت وتنتج من ديانات بشرية الصيغة، لأن البشر نزاعهم طويل وخبطهم كثير، كالفلاسفة وفق ما قال أبو حامد الغزالي في مقدمة كتابه الشهير: «تهافت الفلاسفة».

والإنسان بفطرته وطبعه، ومن أجل صلاح أمره، فرداً ومجتمعاً، يحتاج إلى الدين القويم ليزكي به نفسه، وإلا كان من الخائبين لانحيازه إلى الفساد وأهله، يقول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس/٧ ـ ١٠].

والإنسان يحتاج للإيمان تتألق به قواه الروحانية وتشبع به دوافعه المعنوية ويطمئن به قلبه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد/٢٨]، كما أن الدين فيه صيانة للبدن ورعاية له وتلبية لاحتياجاته بالحلال الطيب، ففي الحديث الشريف: (إن لبدنك عليك حقاً).

والإنسان كائن عاقل، والدين يكرم العقل ويكرم بني آدم بسببه، والعقل ضابط ومكتسب للمعارف، ومن خلاله مدارك الوعي التي تسمو بالإنسان من خلال الثقافة، عقيدة وعلوماً ومعارف، باتجاه التأسيس لحضارة تحقق العمران والأمان والاستقرار.

هذا المسار يوصلنا إلى أن الإنسان الاجتماعي بطبعه يحتاج للدين ليحدد العلاقة بين الفرد والمجتمع، وذلك إنقاذاً لهما معاً من الاستبداد. فالدين يمنع طغيان واستبداد الفرد على المجتمع، وفي الوقت عينه لا يفرِّط بالفرد وخصوصياته أو يلغيه من أجل المجتمع، أضف إلى ذلك أن أحكام الدين

---

(١) القطّان، منّاع: **مباحث في علوم القرآن**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٢٥٧.

وقيمه تشكل الأسس للتشريع والقوانين التي تحفظ حقوق الإنسان الفرد وحقوق المجتمع، وتوازن بين مصالحهما.

إن العلاقات بين أفراد المجتمع، بدءاً من الأسرة، الخلية الأولى والرئيسة في المجتمع، مروراً بكل التشكيلات المجتمعية وعلى اختلاف أنواعها، لا بدَّ لهذه العلاقات من ضوابط ومحددات واضحة وإلا يختل نظام المجتمع.

إن أوروبا وأمريكا وسواهما، ممن حصل عندهم طغيان لمفاهيم مادية لادينية تحت شعار التحرر، وحرية الإنسان فيما يتعلق ببدنه، يعانون اليوم من أنواع من الأمراض الجسدية والاجتماعية التي تنتشر في مجتمعهم، ومن ذلك تفكك الأسرة وفقدان الترابط والمودة بين أفرادها.

إن الدين عندما تشكل مبادئُه وأحكامُه القواعدَ الناظمة للحضارة وللقوانين وللمؤسسات يكون من خلاله الحصن الذي يحفظ كرامة الإنسان المستخلَف في الأرض.

الدين يطرد اليأس، ويحارب المفاسد والرذائل وينشر الفضائل، ويحفِّز على العطاء والعلم والعمل، ويمنع من هدر الثروات وتبديد القدرات والإمكانات الفردية والجماعية.

وإذا كانت أوروبا قد عاشت، في القرون الوسطى، محاكم التفتيش الكنسية التي قيدت الفكر والإبداع لالتزامها ما جاء من حضارة الإغريق، فإن هذه حالة عارضة، والدين هو المفجِّر للطاقات الفكرية، والسؤال: أليست رسالات السماء خطاباً للفكر والمشاعر تسمو بهما باتجاه علوي، وفيها التنظيم والقيم للعلاقة بين العبد وربه، وبين العبد والبشر، وبين العبد والطبيعة والماديات؟

إن الدين يمد العلم والعلماء بالمناهج والمعارف، ويشحذ الهمم، لأن الإنسان كلما ترقّى معرفياً وتقدمت أبحاثه العلمية وسمت مداركه، كلما ازداد إيماناً وخشية من الله تعالى، وفي الآية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر/ ٢٨].

الدين يسمو بالإنسان ويرقى به، أما اللادين والتفريط بالقيم وطغيان الدوافع المادية فإنه ينحط به باتجاه بهيمي، لذلك تكون حاجة الإنسان إلى الإيمان بالله تعالى وإلى الدين الحق ليحصنه ويحقق له كرامته واستقراره الشخصي والاجتماعي.



الباب الأول

١ ـ الصابئة

٢ ـ الزرادشتية

٣ ـ الهندوسية

٤ ـ البوذية

٥ ـ السيخية

٦ ـ الشنتوية

٧ ـ الكونفوشية



الفصل الأول

الصابئة

١ ـ من هم؟

صبأ في لغة العرب: «خرج من دين إلى دين آخر، كما تصبأ النجوم، أي تخرج من مطالعها»[1].

«والصابئون قوم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام، بكذبهم، وفي الصحاح: جنس من أهل الكتاب وقبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار»[2].

والصابئة قوم موجودون منذ زمن بعيد، ووجودهم سابق على الإسلام حكماً، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم ثلاث مرات، وأُدرج اسمهم مع أهل الكتاب ومع عامة المؤمنين، وهذه هي الآيات التي ورد ذكرهم فيها:

١ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة/ ٦٢].

٢ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة/ ٦٩].

٣ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج/ ١٧].

وتفيد العودة إلى كتب التفسير لتحديد من هم الصابئة؟ فلقد جاء عند القرطبي:

---

(١) و(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، م ٤، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، مصر، دار المعارف، بدون تاريخ، ص ٢٣٨٥.

«والصابئين: جمع صابئ وقيل: صابٍ؛ ولذلك اختلفوا في همزه، وهمزه الجمهور إلا نافعاً. فمن همزه جعله من صبأت النجوم إذا طلعت، وصبأت ثنية الغلام إذا خرجت، ومن لم يهمز جعله من صبا يصبو إذا مال. فالصابئ في اللغة: مَن خرج ومال من دين إلى دين، ولهذا كانت العرب تقول لمن أسلم: قد صبأ. فالصابئون قد خرجوا من دين أهل الكتاب.

. . . واختلف في الصابئين؛ فقال السُّدي: هم فرقة من أهل الكتاب، وقاله إسحاق بن راهويه. قال ابن المنذر وقال إسحاق: لا بأس بذبائح الصابئين لأنهم طائفة من أهل الكتاب. وقال أبو حنيفة: لا بأس بذبائحهم ومناكحة نسائهم. وقال الخليل: هم قوم يشبه دينهم دين النصارى، إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب؛ يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام.

وقال مجاهد والحسن وابن أبي نَجيح: هم قوم تركَّب دينهم بين اليهودية والمجوسية، لا تؤكل ذبائحهم. ابن عباس: ولا تنكح نساؤهم. وقال الحسن أيضاً وقتادة: هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة ويقرؤون الزبور ويصلون الخمس، رآهم زياد بن أبي سفيان فأراد وضع الجزية عنهم حين عرف أنهم يعبدون الملائكة والذي تحصَّل من مذهبهم ـ فيما ذكره بعض علمائنا ـ أنهم موحدون معتقدون تأثير النجوم وأنها فعالة؛ ولهذا أفتى أبو سعيد الإصطخري القادر بالله بكفرهم حين سأله عنهم»[١].

أما الفيض الكاشاني فقال في تفسير الآية:

«والصابئين الذين زعموا أنهم صبوا إلى دين الله وهم كاذبون. أقول صبوا أي مالوا إن لم يهمز وخرجوا إن قرئ بالهمزة، والقمي أنهم ليسوا من أهل الكتاب ولكنهم يعبدون الكواكب والنجوم»[٢].

وذهب مذهب الكاشاني الطبرسي فقال:

«والصابئين من صبأ: إذا خرج من الدين، وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ص ٤٣٤، ٤٣٥.

(٢) الكاشاني، الفيض، كتاب **الصافي في تفسير القرآن**، ج ١، م ١، طهران، المكتبة الإسلامية، سنة ١٣٩٣ هـ، ص ٩٨.

والنصرانية وعبدوا الملائكة أو النجوم»[١].

أما المفسر المعاصر جمال الدين القاسمي فيقول:

«والصابئين جمع صابئ، قال ابن جرير: الصابئ هو المستحدث ديناً سوى دينه الذي وُلد عليه، والصابئة نوعان: صابئة حنفاء موحدون، وصابئة مشركون، فالأول هم الذين أثنى الله عليهم بهذه الآية»[٢].

وإذا حاولنا تتبع المصطلحات نجد العرب قد استخدموا كلمة «حنيف» في مقابل كلمة «صابئ».

وعند ابن منظور في لسان العرب:

«الحنيف: المسلم الذي يتحنَّف عن الأديان، أي يميل إلى الحق؛ وقيل: هو الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملّة إبراهيم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام؛ وقيل: هو المخلص؛ وقيل: هو من أسلم في أمر الله فلم يلتوِ في شيء، وقيل: كل من أسلم لأمر الله تعالى ولم يلتوِ فهو حنيف»[٣].

ويبدو أن الحنيفية كانت نقيض الصبوة عند العرب، بهذا تحدث الشهرستاني حيث قال:

«إن الصبوة في مقابل الحنيفية. وفي اللغة: صبأ الرجل إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق، وزيغهم عن نهج الأنبياء، قيل: الصابئة...

...وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين، كما أن مدار مذهب الحنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين. والصابئة تدّعي أن مذهبها هو الاكتساب، والحنفاء تدَّعي أن مذهبها هو الفطرة. فدعوة الصابئة إلى الاكتساب، ودعوة الحنفاء إلى الفطرة»[٤].

---

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، **جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد**، ج١، بيروت، دار الأضواء، سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص ٦٣.

(٢) القاسمي، محمد جمال الدين، **ري الغليل في محاسن التأويل**، مختصر تفسير القاسمي، اختصار الشيخ صلاح الدين أرقه دان، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، ص ١٠.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، م. س، م ٢، ص ١٠٢٥.

(٤) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**، ج ٢، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م، ص ٥.

يبدو من كل هذه المقولات أن لَبْساً كان يحيط بموضوع الصابئة، وأن اختلافاً كبيراً حصل حول تصنيفهم، ويظهر أنهم كانوا على أنواع: منهم الموحدون مع الاعتقاد بدور للكواكب كوسائط بين الخالق والمخلوقات، ومنهم من قال بتقديس الكواكب وكانت له عقائد فاسدة، وفريق من الصابئة هم أصحاب الروحانيات كان يتجلى عندهم مفهوم الوسائط حيث جعلوا الروحانيات مدبرات لها هياكل هي الكواكب تمارس التدبير من خلالها.

قال عنهم الشهرستاني: «ومذهب هؤلاء أن للعالم صانعاً، فاطراً، حكيماً، مقدساً عن سمات الحدثان. والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله. وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهراً، وفعلاً، وحالة.

أما الجوهر: فهم المقدسون عن المواد الجسمانية، المبرؤون عن القوى الجسدانية.

أما الفعل: فقالوا: الروحانيات هم الأسباب المتوسطون في الاختراع، والإيجاد، وتصريف الأمور من حال إلى حال. فمنها مدبرات الكواكب السبعة السيارة في أفلاكها، وهي هياكلها. فلكل روحاني هيكل، ولكل هيكل فلك»[1].

ويذكر الشهرستاني صنفاً آخر هم أصحاب الأشخاص فيقول عنهم: «وأما أصحاب الأشخاص فقالوا: إذا كان لا بد من متوسط يتوسل به، وشفيع يتشفع إليه؛ والروحانيات وإن كانت هي الوسائل، لكنا إذا لم نرها بالأبصار، ولم نخاطبها بالألسن، لم يتحقق التقرب إليها إلا بهياكلها. ولكن الهياكل (الكواكب) قد تُرى في وقت، ولا تُرى في وقت لأن لها طلوعاً وأفولاً، وظهوراً بالليل، وخفاءً بالنهار، فلم يصفُ لنا التقرب بها والتوجه إليها. فلا بد لنا من صور وأشخاص موجودة قائمة... نتوسل بها إلى الهياكل... فاتخذوا أصناماً أشخاصاً على مثال الهياكل السبعة، كل شخص في مقابلة هيكل... وصوَّروه بصورته على الهيئة التي تصدر أفعاله عنه...»[2].

---

(١) الشهرستاني، م. س، ج ٢، ص ٦، ٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٠.

نخلص إلى القول: الصابئة في الماضي، كما يظهر، كانوا فرقاً وجماعاتٍ، ولكن لا نقاش في أن فريقاً منهم كان من أهل التوحيد، لهذا ذكرهم الله تعالى مع أهل الكتاب، وبعد الفتوحات صالحهم قادة المسلمين على ما هم عليه، وصنفهم الأكثرية من فقهائنا كالمجوس أهل شبهة كتاب، والحكم فيهم دفع الجزية مع عقد أمان، ولكن لا تُنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم، كما هي الحال بالنسبة إلى أهل الكتاب.

٢ ـ عقيدة الصابئة

الصابئة المعاصرون عندهم كتب يسمونها مقدسة، منها كتاب «كنزاربا»، وبالعودة إلى نصوص هذا الكتاب، يلاحظ القارئ أن الصابئة موحدون دون ريب، وأنهم ينزهون الله تعالى كتنزيه المؤمنين من أتباع الرسالات السماوية.

والنص التالي يبيِّن لنا سلامة عقيدتهم في الله تعالى، يقولون فيه:

«إلهي طاهر
سبحان بقلب
سبحان ربّي، بقلب طاهر
إله كل العوالم، سبحانه
مبارك هو ومسبّح، معظّم ومبجل
ودائم، الله العظيم المتعالي
سبحانه ملك عالم الأنوار السامي
رب الحق ذو الحول الشامل
الذي لا شبيه له. النور النقي، والخير
العميم الذي لا ينضب، الغفور التوّاب،
الرحيم الرحمان، العارف
بجميع الطيّبين، العزيز الحكيم
العالم البصير، القادر على
كل شيء. ربُّ كل

عوالم النور، العليا والوسطى
والسفلى. ذو الجلال
العظيم الذي لم يُر ولم يُسمع»[١].

هذا النص يظهر الصابئة مؤمنين بوحدانية الله وينزهونه عن الشبيه والتجسيم، مع إقرار بقدرته وسائر صفاته وأنعمه على المخلوقات، ولا أظن هذا النص يختلف عن مفهوم أي مؤمن للتوحيد.

ويذهب السيد عبد الرزاق الحسني مذهباً يؤكد ذلك فيقول: «تعتقد الصابئة «المندائية» أن الخالق واحد أزلي أبدي، لا أول لوجوده ولا نهاية له، منزه عن عالم المادة والطبيعة، لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق، وأنه لم يلد ولم يولد، وهو علة وجود الأشياء، ومكوِّنها، ولا يختلف اعتقادهم في الخالق هذا عن اعتقاد المسلمين فيه»[٢].

لكن مؤرخي الفرق من القدماء ذهبوا غير هذا المذهب، فصرَّحوا بأن الصابئة، مع إيمانهم بوحدانية الله تعالى، يعتقدون بدور ما للأفلاك والكواكب في تدبير العالم، ويبدو أنهم في هذا الموضوع ليسوا على موقف واحد، على الأقل فيما مضى، أو أنهم كانوا مذاهب متعددة تطلق عليهم جميعاً تسمية «صابئة».

فالشهرستاني تحدث عن جماعة من الصابئة هم «الحرنانيَّة» نسبة إلى حرَّان، وهي الموطن الأصلي للصابئة، وهي «على طريق الموصل والشام والروم، قيل: سميت بهاران أخي إبراهيم، عليه السلام، لأنه أول من بناها فعُرِّبت فقيل: حرّان، وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيون»[٣].

---

(١) نص مترجم مقتبس من كتاب **كنزاربا**.

في: الليدي دراوور، **الصابئة المندائيون**، الكتاب الأول، ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي، بغداد، منشورات مكتبة الأندلس، سنة ١٩٦٩ م، ص ٣٤٥.

(٢) الحسني، السيد عبد الرزاق، **الصابئون في حاضرهم وماضيهم**، صيدا (لبنان)، مطبعة العرفان، ط ٢، سنة ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م، ص ٤٣.

(٣) الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، م ٢، بيروت، دار صادر، ط ٢، سنة ١٩٩٥ م، ص ٢٣٥.

والحِرنانية هؤلاء قالوا كما ذكر الشهرستاني:

«إن الصانع المعبود واحد وكثير. أما واحد ففي الذات، والأول، والأصل، والأزل. وأما كثير فلأنه يتكثر بالأشخاص في رأي العين، وهي المدبرات السبعة والأشخاص الأرضية الخيِّرة، العالمة، الفاضلة، فإنه يظهر بها، ويتشخص بأشخاصها.

ولا تبطل وحدته في ذاته.

وقالوا: هو أبدع الفلك وجميع ما فيه من الأجرام والكواكب، وجعلها مدبرات هذا العالم»[(١)].

ولكن ابن حزم الأندلسي ذهب أبعد من ذلك، فهو يؤكد تعظيمهم الكواكب، ولكنهم مع ذلك يؤدون العبادات بما يقرِّبهم كثيراً من المسلمين، والأمر نفسه في عدد من التشريعات، فيقول ابن حزم عن هذا الأمر:

«إنهم يقولون، بتعظيم الكواكب السبعة، والبروج الاثني عشر، ويصورونها في هياكلهم ويقولون بقدمها، ويقربون الذبائح، والدُّخْن[(٢)]، ولهم صلوات خمس في اليوم والليلة تقرب من صلوات المسلمين، ويصومون شهر رمضان، ويستقبلون في صلاتهم الكعبة والبيت الحرام، ويعظِّمون مكة والكعبة، ويحرمون الميتة، والدم، ولحم الخنزير، ويحرمون من القرائب ما يحرم على المسلمين»[(٣)].

هناك ضبابية تلف حقيقة العقيدة عند الصابئة، ويبدو أنهم ما زالوا حتى هذه الأيام يؤمنون بما يشوش عقيدة التوحيد عندهم.

وعندهم أنه هناك مخلوقات دون مستوى الخالق لكنها تختص ببعض شؤون تدبير الخلق والعالم. وقد جاء أنهم يعتقدون بأنه «يلي الإله في المنزلة (٣٦٠) شخصاً خلقوا ليفعلوا أفعال الإله إلا أنهم ليسوا بآلهة، ولا هم في عداد القديسين، لأنهم لم يكونوا بشراً مثلهم. ولا يعدُّون من الملائكة وإن كانوا

---

(١) الشهرستاني، م. س، ج ٢، ص ٥٤.

(٢) الدّخْن: ما يتبخَّر به من الطيب.

(٣) ابن حزم الأندلسي، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج ١، وضع حواشيه أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، سنة ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م، ص ٥٠.

صنفاً منهم، لأن بعض هؤلاء يمارس أعمال الخلق كـ «ماري أوربوثا» و«هيبل زيوا»، وهم يعلمون كل شيء، ويعرفون الغيب، ولكل منهم مملكة في عالم الأنوار «آلمهي دنهورا» أما أصل وجودهم فإنهم ليسوا بمخلوقين ـ كبقية الكائنات الحيّة ـ ولكن الله ناداهم بأسمائهم فخلقوا»(١).

إن الصابئة المعاصرين الذين يتحدثون عن كائن أعلى ويعطونه أسماء متعددة منها ملك النور «ملكه دنهورا» أو رب العظمة «مار أوربوثا»، كذلك يتحدثون عن مساعدين لهذا الكائن الأعلى لهم أدوار في عملية الخلق، وأحياناً يكون لهم وكلاء في هذه المهمة، من هؤلاء الكائنات المساعدة، «هيبل زيوا واباثر وبثاهيل». وتختلف أدوارهم وصفاتهم. ففي القسم الأول يظهر جبريل كوكيل وحيد، وفي القسم الثاني ينشئ هيبل زيوا عالم النور إلا أن بثاهيل يقوم بعملية خلق العالم الطبيعي الحقيقي. وفي القسم الثالث يطابق بثاهيل جبريل ويصنع العالم بمساعدة الكواكب إلا أنه لا يقدر على خلق الروح في الإنسان»(٢).

والصابئة قالوا بوجود عالمين أو كونين، وأن هذه القاعدة تنطبق على كل كائن. فلكل كائن وجودان: علني وسري، وما ذلك إلا ليجعلوا لهم، ككل أصحاب المزاعم، مكانة في عالم مخصوص، وهذا ليس إلا لهم.

يقول الصابئة إن للكون وجودين: «كون سري يسمونه: مشوني كشطة، وكون علني يسمونه: اره تيبل؛ أي الأرض التي تبلى، ويرون دائماً أن للوجود السري امتيازاً على الوجود العلني، فالعالم السري قطر فسيح أكبر من العالم العلني، الذي هو عالمنا المسكون، وهو مستور عنّا لا يمكننا أن نشاهده حال حياتنا؛ وله شرف المنزلة بالقياس إلى عالمنا، فهو منه بمنزلة اليمين من الشمال. وهذا الاعتبار، أي من اليمين إلى الشمال، يشاهد في كثير من تعابيرهم التي يقسمون بها الأشياء والموجودات. أما سكان هذا العالم فهم بشر مثلنا، إلا أنهم صابئة منزهون عن كل وصمة»(٣).

---

(١) الحسني، السيد عبد الرزاق، **الصابئون في ماضيهم وحاضرهم**، م. س، ص ٤٣.
(٢) الليدي دراوور، م. س، ص ١٣٣.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٦، ٤٧.

وتدخل في عقيدتهم فكرة الخير والشر التي طالما دارت حولها نقاشات، وحصلت حولها صراعات فكرية عند علماء الكلام المسلمين، وقبل المسلمين عند أهل عقائد كثيرة منهم الصابئة. وفكرتهم تقوم على رفض نسبة خلق الشر إلى الله.

وعندهم أن الله يخلق الخير فقط، وأنه لا يجوز في حقّه، كما يزعمون، أن يخلق الشر.

يذكر الشهرستاني عن الصابئة زعمهم «أن الله تعالى أجلُّ من أن يخلق الشرور والقبائح والأقذار والخنافس والحيّات والعقارب، بل هي كلها واقعة ضرورة عن اتصالات الكواكب سعادة ونحوسة، واجتماعات العناصر صفوة وكدورة. فما كان من سعد وخير وصفو، فهو المقصود من الفطرة، فينسب إلى الباري تعالى، وما كان من نحوسة، وشرّ، وكدر، فهو الواقع ضرورة فلا ينسب إليه، بل هي إما اتفاقيات وضروريات، وإما مستندة إلى أصل الشرور والاتصال مذموم»[١].

وابن حزم يؤكد هذا القول عن الصابئة فيقول عنهم: «قالوا: وجدنا الحكيم لا يفعل الشر، ولا يخلق خلقاً ثمَّ يسلط عليه غيره، وهذا عيب في المعهود. ووجدنا العالم كله ينقسم قسمين، كل قسم منهما ضد الآخر كالخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والحياة والموت، والصدق والكذب.

فعلمنا أن الحكيم لا يفعل إلا الخير، وما يليق فعله به، وعلمنا أن الشرور لها فاعل غيره وهو شرٌّ مثلها»[٢].

إن هذه المقولة تعبّر عن عقيدة غير سليمة، لأنها تثبت خالقاً مع الله تعالى، ولا ضرر في القول: إن الله تعالى خالق الخير وخالق الشر، ولكنه أمرنا بفعل الخير، ونهانا عن الشر، وما ذلك إلا ليبلونا أيّنا أحسن عملاً.

كما أن ربط السعد والنحس بالكواكب أمر غير مقبول، فالأمور تقدير من الله، وبالنسبة إلى الإنسان عليه الأخذ بالأسباب، أي السعي والعمل قدر

---

(١) الشهرستاني، م. س، ج ٢، ص ٥٦.
(٢) ابن حزم، م. س، ج ١، ص ٥٣.

استطاعته، ولا يمكن، شرعاً أو عقلاً، التسليم بهذا الربط بين مصير الإنسان، أو ما سيحصل له، وبين الكواكب.

٣ ـ أماكن انتشار الصابئة

يبدو أن العراق هو البلد الذي يحوي الصابئة المعاصرين أو معظمهم، والصابئة من الديانات الحيَّة، وعدد الصابئة غير دقيق لأنه، كما يبدو، على قسم منهم، أنهم لا يصرحون بحقيقة معتقدهم.

وإذا كانت البطائح[١] في العراق هي مكان وجودهم الأصلي، تاريخياً وحتى يومنا هذا، إلا أن التعرف عليهم استنتاجيّ في الغالب. هذا ما ذهب إليه السيد عبد الرزاق الحسني الذي يقول:

«يعيش بين ظهرانينا في العراق قسم من الناس لهم تقاليدهم ولهم عاداتهم ولغتهم، ويكادون أن يكونوا ممتازين بكل مظاهر حياتهم، وحتى بأشكالهم وسحنة وجوههم ويطلق عليهم اسم الصابئة.

وقد يكون هؤلاء هم الصابئة الأصليون وقد لا يكونون، إلا أن الشيء المحقق عندنا هو أن قسماً كبيراً من عبادة الصابئة القديمة، وطقوس دينهم، بارزة بين معتقدات هؤلاء القوم وبين طقوسهم الدينية؛ كاحترام النجوم، واستقبال نجم القطب وتكريم الكواكب السيارة وغير ذلك من أصول الدين الصابئ مما يتدين به هذا المجموع الممتاز.

. . .إنهم شعب غريب نزح إلى هذه البلاد واستوطنها واحتفظ بما له من عادات وتقاليد، والتزم بالسكن على ضفاف الأنهر، وبقرب المياه الجارية، نظراً لما يقيمه من الطقوس الدينية التي لا تتم إلا بالارتماس في الماء الجاري، لهذا عرف هذا القسم من الناس بصابئة البطائح نسبة إلى بطائح العراق المشهورة»[٢].

---

(١) البطائح: وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة، وكانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة، وهي جمع بطيحة، وتبطَّح السيل إذا اتسع في الأرض (معجم البلدان لياقوت الحموي).

(٢) الحسني، السيد عبد الرزاق، **الصابئون في ماضيهم وحاضرهم**، م. س، ص ٣٥، ٣٦.

ولا تذكر المصادر التي تدرس وضع الصابئة أماكن انتشار لهم خارج العراق. والصابئة هذه الأيام يقدر عددهم «بحوالي ١٥٠ ألفاً، معظمهم في العراق، ويتركزون في الأهوار، قرب البصرة، وحيث تكثر القنوات والأنهار التي تسهل عليهم الاغتسال الدائم، الذي هو أبرز ما في ديانتهم من طقوس. والذين يعيشون منهم في بغداد يتخصصون في صناعة الفضة ومشغولاتها»[١].

والانتشار للصابئة حددته باحثة بريطانية رحالة هي الليدي دراوور في كتابها عن «الصابئة المندائيون»، وتقول: «واليوم فإن مراكز الصابئين الرئيسة هي في جنوبي العراق في منطقة الأهوار وعلى الضفاف من نهري دجلة والفرات، في مدن العمارة والناصرية والبصرة وقلعة صالح والحلفاية وسوق الشيوخ، ويوجد جماعات منهم بأعداد مختلفة إلى الشمال من المناطق المذكورة كبغداد والكوت والديوانية وكركوك والموصل... أما في إيران فقد كان عدد الصابئين كبيراً في إقليم عربستان، غير أن عددهم آخذ بالتناقص، والساكنون منهم في المحمرة والأهواز على ضفاف نهر كارون ليسوا بنعمة وصحة كما هي عليه الحال مع الصابئين في العراق»[٢].

هذا التحديد لأماكن انتشار الصابئة يبدو أنه الأكثر دقة وشمولاً. والملاحظة عن الصابئة في إقليم عربستان تذهب إليها مراجع أخرى وتعزوها إلى حالة التعصب والانغلاق التي يعيشها الصابئة هناك، ولذلك فأوضاعهم الثقافية والاجتماعية ليست بمستوى الأوضاع بالنسبة إلى الصابئة في العراق.

٤ ـ العبادات عند الصابئة

الماء والطهارة أساس في شرع الصابئة، لذلك يدخل في طقوسهم وشعائرهم التعميد كأول شيء، هذا ما دفع الصابئة كي يقيموا في بطائح العراق بسبب توافر المياه فيها. والمقيمون في عربستان موجودون على نهر كارون. ولأهمية التعميد عندهم، يستحق أن نتوقف معه قليلاً كعنوان هام من موضوعات الشعائر الدينية عندهم:

---

(١) إبراهيم، الدكتور سعد الدين، **تأملات في مسألة الأقليات**، القاهرة، مركز ابن خلدون، والكويت، دار سعاد الصباح، سنة ١٩٩٢ م، ص ١٠٦.

(٢) الليدي دراوور، م. س، ص ٤٠.

التعميد عند الصابئة: إن الاغتسال بالماء يصنف طقساً رئيساً عند الصابئة، وهذا الاغتسال أو الاستخدام للماء يكون على أنواع، أبرزها ما يسمى: «مصبُتّه»، ومعناه التعميد الكامل. هذا النوع من التعميد «يتضمن مراسم قداس الزيت والخبز والماء وتصافح اليدين والتقبيل، وهو ما يسمى منح الكشطة البركة الأخيرة التي يمثلها وضع يد الكاهن اليمنى فوق رأس الشخص المتعمد. ويقوم بإجراء هذا التعميد الكامل الكاهن في يوم واحد، إثر نجاسات كبرى (الزواج، الولادة، التماس مع الميت.. الخ)، وبعد خطايا معينة كقول الكذب والنميمة، وبعد عراك حادٍّ، وفي الحقيقة، بعد أي عمل يخجل المرء من إتيانه.. والخطايا الرئيسة كالسرقة والقتل والزنى تتطلب أكثر من عماد واحد. وبصورة عامة فكلما كثر التعميد كان ذلك أحسن، هكذا يقول الكهان»[١].

وهذا التعميد الكامل (مصبته) يكون أيام الآحاد وفي بعض الأعياد، وفي الأيام الخمسة الكبيسة من كل سنة ويسمونها (البنجة) لأن السنة عند الصابئة ٣٦٠ يوماً.

والتعميد الكامل يكون عند الولادة، فكل مولود جديد لا بد من تعميده، وعندها يضيفون إلى اسمه الأصلي اسماً مناسباً للبيئة الاجتماعية التي يقيم فيها، وغالباً ما يكون تعميد الولادة ـ عندهم ـ بعد ٤٥ يوماً من الولادة. وما يقال عند هذه العمادة هو ما يلي: «أعمدك باسم الثلاثة: الله ومندايي ويحيى (يوحنا). أعمدك معمودية بهرام العظيم ابن رورِبي لتكون معموديتك حارسة لك، ورافعة إياك إلى العلاء».

وهناك عمادة الزواج وتكون للعروسين عند عقد القران بينهما. ويستحب أن يكون العماد الأول للزواج يوم أحد، أو، حسب معتقدهم، يوم حمد ميمون من الناحية الفلكية، وعندهم لا يقوم الكاهن بهذا العماد إلا بعد التأكد من أن العروس ليست قريبة من ميعاد الحيض.

وهناك عماد الجماعة، وهو فرض على كل صابئي، وميقاته في أيام عيد (البنجة) أي الأيام الكبيسة من كل سنة، وتقع هذه الأيام في العشر الأوائل من نيسان.

(١) الليدي دراوور، م. س، ص ١٦٩.

والنوع الرابع من التعميد الكامل (مصبتي) يكون أيام أعيادهم وهي أربعة في السنة: العيد الكبير ـ العيد الصغير ـ عيد البنجة ـ عيد يوحنا (يحيى).

العيد الكبير هو عيد رأس السنة عندهم وفق حساباتهم على أساس أن السنة ٣٦٠ يوماً، والشهر ثلاثون يوماً وهي نفسها حسابات الفرس. وهذا العيد يسمى بلغتهم: دَهفه ربه، ومنهم من يستخدم الاسم الفارسي «نوروز ربه».

والعيد الصغير، ويسمونه «دهوه حنينه»، ويعتقدون أنه اليوم الذي جمدت فيه الأرض بعد أن كانت من الغاز، وميقاته بعد ١٢٨ يوماً من العيد الكبير.

على أي حال، بالعودة إلى موضوع التعميد لا بد من التنويه بأن التعميد عند الصابئة يكون بالماء الحي أي الماء الجاري في نهر، ولا يصح التعميد أو الطهارة عندهم بالماء المنقطع أي المنقول بأوعية أو الموجود في خزانات.

وعند الصابئة الطهارة ضرورية لمن كان على جنابة، وتكون بالارتماس في الماء ثلاث مرات وإتباعها بالوضوء، وذلك شرط ضروري قبل أداء الصلاة.

الطهارة من الجنابة تسمى عندهم «طماشة»، وتكون بعد الحيض والولادة، والجماع، والاحتلام، ولمس جثة الميت.

الوضوء: والنوع الأخير هو «الرشامة» أي الوضوء، ويقوم بها الصابئي دون مساعدة الكاهن، كحال الطماشة، وهي دائمة وتحصل قبل شروق الشمس، وإذا فسد الوضوء لسبب ما، ومفسدات الوضوء عندهم: البول، والغائط، والريح، ولمس الحائض، والنفساء، وجسد المرأة الأجنبية. والوضوء عند الصابئة واجب قبل كل صلاة، ولا يجوز عندهم أداء صلاتين بوضوء واحد.

وأترك للسيد عبد الرزاق الحسني وصف وضوئهم حسب مشاهداته: «يشدُّ المتوضئ حزامه، ثم يجلس على النهر متجهاً نحو الجدي[1]، ويتلو الرخصة (النية) بلغتهم المندائية فيقول ما معناه: السلام عليك أيها الماء الجاري من

(١) الجدي: ليس للصابئة المندائية اعتقاد خاص بالجدي، وعندهم أن النجم الموكل بآسيا «موطن الصابئة» هو المريخ، «ويسمونه تبرغ». أما الجدي فهو محل القياس لأنه ثابت في محل لا يتحرك، ولأنه متوجه دائماً إلى ملك الأنوار، وبذلك يكون اتجاه الصابئة إلى الإلّه الواحد الأحد، وهم لا يتممون سنة ولا عملاً دينياً إلا ويتجهون إلى هذا النجم.

تحت عرش الرب الذي يحيي بك كل ما في الأرض.

ثم يشرع بالوضوء مبتدئاً بغسل اليدين... ثم يغسل وجهه ثلاث مرات، بأن يغترف من ماء النهر ويصبه عليه... ثم يبل يده في الماء، ويجمع أصابع يده اليمنى، ويمررها على جبهته، من مبدأ صدغه الأيمن حتى صدغه الأيسر... ثم يدخل سبابته في أذنيه ويكرر ذلك ثلاث مرات.. ثم يستنشق ثلاثاً.. ثم يتمضمض مرة واحدة... ثم يأخذ قليلاً من الماء برؤوس أصابعه العشرة فيرقّها على ركبتيه وساقيه... ثم يغسل رجليه... ثم يقذف ما تبقى من الماء برأسي سبابتيه ثلاث مرات، كأنه يطرد النجاسة عن نفسه»[١].

الصلاة: يقول الشهرستاني بأن للصابئين ثلاث صلوات في اليوم، ويذهب إلى ذلك ابن النديم في الفهرست فيقول:

«المفترض عليهم في الصلاة في كل يوم ثلاث: **أولها**: قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل، لتنقضي مع طلوع الشمس، وهي ثماني ركعات وثلاث سجدات مع كل ركعة.

الثانية: انقضاؤها مع زوال الشمس، وهي خمس ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة.

الثالثة: مثل الثانية، انقضاؤها عند غروب الشمس»[٢].

والمعلوم أنه لا صلاة عندهم ـ كما ذكرنا سابقاً ـ إلّا على طهور وبعد وضوء.

ويذكر السيد عبد الرزاق الحسني أن صلاتهم تقتصر على الوقوف والركوع، والجلوس على الأرض، من دون سجود، ولا أدري، في هذا الباب، هل أن الصابئة قد غيَّروا ما كانوا عليه كما ذكر الشهرستاني وابن النديم؟ أم أنهم على مذاهب وأصناف؟

المهم أنهم يعتقدون بأن الصلاة كانت «أولاً على آدم أبي البشر بسبعة

(١) الحسني، السيد عبد الرزاق، **الصابئون في ماضيهم وحاضرهم**، م. س، ص ٩١، ٩٢.

(٢) ابن النديم، محمد بن إسحاق، **الفهرست**، تحقيق د. ناهد عباس عثمان، قطر، دار قطري بن الفجاءة، ط ١، سنة ١٩٨٥ م، ص ٦٣٣.

فروض.. إلا أن شريعة آدم هذه استمرت حتى ظهور يحيى بن زكريا عليه السلام (يوحنا)، فضم بعضها إلى بعض، وجعلها ثلاثة فروض في ثلاثة أوقات، كما هو جارٍ الآن»[١].

أما النصوص التي تتلى في الصلاة (البراخة) فهي تختلف ما بين الصلوات الثلاث، وقد ذكرتها الليدي دراوور بنصوصها في اللغة المندائية مع ترجمتها بالعربية، من خلال ما قدمه لها كهان الصابئة في البطائح بالعراق. وأجد من المفيد أن نورد هذه النصوص بالعربية لأخذ فكرة عن عقيدة هؤلاء القوم.

في صلاة الفجر، قبل شروق الشمس، يقولون ما معناه:

«**النص الأول:**

- موجود الحي ماري موجود مندا[٢] اد هيي[٣].
- بشهادة الحي وبشهادة ملك عالم الأنوار.
- الإله الذي انبعث من ذاته، لا باطل اسمك ولا مبطل[٤].
- يا حي، يا ماري، يا مندا اد هيي.

النص الثاني:

- سبحانك ربي، عهداً أحفظه بأسماء الحي الرب.
- قوموا قوموا بخير متصدقين، قوموا أتقياء ومؤمنين، قوموا.
- اسجدوا وسبحوا للحي العظيم، وسبحوا للملك شيشلام
- العظيم، وسبحوا لذي الأسرار الخفية الربانية، وسبحوا لياور
- العظيم ولازلات الكبير، وسبحوا لسيمات هيي الأم التي منها كل العوالم
- وسبحوا للعين والنخلة ولأبي الملائكة
- الذي منه نشأوا، إنا نسجد ونسبح لملك عالم الأنوار الرؤوف الرحيم.

---

(١) الحسني، السيد عبد الرزاق، **الصابئون في ماضيهم وحاضرهم**، **م. س، ص ٩٣.**

(٢) مندا: بيت العبادة.

(٣) هيي: الحي من أسماء الله.

(٤) مبطل: يوم نحس.

النص الثالث:

- بأسماء الحي العظيم للحي سجدنا، ولماري ومندا
- اد هيي
- سبحنا ولذي السيماء الجليلة الذي انبعث من ذاته.

النص الرابع:

- عهداً نحفظه، بأسماء الحي العظيم الجالس على عرش عالم الأنوار.
- رب جميع الأعمال، السلام والزكاة لذي الحول والحق.
- ذي الأمر والنهي ليهدي عقلي ويغفر خطاياي أنا.
- الاسم الديني (الملواشة)[1] وبقوة ياور زيوا وسيمات هيـي».

أما صلاة الظهر (البراخة)، فتبدأ بتلاوة النص الأول من صلاة الصبح وقد ذكرناه سابقاً، وبعدها يأتي:

« - بأسماء الحي العظيم، إنّا للحي القديم سجدنا ولماري
- ومندا اد هيـي سبحنا ولذياك المحيا الموقر الذي انبعث من ذاته».

وبعد ذلك تتم قراءة النص الرابع من صلاة الصبح.

وصلاة المساء (البراقة) تبدأ بما يلي:

« - بأسمائك الحي العظيم، الأذان الأذان، وجب أداء الرحمة
- وتلاوة السور فجبريل عالم بالساعة وشيتل يتلو الآيات
- كل متعمد بالعماد يسلم ويتقيم بالسور المتلوّة.
- باسم الحي العظيم، للحي سجدنا ولماري ومندا اد هيـي
- وسبحنا لذياك الوجه الموقر الذي انبعث من ذاته».

بعد هذا النص يتلون النص الرابع من صلاة الفجر.

الصوم: ينقل السيد عبد الرزاق الحسني أن الصابئة في العراق يتظاهرون بالصيام في شهر رمضان مراعاة لجيرانهم من المسلمين، وإن كانوا يخصون أنفسهم بطقس خاص للصوم.

---

(١) الملواشة: الاسم الديني الذي يعطى للشخص عند عمادة الولادة.

وفي حين يذكر ابن النديم أنهم يصومون فيقول: «والمفترض عليهم من الصيام ثلاثون يوماً، أولها لثمانٍ يمضين من اجتماع آذار، وتسعة أُخر أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول، وسبعة أيام أُخر أولها لثمانٍ يمضين من شباط وهي أعظمها»(١).

نجد في المقابل السيد عبد الرزاق وهو معاصر يخالف ذلك فيقول: «نجد الصابئة المندائية (الحاليين) يحرّمون الصيام في طقوسهم الدينية ويرون أنه من باب تحريم ما أحله الله»(٢).

ويذكر أنهم يعتمدون صوماً قريباً من صوم المسيحيين، يقوم على الامتناع عن تناول اللحوم، فيقول: «ونجدهم أيضاً يمتنعون عن أكل اللحوم ٣٦ يوماً، مقسمة بين أيام السنة، على نحو امتناع النصارى عنها»(٣).

٥ ـ متفرقات من شرع الصابئة وتقاليدهم

قبل الحديث عن بعض تشريعات الصابئة وتقاليدهم، من المفيد الإشارة إلى أن هذه الأمور متضمنة في مجموعة من المخطوطات والأسفار، ذكرتها الليدي دراوور في كتابها المعاصر عن الصابئة المندائية، وعندها أن كتب الصابئة المقدسة هي:

١ ـ كنزه ربه: وهو مخطوط كبير يحتوي على فقرات كثيرة موضوعها نظام تكوين العالم وحساب الخليقة وأدعية وحكايات... الخ. والقسم الثاني من الكتاب (قسم الشمال) يعالج فقط شؤون الميت، وهو مكتوب بالعكس أي من اليمين إلى اليسار أيضاً، ولكن من الطرف المقابل من الكتاب.

٢ ـ دراشه أو يهيأ: وهو مجموعة أخرى من فقرات تتناول شؤون النبي يحيى.

٣ ـ سيدره أو نشماتة: أي طقس التعميد وسر المعمودية المقدس.

٤ ـ أسفر ملواشه: وهو مخطوط لأغراض التنجيم والفلك.

(١) ابن النديم، محمد بن إسحاق، م. س، ص ٦٣٤.

(٢) الحسني، السيد عبد الرزاق، **الصابئون في ماضيهم وحاضرهم**، م. س، ص ٨٩.

(٣) المصدر السابق.

٥ ـ تفسير بغره: وهو ديوان يعالج المعنى الداخلي للواجبات الطقسية.

٦ ـ ألف ترسسر شياله: (١٢٠٠٠ سؤال) والمفروض أنه من خمسة أجزاء يتناول الجزء الأول الأخطاء في الطقوس وطريقة غفرانها وإيضاح الشعائر. . . الخ.

٧ ـ أنياني: ويتضمن هذا الكتاب الطهارة الصغرى أي الوضوء ـ الرشامة ـ وبعض الأدعية (للمسخثة).

٨ ـ ديوان طقس التطهر (طراسة) والتكريس بأنواعه، كتكريس الكاهن وتكريس المندى وتكرس الأستاذ (كنزفر) وكلها على شكل دواوين.

٩ ـ دواوين متنوعة: ويقال إن عددها أربعة وعشرون ديواناً.

١٠ ـ دواوين الرقى والتعاويذ وتدعى (قماهى) و(زرستي). قما: باللغة المندائية تعني يقمط. وزرس: تعني يقي أو يصون»[١].

التقويم عند الصابئة: السنة عند الصابئة اثنا عشر شهراً، وكل شهر ثلاثون يوماً؛ أي أن سنتهم ٣٦٠ يوماً معها خمسة أيام كبيسة تسمى: البنجة، وهي من جملة أعيادهم.

وأسماء الأشهر عندهم مربوطة بالأبراج التي لا يزال يعتمدها بعض من يركنون إلى التنجيم. وهي:

«قام دولة (برج الدلو) (شباط) ـ قام نونه (آذار) ـ قام أمباره (نيسان) ـ قام نورا (أيار) ـ قام صلمى (حزيران) ـ قام سرطانه (تموز) ـ قام أريا (آب) ـ قام شمبلتا (أيلول) ـ قام قينا (تشرين) ـ قام ارقبة (مشروان)؛ أي تشرين الثاني ـ قام هطية (كانون) ـ قام گدية (طابيت) أي كانون الثاني»[٢].

وللتقويم الزمني صلة بمعتقدات الصابئة، كيف لا وهم المعتقدون بوسائط بين الخالق والمخلوقات هي الكواكب، وأن كل كوكب موكل بحماية منطقة من العالم. فالمريخ ويسمونه تبرغ هو الموكل مثلاً ـ حسب معتقدهم ـ بقارة آسيا وفيها الصابئة.

---

(١) الليدي، دراوور، م. س، ص ٧٠، ٧١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٤.

وفي عقيدتهم أن في الكون ٣٦٠ شخصاً خلقوا ليفعلوا أفعال الإله إلا أنهم ليسوا آلهة، وعددهم بعدد أيام السنة.

وفي أدبياتهم تقسيم زمني لعمر الدنيا، ويزعمون أنها مرت بمحطات حصلت فيها حالات دمار شبه كاملة، وكانت بعدها تتجدد عملية التكاثر للبشر.

ومما يذكرونه ـ مثلاً ـ أن عمر الدنيا يوم الطوفان في عهد نوح عليه السلام كان (٤٦٦٠٠٠) سنة. وعمر الدنيا إلى آخر حكم البابليين (٤٧٢٧٥٧) سنة. وبعد ظهور الإسلام حتى الآن تكون حساباتهم، والكلام للسيد عبد الرزاق الحسني، سنة (١٣٧٤هـ)، أن عمر الدنيا بات ٤٧٤٥١٣ عاماً. ويزعمون أن العالم سيبقى «على شكله القائم ٢٦٥٥ عاماً حتى يظهر المسيح المرتقب وهو غير المسيح الأول **الذي جاء إلى الدنيا بمظهر جسماني فتتبدل العادات، وينبذ السلاح، وتمحى الديانات: اليهودية والمسيحية والإسلامية، ويكون العالم على دين واحد**، وتستمر الحالة على هذا المنوال ستين ألف سنة، ثم يرجع الأمر إلى شريعة آدم السابقة، ومنها إلى (هيبل زيوا) فيبقى تحت حكمه خمسين ألف سنة ثم يصير إلى إمامات ويستمر مئة وسبعين سنة ثم تفنى الأرض لتعود إلى عالم الأنوار، أي يبقى من عمر الأرض ١١٢٨٢٥ سنة»[(١)].

مع المزاعم عن أعمار للدنيا، لا ندري ما مصدرها، عند الصابئة، تراهم وقد آمنوا بفكرة الظهور من أجل وقف الحروب ونشر العدل ونسخ الرسالات السابقة، وهذا معتقد يشتركون فيه مع كثيرين غيرهم. وبذلك يظهر لنا كيف أن الصابئة في حقيقتها نتاج عدة فلسفات وديانات وضعية مع بعض الأمور المأخوذة من الرسالات السماوية، وبذلك يصعب على الدارس أن يصنِّف ديانة الصابئة على أنها تعود في أساسها إلى أصل واحد أو تنسب إلى مؤسس بعينه.

الزواج عند الصابئة: موقف الصابئة من الزواج موقف إيجابي، أي أن شريعتهم لا تحض على العزوبة، كما أن رجال الدين عندهم كذلك يتزوجون.

يذكر الشهرستاني عنهم أنهم «أمروا بالتزويج بولي وشهود. ولا يجوِّزون الطلاق إلا بحكم حاكم، ولا يجمعون بين امرأتين»[(٢)].

---

(١) الحسني، السيد عبد الرزاق، **الصابئون في ماضيهم وحاضرهم**، م. س، ص ٥٢.

(٢) الشهرستاني، م. س، ج ٢، ص ٥٧.

ويذهب ابن النديم المذهب نفسه فيقول: «ويتزوجون بشهود إلا من قريب القرابة. وفريضة الذكر والأنثى سواء. ولا طلاق إلا بحجة بيِّنة عن فاحشة ظاهرة، ولا تُراجَع المطلقة، ولا يجمع بين امرأتين ولا يطأهن إلا لطلب الولد»[١].

ولكن الليدي دراوور تكتب عن الصابئة المعاصرين ما يفيد أنهم يقرون تعدد الزوجات، ويتضح من ذلك أنهم قد بدلوا في شريعتهم. وقد ذكرت في هذا الموضوع ما يلي: «قال لي أحد الكهان (كنزفره)، وكان متزوجاً من اثنتين: ليس للرجل غير المتزوج من جنّة في الآخرة، ولا من جنّة في الدنيا، ولو لم تخلق المرأة لما كان هناك شمس ولا قمر ولا زراعة ولا ماء. فالأولاد يرفعون اسم الإنسان في الآخرة، ويحملون جنازته حين يموت ويقرأون المسخثة من أجله.

وللرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء وبقدر ما تسمح له ظروفه، ومع ذلك فتعدد الزوجات هو الاستثناء، وكثير من الصابئين يفضلون الزواج بواحدة. ولاحظت أن أكثر الكهان كانوا متزوجين باثنتين أو أكثر في نفس الوقت.

والمقاييس الأخلاقية لديهم صلبة، ومع ذلك فالمرأة الخاطئة لا يقتلها ذوو قرباها، كما يفعل الآخرون في العراق بشكل عام. ولا يعترف دينهم بالطلاق ولكن إذا ما وجد الزوج أن زوجته قد أهملت في واجبات الطهارة أو أن خطاياها الأخلاقية خطيرة، يطلب من الكنزفرة الافتراق عنها، ولا يكون بوسعها بعد ذلك أن تتزوج رجلاً آخر، فليس من المنتظر من الثيِّب أن تتزوج ثانية... وإذا أرادت الأرملة أو المرأة غير العذراء أن تتزوج فهناك كاهن خاص يدعى «أبيسق» يجري لها مراسم مختصرة، ولكن يحرم على أطفال من زيجة كهذه أن يصيروا كهاناً لمدة ثلاثة أجيال»[٢].

يتبيَّن من هذه الوقائع أن الصابئة يقرُّون تعدد الزوجات ويمارسونه، وأنهم يتشددون في أمر الطلاق الذي لا يكون إلا بأمر «الكنزفرة»، وعند ثبوت الزنى، وأن الزانية تعاقب بمنعها من الزواج ثانية، وإذا ما سمح لها، فإن

---

(١) ابن النديم، م. س، ص ٦٤٣.

(٢) الليدي دراوور، م. س، ص ١١٧.

خطأها يؤثر في من ستنجب من زواج ثانٍ، ورغم الإشارة إلى أنهم لا يقتلون الزانية، فإن ما سبق ذكره لجهة عدم الزواج منها، أو عدم السماح لأولادها أن يصبحوا كهنة، يكفي ليبرز شناعة فعل الزنى في شريعتهم.

أحكام من شرع الصابئة: الصابئة يتركون الختان، ويبدو أنهم أخذوا ذلك من المسيحية كما أخذوا التعميد، وحرموا بعض المأكولات واللحوم، وفيها خلط بين أمور يحرمها الإسلام كالخنزير وأخرى تحرمها المسيحية، وأمور لا يحرمها أحد كالحمام مثلاً.

أورد الشهرستاني عنهم في هذا الباب: «وحرموا أكل الجزور، والخنزير، والكلب، ومن الطير كل ما له مخلب، والحمام، ونهوا عن السكر في الشراب، وعن الاختتان»[١].

ويذهب ابن النديم إلى ما ذكره الشهرستاني فيقول: «وقد نهوا عن أكل الجزور... وكل ما له أسنان في اللحيين جميعاً كالخنزير والكلب والحمار، ومن الطير غير الحمام وما له مخلب، ومن النبات غير الباقلى والثوم، ويتعدى بعضهم اللوبياء والقنبيط والكرنب (الملفوف) والعدس ويفرطون في كراهة الجمل»[٢].

أكتفي بهذا القدر من الحديث عن الصابئة، وتأسيساً على ما تقدم يمكن القول: إن الصابئة، عقيدة وشريعة، استمدوا ما هم عليه من مصادر متعددة، منها ما هو من اليهودية والمسيحية، والإسلام، ومنها ما يعود إلى المجوسية وسواها من الأفكار الوضعية التي كانوا يسمونها أدياناً.

والصابئة يبدو أنهم يقبلون الإضافات إلى شريعتهم، ويجارون محيطهم الذي يقيمون وسطه في شعائر وطقوس عديدة، ولا يجهرون بحقيقة ما يؤمنون به ويلتزمونه.

والصابئة ليسوا من المنكرين لوحدانية الخالق تعالى، ولكنهم يعتقدون بأمور كخلق الخير والشر ووجود وسائط هي الكواكب، وهذه تسيء إلى عقيدتهم، وتشوش توحيدهم وإيمانهم.

---

(١) الشهرستاني، م. س، ج ٢، ص ٥٧.

(٢) ابن النديم، م. س، ص ٦٣٤.



الفصل الثاني

الزرادشتية

١ ـ الواقع الحالي والانتشار

الزرادشتية نسبة لمؤسسها في القرن السادس قبل الميلاد زرادشت بن يورشب، الذي ظهر في زمان كشتاسب بن لهراسب الملك، وتسمَّى المجوسية لأن قبيلة المجوس من سكان بلاد فارس، زمن زرادشت، هي من أوائل من آمن بهذه الدعوة فانطبع اسمها عليها، لذلك يقال لهذه الديانة زرادشتية أو مجوسية.

والزرادشتية من الديانات الحيّة، ورغم نشأتها الفارسية تاريخياً، إلا أن انتشارها اليوم في أكثر من بلد، وحسب تصريح حديث العهد نسبياً للمرجع الأعلى للطائفة الزرادشتية في إيران، السيد رستم شهزادي، فإن عدد أتباع هذه الديانة يزيدون على ثلاثمائة ألف، فقد قال: «يبلغ عدد أبناء الطائفة الزرادشتية (المجوسية) في إيران ٩١ ألف نسمة، حالياً موزعين بشكل رئيسي على مدن طهران وكرمان وأصفهان وشيراز، وهناك أعداد قليلة تسكن بعض المدن الإيرانية الأخرى... والإحصاءات تشير إلى أن هناك حوالي مئة ألف في الهند، وخمسين ألفاً في الباكستان، وخمسين ألفاً في دول أوروبا، وعشرين ألفاً في أميركا، وعشرين ألفاً آخر في إفريقيا الجنوبية»[١].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العدد الحقيقي للزرادشتيين اليوم غير معلوم بدقة، وحالهم كسائر الأقليات الدينية حيث قد يخفي بعضهم انتماءه الديني، أو قد تقلل الحكومات أحياناً من عدد طائفتهم، لذلك، وبصرف النظر عن

---

(١) مقابلة أجرتها **مجلة الوحدة**، طهران، العددان ١٥٣ ـ ١٥٤، نيسان، أيار ١٩٩٣ م، ص ٥٢.

الأرقام، فإن الزرادشتية موجودة ولها أتباعها، كما أن لمعتقداتها ومفاهيمها الدينية آثاراً في مذاهب وطوائف أخرى.

والمجوس جاء ذكرهم في القرآن الكريم مرة واحدة في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج/١٧].

وفي تفسير هذه الآية قال القرطبي عن المجوس: هم عبدة النيران القائلين بأن للعالم أصلين: نور وظلمة.

أما في المفهوم المسيحي، فقد جاء في تعريف كلمة «مجوس» في قاموس الكتاب المقدس ما يلي:

«**مجوس**: كلمة فارسية تعني كهنة رتبتهم بين الحاكم والشعب في بلاد مادي وفارس، وكانوا خدمة دين زرادشت، وكانوا معروفين بلباسهم الخاص وسكناهم المنفردة عن بقية الناس»(١).

ويبدو أن الزرادشتية دخلت الهند في القرن الثامن للميلاد، ومنذ حوالي سنة ١٦٤٠م، تمركز معظم الزرادشتيين الهنود في بومباي، وهكذا تكون الهند الموطن الثاني للزرادشتية بعد إيران، وعددهم في الهند يفوق عددهم في إيران، وعلى عادة الأقليات تجدهم يعملون في قطاعات مهنية مؤثرة، فمعظم زرادشتيي بومباي رجال أعمال ومصرفيون وتجار(٢).

وفي إيران يبدو أنهم يتمتعون بقدر من الحرية، وحق المشاركة في الحياة السياسية ـ خاصة بعد الثورة ـ ويصرح بذلك أعيان الزرادشتية. يقول أفلاطون ضيافت، وهو مهندس زرادشتي متخرج في جامعة طهران وذلك عام ١٩٩٣، إنه «يعمل حالياً في وظيفة مرموقة في وزارة الداخلية الإيرانية، كما أنه شغل منصب قائمقام في أقضية محافظة كرمان الإيرانية قبل عدة سنوات، وغير ذلك فهو قد شغل منصب عضو مجلس الشورى الإسلامي في دورته الثالثة ممثلاً

---

(١) **قاموس الكتاب المقدس**، حرره د. بطرس عبد الملك، و د. جون ألكساندر طمسن، وإبراهيم مطر، القاهرة، دار الثقافة، ط ٩، سنة ١٩٩٤ م، ص ٨٤٢.

(٢) يراجع: Garatini, Roger, **Encyclopédie Thématique Universelle (B)**, Paris, Bordas, l'année 1972, Page 149.

عن الطائفة الزرادشتية في المجلس»[١].

ويشير أفلاطون ضيافت إلى أن هناك جمعية زرادشتية مرخصة يتولى هو رئاستها، وأنهم يصدرون مجلة تعنى بشؤون طائفتهم اسمها: «وهومن».

ويفيد في هذا الباب أن نقول: إن السبب الرئيس لقلة عدد أبناء الطائفة الزرادشتية هو أن هذه الطائفة أغلقت باب الدعوة، وبالتالي لا تُدخل في عداد أتباعها أشخاصاً من معتقدات أخرى، أعلنوا عن رغبتهم في ذلك. يؤكد هذه المسألة زعيمهم الروحي الإيراني السيد رستم شهزادي الذي يقول في إطار إجابته عن سبب قلة عدد أفراد الطائفة الزرادشتية:

«السبب في ذلك هو أننا لسنا كالأديان الأخرى، نقبل بانتماء الآخرين إلى ديانتنا، فالديانة الزرادشتية لا تقبل بانضمام أي فرد آخر إليها ما لم يكن من أبوين مجوسيين، وهذه القاعدة نعمل بها وعمل بها زعماؤنا الدينيون منذ الفتح الإسلامي لإيران قبل أكثر من ألف وثلاثمائة عام»[٢].

٢ ـ النشأة والمعتقدات

المؤسس «زرادشت بن يورشب الذي ظهر في زمن كشتاسب بن لهراسب الملك، وأبوه كان من أذربيجان، وأمه من الري واسمها دغدويه»[٣].

ويقول المسعودي: «والأشهر من نسبه أنه زرادشت ابن أسبيمان، وهو نبي المجوس الذي أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند عوام الناس، واسمه عند المجوس: بستاه... ثم عمل زرادشت تفسيراً عند عجزهم عن فهمه، وسموا التفسير زندا، ثم عمل للتفسير تفسيراً وسماه بازند»[٤].

والمجوس يربطون ظهور دعوة زرادشت بزعم ينقله ابن الأثير، وهذا الزعم ليعطوه مكانة تجعله غير البشر العاديين. يقول ابن الأثير:

---

(١) مقابلة أجرتها معه **مجلة الوحدة**، طهران، العددان ١٥٣، ١٥٤ نيسان، أيار ١٩٩٣م، ص ٥١.

(٢) مقابلة أجرتها **مجلة الوحدة**، م. س، ص ٥٢.

(٣) الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج ١، م. س، ص ٢٣٦.

(٤) المسعودي، **مروج الذهب**، ج ١، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ط ٥، سنة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م، ص ٢٢٩، ٢٣٠.

«أما المجوس فيزعمون أن أصله من أذربيجان، وأنه نزل على الملك من سقف إيوانه وبيده كبّة من نار يلعب بها ولا تحرقه، وكل من أخذها من يده لم تحرقه، وأنه اتبعه الملك ودان بدينه، وبنى بيوت النيران في البلاد، وأشعل من تلك النار في بيوت النيران، فيزعمون أن النيران التي في بيوت عباداتهم من تلك إلى الآن»(١).

بهذه الطريقة برروا ظهور زرادشت في عهد الملك كشتاسب، وربطوا ظهوره ببدايات النار المستخدمة في بيوت العبادة وهي إحدى طقوسهم التي سنعود للتفصيل في الحديث عنها لاحقاً بعونه تعالى.

وتؤكد المصادر أن المجوس يؤمنون بإله واحد خالق هو: مزدا أو أهورامزدا، ويقولون إنه «إله النور والسماء، وأن غيره من الآلهة ليست إلا مظاهر له وصفات من صفاته»(٢).

وإذا كان زرادشت قد تحدث عن خالق للشر تلتقي فيه كل القوى الخبيثة وسمّاه: آهرمان، ومعنى الكلمة: الخبيث أو القوى الخبيثة، لكن ظهر أن آهرمان ليس عنده بمستوى أهورامزدا الخالق، ويتضح ذلك من الاسم نفسه.

فكلمة أهورامزدا من ثلاثة مقاطع هي: هو ـ را ـ مزدا. ومعناها: أنا الوجود خالق، أو أنا خالق الكون.

إن الاسم نفسه يبيّن أن الزرادشتية تؤمن بإلهين لكن ليسا متساويين، وإن شئت قل بإله خالق، وفي مقابله قوى خبيثة تجتمع في «آهرمان» وهو مصدر الشر.

وحسب المصادر التاريخية يظهر أن الزرادشتية تعرضت لحادث عنيف في تاريخها على يدي الإسكندر. فالزرادشتيون يعتقدون أن نبيهم زرادشت Zaroastre «قد كتب ٢٠ كتاباً كل منها يتألف من ١٠٠٠٠٠ آية أو مقطع، ونسخت على ١٢٠٠٠ جلد من جلود البقر، وعندما انتصر الإسكندر الكبير

---

(١) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، م ١، بيروت، دار صادر، ط ٥، سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، ص ٢٥٩.

(٢) ديورانت، ول، **قصة الحضارة**، ج ٢، من م ١، ترجمة د. زكي نجيب محمود، تقديم د. محيي الدين صابر، بيروت، دار الجيل، سنة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م، ص ٤٢٤.

على الفرس فقد أحرقها وكان ذلك عام ٣٣٠ ق.م. وبعد ذلك قام المزديون (نسبة إلى أهورامزدا) الفرس بجمع ما وجدوه من روايات تناقلها الناس من كتاب الآفستا المنسوب إلى زرادشت وعدوه كتابهم المقدس.. وقد تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية (الفهلوية) ما بين القرنين الثالث والعاشر الميلاديين، وأقدم مخطوطة موجودة تعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي وبالتحديد إلى سنة ١٢٥٨م»[١].

والمشهور أن عملية الجمع هذه كانت في عهد أردشير الأول، وجاء بعده ابنه سابور الأول الذي أضاف إلى الآفستا بعض النصوص التي ليس لها علاقة بأمور دينية.

وعقيدة الزرادشتية في الإله الخالق تماثل عقيدة الصابئة، فالخالق عندهم يخلق الخير ولا يمكن أن يصدر الشرّ عنه، وهذا ما دفعهم إلى القول بقوة تعارض الإله (أهورامزدا) يصدر عنها الشر هي: «آهرمان».

وعند زرادشت الإله «هو السيد المهيمن الحكيم، أهورامزدا، خالق السموات والأرض، وهو الأول والآخر. ومع ذلك فهو الصديق الذي دعاه من البداية، ولا يمكن أن تكون للَّه علاقة بالشر، فروحه المقدسة هي التي تقيم الحياة، وتخلق الرجال والنساء، وتعارضه الروح الشريرة أو القوة المدمرة التي تتسم بالنوايا الشريرة، والتكبر والكذب، وعلى البشر أن يختاروا بين هاتين القوتين المتعارضتين»[٢].

فالشر عندهم إذاً مصدره «آهرمان» وهو الشيطان الذي يغري بالشرور ويوجدها، وهذا الأمر هو الذي أسهم في وجود الصراع واستمراره بين «أهورامزدا» وبين «آهرمان»، مما دفع إلى تسمية الزرادشتيين بالثنوية، أي القائلين بإلهين: إله النور، وإله الظلمة، وأن الصالحين أنصار إله النور والأشرار يتبعون إله الظلمة الذي هو مصدر الشر.

وعندهم «الله لا يمكن أن يكون مسؤولاً عن الشر، لأن الشرَّ جوهر، مثله

---

(١) Garatini, Roger, Ibid, P. 148.

(٢) بارندر، جفري، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة د. عبد الغفار مكاوي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، أيار، ١٩٩٣ م، ص ١١٦.

مثل الخير، وكل منهما يرجع في النهاية إلى سبب أول هو الله، والشيطان: آهرمان (Ahriman) الموجود بصفة مستمرة، والمسؤول عن كل شرور العالم، وعن الأمراض، والموت والغضب والتهم. وبما أنهما جوهران متعارضان تعارضاً أساسياً فهما لا محالة يشتبكان في صراع»[١].

في هذا النص يبيِّن جفري بارندر أن الزرادشتيين موحدون يقولون بخلق الله للجواهر كلها، ولكن الشيطان المسمى «آهرمان» وظيفته أن يزيِّن الشرور والمفاسد، ولذلك يكون صراعه مع أهورامزده. وبذلك يكون قد خالف، أي جفري بارندر، مقولات غيره من المؤرخين الذين نقلوا أن الزرادشتيين يقولون بأن أهورامزده ـ وهنا سماه جفري بارندر الله ـ لا يمكن أن يصدر عنه الشر، وأن الشر مخلوق من قبل آهرمان. وإذا صحت مقولته فيبدو أنها عند بعض المعاصرين من أهل هذه الطائفة الذين يريدون مسايرة المؤمنين بوحدانية الله من المسلمين وأهل الكتب السماوية عموماً، وبذلك يكون عندهم أحد أمرين:

١ ـ إما أنهم بدلوا ما كانوا عليه من معتقد لجهة ثنائية الإله ولجهة تحديد مصدر الشر.

٢ ـ وإما أن يكون فعلهم مسايرة تمليها مسألة وجودهم سكنياً في مناطق أغلب أهلها من الموحدين.

وزرادشت، حسب معتقدهم، انتصر على آهرمان، ولم يصغِ له، وتمسك بإيمانه بأهورامزده، لذلك اختاره هذا الأخير لمهمته وحمله الدعوة.

يقول الزرادشتيون عن مؤسس طائفتهم زرادشت: «أراد الشيطان أن يغريه ولكنه أخفق.. فلم يشك أو يتململ بل ظلَّ مستمسكاً بإيمانه بأهورامزدا (رب النور) الإله الأعظم. وتجلى له أهورامزدا ووضع في يديه الأبستاق أي كتاب العلم والحكمة، وأمره أن يعظ بما جاء فيه»[٢]. والأبستاق يبدو أنها تسمية ملحونة للآفستا.

والزرادشتيون يقولون بأنهم من سلالة لم يصبها الطوفان الذي كان على

---

(١) بارندر، جفري، م. س، ص ١١٩.

(٢) ديورانت، ول، م. س، ج ٢، م ١ ص ٤٢٤.

عهد نوح عليه السلام، ويزعمون أنهم من سلالة «جيومرث»، وهي تسمية عندهم يبدو أنها لآدم عليه السلام، وأنهم مستمرون منذ جيومرث، وإذا كان قد حصل طوفان فإنهم ـ حسب زعمهم ـ لم يتعرضوا له، بل إنه قد أصاب سواهم ومنطقة غير منطقة انتشارهم.

ينقل ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ» عن معتقدهم هذا ما يلي: «وأما المجوس فإنهم لا يعرفون الطوفان ويقولون لم يزل المُلك فينا من عهد جيومرث، وهو آدم، قالوا: ولو كان كذلك لكان نسب القوم قد انقطع وملكهم قد اضمحل، وكان بعضهم يقرُّ بالطوفان ويزعم أنه في إقليم بابل وما قرب منه، وأن مساكن ولد جيومرث كانت بالمشرق فلم يصل ذلك إليهم»(١).

نخلص إلى القول بأن تشويشاً ولبساً كبيرين يلفّان عقيدة الزرادشتية، وإن كان يظهر فيها بعض ما يقرِّبها من التوحيد، ويبدو أن زرادشت قد وقف على عقائد المناطق المجاورة، وكان منها الحنيفية التي جاء بها إبراهيم عليه السلام في الصحف، وبسبب ذلك ظهرت هذه الملامح من التوحيد في عقيدة زرادشت.

لذلك كان الأمر بالنسبة إلى الزرادشتية محط تباين عند المسلمين، وعلى العموم فقد صولحوا على بيوت النار كشأن أهل الكتاب.

وقد نقل أبو الحسن البلاذري عن هذا الموضوع:

«حدثنا عمرو الناقد، حدثنا ابن وهب المصري، قال: حدثنا مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: كان للمهاجرين مجلس في المسجد، فكان عمر يجلس معهم فيه ويحدثهم عما ينتهي إليه من أمر الآفاق فقال يوماً: ما أدري كيف أصنع بالمجوس، فوثب عبد الرحمن بن عوف، فقال: أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال: (سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب)»(٢).

تأسيساً على ما تقدم صولح المجوس على بيوت النار عندما فتح العرب المسلمون بلاد فارس، وأُعطوا الأمان والذِّمَّة، وصنَّفهم الفقهاء المسلمون

---

(١) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، م. س، ص ٧٣.

(٢) البلاذري، أبو الحسن، **فتوح البلدان**، راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

أهل شبهة كتاب كالصابئة، وحالهم تختلف، في نظام المعاملات، عن حال أهل الكتاب، فأهل الكتاب يعطى لهم الأمان وتؤكل ذبائحهم وتنكح نساؤهم، بينما أهل شبهة الكتاب يعطى لهم الأمان ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم.

٣ ـ في نظام العبادات والتشريع عند الزرادشتيين

الزرادشتيون المعاصرون يعتقدون بأن زرادشت نبي، ويؤمنون بوجود الثواب والعقاب في اليوم الآخر، مع التركيز، في معتقدهم، على بعض القيم الخلقية.

يقول المرجع الديني الأعلى للزرادشتيين في إيران، السيد رستم شهزادي، في هذا الموضوع ما يلي: «نحن نعتقد أن نبينا زرادشت كما نحن نعتقد بوحدانية الله فلا نعبد غيره، وعندما جاء زرادشت برسالته إلى البشر حاول نشر المبادئ الأساسية الثلاثة التالية:

١ ـ الفكر والنية الحسنة.

٢ ـ القول الحسن.

٣ ـ العمل الحسن.

ونحن نعتقد أن الإنسان ومتى ما عمل بهذه المبادئ الثلاثة فإنه سيعيش سعيداً في دنياه وآخرته. أما أصول ديننا فهي ستة:

١ ـ التوحيد.

٢ ـ الإيمان بنبوة زرادشت.

٣ ـ العمل الحسن والقول الحسن والنية الحسنة.

٤ ـ بقاء الروح.

٥ ـ وجود الثواب والعقاب.

٦ ـ المعاد في يوم القيامة»[1].

---

(١) مقابلة مع **مجلة الوحدة**، م. س، ص ٥٢.

وتدخل النار بشكل أساسي في عبادات الزرادشتيين لأنها مصدر للنور الذي يجب عليهم الاتجاه إليه، لأنه قبس من نور «أهورامزدا». ويقول السيد رستم شهزادي عن ذلك: «إن ما نفعله هو أننا نتجه للنار في بعض الأحيان باعتبارها تمثل النور الذي نعتقد بأنه انعكاس أو مظهر من مظاهر الله، فنحن في الحقيقة، وعندما نتوجه لعبادة الله، نتجه إلى النور بأي شكل كان، ففي النهار تكون قبلتنا الشمس وفي الليل القمر أو النجوم أو أي ضياء كان، ومنها النار طبعاً حيث نعتقد أن نور جميع هذه الأشياء يمثل النور الإلهي، فالمهم إذن أن نتجه لأي مصدر للنور مهما كان شكله أو حجمه كقبلة لنا نقدسها ولا نعبدها»[١].

ولأن النور مقدس عندهم، وبما أن الطبيعة لا توفر لهم مصدر هذا النور، من خلال الكواكب في الأوقات كافة، عمد الزرادشتيون إلى ما هو اصطناعي، فكانت النار كمصدر للنور ممكن في كل وقت، مقدسة ولها شأن في عباداتهم، وباتت تحتل واسطة العقد في بيوت عبادتهم.

والزرادشتيون لا يعتمدون المظاهر لبيوت العبادة تدل عليها، لأنهم لا يرغبون أن يدنو أحد من بيوت عبادتهم أو أن يدخلها، وبذلك تتسم عباداتهم وأماكنها بقدر من السرية. وفي أيامنا هذه، نجد أنه «في الهند، كما في إيران، لا يُعرف مكان العبادة من الخارج، ففي حين يحتل غرفة داخلية في منزل في إيران، فهو في الهند يحتل المبنى كله.

... وتحتل النار المقدسة وسط غرفة خاصة، وتوضع في موقد حجري مستقر على أربع قوائم. ويوقدها الكاهن نهاراً وليلاً وهم يلقون فيها كميات من البخور. ويضع الكاهن كمامة على فمه لئلا يدنس النار... ويتقدم المؤمنون واحداً واحداً إلى عتبة الغرفة حيث النار المقدسة، بعد خلع أحذيتهم وغسل الأجزاء المكشوفة من أجسادهم، ويتلون صلاة (الغاتا)[٢] القديمة التي لا يعرفون معناها عموماً، لا هم ولا الكهنة الذين يحفظون في ذاكرتهم كثيراً من مقاطع الآفستا. وعلى العتبة يتناول الكاهن من المؤمن

---

(١) مقابلة مع **مجلة الوحدة**، م. س، ص ٥٢.

(٢) الغاتا Gathus وهي أناشيد تشكل أجزاء من الآفستا.

تقدمته التي هي قبضة من البخور ومبلغ من المال. ويناوله حفنة رماد صغيرة من الموقد المقدس، يمسح بها جبينه وأجفانه»[١].

أما عن صلاتهم وزيهم، فللزرادشتيين صلوات خمس في اليوم وأخرى في المناسبات، ولهم كذلك أزياء تقليدية يرتدونها ويحافظون عليها لأنها ترتبط بتراثهم الديني، منها الخيط المقدس، ومنها سترة هي عبارة عن مريول يرتدونها منذ سن البلوغ.

يقول جفري بارندر واصفاً هذه الأشياء: «للزرادشتية... رموز تذكرهم بدينهم كجزء من زيِّهم اليومي:

- **الرمز الأول**: الكوشتي (Kushti) وهو خيط مقدس به اثنان وسبعون خيطاً، ترمز إلى أسفار اليسنا Yasna، وهي تعقد وتربط مرات عديدة في اليوم تعبيراً عن التصميم الديني والعزم والأخلاق معاً.

- **والرمز الثاني**: يرتدون قميصاً (Sandre) يرمز إلى الدين، ويرتدي الكهنة أردية بيضاء، ويضعون عمامة على الرأس، وقناعاً على الفم أثناء تأديتهم لبعض الطقوس ليتجنبوا تلويث النار المقدسة بأنفاسهم»[٢].

أما صلاتهم ومواقيتها، فالمعلوم عندهم أنه «هناك صلوات بعدد أقسام اليوم الخمسة، كالصلاة مع غروب الشمس، واحتفالات لجميع المناسبات الكبرى في الحياة: في الميلاد، والبلوغ، والزواج، وإنجاب الأبناء»[٣].

والصلوات في اليوم عندهم هي:

- صلاة الصبح «كان هاون»، وصلاة الظهر «كان رفون»، وصلاة العصر «كان إزيرن»، وصلاة الليل «كان عيوه سرتيرد»، وصلاة الفجر «كان إشهن».

ويذكر ول ديورانت أن صلواتهم هذه ترتبط بتعظيم الشمس، وينقل عنهم أنهم يقولون في نصوصهم المقدسة: «يجب أن تعظّم شمس الصباح إلى وقت

---

(١) صعب، د. أديب، **الأديان الحية نشوؤها وتطورها**، بيروت، دار النهار، سنة ١٩٩٣م، ص ١١٥.

(٢) بارندر، جفري، م. س، ص ١٢٢.

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٢.

الظهيرة، وشمس الظهيرة يجب أن تعظم إلى العصر، وشمس العصر يجب أن تعظم حتى المساء.. والذين لا يعظمون الشمس لا تحسب لهم أعمالهم الطيّبة في ذلك اليوم»[١].

وإذا كان الزرادشتيون يقدسون النار ولا يعبدونها، ويعتقدون بأن الصالحين منهم يقفون في صف (أهورامزدا) إله النور في مواجهة مع (آهرمان) إله الشر والظلام، فإن كل إنسان عندهم له حرية الاختيار، وبذلك فموقفهم أن الإنسان مخيَّر لا مسيَّر في مسألة أن يسلك أي الطريقين.

الكون سنَّته الصراع بين أهل الخير وأهل الشر، «وبذلك كان كل إنسان مقاتلاً، أراد ذلك أم لم يرد، في جيش الإله أو في جيش الشيطان، وكان كل عمل يقوم به أو يفعله يرجح قضية أهورامزدا أو قضية آهرمان...

...إن بني الإنسان، حسب تعاليم زرادشت، ليسوا مجرد بيادق تتحرك بغير إرادتها في هذه الحرب العالمية، بل إن لهم إرادة حرَّة لأن أهورامزدا كان يريدهم شخصيات تتمتع بكامل حقوقها، وفي مقدورهم أن يختاروا طريق النور أو طريق الكذب، فقد كان آهرمان هو الكذبة المخلدة، وكان كل كذاب خادماً له»[٢].

أما عن الأسرة والزواج، فإن الزرادشتيين ينفون ما يشاع عنهم من إباحية، ويبدو أن مزدك، الذي أسس مذهباً له في الزرادشتية هو الذي دعا للإباحية، ولكن الزرادشتية لم تقل بذلك.

وعن سؤال للسيد رستم شهزادي، المرجع الأعلى للزرادشتية، عن السماح في شريعتهم بالزواج من المحارم كالأخت والبنت وسواهما، يقول:

«أبداً، هذا غير صحيح على الإطلاق وغير مسموح به بتاتاً، ولكن في العهد الساساني كان هناك ملك اسمه مزدك[٣] أجاز أن يكون المال والمرأة

---

(١) ديورانت، ول، م. س، ج ٢، م ١، ص ٤٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٣١.

(٣) **مزدك**: ظهر في عهد الملك الساساني قباذ بن فيروز، في أواخر القرن الخامس الميلادي. وكان زنديقاً يدعو إلى الإباحية في النساء والممتلكات، وعندما تمادى في دعوته، قتله أنوشروان بن قباذ بن فيروز. ومذهبه منبثق من الزرادشتية.

مشتركاً للجميع، وقد عُمل بهذا الأمر في ذلك العهد إلا أنه، وبعد انتهاء ذلك العهد، انتهت هذه المسألة ولم يعد يعمل بها أو يؤمن بها أحد»[١].

٤ ـ نهاية العالم والعودة عند الزرادشتية

يتحدث الزرادشتيون عن نهاية للعالم تشبه فكرة القيامة عند أتباع الرسالات السماوية، ولكنهم يربطون نهاية العالم بعقيدتهم فيقولون بأن هذه النهاية تكون عند انتصار أهورامزدا إله النور على آهرمان إله الشر، وبذلك تنتهي الشرور من العالم، حسب معتقدهم، وينتهي الظلام وكل أنواع الشقاء.

ولهم فلسفتهم الخاصة حول هذا الأمر، ويتحدث الزرادشتيون «بأن العالم يقترب من نهايته المحتومة، ذلك بأن مولد زرادشت كان بداية الحقبة العالمية التي طولها ثلاثة آلاف سنة، وبعد أن يخرج من صلبه، في فترات مختلفة، ثلاثة من النبيين ينشرون تعاليمه في أطراف العالم، يحلُّ يوم الحساب الأخير، وتقوم مملكة أهورامزدا، ويهلك آهرمان هو وجميع قوى الشرِّ هلاكاً لا قيام لها بعده. ويومئذ تبدأ الأرواح الطيّبة جميعها حياة جديدة في عالم خالٍ من الشرور والظلام والآلام»[٢]. وعند هذه المحطة التي ينتصر فيها أهورامزدا ويُهزم فيها آهرمان، ينتشر الحق ويكون الصالحون من أتباع الزرادشتية في الجنة مع أهورامزدا حيث السعادة.

والزرادشتية، كدعِوات كثيرة، تؤمن بالرجعة وفكرة ظهور من سينشر العدل، وعندهم يدعى صاحب العودة والظهور «أشيزريكا»؛ أي الرجل العالم. ينقل الشهرستاني عن الزرادشتية في هذا الموضوع ما يلي:

«ومما أخبر به زرادشت في كتاب زند أوستا أنه قال: سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه أشيزريكا، ومعناه الرجل العالم، يزيّن العالم بالدين والعدل، ثم يظهر في زمانه تبياره فيوقع الآفة في أمره وملكه عشرين سنة، ثم يظهر بعد ذلك أشيزريكا على أهل العالم، ويحيي العدل، ويميت الجور، ويرد السنن المغيَّرة إلى أوضاعها الأولى، وتنقاد له الملوك، وتتيسر له

---

(١) مقابلة مع **مجلة الوحدة**، م. س، ص ٥٢.

(٢) ديورانت، ول، م. س، ج ٢، م ١، ص ٤٣٥.

الأمور، وينصر الدين والحق، ويحصل في زمانه الأمن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن»[١].

إن فكرة العودة والظهور فكرة تشيع عند اليهود وعند المسيحيين وعند بعض المذاهب الإسلامية، وبذلك نجد الزرادشتيين يواكبون كثيرين في هذا الطرح العقدي ولا ينفردون به، وهو حالهم كذلك في أفكار أخرى. ولعل ظهور زرادشت في منطقة جغرافية مجاورة للأرض العربية، مهد رسالات السماء، مع الإشارة إلى التفاعل والعلاقات بين العرب والفرس تاريخياً، إيجاباً وسلباً، هو الذي لعب دوراً في معتقدات وأفكار زرادشت، وهذا ما جعلهم في موقع الكتابيين لجهة المعاملة من قبل المسلمين، وعلى أساس ذلك عُدُّوا أهل شبهة كتاب.

(١) الشهرستاني، م. س، ج ١، ص ٢٣٩.



الفصل الثالث

الهندوسية

١ ـ النشأة[1]

الهندوسية ديانة ترتبط بتراث الهند، ومنها استمدت اسمها، وتلتصق الشخصية الهندية بها، لذلك ورد في نص الدستور الهندي أن البلاد فيها الهنود والبوذيون والمسلمون والسيخ والمسيحيون، إلخ. واعتبر الهندوس أنهم الهنود الأصليون.

الهند تتسع رقعتها نسبياً، فمساحتها ٣٢٨٠٤٨٣ كيلومتراً مربعاً، عاصمتها نيودلهي ويسكنها، حالياً، ما يربو عن تسعماية مليون نسمة، وتكاد تصل إلى المليار في السنوات القليلة المقبلة.

الهندوسية هي الديانة الأساسية لسكان البلاد، وهي ديانة شهدت تطوراً يترافق مع التطور الحضاري لبلاد الهند، وجاءت نتاج تراكم معرفي وتراثي عبر تاريخ الهند.

ورغم ضآلة المصادر وضبابية الوضع التاريخي للهند إلا أن المرجح أن الهند عرفت أشكالاً من الاستقرار والمدنية منذ الألف السادس قبل الميلاد.

وإذا كان الآريون قد استوطنوا الهند حوالي عام ١٧٠٠ق.م، ووجدوا

---

(١) يراجع:

ـ توينبي، أرنولد، **تاريخ البشرية**، ج١، تعريب الدكتور نقولا زيادة، بيروت، الدار الأهلية، سنة ١٩٨٥، ص١٨٥ وما بعدها.

ـ ديورانت، ول، **قصة الحضارة**، ج٣، م١، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، بيروت، دار الجيل، سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص٩ وما بعدها.

ـ شلبي، الدكتور رؤوف، **الأديان القديمة في الشرق**، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق، ط٢، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ص٧٨ وما بعدها.

فيها، يومها، الدارڤيديين، إلا أن الهند عرفت هجرات عديدة، وموجات من الشعوب، وإن كان الآريون الآتون من ضفاف بحر قزوين هم المجموعة الأبرز، والتي تبلورت معها أمور كثيرة في الهند ومنها الديانة الهندوسية.

فبعد كرٍّ وفرٍّ ونزاعات، دخل الآريون في نسيج البلاد إلى حد أن بعض المؤرخين قال: كلمة «آري» مأخوذة من اللغة السنسكريتية وهي لغة الهند ومعناها: الشريف.

والسنسكريتية فيها أوجهُ شبهٍ كثيرة مع اليونانية واللاتينية وما اشتق عنهما من لغات، أو قل إنها أكمل من لغة اليونان وأوسع من لغة الرومان. ولعل التسمية نفسها سنسكريتية تدل على ذلك فمعناها اللغة المعدة، أو الكاملة، أو المقدسة، وفي هذا إشارات على أن الهند كانت معقل نموذج حضاري سبق في الظهور ما كان بعدها عند الإغريق أو الرومان أو سواهم.

كان للمجتمع الهندي، الذي امتزج سكانه خاصة الآريين مع الدراڤيديين، نموذجه الديني ومعتقده ومعبوده، واللفظ عندهم متقارب مع الكلمات الأوروبية بفعل وحدة المنشأ اللغوي والثقافي والسكاني. عند الهنود الإله هو «داڤا Deva» وفي اللاتينية «Deus» وفي الفرنسية «Dieu» وهكذا.

أما الأدبيات الدينية الهندية فقد تمَّ تدوينها على مراحل، ولم تظهر أية مدونات قبل القرن الثامن قبل الميلاد وهي ما سمي بكتب الڤيدا ومعناها «كتب الحكمة».

والهندوسية دين معقد نسبياً بسبب نقص التدوين، وفقدان وحدة المصدر. فلم تنسب أدبيات الهندوس لشخص بعينه بل هي، كما سبقت الإشارة، ثمرة تراث لشعوب تمازجت وانصهرت في بوتقة مجتمع واحد.

ويلمس الدارس اختلافات في المفهوم الديني للهندوسية بين مجموعة وأخرى، ولا توافقٌ على رأي بعينه، لذلك عمد الهندوس، مع مطلع القرن العشرين للميلاد، إلى تعريف سلبي للهندوسية، فقالوا: الهندوسي هو كل من يسكن الهند ويقدِّس البقر، وليس في عداد من يدينون بالإسلام أو المسيحية أو اليهودية.

كانت الهندوسية تسمى قديماً: درما Dharma، وهو الاسم الأصلي،

وتسمى كذلك سانتانا Sentana، وحديثاً اتخذت اسم الهندوسية وباتت تشمل الحضارة والدين والعادات والتقاليد، وبالتالي لم تعد ديناً بحتاً وإنما مجموعة ثقافية تشمل كل ما يخص شعب الهندوس.

٢ ـ عقيدة الهندوس

يقود البحث في عقيدة الهندوس في الألوهية إلى مزيد من التعقيد والتشويش، ويجد الدارس الإرباك جلياً حين يتنقل بين الكتب والمصادر والمراجع، ولعل السبب في ذلك أن الأمر غير محسوم عند الهندوس أنفسهم.

وإذا كان التجريد العقلي والسمو لإدراك حقيقة الإله الخالق بحاجة إلى تقدم معرفي، فإن هذا الأمر غير متوافر في مجتمع الهند القديم ونسبياً إلى عصور لاحقة، لذلك كان هذا الغموض، ويكاد الدارس يعثر في أدبياتهم على آلاف الآلهة التي يقدسونها، ويخصون كل واحد منها بمهمة.

يذكر ول ديورانت، في قصة الحضارة، بأن الآلهة عند الهنود قد يصل عددها إلى ثلاثين مليوناً، ويقول: «تزدحم بها مقبرة العظماء في الهند؛ ولو أحصينا أسماء هاتيك الآلهة لاقتضى ذلك مائة مجلد، وبعضها أقرب في طبيعته إلى الملائكة، وبعضها هو ما قد نسميه نحن بالشياطين، وطائفة منها أجرام سماوية مثل الشمس، وطائفة منها تمائم مثل «لاكشمى» (إلهة الحظ الحسن)، وكثير منها هي حيوانات الحقل أو طيور السماء؛ فالهندي لا يرى فارقاً بعيداً بين الحيوان والإنسان، فللحيوان روح كما للإنسان... وكل هذه الصنوف الإلهية قد نسجت خيوطها في شبكة واحدة لا نهاية لحدودها، هي (كارما)[1] وتناسخ الأرواح؛ فالفيل مثلاً قد أصبح الإله جانيشا واعتبروه ابن شيفا، وفيه تتجسد طبيعة الإنسان الحيوانية... كذلك كانت القردة والأفاعي

(١) **كارما**: نظرية الهندوس في الولادة والتقمص، وتعتمد في فلسفتها على مبدأ السبب والنتيجة. فأعمال الإنسان هي التي تحكم مصيره. فإذا قام بالخير والواجب بلغ الـ «موكشا» وانعتق من دورة الحياة والموت، وإذا أتى بشرٍّ انتقلت روحه إلى جسد آخر لتتكرر دورة الحياة والموت... وهكذا دواليك، والانتقال قد يكون إلى جسد إنسان وقد يكون إلى جسد حيوان.

مصدر رعب، فكانت لذلك من طبيعة الآلهة؛ فالأفعى التي تؤدي عضة واحدة منها إلى موت سريع، واسمها ناجا، كان لها عندهم قدسية خاصة؛ وترى الناس في كثير من أجزاء الهند يقيمون كل عام حفلاً دينياً تكريماً للأفاعي، ويقدمون العطايا من اللبن والموز لأفاعي الناجا عند مداخل جحورها؛ كذلك أقيمت المعابد تمجيداً للأفاعي كما هي الحال في شرق ميسور»[١].

بهذا العرض الذي قدمه ول ديورانت يستنتج الإنسان أن عقيدة التوحيد لا مكان لها في معتقد الهندوس، رغم أن البيروني ذكر لهم مفهوماً قائماً على التوحيد وتنزيه الخالق عن أن يماثله مخلوق، وأنه الأزلي المنفرد بالملك والخلق. يقول البيروني: «اعتقاد الهند في الله سبحانه أنه الواحد الأزلي من غير ابتداء ولا انتهاء، المختار في فعله، القادر الحكيم، الحي المحيي، المدبر المبقي، المفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد، لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء... هو المستغني بأزليته ووحدانيته عن فعل المكافأة عليه براحة تؤمل وترتجى، أو شدة تُخاف وتُتقى»[٢].

هذا العرض لمفهوم الألوهية الذي تمَّ هو معتقد سليم فعلاً، لكن السؤال: إلى أي مدى يمكن اعتباره صادقاً؟ خاصة وأن مصادر أخرى قديمة ومعاصرة تثبت بأن هذا التنزيه للخالق مفهوم لم يعرفه الهندوس.

ويقول مترجم كتابهم المقدس «منُّوسَمَرتي» الدكتور إحسان حقي في مقدمته للكتاب: «يعتقد الهنادكة بالوحدة في التثليث إذ أنهم يعتقدون أن پرماتما هو رب الأرباب وله ثلاثة أعوان يديرون ملكه وهم: برهما، وِشنو (فشنو)، فهِيْش (شيفا)»[٣].

وإذا كان الهندوس يقدسون آلاف المظاهر والآلهة المفترضة عندهم فإن ذلك ينبع من مفهوم يسود في دينهم مفاده أنه عندما عمَّت الفوضى والمفاسد

---

(١) ديورانت، ول، م.س، ج٣، م١، ص٢٠٧.

(٢) البيروني، أبو الريحان، **الفلسفة الهندية**، راجعه وقدم له د. عبد الحليم محمود وعثمان عبد المنعم يوسف، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، بدون تاريخ، ص٢٦، ٢٧.

(٣) حقي، د. إحسان، **مقدمة لكتاب «منُّوسمرتي» أو شرع منو**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، ص٢٧.

في مجتمعات قديمة بات الحق بحاجة للظهور، ولذلك نزلت الآلهة لإحقاق الحق ونشر العدل.

وإذا كانوا قد قالوا بعدد من الآلهة الذين نزلوا للقيام بهذه المهمة فإن الثابت عندهم القول بالثالوث من الآلهة الذين تُسند لكل منهم مهمة بعينها، والثالوث يكون من: براهما ـ فيشنو ـ شيفا.

أ ـ براهما: يطلق عليه اسم «سانج هيانج»، واسمه بالسانسكريتية: (Utpeti)، وهو الخالق، حسب معتقدهم، لذلك نسجوا حوله أسطورة تدور حول عملية الخلق.

إنه «الخالق مانح الحياة، سيِّد الآلهة، وهو القوي القادر الذي تصدر عنه جميع الأفعال وهو يمثِّل إله الخير، وهو الذي يرجو رحمته وكرمه وعطفه جميع الأحياء، وينسبون إليه الشمس التي يكون بها الدفء وانتعاش الأجسام، وتجري بسببها الحياة في النبات والحيوان، ويعتقد أن خالق الكون على طريقته. فقد أخذ براهما يتأمل ويفكر طويلاً فنشأ عن تفكيره هذا فكرة مخصَّبة، تطورت إلى بذرة ذهبية، ومن تلك البيضة ولد براهما، خالق كل شيء فهو الخالق والمخلوق»[١]. ورغم هذا الموقع الذي يحتله براهما في عقيدة الهندوس إلا أنه مهمل في شعائرهم وطقوسهم.

ب ـ فيشنو: ويسمونه الحافظ، وبلغتهم يسمونه (Sthiti). فيشنو إله ممتلئ بالحب والرحمة، وكثيراً ما يصورونه على هيئة إنسان جاء ليقدم الخير والعون للبشر. كل صور الخير والجمال والحب والعطاء تنسب عندهم لفيشنو، ويساعده في مهمته آلهة آخرون وفق معتقدهم ومنهم: راما ـ وكرشنا.

«وفي التصور الهندوسي للثالوث الإلهي، حيث براهما يخلق وشيفا يدمِّر، فإن وظيفة فيشنو هي الحفاظ على العالم، ولما كانت التجربة الإنسانية الشاملة على وجه التقريب إن الحب يغذي الحياة، ويبقي عليها فمن الطبيعي أن يتمَّ النظر إلى فيشنو بوصفه المحافظ على الوجود على أنه التجسيد للحب، وهو تجسيد يبدو واضحاً، كأقصى ما يكون الوضوح في تجليه باعتباره كرشنا،

---

(١) حميد، فوزي محمد، **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة**، ليبيا، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، سنة ١٩٩١، ص١٧٩.

لكن كرشنا ليس إلا تجلياً واحداً من تجليات فيشنو ووظيفته الخاصة بالحفاظ على الوجود تظهر بطرق عديدة مختلفة.

ويعدُّ راما وكرشنا من أكثر أشكال فيشنو شعبية، فراما بطل ملحمة الرامايانا هو التجسيد الحيُّ للخير... يذهب التراث الهندوسي إلى وجود عشرة تجليات رئيسية لفيشنو الإله الأعلى والرب الحافظ للكون، وكل تجلٍّ من هذه التجليات، باعتباره شكلاً من أشكال فيشنو، هو تجلٍّ لبراهمان الواقع المطلق أو الحقيقة النهائية»[١].

وفيشنو، الذي تنسب له تجليات يستحضرها الهندوس باسم آلهة، له حضور مميز في الشعائر الهندوسية.

جـ ـ شيفا: ينسب إليه الفناء والدمار، وهو المهلك للعالم ومهمته نقيض مهمة «فيشنو»، ويسمونه بلغتهم (Sang Kan par an).

شيفا المدمر ينسبون إليه كل الأعمال البشعة مثل الشر والحروب والقسوة وجفاف المياه واصفرار الأوراق... ولكن لفظة «شيفا» أُريد بها التخفيف حيث معناها الحرفي: العطوف. لكن أين العطوف من الهلاك والدمار.

إن شيفا في عقيدة الهندوس «إله القسوة والتدمير قبل كل شيء آخر؛ هو تجسيد لتلك القوة الكونية التي تعمل، واحدة بعد أخرى، على تخريب جميع الصور التي تتبدى فيها حقيقة الكون، جميع الخلايا الحية وجميع الكائنات العضوية، وكل الأنواع، وكل الأفكار وكل ما أبدعته يد الإنسان، وكل الكواكب، وكل شيء»[٢].

والهندوس، الذين يشكل شيفا موقعاً في عقيدتهم وشعائرهم، حاولوا أن يفسروا ما يصدر عنه بأنه بحد ذاته رحمة، وفي الحديث عن شيفا قالوا: «إنه يقدم النعمة الإلهية التي بمقتضاها يمكن إزالة ضروب الافتقار التي تلوث والتي تتجلى في صورة نواقص وعيوب في النفس المقيدة. ويحمل شيفا في

---

(١) كولر، جون، **الفكر الشرقي القديم**، ترجمة كامل يوسف حسين، راجعه د. إمام عبد الفتاح إمام، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، صفر ١٤١٦هـ ـ تموز ١٩٩٥م، ص١٥١، ١٥٢.

(٢) ديورانت، ول، م.س، م١، ج٣، ص٢٠٥.



الإله شيفا إله الدمار عند الهندوس كما يتخيلونه

راحة يده اليسرى العليا لساناً من لهب يمثل القوى المدمرة التي ارتبطت طويلاً بهذا الإله»(١) مما يبيِّن بأن عبادة شيفا عبادة قديمة في تاريخ الهند وتراثه. الثالوث الإلهي عندهم: خالق هو براهما، وحافظ هو فيشنو، ومدمر مهلك هو شيفا. ولهذا الثالوث تجليات في آلهة أخرى مثل كرشنا وراما وبودا وكاليكي. هذه الآلهة يحددون لها مهمات ووظائف. فهي موجودة ـ حسب زعمهم ـ من أجل «إحلال صفة الربانية الطاهرة في النفوس، ومحاربة الشراهة والنهم والنفس الخبيثة والكبرياء والتفاخر، وذلك بواسطة تعاليمهم التي تحث على السلام والأمن والمثل الرفيعة للحياة»(٢).

وإذا أردنا أن نعرف بعض وظائف هذه الآلهة عندهم، نراهم قد اعتبروا كرشنا آتياً من أجل إحلال السلام، وبودا، أو يووهي، من أجل نشر المعرفة والتعليم الذي يقود إلى الطمأنينة. أما كاليكي Kaluki فهو الإله المنتظر عند الهندوس والذي لم ينزل بعد، ولم يحن وقت تجليه، وبهذا يكون الهندوس

(١) كولر، جون، م.س، ص١٦٢.

(٢) شلبي، د. رؤوف، م.س، ص١٠٦.

قد دخلوا ضمن من قالوا بانتظار مرسل ما.

أما بالنسبة لمصير الإنسان بعد الموت، فإن الهندوسية لا تؤمن بحياة آخرة فيها جنة ونار وثواب وعقاب، وإنما تربط معتقدها في مصير النفس بموضوع التناسخ. فالأنفس تنتقل من بدن إلى آخر، وأعمال الإنسان هي التي تحدد مصير النفس، فإذا سلك سبيل الخير واتبع الفضائل انعتقت نفسه من دورة الحياة في الأبدان واتحدت بالروح الكلية، وإلا تبقى في هذه الدورة متنقلة من بدن إلى آخر.

ويتركز الاهتمام عندهم على النفس لأنها يمكن أن ترقى إلى الكمال، أما البدن فسمته النقص، وواجب البدن أن يستغل اتصال النفس به ليحقق درجة ما من التطهير، ولهذا قالوا بحرق البدن عند الموت، والموت عندهم نهاية لا تجدد لها.

عقيدتهم في النفس، أو الروح المقدس كما يسمونها آتما (Atma)، تتلخص على الوجه التالي: «لقد أودع الإله في كل امرئ نفساً تسمى آتما Atma وهذه النفس في البدن بمنزلة السائق من العربة.

فكل الحواس لا يمكن أن تؤدي وظائفها إذا لم تكن آتما، وهي النفس، صاحبة القيادة والإرادة؛ وذلك لأن النفس آتما هذه أصلها من براهما Sang Hay ang الذي يعتبر لها كقرص الشمس وهي شعاعه، تلك الأشعة التي تدخل في كل مكان على امتداد العمران والكرة الأرضية.

إن النفس كاملة ولكن البدن الذي يولد ليس كاملاً... ولهذا فإن البدن عليه أن يستغل وجود الروح فيه ليعمل أعمالاً كثيرة على مظنَّة أنه لا حياة بعد ذلك أبداً، لأن الموت الذي سيأتي، ولا يمكن دفعه أبداً، سوف يقضي على الحياة نهائياً... ولهذا وجب أن يُحرق البدن حسب تعاليم كارما Karma الذي يقضي باتحاد الروح مع الجسد وإحراقهما عند الموت»[١].

هذا المفهوم للموت وللنفس يظهر منه أن الهندوس ينكرون خلود النفس كجوهر مستقل، وأن خلودها، إن حصل، فذلك يكون بالاتحاد بالروح الكلية بعد التطهير من خلال دورة تناسخية في الأبدان، وهذا مذهب يقربهم من

---

(١) شلبي، د. رؤوف، م.س، ص١٠٨، ١٠٩.

مذهب وحدة الوجود الذي لا يقبله المفهوم المستمد من رسالات السماء، ويقودنا ذلك إلى القول: إن الهندوس لا يتوافقون في معتقدهم مع المسلمين ولا مع أتباع الرسالات السماوية عموماً إن من جهة الخالق أو اليوم الآخر.

وطريق خلاص النفس هو ممارسة رياضة فيها قسوة على البدن، وتعويد للنفس على الصبر والثبات، هذه الرياضة هي «اليوجا». واليوجا كلمة سنسكريتية معناها «النير» وقد سميت كذلك لأنها تخلص النفس من نير البدن ومن نير الشهوات.

واليوجا هي طريق لتسهيل الاتحاد بالنفس الكلية، عن طريق رياضة روحية وجسدية، أو عن طريق القرابين، وتذهب اليوجا إلى أنه لا تكفي حياة واحدة لإدراك هذا الاتحاد لأنه بحسب مبدأ الكارما قد تتطلب أفعال العبد السيئة ولادات متتالية في صور إنسانية أو حيوانية.

والهندوس يقدسون نهر الغانج حيث يحجون إليه سنوياً بقصد التطهر بمائه، وكذلك يلقون فيه رماد موتاهم بعد أن يتم إحراق أجسادهم، فالدفن للأبدان ليس معتمداً عندهم.

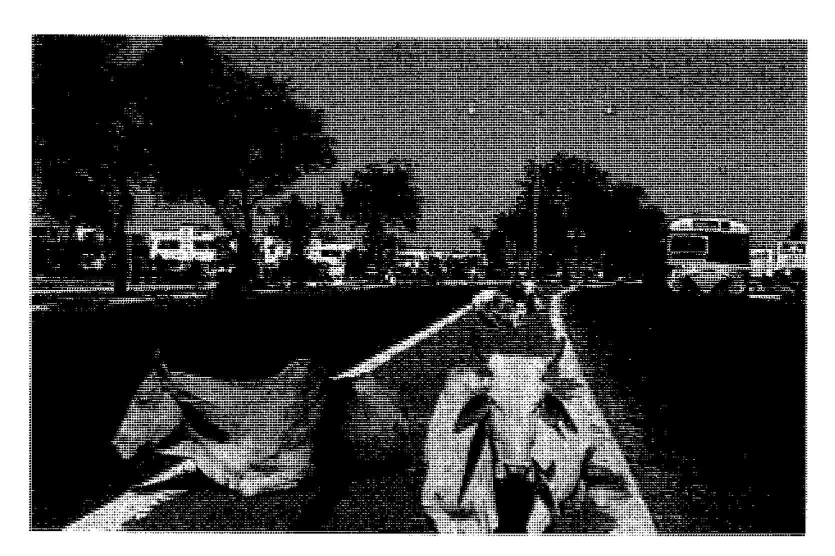
إن الهندوسي يؤمن بأنه يجب «أن تُحرق جثته ويُلقى رمادها في ذلك النهر المقدس (الغانج)، وعندما يغتسلون في مياهه يعتقدون أنه يطهرهم من جميع الذنوب والآثام، ويطلقون عليه اسم جانجا ماتا؛ أي الغانج الأم، فهو عندهم بمثابة الأم، ويؤمه، في الأعياد الدينية، حجاجٌ من أقاصي الهند للاغتسال من مياهه، ومعظمهم يأتون مشياً على الأقدام»[١].

والهندوس يقدسون البقر، ولا يأكلون لحومه، ويتعاطون معه بشفافية وتقدير، فكم من حوادث القطارات والسير في الهند تسبب بها توقف سريع إكراماً لبقرة، فأدى ذلك إلى موت وجرح الأعداد الكبيرة من الناس.

والأبقار تنتقل عندهم في شوارع المدن حيث تشاء، ويأكلون اللبن فقط، والروث يستخدمونه وقوداً، أما البول فهو عندهم للعلاج أحياناً كالدواء، ويضعه الكهنة في أوعية ويرشونه على الجمهور بعد انتهاء طقوسهم في المعابد.

---

(١) حميد، فوزي محمد، م.س، ص١٧٧.



للبقر قداسة عند الهندوس ويفرش له السجاد الأحمر على الممرات ولا يؤكل

وأترك لديورانت أن يحدثنا عن البقرة في المعتقد الهندوسي، فيقول: «وأكثر الحيوان قدسية عند الهندي هي البقرة، فترى تماثيل البقرة مصنوعة من كل مادة وفي شتى الأحجام، تراها في المعابد والمنازل وميادين المدن... ولها مطلق الحرية في ارتياد الطرقات كيف شاءت،... ولا يجوز للهندي، تحت أي ظرف، أن يأكل لحمها أو أن يصطنع من جلدها لباساً يرتديه... وإذا ماتت البقرة وجب دفنها بجلال الطقوس الدينية، ولعل السياسة الحكيمة هي التي رسمت فيما مضى هذا التحريم احتفاظاً للزراعة بحيوان الجرِّ حتى يسدَّ حاجة السكان الذين يتكاثرون، وقد بلغ عدد البقر اليوم ربع عدد السكان»[١].

إن الغريب في عقيدتهم في تقديس الأبقار أن يعتمدوا الدفن للبقر والحرق للإنسان عند الموت، أو أن تقضي طقوسهم قديماً بأن تحرق المرأة التي يتوفى زوجها وهي حية معه، في حين يتشددون في المحافظة على الأبقار وعدم إيذائها!!.

٣ ـ الكتب الهندوسية

الهندوس لا يعيرون اهتماماً للنبوة ولا ينسبون نصوصهم المقدسة لشخص

---

(١) ديورانت، ول، م.س، ج٣، م١، ص٢٠٨.

بعينه. والڤيدا أو الويدا (Weda)، عبارة عن مدونة كبرى أو موسوعة تحوي الكثير عن بلاد الهند وشعبها على امتداد قرون عديدة تبدأ مع حوالي ٢٥٠٠ق.م.

والڤيدا قبل أن تكتب وتجمع لتكون سجلاً من تاريخ الهند وتراثه ومفاهيم الهندوس الدينية كان معناها: التأمل، وبعد أن تمَّ تدوينها أضحت هي التي تنظم حياة أتباعها وصولاً إلى المعرفة المنشودة. وڤيدا في لغة الهنود السنسكريتية معناها: المعرفة.

نصوص الڤيدا نقلت لقرون طويلة على شكل تعاليم شفوية، ولم تعرف التدوين أو الاستقرار إلا في عصور لاحقة، منهم من يقول إن عصر الڤيدا المكتوبة كان حوالي ٢٥٠٠ق.م، ومنهم من قال ١٥٠٠ق.م، ومنهم من قال ٨٠٠ق.م.

وديورانت يرجح أن يكون قد قام بمهمة التدوين للمرة الأولى بعض التجار الهنود، والأرجح أن يكونوا من طائفة الدراڤيديين، وقد جاء هؤلاء التجار «من آسيا الغربية بكتابة سامية قريبة الشبه بالكتابة الفينيقية، وأطلق فيما بعد على هذه الكتابة اسم الكتابة البراهمية، ومنها اشتقت كل أحرف الهجاء في الهند.

وقد لبثت الكتابة قروناً طويلة ـ فيما يظهر ـ لا تستخدم إلا لأغراض تجارية وإدارية؛ . . . وكان التجار لا الكهنة هم الذين ارتقوا بهذا الفن الأساسي»[1].

إن تدوين الڤيدا إذن تطور مع تطور اللغة السنسكريتية نفسها، ولعل هذا التأخر في التدوين هو الذي حرم الباحثين من مصادر المعرفة عن تاريخ الهند القديم.

ويبدو أن الكهنة الهندوس ـ البراهمة ـ قد شجعوا هذا التدوين لتكون الڤيدات في أيديهم سلاحاً دينياً يضمن لهم السيطرة والموقع المتقدم، خاصة بعد أن وطدوا أسس النظام الطبقي في الهند وأعطوه بعداً دينياً.

وإذا كانت الڤيدات هي أهم كتب الهندوس فإن رؤوف شلبي ذكر نقلاً عن

---

(١) ديورانت، ول، م.س، ج٣، م١، م.س، ص٣٧.

«نجومان» ما يفيد بأن الڤيدا ليست كتاباً واحداً وإنما مجموعة كتب تصل إلى أربعة عشر كتاباً وهي:

« ـ من ١ ـ ٥: الويدا.

ـ من ٥ ـ ١٠: ويدانج.

ـ والكتاب الحادي عشر: ميماما، الفلسفة الدينية لمحتويات الويدا.

ـ والكتاب الثاني عشر: نيابا، الأسس العقلية للتفكير الديني.

ـ والكتاب الثالث عشر: فورانا، الكتب القديمة.

ـ والكتاب الرابع عشر: داراماسسترا، كتاب القوانين.

وأهم هذه الكتب في التوجيه الديني الهندوسي هو الكتاب الأول: الويدا ويسمى ويداسمراتي Wedasemarti وهو قانون مانو»[(١)].

والڤيدات أو الويدات عبارة عن أربعة كتب هي:

« ١ ـ **الريج ويدا** (Rig weda) وهو أشهر الأربعة وأهمها وأشملها... ويقال إن تأليف الريج ويدا يرجع إلى ٣٠٠٠ ق.م، وتشمل ١٠١٧[(٢)] أنشودة دينية وُضِعتْ ليتضرع بها أتباعها أمام الآلهة أو يتغنون بها عن الآلهة... ولا يزال الهنود يتغنون بأناشيد من الريج ويدا، يرتلونها في صلواتهم صباحاً ومساءً، ويتيمَّنون بتلاوتها في حفلات زواجهم كما كانوا يفعلون منذ ثلاثة آلاف عام.

٢ ـ **ياجور ويدا** (Yajur weda)، وتشمل العبادات النثرية التي يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين.

٣ ـ **ساما ويدا** (Sama weda)، وتشمل الأغاني التي ينشدها المنشدون أثناء إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية.

٤ ـ **آثار ويدا** (Athar weda)، وتشمل مقالات في السحر والرّقى والتوهمات الخرافية مصبوغة بالصبغة الهندية القديمة، فالحياة الهندية كما يصورها آثار ويدا مملوءة بالآثام، والكون حافل بالشياطين والأغوال...

---

(١) شلبي، د. رؤوف، م.س، ص٨٢.

(٢) تذكر مراجع أخرى أن عددها ١٠٢٨.

ويروي آثار فيدا لجوء الناس للخرافات والرقى والسحر ليحموا أنفسهم»[(١)].

ويمكن أن يجمل الويدا في قسمين رئيسيين هما:

١ ـ ويدا سروتي، ويحوي دستور الهندوس.

٢ ـ ويدا سمرتي، وفيه القوانين التنفيذية أو التشريعات.

الأول يشكل كتاب الويدا الحقيقي ويحوي ثلاثة أبواب هي:

١ ـ مانترا Mantra أو الترانيم وتعني الفكر المستقبل وتقود إلى الفناء في الحق.

٢ ـ براهمانا Brahmana وهي تعاليم وأوامر وطقوس تمَّ وضعها لتهدي الكهنة (البراهمة) في مهمتهم.

٣ ـ أوباسيساد Upasisad أو أرنياكا Arniaka، وهي أشبه ما تكون بمحاورات ومشاهدات نفسية وفيها إرشاد للرهبان والمتنسكين الذين عكفوا إلى الباطن وتركوا ظاهر الحياة، وتمثل حالة الارتقاء الديني عندهم عن الطقوس والالتزامات التي يقودها الكهنة البراهمة، ومنهم من يفصل الأوباسيساد عن الأرنياكا مع أنهما يؤديان غرضاً واحداً يرتبط برهبان الهندوس.

وسروتي وفيها «براهمانا» الذي يمثل شريعة الهندوس ودين الأمة تعرَّف بأنها التعاليم التي تلقن بالمداومة والصبر[(٢)].

أما الثاني «سمرتي» فإنه مجموعة التعاليم الهندوسية التي كانت تنتقل شفهياً لقرون عديدة، ومن ثمَّ تمت كتابتها بالاستناد إلى ما في الذاكرة.

ولأن الويدا سمرتي يشكل الحالة الأهم في تشريعهم، ويشمل مختلف جوانب حياتهم في الجانب العبادي الديني وفي مختلف الشؤون، فإنه من المفيد عرض محتويات هذا الكتاب وهو المتداول حالياً باسم «منوسمرتي» أي

---

(١) شلبي، د. أحمد، **أديان الهند الكبرى**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٨، سنة ١٩٨٦، ص٤٦، ٤٧.

(٢) يراجع:

أ ـ ديورانت، ول، م.س، ج٣، م١، ص٣٨، ٣٩.

ب ـ شلبي، د. أحمد، م.س، ص٤٧، ٤٨.

جـ شلبي، د. رؤوف، م.س، ص٨٤.

«شرع مانو». وسمرتي يتكون من قسمين هما: ويدانجا Wedangga ـ أوباويدا Upaweda.

« **أ ـ ويدانجا**: ويحتوي على ست مسائل:

١ ـ المصائب والبلايا.

٢ ـ القواعد اللغوية الخاصة باللغة الأساسية للهندوس.

٣ ـ المدائح والأغاني والأناشيد وأهميتها الحفاظ على أسلوب التراتيل.

٤ ـ نيروكتا (تفسير الويدا)، وأهميته وضع تفسير لما جاء في كتب الويدا، وقد أُلِّف عام ٨٠٠ قبل الميلاد تقريباً.

٥ ـ أسترونومي، وأهميته تتعلق بقواعد الصلاة الباطنية، وهو ملحق بكتاب ياجور ويدا.

٦ ـ ريتويل، وهو أكبر هذه المجموعة وأهمها، ومحتوياتها مأخوذة من مصادر أهمها: كتاب براهمانا وكتاب مانترا وفيه أربع مسائل:

الأولى: خاصة بأساليب الصلاة الباطنية الفكرية الخيالية.

الثانية: خاصة بسلوك الزواج الجديد.

الثالثة: خاصة بمعاملة أرواح الذين ماتوا.

الرابعة: خاصة بطريقة التكفير عن الذنوب.

ويتفق الهندوس على أن أهم كتاب في هذه الويدات هو كتاب دراماسوترا الذي يحتوي على نظام الحياة الاجتماعية ونظام الدولة.

ب ـ أوباويدا: وفيه مسائل خمس هي:

ـ **الأولى**: خاصة بالشجاعة والبطولة وفيها فروع وأبواب متعددة.

ـ **الثانية**: تسمى بورانا، وهي خاصة بالقصص القديمة والأساطير الخرافية والعادات والتقاليد الخيالية الماضية.

ـ **الثالثة**: تسمى آرتاهاساسترا، وهي خاصة بالمسائل الإدارية وأعمال الإدارة وقواعد النظام الحكومي.

ـ **الرابعة**: تسمى أبور ويدا، وهي عبارة عن نصائح طبية وباطنية وجراحية وعلاجية ونفسية وتربية الأطفال ووظائف الأعضاء.

ـ **الخامسة:** تسمى رواويدا، وهي خاصة بالفنون الجميلة»[١].

كل قسم من الأقسام السابقة الذكر تمت صياغته على شكل كتاب، وكلها حملت تسمية مجملة هي الفيدات أو الويدات.

والمعتمد من هذه الأقسام كلها عند الهندوس في أيامنا هذه يضمه كتاب اسمه: «منُّوسَمَرتي» أو «شرع منُّو» وقد نقله إلى العربية إحسان حقي، وفي تقديمه للكتاب يبيِّن ما في نصوص الكتاب من تشويش وعدم انسجام فيقول: «وإذا شئنا أن نصف منُّوسَمَرتي قلنا إنه مجموعة متناقضات، إذ بينما نراه يرتفع بتشريعه إلى أعلى درجات العقل والإدراك وسلامة الذوق والتفكير نراه ينحدر فجأة إلى درجة من السخافة والإسفاف المخجل... ولئن دلَّ هذا على شيء فإنما يدلُّ على أن هذا الكتاب كُتب في أوقات متباعدة وبأيدي أناس مختلفين اختلافاً كبيراً في العلم والعقل والإدراك»[٢].

وإذ أضفنا هذا الكلام إلى ما قاله رؤوف شلبي وهو أن الديانة الهندوسية ظلت تعلَّم عن طريق اللسان وليس الكتب حتى عام ١٨٩٩م، علمنا بذلك أن نصوص الهندوس حالة من التجميع الكمي لا تنسيق بينها ولا وحدة منهج، وأن هذا الوضع يسمح بالإضافة وتعدد التفسيرات والمواقف مما يحمل على القول بأنه من الصعب التعاطي بوضوح مع الهندوس إلا في حدود الخطوط العريضة والمسائل الرئيسية عندهم كالتثليث في الآلهة ومصير الأنفس ونظام الطبقات وتقديس الأبقار ونهر الغانج، وما خلا ذلك لا ثوابت في فكرهم، والغالب يكتنفه الغموض واللبس والتشويش.

٤ ـ نظام الطبقات عند الهندوس

بلاد الهند كانت آهلة بالسكان منذ أكثر مما يزيد على ثلاثمائة سنة قبل الميلاد، وكان الدراڤيديون من أبرز سكانها الأول وبعدهم النورانيون والآريون، ومع هؤلاء الأخيرين، وبعد استقرارهم في الهند، بدأت تتبلور شخصية الهند الحضارية.

وقد شكلت الهندوسية، ديانة أغلب الهنود حتى يومنا هذا، إطاراً تطور مع

(١) شلبي، د. رؤوف، م.س، ص٨٨، وما بعدها.

(٢) حقي، د. إحسان، م.س، ص٢٧.

تطور الهند نفسها، وكما سبق القول، فإن الهندوسية ليست ديانة فحسب وإنما حوت، من خلال مفاهيمها وكتبها، تاريخ الهند الحضاري.

وقد اختلط النظام الديني بالنظام السياسي بالنظام الاجتماعي عموماً بما في ذلك النظام الاقتصادي الزراعي، فكان من نتيجة ذلك العمل من قبل أصحاب النفوذ الديني وأصحاب النفوذ السياسي لترسيخ نظام طبقي اجتماعي يضمن لهم السيطرة، فكان من ذلك أن تبلور نظام الطبقات عند الهندوس، الذي وزع الهنود في أربع طبقات مغلقة، وكان ينتمي الأبناء بذلك إلى طبقات آبائهم حكماً.

الطبقات الأربع: يتكون المجتمع حسب الهندوسية من أربع طبقات هي: البراهمة ـ الكشاتريا ـ الويشاش ـ الشودر.

ومزاعم الهندوسية تصل إلى حد التمييز في مصدر ما يتكون منه أهل كل طبقة. وفي شرع منُّو، المعروف باسم «منوسمرتي»، يقولون:

«لسعادة العالم خلق برهما البراهمة من وجهه، والكشتريين من ذراعيه، والويش من فخذيه، والشودر من قدميه»[1].

هذه الأسطورة الغريبة التي تجعل أهل الطبقات الأربع من أربعة مواقع مختلفة من جسم «براهما» جاءت لتكرس الاستعلاء في هذا المجتمع، ولترسخ التسلط.

وقد ذكر المؤرخ العربي، الذي رحل إلى الهند ودوَّن تاريخها وواقع مجتمعها، أبو الريحان البيروني، كلاماً لا يبعد عن هذا المفهوم الوارد في «منوسمرتي». يقول البيروني في كلامه عن الطبقات الأربع عند الهندوس:

«وهذه الطبقات في أول الأمر أربع، علياها البراهمة، قد ذُكر في كتبهم أن خلقتهم كان من رأس براهم... والرأس علاوة الحيوان، فالبراهمة نقاوة الجنس، ولذلك صاروا عندهم خيرة الإنس، والطبقة التي تتلوهم كشتر خُلقوا بزعمهم من مناكب براهم ويديه ورتبتهم عن رتبة البراهمة غير متباعدة جداً، ودونهم بَيْش، خُلقوا من رجلي براهم. وهاتان المرتبتان الأخيرتان متقاربتان،

---

(١) **منُّوسمرتي أو شرع منّو**، عرَّبه وشرحه وعلق عليه الدكتور إحسان حقي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، ص٣٧.

وعلى تمايزهم تجمع المدن والقرى، أربعتهم مختلطي المساكن والدور»[١].

مجتمع الهندوس إذن ينقسم بشكل حاد إلى هذه الطبقات الأربع، ومن أسس معتقدهم التسليم بأن هذا التوزيع الطبقي بالخلقة ملازم لأبناء الطبقات وعليهم أن يسلموا به، لا بل واجب كل أبناء طبقة أن يعملوا لتنفيذ المهمات الموكلة لطبقتهم ضمن هذا النظام.

أ ـ البراهمة: جاء في نصوصهم المقدسة (منُّوسَمَرتي) أن الإله الأكبر برهما قد «عهد إلى البراهمة بقراءة الويد وتعليمه والقيام بأعمال پگيه لأنفسهم ولغيرهم وخصهم بإعطاء الصدقات وقبولها»[٢].

إن مهمة القيادة الدينية الموكلة للبراهمة تفرض أن يكون من ينتسب إلى هذه الطبقة وافر العقل، لذلك يقر مجتمع الهندوس لأبناء هذه الفئة بأنهم الأكثر ثقافة.

ولا يخرج عن هذه القاعدة أحد. فأبناء هذه الطبقة البراهمة هم «من الكهنة والمعلمين الذين يعدُّون بصفة عامة حملة الثقافة، ومهماتهم هي الحفاظ على المعرفة والثقافة وإرضاء الآلهة، والحفاظ على العدالة والأخلاق»[٣].

وإذا كان البراهمة غير معنيين بالجانب السياسي الإداري للدولة فإن عملهم هو الذي يؤسس من أجل سلامة الأوضاع في الدولة والمجتمع، فهم المعلمون وناشرو الثقافة، وهم الذين يتولون تدريب أهل المجتمع على أداء العبادات والطقوس والتزام العادات والتقاليد المتوارثة في مجتمع الهند.

والبراهمة هم الطبقة الأعلى والأولى رتبة، وهي عندهم «طبقة العلم واليقين والحق والتدين، وهي الأستاذ والمعلمة للمبادئ المقدسة عند قومها، وهي طبقة لها المنزلة الرفيعة في النسب، وعليها مسؤولية رفع المستوى للدولة والمجتمع، ووسيلتها في ذلك تطبيق المعارف والعلوم وقيادة الأمة في شؤون الدين والعادات والعبادات»[٤].

---

(١) البيروني، أبو الريحان، **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، بيروت، عالم الكتب، بدون تاريخ، ص٧٦، ٧٧.

(٢) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٤٧.

(٣) كولر، جون، م.س، ص٧٨.

(٤) شلبي، د. رؤوف، م.س، ص١٢٥.

البراهمة ـ طبقة الكهنة، والمعنيون بأمر الهندوسية دينياً، مطلوب منهم إذن مستوى يفوق سواهم في المعرفة والالتزام والسلوك، وكل ما عندهم مصروف لخدمة دينهم.

ب ـ كشاتريا: الطبقة الثانية رتبة بعد البراهمة.

وهذه الفئة تتولى أمر القيادة السياسية وبيدها مقاليد أمن البلاد والحفاظ عليها، لذلك من الواجب أن يتميز أبناء هذه الطبقة بالكفاءة السياسية والعسكرية معاً بحيث يكون لهم في المجتمع الإقدام والمهابة، وينقل جون كولر في تعريف الكشاتريا ما يلي: «وتتألف طبقة الكشاتريا من حماة المجتمع والقائمين على إدارة شؤونه، وهم حرَّاس باقي المجتمع، والقائمون على أمنه، وعلى تنفيذ القواعد المختلفة التي تقتضيها الوظائف الاجتماعية الضرورية، وجاء في الجيتا أن البطولة والقوة والاستقامة والحذق، وعدم الهرب حتى في المعركة، والكرم والقيادة، تلك هي واجبات رجال الكشاتريا التي تولدت من طبيعته»[(١)].

إن مهمة الكشاتريا هي القيادة الفعلية للأمة، لذلك فإن ما يقومون به أكثر دقة وصعوبة من مهمة البراهمة التي تقتصر على التوجيه والتعليم إلى حد كبير.

وما يناط بهذه الطبقة يستلزم، كما قال البيروني، أن يكون «الكشتر» «مهيباً في القلوب، شجاعاً، متعظماً، ذلق اللسان، سمح اليد، غير مبالٍ بالشدائد، حريصاً على تيسير الخطوب»[(٢)]. إنها مواصفات القيادة التي تمكنها من الإمساك بزمام الأمور؛ فالشجاعة والكرم والمعرفة كلها مقومات للقيادة الناجحة، وهكذا حال الكشاتريا.

جـ ـ الفايشاش أو الويش: هذه الطبقة تؤمن الأمن الغذائي للمجتمع وبيدها الانتاج والاقتصاد، وبذلك يكون الرخاء والاستقرار المعيشي، والشأن الاقتصادي بيد هذه الطبقة، وبالتالي فمهمتها أساسية في المجتمع.

وطبقة الويش، أو الفايشاش، مكونة «من التجار والمنتجين في المجتمع. وجاء في الجيتا أن الانخراط في الزراعة وتربية الماشية والتجارة هي واجبات

---

(١) كولر، جون، م.س، ص٧٨، ٧٩.

(٢) البيروني، أبو الريحان، م.س، ص٧٨.

رجل الفايشاش التي تولد من طبيعته ومن نفسه، ووظيفتهم الرئيسية هي بوضوح إنتاج السلع الضرورية للحياة والتي يتطلبها المجتمع»[١].

إن اقتصاد البلاد هو بيد الفايشاش، واشتغالهم بمهام الانتاج ليس أمراً اختيارياً عند أبناء هذه الطبقة، وإنما ينبع عملهم من طبيعتهم حيث ينتمون إلى طبقتهم بالولادة وليس بالاختيار، ولذلك نجد نصوصهم في «منُّوسمرتي، أو شرع منُّو» قد نصَّت على أن هذه الوظائف إلزامية لطبقة الويشاش ومفروضة عليهم وليست باختيارهم.

تقول نصوص منُّوسمرتي: «وفرض على الويش سبعة أمور هي: حفظ الحيوانات ورعيها، وإعطاء الصدقات، والقيام بعبادة يگيه، وقراءة الويد، والعمل بالتجارة، والتعامل بالربا، والاشتغال بالزراعة»[٢].

هذه الطبقة إذن هي في موقع الخادمة للأمة وللشعب لأنها تملك مصادر الثروة وعمليات الانتاج، وبيدها تحقيق الرخاء.

وهذه الطبقة تسعى لرفع مستواها، وتحقيق مكانة في المجتمع الهندوسي خاصة وأنها تمتلك قرار الانتاج الذي يساعدها في ذلك، وبذلك يصح القول: إنها «الطبقة العاملة على رفع مستواها رويداً رويداً، وتحاول تحرير نفسها من قيود الحياة ومشاغل الأيام، ولكنها تظل خادمة للأمة وللشعب، فهي المسؤولة عن الانتاج والرخاء»[٣].

ويتضح من النص الأخير بأن أهل هذه الطبقة مع سعيهم إلى تطوير مكانتهم إلا أنهم يلتزمون وظائف طبقتهم ولا يتمردون على مكانتهم.

د ـ شودار: أو سودرا؛ وهذه أدنى طبقات المجتمع في هرم التوزيع الهندوسي، وأبناء هذه الطبقة خُلِقوا، حسب أسطورة الخلق، من أعضاء «براهم» من رجلي البراهم، فهم بالتالي الأدنى بالولادة والخلق أصلاً حسب المعتقد الهندوسي.

والشودار أشبه ما يكونون بالعبيد، فواجبهم الخدمة والعمل وإنجاز كل ما يوكل لهم من الطبقات الأعلى. يقول البيروني: ويكون «شُودر مجتهداً في

(١) كولر، جون، م.س، ص٧٩.
(٢) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٤٨.
(٣) شلبي، د. رؤوف، م.س، ص١٢٥، ١٢٦.

الخدمة والتملُّق، متحبباً إلى كل أحدٍ بها، وكل من هؤلاء إذا ثبت على رسمه وعادته نال الخير»[١].

في هذا اشتراط على شودار بأنه لو لم يقم بما يطلب إليه لناله عقاب. وقد نص شرع الهندوس «منُوسمرتي» بشأن وظيفة هذه الطبقة بما يلي: «وفرض الإله الأعظم على الشودار أمراً واحداً وهو أن يقوم بإخلاص تام بخدمة هذه الفرق الثلاث»[٢]. ويقصد بها الطبقات السابقة الذكر وهم: البراهمة، الكشاتريا والفايشاش.

إنه عبء كبير تلقيه الهندوسية على عاتق هذه الطبقة، لأن خدمة ثلاث طبقات وتلبية ما تطلبه وتأمر به ليس بالأمر السهل. والمفهوم السائد عندهم عن هذه الطبقة بأنها مجبولة على الخدمة والتقديم للآخرين، ولا نصيب لأبناء الشودار من متاع الحياة إلا القليل.

فهذه الطبقة إذن «هي آخر طبقات المجتمع، هي طبقة القاع التي لا تملك شيئاً البتة، غير أنها تقدم نفسها قرباناً، ويكفي أن تحصل على قوتها عن طريق المسألة»[٣].

نخلص إلى القول: إن هذا النظام الطبقي الذي يقوم على أساس انقسام حادٍ في المجتمع والذي يربطه الهندوس بأصل النشأة، وهذا معناه أنه يسد الطريق أمام الكفاءات والقدرات، ويمنع العدالة بين الناس، وبالتالي فهو نظام ظالم، ولا يقبله عقل أو منطق، لذلك ثارت البوذية عليه وأنكرته، ولا أظن الواقع يقبله، إذ من غير المقبول أن نحكم على مستقبل إنسان وموقعه منذ الولادة. وقد جرت محاولات عديدة للتخفيف من حدة هذا النظام الطبقي الجائر، وكانت أبرز هذه المحاولات محاولة المهاتما غاندي، في أوائل هذا القرن العشرين للميلاد، ولكن المحاولة لم تثمر الكثير لأن هذا التمايز الطبقي متأصل في العقيدة وفي المجتمع عند الهندوس، والخلاص منه يحتاج لوقت طويل نسبياً، ولتعديلات في النصوص المعتمدة في الديانة الهندوسية وهذا ليس أمراً سهلاً.

---

(١) البيروني، أبو الريحان، م.س، ص٧٨.
(٢) **منُوسمرتي**، م.س، ص٤٨.
(٣) شلبي، د. رؤوف، م.س، ص١٢٦.

٥ ـ في شعائر وعبادات الهندوس

١ ـ **الطهارة:** تتوزع في الهند أماكن عديدة لها صفة القداسة عند الهندوس، وهذه الكثرة العددية حصلت بالتراكم عبر السنين، ويلاحظ أن هذه المواقع التي يحجون إليها تتوزع على ضفاف الأنهار، وإن كان نهر الغانج من بينها هو الأكثر قداسة، وفيه يلقون رماد موتاهم بعد حرق جثثهم.

ونهر الغانج يزعمون أنه ينبع من تحت قدمي الإله الحافظ «فيشنو».

ولعل الماء يتمتع بمكانة عندهم بسبب ما فيه من فوائد في الحياة عند البشر ولسائر المخلوقات، وقد اعتمد الهندوس الماء في الطهارة.

وطقوسهم في الطهارة بواسطة الماء نجد منها ما يتفق مع ما جاء في الشرائع السماوية، وقد يكون ذلك عندهم مستفاداً من هذه الشرائع السماوية.

فالجنابة عندهم يتم التطهر منها بالاغتسال بالماء، كما جاء في نصوص كتابهم منُّوسمرتي، «إذا ما خرج المني من الإنسان فإنه يتطهر بالغسل»[(١)].

وبالنسبة للمرأة كذلك تغتسل بعد الحيض، وأما بعد الإجهاض وإسقاط الحمل قبل أوانه فالواجب معرفة كم من الأشهر مضى على حملها بحيث تقوم بالتطهر بعد عدة أيام هي عدد الأشهر التي مضت على الحمل. في منُّوسمرتي: «تطهر المرأة بعد الإجهاض بيوم عن كل شهر من أشهر الحمل، وتطهر بعد الحيض بالغسل»[(٢)].

وإذا كان الهندوس يلتقون مع المسلمين لجهة اغتسال المرأة بعد الحيض، والرجل بعد خروج المني، فإنهم يلتقون مع يهود بموضوع الاغتسال بعد مس جثمان ميت أو امرأة حائض أو نفساء، ويضيفون من نظامهم الطبقي الجائر أن من يمس أحداً من فئة المنبوذين، أي الشودار، فعليه التطهر كذلك. جاء في نصوص «منُّوسمرتي»: «يطهر المرء بالغسل إذا ما لامس شخصاً من الأسافل، أو امرأة حائضاً أو نفساء أو جثمان ميت أو لمس من قد لمس جثمان ميت»[(٣)].

---

(١) **منُّوسمرتي**، م.س، ص١٨٩.

(٢) **منّوسمرتي**، م.س، ص١٩٠.

(٣) **منُّوسمرتي**، م.س، ص١٩٢.

وإذا كان الشرع الإسلامي يقول بأن دم الشهيد طُهر له وبالتالي لا يغسَّل، فإن الهندوس عندهم ما يشبه ذلك، وهو أن مَنْ سقط عندهم قتيلاً في معركة يعد طاهراً، لكنهم، وانطلاقاً من نظامهم الطبقي ومن مقدساتهم كالبقرة وطبقة البراهمة فإنهم يقولون بأن من قتل دون هؤلاء فالحكم فيه كمن سقط في معركة. في شرعهم: «وكل من يموت في معركة أو قتال أو يهلك بصاعقة أو دون بقرة أو برهمي، أو يقتل بأمر الملك، أو يريد الملك أن يكون طاهراً، لا يتنجس أحد بموته»[١].

والطهارة عند الهندوس منها ما هو حسي وهو الاغتسال بالماء، ومنها ما هو معنوي كطهارة الروح بالعلوم المقدسة والقلب بالعبادات وهكذا دواليك. ولهذا الغرض التطهيري نص شرعهم على ما يلي:

«إن العلم والنار والطعام والتراب والقلب والماء والطلي بخثي البقر والهواء والطقوس الدينية والشمس والزمن، كل أولئك تطهِّر جسم الإنسان. . . إن البدن يطهر بالماء، أما الجوف فيطهر بالصدق، ويطهر الروح بالعلوم المقدسة وبالعبادات، ويطهر القلب بالعلم الصحيح»[٢].

ويستنتج من النص السابق أمران.

أ ـ اعتبار بول البقر مادة للتطهر، ولذلك فإن كهنتهم، في معابدهم وبعد انتهاء طقوسهم، قد يرشون على الناس بول بقر وظنهم أنها تعطي البركة.

ب ـ الربط بين طهارة البدن وطهارة النفس والروح، وهذا أمر بمنتهى الأهمية عندهم، وفي هذا الأمر الأخير نرى الهندوس غير بعيدين عن الشرع السماوي الذي يربط بين النية القلبية والعبادات التي تؤدَّى.

٢ ـ الصلاة: ويبدو أن للصلاة عندهم أركاناً لا تتم إلا بها، هي الاستحمام، وارتداء الثياب النظيفة ذات اللون الأصفر أو الأبيض، هذا مع غسل الأيدي والأفواه بالماء المعطر، وأثناء أداء الصلاة هناك هيئة تخص كلاً من الرجل والمرأة.

فالرجل يجلس متربعاً والمرأة تجثو على ركبتيها. هذه أركان الصلاة التي

---

(١) **منُّوسمرتي**، م.س، ص١٩٤.

(٢) **منُّوسمرتي**، م.س، ص١٩٥، ١٩٦.

يكون أداؤها كما يلي: «ليس في الهندوسية صلاة جامعة، ولا صلاة جماعة، فالصلاة كلها فردية، وهي ثلاثة أنواع:

أ ـ صلاة برفقة الكاهن واتباع ترانيمه.

ب ـ صلاة برفقته دون اتباع الترانيم.

جـ ـ صلاة فردية محضة»[١].

أما بالنسبة لصلاة الهندوس فهي مرتان في اليوم: الأولى صباحاً والثانية مساءً، وتفسيرهم أن كل صلاة تسقط ما حصل من هفوات وأخطاء وذنوب حصلت من الإنسان ما بين هاتين الصلاتين. فصلاة الصباح تسقط ذنوب الليل، وصلاة المساء تسقط ذنوب النهار.

ورد في هذا الموضوع في نصوص شرعهم «منُّوسمرتي» ما يلي: «على المصلي أن يقرأ في صلاة الصبح گايتري في قلبه وهو واقف على قدميه من انبلاج الفجر حتى مطلع الشمس، ويقرأها في صلاة المساء، وهو جالس، إلى ظهور النجوم.

. . .إن صلاة الصبح بهذه الطريقة تذهب كل ذنوب الليل، وصلاة المساء تذهب كل ذنوب النهار.

إن مَنْ لا يؤدي هاتين العبادتين، قائماً في الصباح وقاعداً في المساء، يجب أن يطرد كالشودار، ويمنع من أداء الواجبات الدينية، ويحرم من حقوق المولودين ثانية»[٢].

نلاحظ من هذا النص تشدُّد الهندوس في مسألة الصلاة. فمن لم يؤدِ الصلاة عندهم يطرد ويصبح من المنبوذين وهم الطبقة الخادمة، الشودار، وهذا عقاب قاسٍ إضافة إلى حرمانه من حقوق المولودين ثانية، أي من انتقلت إليهم روح كانت لها حياة سابقة، ولعل ذلك يشكل دليلاً على أهمية الصلاة في شعائرهم.

ولأن الهنود مولعون بالتنسك والاعتزال في الغابات وعلى ضفاف الأنهار

---

(١) شلبي، د. رؤوف، م.س، ص١٣٦، ١٣٧.

(٢) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٧١.

فإن شرعهم يرشد إلى عبادة تولد الاطمئنان، وهي تلك التي يمكن أثناءها أن يمارس المرء التأمل العقلي طلباً لصفاء النفس، فقد جاء عندهم: «لا بأس بأن يقوم المرء بالعبادات حتى ولو بقراءة گايتري وحدها، وذلك بالقرب من نهر أو من غابة، وهو مطمئن البال مستجمع الفكر»[١].

هذا النمط العبادي الذي تحضُّ عليه الهندوسية هو الذي ترك بصماته فيما بعد على الرهبانية في المسيحية والصوفية في الإسلام.

ويستخدم الهندوس عند طقوسهم في معابدهم برفقة الكاهن، إضافة إلى الماء في الطهارة، النار التي يوقدون بها البخور ومع ذلك الأزهار، والصلاة التي تؤدى في المعابد تؤدى على الشكل التالي:

«يتلو الكاهن تعاويذه التقليدية، وبعدها يركع الشخص تحت قدمي الصنم متضرعاً... يتلو الكاهن الأدعية التقليدية... كل طبقة لها وضع خاص في الأدعية التي يتلوها الكاهن... في الختام يتلو الكاهن دعاءً مخصوصاً... يصلي الشخص ثم يُرشُّ الماء ثم يخرج»[٢].

٣ ـ **إحراق الموتى**: النفس هي الأساس في المفهوم الهندوسي، والبدن ليس له اعتبار كبير، وضمن نظام التناسخ فإن النفس عندهم تنتقل في دورة الحياة من بدن إلى آخر طلباً للتزكية والتطهر حتى إذا ما تمَّ لها ذلك توقف حلولها في الأبدان واتحدت بالروح الكلية «النيرفانا».

لذلك اعتمدوا نظاماً قاسياً مع البدن في الحياة، وإذا ما مات المرء فيكون في طقوسهم إحراق جثمانه، ومن ثُمَّ وضع الرماد في أنبوب وإلقاء هذا الرماد في نهر الغانج، النهر المقدس عندهم.

أما الإجراءات للحرق فهي كما حددها الدكتور رؤوف شلبي كما يلي: «المقومات: النار ـ الحطب ـ الجثة ـ الماء.

هذه الأشياء ينقلها أبناء الميت تحت قدم الصنم...

طريقة التنفيذ: يغسل الميت بالماء القراح ثم يغسل مرة أخرى بالماء

---

(١) **منُوسمرتي**، م.س، ص٧١.

(٢) شلبي، د. رؤوف، م.س، ص١٣٥، ١٣٦.



حرق جثث الموتى عند الهندوس

المعطر... كل الفتوح في الجسم تغلق تماماً. يحرق الجسم بالنار المحترمة عندهم التي يقررها الكاهن... يلقى عليها الحطب الذي يعترف بأنه محترم عندهم... التراب المتخلف (الرماد) من الحريق تتلى عليه التعاويذ والتراتيل الهندوسية»[١]، ثم يتم وضعه في أنبوب لرميه بعدها في نهر الغانج.

والغريب عندهم أنهم يعدون من باب تكريم البقرة دفنها إذا ماتت ضمن مراسيم معينة بينما الإنسان يحرقونه. والأكثر غرابة ما كان سائداً عندهم بشأن النساء حيث كان من طقوسهم إحراق المرأة حية مع جثمان زوجها المتوفى، وبقيت هذه العادة سائدة عند بعضهم حتى أواسط القرن التاسع عشر للميلاد حيث سنت الحكومة البريطانية التي كانت تستعمر الهند يومها قانوناً يمنع ذلك.

٤ ـ **اليوغا**: الإنسان في الهندوسية من نفس «آتمن» وجسده أشبه ما يكون بحاجز كثيف يمنع النفس من الانعتاق من توالي دورة الحياة عليها ليتحقق الاتحاد بالروح الكلية أو بالإله برهما.

لذلك اعتمد الهندوس مصطلح «كارما»؛ ويشير هذا المصطلح إلى نظريتهم في الولادة وتناسخ الأرواح بين الأبدان، ومصير الإنسان، خاصة النفس مرهون بأعمال الإنسان نفسه.

---

(١) شلبي، د. رؤوف، م.س، ص١٣٦.

فإذا سلك الإنسان سبل الخير والعمل الصالح، وقام بواجباته الدينية بلغ الـ «موكشا» وانعتق من دورة الحياة والموت واتحد بالكلي «برهما».

وإذا سلك الإنسان طريق الشر والمفاسد وأهمل الواجب، بقيت روحه متنقلة من جسد إلى آخر وتتكرر عليها دورة الحياة والموت.

لهذه الغاية عمد الهندوس إلى رياضة «اليوغا». وكلمة «يوغا» سنسكريتية معناها: النير، وفي ذلك إشارة إلى أن هذه الرياضة «اليوغا» تحقق خلاص النفس من نير الأبدان. واليوغا، وهي تحكم بالتنفس وبالجسد وعمل لتلاشيه وإماتة شهواته، يجب أن تقترن بما يسمونه «أهيمسا»، أي اللاعنف والامتناع عن توجيه الأذى للآخرين من البشر أو المخلوقات وكل ما فيه حياة بما في ذلك الحيوان أو النبات.

إن برهما وآتمن (النفس) واحد، لذلك تكون اليوغا من أجل إعادة هذه اللحمة التي انفكّت عند نزول النفس في بدن، فمطلب تحرير النفس لتتحد ببرهما إذن هو غاية اليوغا.

إن العمل لملاشاة البدن وإطفاء نار الشهوة وإخمادها ليست كافية إن لم يعرف الإنسان الحكمة وينتفي الجهل عنده.

وبذلك، تكون ممارسة اليوغا أمراً مطلوباً «لتحقيق الحكمة التي من خلالها يمكن القضاء على الجهل الذي يتسبب في الخلط بين البوروشا (الروح) والبراكريتي (المادة)، ويمكن أيضاً إدراك الطبيعة الجوهرية للذات باعتبارها البوروشا (الروح).

والسؤال الأساسي لليوغا: كيف يمكن تحقيق تلك الحكمة التي في إطارها يدرك البوروشا، أو الذات الخالصة نفسه على نحو ما هو عليه؛ أي المشاهد للبراكريتي (المادة) وليس جزءاً منه، بالفعل أو مرتبطاً به؟

عندما يتم إنجاز هذه الحكمة، لا تعود هناك معاناة، إذ لا يعود البوروشا (الروح) مرتبطاً على نحو خاطئ بالبراكريتي (المادة) المتغيِّر والمتعرض للمعاناة»[١].

إن اليوغا تحدث شبه انفصال بين النفس والبدن رغم تلاقيهما بحيث لم

(١) كولر، جون، م.س، ص٩٧.

تعد آلام البدن ذات فعل في النفس، واليوغا تمكن الإنسان من الخلاص من الدنيا وزينتها وهو على قيد الحياة، وهذا فضله، لأن الخلاص بالموت واحد للجميع.

إن الوصول إلى رضوان الإله الخالق هو الهدف، ووسيلة ذلك «ممارسة رياضة اليوغا (Catuyoga)، تلك الرياضة التي تقوم على أساس من التذكر والتفكير والصمت»[١].

اليوغا هي السبيل للخلاص من الآلام والبلايا تمهيداً لتحقيق النرفانا التي بها يتم الاتحاد والذوبان الكامل لآتمن (الروح) ببرهما.

نصل إلى السؤال: كيف تكون اليوغا؟ والجواب هو أن اليوغا تبدأ «بمجموعة من القواعد أو الأوامر الأخلاقية ياما Yama، يقصد بها إعادة توجيه إرادة الشخص وأعماله، فبدلاً من التصرف إنطلاقاً من الشعور بالارتباط أو بالمقت، بدافع من قوى الأنا العمياء، يتوقع من الشخص أن يتصرف إنطلاقاً من الإشفاق المفعم بالتعاطف حيال رخاء الآخرين... فإنها بصفة جوهرية تعبّر عن الحب المفعم بالتعاطف حيال كل المخلوقات الحيَّة، وتطوير هذا الحب الشامل يتمُّ إقراره كوسيلة فعَّالة للتخلص من النوازع الأنانية للأنا»[٢].

هكذا تنتهي اليوغا بالإنسان إلى خلاص من نير البدن، ومن نوازع الأنا ليكون محباً للناس جميعاً، هذه الدرجة الرفيعة تعطي لصاحبها لقب «مهاتما»، وهو لقب يطلق على الصلحاء والقديسين عند الهندوس، والكلمة بالأصل من مقطعين: آتما أو آتمن، أي الروح و«مها» معناه العظيم وبذلك يصبح مَنْ تحقق له الخلاص صاحب الروح الأعظم.

٦ ـ المرأة عند الهندوس

إن الهندوسية التي اعتمدت نظاماً طبقياً جائراً ظلمت كذلك المرأة وسلبت منها الحرية والحقوق بكل أنواعها، ولم تعطها أية مكانة.

---

(١) شلبي، د. رؤوف، م.س، ص١١٤.

(٢) كولر، جون، م.س، ص١٠٠.

وبمراجعة نصوصهم في شرعهم «منُّوسمرتي» نجد ما ورد في حق المرأة ظالماً لا يقر لها بأبسط الحقوق الإنسانية، ويشبه إلى حد بعيد ما ورد في التوراة المحرَّفة عند يهود حيث اعتبروا المرأة مصدراً للخطيئة.

المرأة عند الهندوس خاضعة في شتى مراحل عمرها للرجل، ويحلُّ واحد بعد آخر في هذا الأمر، فتكون المسؤولية للأب وبعد الزواج للزوج، وعند وفاة الزوج للابن.

ورد ذلك عندهم في نصيّن:

«لا تليق الحرية المطلقة بالمرأة قط، بل يجب أن يرعاها أبوها في صغرها وزوجها بعد ذلك وابنها في كبرها»[١].

«يجب على المرأة وهي صغيرة وشابَّة أو مسنَّة ألا تعمل عملاً، ولو داخل دارها بمطلق إرادتها وحريتها.

بل يجب أن تكون في صغرها تابعة لأبيها، وفي صباها لزوجها، وإذا مات زوجها فلابنها، ولا تكون مطلقة الحرية»[٢].

وتعطي شريعة الهندوس للرجل حق التسلط على زوجته في شتى وجوه حياتها وسلوكها الديني والدنيوي، حتى العبادات عندهم من صلاة وصوم لا تؤديها إلا من خلاله. ويطالبونها أن تطيعه لدرجة العبودية، وأن تكون طاعتها له قائمة حتى لو كان منحرفاً وغير صالح، وبذلك يكون مجتمع الهندوس مجتمعاً ذكورياً بكل ما للكلمة من معنى. ورد عندهم حول هذا الموضوع ما يلي:

«على المرأة المخلصة أن تحترم زوجها كالإله ولو كان عارياً من كل فضيلة، وكان يميل إلى غيرها.

ليس على المرأة أن تقوم، مستقلة عن زوجها، بعمل تقدمة، ولا أن تنذر نذراً، ولا أن تصوم، لأن المرأة المطيعة لزوجها تنال الفردوس الأعلى بإطاعتها له»[٣].

---

(١) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٣٠٨.
(٢) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٢٠٢.
(٣) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٢٠٣.

إن إذلال المرأة وتقديس الرجل لا تقره أبسط القيم الإنسانية، ومع ذلك لم يكتفِ الهندوس بهذا وإنما أنزلوا بالمرأة أبشع التهم وصوروها فاسدة مفسدة ليس للقيم والأخلاق عندها مكان، وبذلك دعوا للتعامل معها بحذر لأنه لا أمان من المرأة حتى بالنسبة للعقلاء والعلماء فما بالك بالجهلة. جاء عندهم: «قد فطر النساء على إغراء الرجال، فعلى العقلاء أن يحذروهن. إنَّ في استطاعة النساء استهواء حتى العلماء من الرجال وجعلهم عبيد الهوى والغضب بله الجهلاء منهم»[(١)].

وتدعو الهندوسية الرجل إلى عدم مواقعة زوجته وهي في الحيض، وهذا أمر يلتقون فيه مع الشرائع السماوية، ولكنهم لا يقفون عند هذا الحد، بل يذهبون كيهود إلى القول بالابتعاد عن المرأة أثناء الحيض وعدم النوم على فراشها أو استخدام ما تمسه من أدوات طول هذه المدة، ويعطون صورة منفرة عمَّن يواقع زوجته في الحيض، ويرغبون بالمقابل باجتنابها في هذه الحالة.

ورد في «منُّوسمرتي» حول هذا الأمر: «وعليه (أي الرجل) ألا يقترب من زوجته عند ظهور دم الحيض مهما غلبت عليه شهوته، وألا ينام معها بفراش واحد.



الهندوس في أحد معابدهم يقرأون كتبهم ومنها منُّوسمرتي

---

(١) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٨٨.

إن وطء الحائض يذهب العقل والنشاط والقوة والجمال، وبالاختصار إنه يضيع الحياة كلها.

واجتنابها وهي في حالة الحيض، يزيد العقل والنشاط والقوة والعمر»[١].

والمرأة عند الهندوس لا تتاح لها فرصة التحصيل العلمي خاصة للفلسفة، لأنها لا تطيق ذلك ويقودها إلى الجنون. وكذلك يحرمونها دراسة كتب الڤيدا والويدا المقدسة عندهم. ينقل ديورانت في هذا:

«ففي المهابهاراتا إذا درست المرأة كتب الڤيدا كانت هذه علامة الفساد في المملكة. ويروي المجسطي عن أيام شاندرا جوپتا: إن البراهمة يحولون بين زوجاتهم وبين دراسة الفلسفة؛ لأن النساء إن عرفن كيف ينظرن إلى اللذة والألم، والحياة والموت، نظرة فلسفية، أصابهن مسٌّ من جنون، أو أَبَيْنَ بعد ذلك أن يظللن على خضوعهن»[٢].

والهندوس يشجعون على الزواج المبكر، ويعتبرون عدم الزواج عاراً، ومنذ الصغر يهتم الأهل بإتمام زواج أولادهم. والزواج يربط المرأة بزوجها رباطاً أبدياً، لذلك انتشر عندهم إذا مات الزوج قبل الزوجة أن تحرق الأرملة مع جثمان زوجها لأنه خير لها أن لا تبقى بعده.

ويدعون للتباعد في الزواج بحيث لا يتزوج الإنسان من قريباته، إن لجهة الأم أو الأب، ويضعون بعض التوجيهات لجهة اختيار الزوجة. في منُّوسمرتي عن الزواج ما يلي:

«إن خير زوجة للمولود هي التي ليست من قريبات الأم ولا من أسرة الأب.

على المرء أن يبتعد في الزواج عن هذه الأسر العشر ولو كانت من الأسر الكبيرة الثرية التي تملك البقر والغنم والحبوب وغيرها من مال وعقار، وهذه الأسر هي:

١ ـ مهملة الطقوس الدينية.

٢ ـ التي لا يولد فيها ذكور.

---

(١) **منُّوسمرتي**، م.س، ص١٤٧.

(٢) ديورانت، ول، م.س، م١، ج٣، ص١٧٩.

٣ ـ التي لا تتدارس الويدا.

٤ ـ التي يكثر الشعر على أبدان أفرادها.

٥ ـ المصابة بداء البواسير.

٦ ـ المصابة بداء السلِّ.

٧ ـ المصابة بسوء الهضم.

٨ ـ المصابة بداء الصَّرع.

٩ ـ المصابة بالجذام الأبيض.

١٠ ـ المصابة بالجذام الأسود»[١].

يستنتج من هذه التوجيهات أنهم يركزون في اختيار الزوجة على جانبين: الجانب الديني والجانب الصحي البيولوجي، وإذا كان للشرط الأول ما يبرره لكن الشرط الصحي ليس له ما يبرره، وبين هذه الأمراض ما يكون الشفاء منه سهلاً.

وإذا كان موضوع حرق المرأة الأرملة مع جثمان زوجها قد توقف بشكل شبه نهائي بعد قانون أصدره المستعمرون الإنكليز سنة ١٨٣٠، فإن المرأة ظلت محرومة من ميراث أبويها حتى سنة ١٩٥٦، حيث صدر قانون في الهند يعطيها هذا الحق.

إلا أن المرأة لم تنتهِ معاناتها بعد في مجتمع الهند حيث إشكالية «الدوطة» التي على أهلها تأمينها كي تُقبل كزوجة، وهذا الأمر، وبعد تطور الفحص الجنيني قبل وضع الحمل لمعرفة جنس الجنين، ساعد على انتشار حركة وأد خطيرة للمولود الأنثى إما بالإجهاض أو بالدفن لحظة الولادة، وهذا الأمر ليس بعيداً. ففي أوائل آب (أغسطس) من عام ١٩٩٤ أصدر البرلمان الهندي قانوناً يحظِّر إجراء الفحوص الطبية لتحديد نوع الجنين قبل ولادته، لأن طلب الأهل للذكور من دون الإناث كان يؤدي، بعد معرفة نوع الجنين، إلى ممارسة عمليات الإجهاض للإناث من الأجنَّة، وبعض الأسر الفقيرة في ولايتي (تامِلْ) و(راجستان) تقوم بقتل المواليد الإناث بعد دقائق قليلة من

(١) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٩٦.

الولادة، وهذا يحصل غالباً في الأسر الفقيرة التي يكون فيها عدد من الإناث ولا يستطيع الأهل القيام بواجب التجهيز.

بقي أن نقول بأن الهندوسية تعطي للرجل حقَّ تطليق زوجته، وهذا الحق غير معطى لها، أما الأمور التي تبرر له هذا الطلاق، فهي بحسب شرعهم في منُّوسمرتي محددة بالنص التالي: «يحق للرجل أن يطلق زوجته إذا ما ظهر له فيها عيب أو مرض أو أنها غير بكر، أو أنها أعطيت له بخدعة»[١].

٧ ـ من شرائع وتقاليد الهندوس

إن تتبع نصوص شرع مانو أو منُّوسمرتي تبيِّن أن الهندوس حريصون على نظام أخلاقي دقيق يتميَّز بالاحترام والفضائل، ومعظم ما يطرحونه في هذا الباب غير مخالف لما تأمر به الرسالات السماوية.

أول ذلك ما يأمرون به من احترام شديد لكبير السن، وما يطلبونه من الصغير من آداب يتعاطى من خلالها مع من هم أكبر منه، «لا تجلس على الحصير أو الفراش الجالس عليه من هو أكبر منك قدراً، وإذا كنت جالساً ودخل عليك من هو أكبر منك قدراً فقم له واستقبله وسلِّم عليه»[٢].

والصغير إذا لقي الكبار عليه أن يبدأهم السلام وأن يعرفهم بنفسه، ومن لا يعرف ألفاظ السلام يستخدم مع الكبير تعبير تَمسْكار؛ أي أنحني أمامك. في نصوصهم: «على الصغير إذا ما لقي كبيراً أن يعرِّفه بنفسه بعد السلام عليه قائلاً: أنا فلان»[٣].

هذا التكريم ينطلق من القدر والعلم لا من العمر فقط، ويتسع ليشمل عدداً كبيراً من ذوي الشأن المحيطين بالإنسان، لذلك جاء الأمر عندهم بضرورة احترام وإجلال مجموعة كبيرة من الأشخاص، «قف وعظِّم خالك وعمك وحماك والعلماء الذين يقومون بالأعمال الدينية وأستاذك ولو كانوا أصغر منك سناً»[٤].

---

(١) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٣١٧.

(٢) و(٣) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٧٤.

(٤) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٧٥، ٧٦.

وقبل ذلك، فالتكريم الأكبر والاحترام الأعم هو للوالدين فهما أصحاب الفضل الأساسي على الإنسان، وقد عانيا ما عانيا في تربيته وإعداده: «ليس بالمستطاع مكافأة الأبوين، حتى ولا بمئة سنة، على ما يقاسيانه من العذاب في نسل الأولاد... على التلميذ أن يقوم على خدمة الأبوين والأستاذ بما يرضيهم، وبذلك ينال ثواب عباداته كلها... إن طاعة هؤلاء الثلاثة هي خير العبادات، فعلى التلميذ ألّا يقوم بعبادة ما، رجاء الثواب وزيادة الحسنات إلا بإذنهم»[١].

فالوالدان والأستاذ هم أكثر من يحسن للإنسان ويسهم في تشكيل شخصيته، لذلك وجب عليه أن يبادلهما الإكرام والإجلال، وهذا الاحترام يعبَّر عنه بأسلوب المخاطبة وبالهيئة عند التخاطب مع الأستاذ. والأدب الهندوسي في هذا الباب فيه: «يجب على التلميذ ألا يكلم أستاذه وهو مضطجع أو وهو جالس على حصير أو وهو يأكل أو كان منحرف الوجه عنه، بل عليه أن يكلمه قائماً إن كان الأستاذ جالساً، ويتقدم إليه ويقترب منه إن كان قائماً ويسرع إليه إن كان قادماً ويركض خلفه إن كان سائراً»[٢].

وما هذا الطلب إلا لأن الهندوس يقولون بأن الإنسان يُكرَّم لعلمه وصلاحه لا لسنِّه وشيبه، لذلك فاحترام الأستاذ والعالِم واجب حتى لو كان أصغر سناً من تلميذه.

وإذا كان في الإسلام حديث نبوي فيه: (أدُّوا الطريق حقَّه) وآخر فيه: (ليس منّا من لم يوقر كبيرنا)، فالهندوسية تأخذ بذلك أيضاً. ففي أحد نصوص شرعهم: «على المرء أن يوسع الطريق لراكب المركبة ولمن أناف على التسعين وللمريض ولمن كان يحمل حملاً وللمرأة وللتلميذ وللملك وللعروس»[٣].

والهندوسي عليه أن يسعى إلى النعيم الأخروي، وبذلك عليه أن يتحمل الأذى في الدنيا، وأن لا يرد الإساءة بمثلها.

وفي الهندوسية جملة وصايا تصب كلها في مجرى اتباع الفضائل. فقد جاء

(١) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٩٠، ٩١. (٢) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٨٥.
(٣) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٧٧.

في نصوصهم: «لا تؤذِ غيرك ولو أوذيت، ولا تتكلم بما يؤذي غيرك ويمنعك من النعيم الأخروي، ولا تحسد الآخرين على ما آتاهم الله من فضله»[١].

وتحرم الهندوسية القمار، وتطالب الحاكم أن يمنع القمار وكل أشكال الرهانات، وأن يعمل على معاقبة من يمارس ذلك، ويعدون القمار كسباً غير مشروع، وهو من جملة أنواع السرقة. يقولون في تحريم القمار: «على الملك أن يمنع المقامرة والرهان في مملكته لأنهما يبيدان الملك... على الملك أن يعمل جهد طاقته لإبادة المقامرين والمراهنين لأن القمار والرهان سرقة ظاهرة»[٢].

وتستمر مسيرة القيم مع الهندوسية، وإذا بها تحرم الرشوة وتحارب النفاق والتدليس، وتحظر التنجيم والارتزاق من خلاله، كما أنها تعاقب من لا يمارس عمله، خاصة الأطباء، بصدق وأمانة، وتطالب الحاكم بأن يلاحق هؤلاء وينزل بهم العقاب المناسب لاستئصال الفساد من المجتمع. ورد في شرع مانو المسمى منُّوسمرتي:

«إن المرتشي والماكر والمدلِّس والمقامر والمعلم الذي يعلم أداء الطقوس الدينية بالأجر لا للثواب، والذي يسلك بالخبث والنفاق، والذي يعيش بالتنجيم ورجال الحكومة الكبار والطبيب الذي لا يمارس مهنته بصدق والمشعوذ والمومس الماكرة، وغيرهم من الناس الذين يخادعون ويمكرون جهراً، والذي يتزيّا بزي الفرق العالية، هم شوك للرعية... على الملك أن يستقصي أخبار هؤلاء الناس ويقبض عليهم، فإذا أصبحوا في قبضة الملك عليه أن ينظر إلى إجرامهم وإلى قواهم البدنية ثم لينزل العقاب بكل واحد منهم بالنسبة إلى جرمه»[٣].

إن هذه الأمور التي تحظرها الهندوسية وتعاقب عليها تجعل من نظامها الأخلاقي نظاماً مقبولاً من أجل ضبط المجتمع.

والهندوسية تحرم السرقة، وتنزل أشد العقوبات بالسارق وتتدرج العقوبة وصولاً إلى الإعدام حال تكرار فعل السرقة. يقول شرعهم: «على الملك أن

---

(١) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٨٠. (٢) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٣٣٨.
(٣) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٣٤٢، ٣٤٣.

يقطع أيدي اللصوص الذين يسطون على المنازل ليلاً للسرقة ثم ليصلبهم. . . تُقطع إصبعا اللص في أول سرقة يسرقها وتقطع يده وقدمه في السرقة الثانية ويعاقب بالموت في السرقة الثالثة»[١].

ومن آداب الهندوسية وشرعها تحريم الغش، وبالتالي فمن يغش عندهم له العقاب، ولا يصح أن يمر عمله بلا عقاب كي يرتدع وسواه عن فعل الغش. ورد في «منُّوسمرتي»: «**يعاقب بالغرامة المالية الصغرى أو المتوسطة كل من يغش زبائنه أو يغالي في الثمن**»[٢].

وتحرِّم الهندوسية الخمر لأنه نجس ومصدر للخبث، وفي هذا التقاء تام مع الإسلام. فالخمر في النص القرآني ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، وفي الحديث النبوي: (الخمر أم الخبائث)، ونص التحريم الهندوسي لا يبعد في جوهره عن ذلك، وفيه: «إن الخمر نجسة كالإثم، فعلى المولودين ثانية ألا يشربوها»[٣].

إن ما ذكرناه، وهو يشكل بعض مواقف الشرع الهندوسي في مسألة الخلق والفضيلة والضبط الاجتماعي، يُظهر جلياً أن الهندوسية تتمتع بنظام أخلاقي متقدم وموضوعي ومفيد في ضبط المجتمع، ويلتقي في أغلب أسسه مع رسالات السماء.

خلاصات حول الديانة الهندوسية

تأسيساً على ما سبق الحديث عنه، نصل إلى الاستنتاجات التالية:

١ ـ من جهة العقيدة، الهندوس يؤمنون بثالوث في إطار الوحدة هو برهما وفيشنو وشيفا، وبعد ذلك بعدد لا حصر له من الآلهة، إلا أنهم يقرون لبرهما بأنه الأساس وأنه الخالق.

٢ ـ تتحدث الهندوسية عن نظام طبقي جائر ومغلق، كل فرد في مجتمعهم ينتمي إليه بالولادة، ولا يقر هذا النظام بتكافؤ الفرص، وأسوأ ما في هذا النظام هو تلك النظرة الدونية لفئة الشودار الذي يُصنفون كالعبيد ومهمتهم

---

(١) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٣٤٤.
(٢) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٣٤٥.
(٣) **منُّوسمرتي**، م.س، ص٣٨٣.

الخدمة، وهؤلاء عندهم هم المنبوذون، وقد فشلت محاولات عديدة في إنصاف هؤلاء الشودار.

٣ ـ الهندوسية تحوي نظاماً أخلاقياً يتمسك بكثير من القيم والفضائل التي تدنو كثيراً مما يدعو له الدين الحق، وهذا الأمر يساعد، مع مفهوم الإله الخالق برهما، على تشكيل منطلق للحوار مع الهندوس ودعوتهم إلى عقيدة التوحيد.

الفصل الرابع

البوذية

١ ـ تمهيد

إن البوذية في أساسها ليست ديناً وضعياً كالهندوسية أو الزرادشتية أو سواها، وإن كانت حالياً ديانة وضعية بكل ما للكلمة من دلالة.

فمؤسس البوذية، غوتاماسيدهارثا، لم يتعرض لمبحث الألوهية، ولم يضع نظاماً لعبادات أو معابد وطقوس، وتركزت أطروحاته ووصاياه وتوجيهاته على الفلسفة الأخلاقية وعلى السلوك. فالحياة ونظامها الاجتماعي، والإصلاح الاجتماعي، كل هذه هي الأمور التي تركزت عليها اهتمامات غوتاماسيدهارثا الذي أصبح لقبه الذي اشتهر به فيما بعد «بوذا».

وإذا كانت الهندوسية لا تعود في أصل نشأتها لمؤسس بعينه، وإنما هي تراكم معرفي ديني للتراث الهندي، وقد تبلورت الهندوسية من خلاله عبر آلاف السنين، لذلك باتت الهندوسية لصيقة بالشخصية القومية لمجتمع الهند، بينما البوذية نشأت بفعل فكر شخص محدد وفي إطار الرفض لكثير مما تبنته الهندوسية ومواجهته، وقد كانت نشأة البوذية متأخرة نسبياً، وقد كانت هذه النشأة في القرن السادس قبل الميلاد.

٢ ـ بوذا

إن سيرة بوذا مع قصة مولده حسب هذه الديانة تشكل جزءاً لا يتجزأ من معتقدات البوذية وظروف نشأتها.

وينتمي غوتاماسيدهارثا لطبقة الكشاتريا أي الحكام والأمراء من ناحية المولد والنشأة، وقد ولد في شرقي الهند في «نيبال» عام ٥٦٤ق.م، وكانت وفاته عام ٤٨٣ق.م.

في منطقة ضمن جمهورية النيبال الحالية، بين جبال الهملايا ومدينة بنارس

شمال نهر الغانج، كانت تقيم قبيلة شاكيا التي ولد منها غوتاماسيدهارثا (بوذا) من أبوين هما: شودهودانا (ومعناها: العنصر الطيب) ومايا. وفي قرية تدعى كبيلا فاستو وُلد غوتاما حوالي سنة ٥٦٤ق.م، أو ٥٦٣ق.م. وعائلة بوذا من طبقة الكشاتريا الذين كانت بيدهم السلطة السياسية في منطقة وجودهم.

وقد أورد البوذيون في كتابهم الذي يعتمدونه ككتاب مقدس والمسمَّى «إنجيل بوذا» شكلاً أسطورياً لولادة «بوذا» فكان النص التالي:

«كان في كابيلا فاستو ملك عظيم محترم متحدر من أصل إيكشانو المنبثقة من عائلة شاكيا الملوكية، وكان يلقب نفسه غوتاما وأما اسمه فشودهودانا أو العنصر الطيب. وكان له امرأة تدعى مايادافي خارقة البهاء فائقة الجمال تحكي زنبقة الماء طهارة فكر، وزهرة اللوتس نقاء، إنها ملكة السماء نزلت لتسكن الأرض، وهي بريئة من كل عيب ودنس، فأحبَّ الملك زوجها بقداسته أن يشرِّفها فأنزل عليها روح الحقيقة، فحلت عليها وحملت من دون دنس.

ولما أن جاءها المخاض، وأحسَّت بقرب الوضع، سألت الملك أن يبعثها إلى بيت أبويها، وكان هو قلقاً من أجل امرأته والمولود المزمع أن يشهد النور، فأجابها إلى ما طلبت، وبينما هي تجتاز بستاناً من شجرة الملبيني الغض فاجأها ألم الوضع فلجأت إلى ظل شجرة حرير، وإذا تحتها طفل كامل معافى، يحكي الشمس إشراقاً، فانتشر نوره، وملأ العالم، فتفتحت عيون المكفوفين وشاهدوا المجد الآتي من العلاء، وحُلَّت عقدة ألسنة الخرس وسمعت آذان الصم»[١].

هكذا أعطى البوذيون لبوذا حالة تألُّه، وأنه من أم لم تنجب سواه، ووضعه كان بمنأى عن الناس تحت شجرة، وأن ولادته ترافقت معها حالات خارقة كأنها معجزات شُفي بفعلها بعض ذوي العاهات.

ويكملون القصة في إنجيل بوذا فيقولون: «ثمَّ التفتت الملكة إلى أختها ياراجاني، وقالت: إن الأم التي ولدت بوذا لن تلد ولداً آخر، وقريباً أترك هذا العالم مخلِّفة زوجي الملك وولدي سيدهارثا فكوني لولدي أماً»[٢].

---

(١) **إنجيل بوذا**، ترجمة عيسى سابا، بيروت، مكتبة صادر، سنة ١٩٥٣، ص١٧.

(٢) **إنجيل بوذا**، م.س، ص٢٠.

ومن جملة ما نسجه الخيال الهندي حول مولد غوتاماسيدهارثا أنه وُلد وقد تلقته أيدي البراهمة، وأنه قام لتوه ونطق. يقولون عن أمه، حين وضعته، الواقعة التالية: «ولما أرادت النهوض مدت يدها إلى غصن الشجرة فانحنى من تلقاء نفسه حتى قارب كفها. ولم تكد تنهض حتى كان تحتها طفل تلقته أيدي أربعة من البراهمة في شبكة نُسجت خيوطها من أسلاك الذهب، ووقف المولود فجأة وتقدم إلى الأمام سبع خطوات ثم صاح في صوت عذب: أنا سيِّد هذا العالم... وهذه الحياة هي آخر حياة لي»(١).

استقبل والد بوذا مولوده بالفرح والحفلات. وشب غوتاما في قصر والده ومن ثم زوَّجه. وبعد أن أنجب هو الآخر مولوداً، بدأت تتحرك فيه مشاعر القلق على المصير بالنسبة للإنسان، وكان قد آلمه وهو الذي يعيش عيشة ملوكية ما شاهده وراقبه من واقع الآلام التي تصيب الناس من الفقير الجائع إلى من ارتدى ثياباً رثة، إلى من غلبه المرض وأخذ منه كل مأخذ، إلى من أصبح في سن الشيخوخة وقد أحنت السنون ظهره، إلى من مات وخرج الناس في جنازته، كل هذه المناظر والوقائع جعلته ينفر من نظام حياته وقصر والده، ويذهب على وجهه هائماً في البراري مع رهبان الهندوسية.

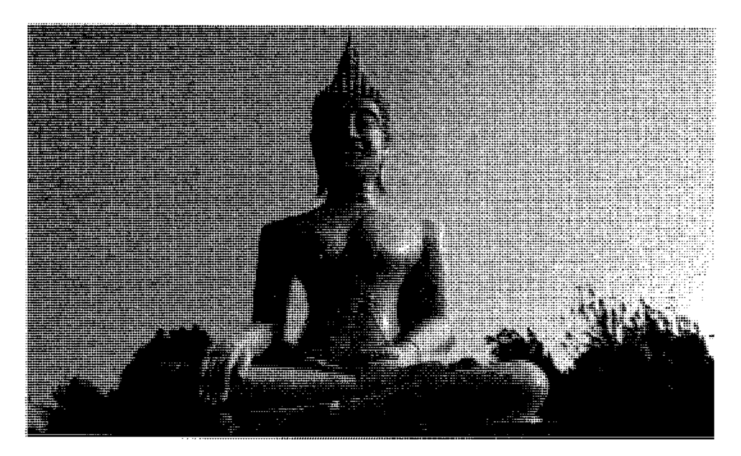
وقد عاش بعدها حياة قاسية بغرض إماتة بدنه، واكتفى من الطعام ببعض حبيبات لسد رمقه. وهو على هذا النمط أشرقت فكرة عليه هي: «إن تعذيب النفس ليس هو السبيل لما يريد وربما كان في ذلك اليوم أشد جوعاً منه في سائر الأيام، أو ربما ثارت في نفسه إذ ذاك ذكرى من ذكريات الجمال، ذلك أنه لم يلحظ تنويراً جديداً يأتيه من هذه الحياة القاسية بزهدها»(٢)، فكان قوله: «إنني بمثل هذه القسوة لا أراني أبلغ العلم والبصيرة الساميتين على مستوى البشر، وهما العلم والمعرفة اللتان تتصفان بالرفعة الحقيقية»(٣).

بعد رحلة تعذيب النفس والبدن والزهد، وجد غوتاما أن يفعل غير ذلك، وأن يتوجه إلى حالة تأمل قد توصله إلى الحقيقة التي ينشدها، والنفس عنده

---

(١) مظهر، سليمان، **نيبال**، استطلاع لمجلة العربي (الكويت)، العدد ٣٢٦، السنة التاسعة والعشرون، ربيع الثاني ١٤٠٦هـ، كانون الثاني ١٩٨٦م، ص٥٨.

(٢) و(٣) ديورانت، ول، م.س، ج٣، م١، م.س، ص٧٠.



بوذا صب تمثال يضعه البوذيون في معابدهم

خالدة ولذلك لا بد من أن يبحث لها عن سبيل يخلصها من دورة الحياة في الأبدان.

وقد عرض أتباعه هذا الموضوع في كتاب «إنجيل بوذا» فجاء عندهم: «إن بوذا، ربنا، كان يتألم لمرضى الحياة، فوجد أن كل ما في العالم باطل، فشرع يبحث عن الخلاص في النفس التي لا تفنى ولا تضمحل بل تبقى إلى الأبد.

فيا من تطلبون الحياة الطويلة، اعلموا أن الخلود وراء الفناء»(١).

كيف وصل بوذا إلى الحقيقة المنشودة ليصبح بوذا ومعناها بالسنسكريتية الرجل المستنير أو المتنور، بعد أن كان غوتاماسيدهارثا الذي يحيا مع طبقة الكشاتر (الحكام)، وبعدها مع الزهاد من رهبان الهند.

نترك لسليمان مظهر، الذي أوفدته مجلة العربي في رحلة استطلاعية إلى «نيبال»، أن يخبرنا عن ذلك؛ يقول: «موقع آخر له قدسيته عند البوذيين انطلقنا إليه ونحن في طريق العودة. هنا غير بعيد من إقليم بيهار الهندي، وفي داخل منطقة باتان، وتحت شجرة لم يبق منها سوى رمز مكتوب على لافتة أمامه تحت شجرة «بو» المقدسة ـ شجرة الحكمة ـ بلغ الأمير غوتاما في مملكة الساكيا مرتبة البوذا... وأصبح المستنير.

---

(١) **إنجيل بوذا**، م.س، ص١١.

وعندما هجر الأمير قصر أبيه ليصبح راهباً متسولاً، وهو في سن التاسعة والعشرين، راح يتجول في الغابات والقرى باحثاً عن الحكمة وحقيقة الحياة.

وعندما بلغ منه الجهد، جلس تحت شجرة وهو يقول لنفسه: هنا سأجلس وأفكر في كل ما تعلمت، وفي كل ما رأيت في حياتي، ومن كل هذا سأكسب الحكمة. فليجف جلدي وتضمر عضلاتي ويهن العظم مني كما يشاء... ولكني سوف لا أبرح مكاني هذا قبل أن تنكشف لي الحقيقة وأحيط بأسرار الحياة.

واستمر غوتاما منقطعاً إلى حياة التأمل والتفكير والبحث عن الحقيقة. وفجأة تألَّق وجهه ابتهاجاً وهو يقول: أخيراً وجدت مفتاح الحكمة. إنه أول قانون للحياة... من الخير يجب أن يأتي الخير... ومن الشر يجب أن يأتي الشر. وتبيّن لغوتاما أنه أوشك على نهاية بحثه الطويل عن الحكمة وأنه الآن أصبح البوذا المستنير»[١].

لقد أعطى البوذيون لبوذا موقعاً فيه حال تأله، وأصبح بوذا هو الرسالة عندهم، وتقليده والأخذ بسلوكه ومنهجه هو المطلب. إن الخلود المنشود يتحقق بالاتحاد ببوذا من خلال «النيرڤانا».

إن التوجيه البوذي في «إنجيل بوذا» هو: «أيها الباحث عن الذات تعلَّم أن تميِّز بين الذات الخاطئة والذات الصالحة، فكل ذات أنانية هي ذاتٌ خاطئة تنحل وتتبدد، وكل من غمس ذاته بالحقيقة تكون له حياة النيرفانا، وكل من دخل النيرفانا يصل إلى الاندغام في بوذا، وينال بركة، ويصبح خالداً غير مائت.

...هلموا إلى بوذا الذي وجد الخلود في الفناء، هلموا إلى بوذا الخالد الذي لا يتبدد، إلى ذلك الذي لا يغيِّر وجودنا، هلموا إليه، إلى الحقيقة المنبثقة من نوره»[٢].

إن بوذا، حسب زعمهم، حلَّت فيه حقيقة علوية فبات فوق مستوى سائر الناس وتحول عندهم إلى ما يسمونه: تتفاتا؛ أي الإنسان الكامل.

هذا الإنسان الكامل «بوذا» مارس حضوراً بشرياً مؤقتاً حسب زعمهم، وأن

---

(١) مظهر، سليمان، م.س، ص٥٨. (٢) **إنجيل بوذا**، م.س، ص١٣.

حضوره يمثل الشريعة التي عليهم اتباعها، وليست عندهم شريعة منفصلة عن شخصية بوذا، كذلك من أراد النجاة والخلاص لن يتحقق له ذلك إلا إذا سار على الطريق المستقيم المؤدي إلى النيرفانا وهي الاتحاد ببوذا الخالد.

ولذلك نسبوا لخليفة بوذا «آنورودا» إنه قال لأتباع البوذية: «إن غوتاما شودهارانا كان الحقيقة المنظورة بيننا، إنه الواحد المقدس الكامل، وهو الواحد المبارك، وقد حلَّت فيه الحقيقة العليا وصارت إنساناً وأعلنها لنا.

إن تتفاتا (بوذا) علمنا أن الحقيقة كانت في البدء قبل أن يولد في هذا العالم وهي هي بعد أن صار إلى النيرفانا المباركة.

إن تتفاتا (بوذا) قال: أنا الواحد المبارك، أنا الحقيقة الممثلة والموجود الخالد الذي ظهر في العالم.

ولنحفظ جيِّداً أن ليست الشريعة هذه ولا تلك التي علمنا إياها في دهارما[١]، بل هي بوذا الحقيقة الخالدة التي ظهرت بيننا بمجد عظيم»[٢].

هذا هو مقام بوذا عندهم؛ فهو الخالد وهو المتألِّه، وهو الكامل، وهو الشريعة، والاتحاد به هو المطلب. هذه الفكرة البوذية ستشكل، فيما بعد، مصدراً لأفكار عند كثيرين تطرح الخلود من خلال الاتحاد بشخص فيه حالة تأله، رغم غرابة هكذا فكرة وعدم استنادها إلى منطق مقبول.

٣ ـ انتشار البوذية

إن الهندوسية التي تشكلت بفعل التراكم الثقافي والحضاري عموماً لبلاد الهند بقيت أسيرة في المجتمع الهندي والنيبال ولم تنتشر خارج هذا النطاق لأنها اتخذت الطابع القومي فأضحت ديناً خاصاً لشعب معين.

أما البوذية فحالها خلاف ذلك، لأن بوذا بالأساس لم ينطلق من تراث قومي بعينه، وإنما حفَّزته معاناة الإنسان عموماً، وفي حالات مختلفة، أن يضع نظاماً يؤمن خلاص الإنسان، وقد توصل إلى صياغة نظام أخلاقي فيه ضبط للبدن يتميز بالقسوة، وفيه امتناع عن استخدام القوة وإماتة للشهوة،

---

(١) دهارما: أصل الأشياء والأحياء ومصدر الدين.

(٢) **إنجيل بوذا**، م.س، ص٢٧١.

ورهبانية لم تشاكلها أية رهبانية أخرى في أية عقيدة، هذا النظام العام أهَّل البوذية للانتشار خارج بلد المنشأ، وهذا الأمر لم يتحقق للهندوسية.

لكن تجدر الإشارة هنا إلى أن انتشار البوذية يعود الفضل فيه لشخص عاش في مرحلة متأخرة على ظهور بوذا بحوالي قرنين ونصف هو آشوكا (Asoka).

تعود الحكاية إلى غزو الإسكندر المقدوني لبلاد الهند حيث سيطر على معظمها، وكان من آثار ذلك أن نهض الأمير الهندي شاندراغوتبا، سنة ٣٢١ قبل الميلاد، وجمع حوله قبائل عديدة وتمكن من إجلاء الإغريق عن بلاده، وبعده ابنه بندوسارا، وكان رجلاً ذا نزعة عقلية حاول استيراد فيلسوف إغريقي يشبع له فضوله ولم يوفق.

وكان الفيلسوف بعدها ابنه «أشوكا»، الذي تولى الحكم بعده عام ٢٧٣ق.م. ووجد أشوكا نفسه حاكماً لأمبراطورية واسعة، فحكمه شمل الهند ما عدا شطرها الجنوبي المسمى تامِل ومعها أفغانستان وبلوخستان.

سار أشوكا، بداية، على نهج جده وأبيه، فمارس العنف والتسلط ومواجهة الآخرين من خلال العمل العسكري إلى أن أصابه ما أصاب بوذا من اشمئزاز من الحرب والقوة، ووجد ضالته في البوذية، ومال إليها فاعتنقها وعمل على نشرها والدعوة لها حيث انتظم بين رهبانها، وكان له الفضل الأساسي في نشرها وتجديد شبابها حتى بات يطلق عليه المؤسس الثاني للبوذية، وقد استمرت مدة حكمه من ٢٧٣ق.م ومنهم من يقول من ٢٦٩ق.م حتى عام ٢٣٧ق.م.

كيف بدأت حكاية أشوكا مع البوذية؟ تنقل رواياتهم أن أشوكا كان يعتمد سجناً لمن يخالفونه سماه معاصروه: جحيم أشوكا، إلى أن كانت ذات مرة حيث أُدخل إلى هذا السجن «قديس بوذي بغير أن يكون هناك ما يبرر ذلك السجن، فقذفوا به في إناء كبير فيه ماء ساخن، فأبى الماء أن يغلي بما فيه، فأرسل السجان بالنبأ إلى أشوكا، وجاء أشوكا ورأى وأخذه العجب... ويقال إن أشوكا لما وصل إلى قصره، نال من نفسه انقلاب عجيب، وأمر من فوره أن يُهدم السجن وأن يخفف قانون العقوبات، وفي نفس الوقت جاء النبأ بأن جنوده قد ظفروا بانتصار باهر على قبيلة كالنجا الثائرة، وأنهم قد فتكوا بآلاف من الثائرين، وأسروا منهم عدداً كبيراً، فجعل أشوكا عندئذ يعاني

لذعات ضميره كلما طاف برأسه كل هذا العنف والتقتيل»[١].

في هذا المناخ، أحس أشوكا «باشمئزاز من هول الحروب وقسوتها، فتخلى عن الحرب، وكره النصر عن طريقها، وزهدت نفسه فيها تماماً، وتبنّى مذهب البوذية، ثم أعلن أن فتوحه منذ ذلك الحين ستكون في ميادين الدين. . . فقد قام في الهند بحركة عظيمة للخير والثراء؛ حفر الآبار، وزرع الأشجار، وأسس المستشفيات والحدائق العامة والبساتين. . . واتخذ العدة لتعليم النساء، وخصص هبات خيرية هائلة لهيئات التعليم البوذية، واتجه أشوكا إلى خارج الهند، فأرسل البعوث الدينية إلى كشمير وسيلان والأمبراطورية اليونانية وجبال هملايا. . . وهكذا انتقلت البوذية من مذهب ضمن المذاهب الهندية إلى دين عالمي»[٢].

وإذا كان الفضل يعود لـ «أشوكا» في تحويل البوذية إلى دين عالمي، فإن الحقيقة تفرض الإشارة إلى أن البوذية القديمة التي صاغها بوذية لم تعد موجودة، بل تحولت البوذية مع انتشارها ومع إبحارها في التاريخ من فلسفة أخلاقية إلى ديانة وضعية لها معابدها ومفهومها للألوهية ولها نظامها الطقسي.

ويمكن أن نصنف البوذية اليوم في نوعين هما:

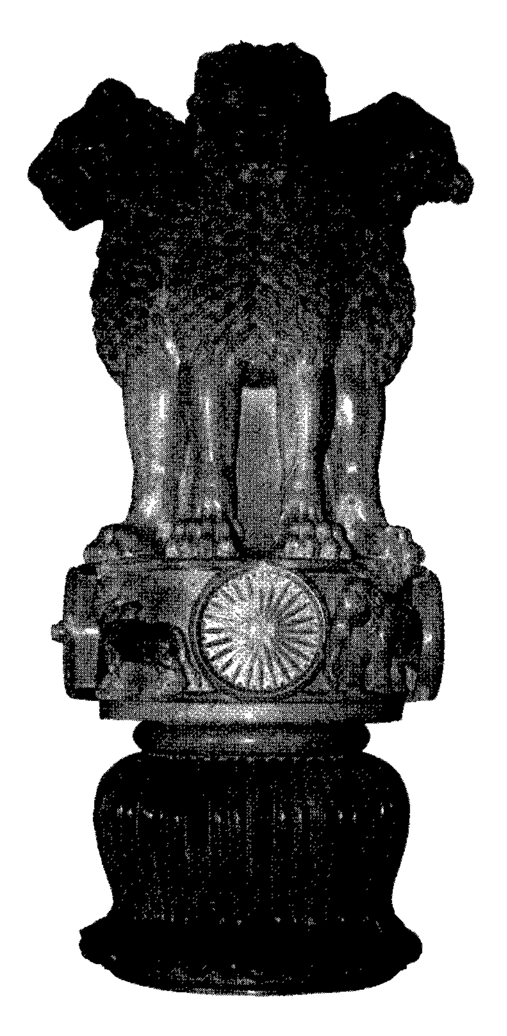
« **١ ـ هينايانا Hinaiana** أو العجلة الصغيرة. . . ويرتدي كهنتها ثوباً أصفر اللون ويحلقون رؤوسهم، وعليهم الالتزام بعدد من القواعد الكهنوتية شديدة التعقيد، مثلاً: لا يسمح لهم تناول أي طعام بعد منتصف النهار، ولا يسمح لهم بحمل أي نقود أو ملكية، وهي أصغر أشكال البوذية. وأتباعها يعتبرون أن بوذا ليس إلا مجرد رجل وضع بعض القواعد للسلوك، وهو ليس إلهاً يُعبد. ولا تزال توجد في سيريلانكا أشهر آثار بوذا وهي إحدى أسنانه.

٢ ـ ماهايانا Mahiana أو العجلة الكبيرة. . . وهي شكل منحرف للبوذية، وأتباعها يعتبرون بوذا إلهاً، ويعبدون الروح التي ألهمت بوذا، وهم يؤمنون بالملائكة والشياطين، وتؤمن بعض طوائفهم بوجود الجنة والجحيم، وأنه لا

---

(١) ديورانت، ول، م.س، ج٣، م١، ص١٠٢.

(٢) شلبي، د. أحمد، م.س، ص١٨٤، ١٨٥.



الأسد وتحته دولاب - الأسد رمز سيطرة بوذا على ذاته للخلاص من خلال قوانينه، والدولاب يدل على الكمال لهذه القوانين أو الشرائع والدولاب رمز النبالة عند الهنود وأصبح في علمهم

بد من مرور الروح بهما قبل أن تصل مرتبة النيرڤانا»[١].

وقد توزعت «المهايانا» التي انتشرت في الشمال مذاهب، منها مذهب «زن» في اليابان الذي يهتم بالتأمل والتركيز والتجربة الروحية، ومذهب اللامية في منغوليا ومناطق التيبت، وهو مذهب مفتوح للجميع ويركز على الفضائل كالرحمة والإحسان والصدق والاعتدال ويحذر من الخطايا.

هذا إضافة إلى أشكال متعددة من البوذية التي تأثرت بثقافات البلدان التي

(١) حميد، فوزي محمد، م.س، ص٢٠١.

انتشرت فيها. ففي الهند باتت هناك بوذية مطعمة بالهندوسية، وبعضهم أضاف تمثال بوذا إلى تماثيل آلهة الهندوس، وفي الصين بوذية متأثرة بالكنفوشيوسية، وفي اليابان بالشنتوية، وقد تسربت إلى بعض مذاهب البوذية مفاهيم من أتباع الرسالات السماوية كالمسيحية والإسلام، ولا يخلو الأمر من مفاهيم بوذية دخلت في مذاهب عند غير البوذيين.

والبوذيون اليوم يتجاوزون في العالم ٤٠٠ مليون نسمة وهم موجودون في الهند ونيبال والصين واليابان وأندونيسيا وماليزيا، ولكنهم يشكلون الأغلبية السكانية في الدول التالية: بورما ـ بوتان ـ تايلاند ـ تايوان ـ سري لانكا ـ سنغافورة ـ فيتنام ـ كمبوديا ـ كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية ـ لاوس ومنغوليا.

وإذا كانت الأمم قد شهدت وتشهد صراعات وحروباً فإن مناطق انتشار البوذية نعمت بقسط من عدم وجود العنف، أو أنها خففت من العنف والحروب، على الأقل. هذا ما يسجل كسمة بارزة للبوذية في مناطق انتشارها.

سجل هذه الظاهرة جون كولر John Koller قائلاً: «في القرون الخمسة والعشرين التي انقضت منذ بداية البوذية، انتشرت في أرجاء آسيا، بل وانتقلت إلى القارات الأخرى، وحظيت اليوم بأربعمائة مليون من المؤمنين بها. وخلال هذا الزمن الممتد لم تشن حروب ولم تسفك دماء في غمار نشر التعاليم. فالعنف مناقض لتعاليم البوذية ولممارستها، ويشيع بين البوذيين في كل مكان أن الغضب والعنف لا سبيل إلى تهدئتهما والتخلص منهما إلا بالطيبة والشفقة اللتين أبداهما غوتاما، وهو يجوب أرجاء الريف معلماً أسباب المعاناة وكيفية وقفها، قد تخللت البوذية بأسرها، وهي تشغل في المهايانا مرتبة محورية في الدين، في شكل مثال البوذيستفا الأعلى. ويعد شيئاً يسيراً بصورة نسبية القول: أحبوا أعداءكم، ولكن القيام بذلك أمر أشد صعوبة، في مواجهة غضب الأعداء وكراهيتهم وعنفهم. ورغم ذلك فإن السجل البوذي يعد رائعاً، على نحو ما يبدو من الغياب النسبي للحرب والثورة، والعنف في الثقافات التي تسودها البوذية.

وفي هذا القرن (العشرين) من المؤكد أن القتال الوحشي في جنوب شرقي

آسيا قد جلب الكثير من العنف إلى هذا الجزء من العالم، ولكن حتى في هذا المجال فإن النفوذ البوذي قد عمل على التخفيف من الكثير من العنف والمعاناة اللذين سببتهما الحرب. وينبغي أن نذكر أن معظم هذا القتال تسببت فيه قوى أجنبية»[١].

توقفت عند هذا الموضوع للإشارة بأن قوى الاستعمار العالمي القديم والمعاصر يبدو أنها استغلت ثقافة اللاعنف البوذية لتحقق سيطرتها على بلدان انتشار البوذية، ومن ناحية ثانية للتعرف على أن هذا النمط الثقافي البوذي كان له امتداداته في حركات برزت في أوساط كثيرة غير بوذية، ومن الحركات التي تسوِّق لفلسفة الاستسلام هذه باسم اللاعنف البهائية والقاديانية وشهود يهوه وسواها.

قبل أن نختم هذه الفقرة، من المفيد أن يذكر بأن البوذية التي لا تشكل أغلبية سكان «نيبال» موطن بوذا ومكان تحقيق تنورُّه، إلا أنها تقيم في نيبال أحد أهم معابدها في العالم وأقدمها زمنياً.

معبد «سوايامبونات» في نيبال يقول عنه سليمان مظهر في استطلاعه: «هو أحد أروع المنشآت في كل نيبال، وواحد من أقدم المعابد البوذية في العالم. على الدرجات الصاعدة الثلاثمائة التقينا بأحد الدارسين البوذيين، لمحناه يقرأ كتاباً بالإنجليزية، وأقنعناه أن يسمح لنا بمرافقته خلال جولتنا بين أنحاء المعبد.

ووقفنا أمام البرج الرباعي الغريب الذي لا تخطئه العين من أي مكان من وادي كاتمند (عاصمة نيبال). على كل جانب من الجوانب الأربعة للبرج التاريخي الذي ترتفع فوقه قمة هرمية، تطل نظرتان ثاقبتان من عينيه رسما بإتقان بحيث تتجه نظرات بوذا إلى قلب وادي كاتمند.

النظرات المشرفة على العالم من كل اتجاه تمتزج فيها الرحمة باتساع مدى الرؤية تحت حاجبين أسودين كثيفين، وبين العينين رسمت عين ثالثة غامضة تعبّر عن الحكمة الصادقة. أما الأنف الذي يبدو في شكل علامة استفهام ناقصة ـ وهي تشبه رقم (١) في اللغة النيبالية ـ فهو يعبر عن ترابط البلاد وأن

---

(١) كولر، جون، م.س، ص٣٢١.

الكل واحد... قال لنا الراهب البوذي»[١].

إن الإشارة إلى هذا المعبد تتعلق بالانتشار البوذي حيث أن وجود هذا المعبد الرئيسي في نيبال مع موقع شجر (بو) أو التينة المقدسة التي تحول تحت ظلالها غوتاماسيدهارتا إلى بوذا يفيد أن نيبال كانت وستبقى محط أنظار ورحلات البوذيين في العالم.

٤ ـ البوذية هل هي دين؟

يصعب على الدارس أن يصنف بوذية بوذا بين الديانات الوضعية، لأن بوذا بالأساس لم يناقش موضوع الألوهية والخلق، وعالم الغيب، وتصنيف بوذا بين الفلاسفة أسهل.

ولكن الأمر ليس بهذا التبسيط. فبوذا الذي نشأ في مجتمع الهند حيث الإيمان بتعدد الآلهة ورأسها «برهما» لم يتعرض لهذا الموضوع بوضوح، وإنما تعاطى معه بمرونة تدلل أنه لم يرفضه بشكل حاسم. إن بوذا الذي مارس الزهد والرهبانية-نراه «حيناً بعد حين يذكر برهما كأنه حقيقة واقعة أكثر منه مثلاً أعلى، ثمَّ هو لا يحرِّم عبادة الآلهة الشائعة بين الناس لكنه يسخر من ذكر إرسال الدعوات»[٢] إلى من هو خارج وجودنا. وفي ذلك يقول: «إنه لمن الحمق أن تظن أن سواك يستطيع أن يكون سبباً في سعادتك أو شقائك، لأن السعادة والشقاء دائماً نتيجة سلوكنا نحن وشهواتنا نحن؛ وهو يأبى أن يبني تشريعه الخلقي على عقوبات تفرضها قوة وراء الطبيعة، كائنة ما كانت تلك العقوبات، ولا يجعل جزءاً من عقيدته جنة ولا مطهراً ولا جحيماً»[٣].

إن بوذا يؤمن، ككل الهندوس، بالتقمص وانتقال الأرواح من بدن إلى آخر طلباً للخلاص الذي يتحقق بالنيرفانا التي تعني الإخماد أو الانطفاء تمهيداً لاتحاد الأنفس بالروح الكلية، وهي عند البوذيين الاتحاد ببوذا المخلص.

والبوذيون يزعمون «إن زعيمهم بوذا قبل أن يصبح الرجل المستنير تقمصت

(١) مظهر، سليمان، م.س، ص٥٩.
(٢) ديورانت، ول، م.س، ج٣، م١، ص٨٢.
(٣) المصدر السابق، ص٨٢.

روحه ٥٣٠ جسداً، منها ٤٢ حالة تقمص في أجساد آلهة، و٨٠ حالة في أجساد ملوك. . . ويعتقد البوذيون أن الموت الجسدي لا ينهي وجود الإنسان، فالميت يُبعث من جديد في شخص آخر أو في إله أو في حيوان»(١).

الألم كان المحرك للاهوت بوذا، فعنده الولادة مؤلمة، والمرض مؤلم، والشيخوخة مؤلمة، والحزن والخيبة، والبؤس والبكاء كلها أمور مؤلمة، وللخلاص من الألم كان على البوذي أن يمارس التخلي عن أناه بكل أبعادها وصولاً إلى الخلاص من خلال النيرفانا التي تحقق الاتحاد ببوذا.

نقل أرنولد توينبي هذه الفلسفة اللاهوتية بقوله: «كان على الراهب البوذي التيراڤادي أن يجاهد، بكل مقدرته، كي يتمَّ له الوصول الفردي إلى النيرڤانا؛ وذلك لأن الكاهن مع أنه يستوحي تعاليم بوذا وقدرته، لا يستطيع أن يطلب من بوذا نفسه العون الروحي، لأن بوذا نفسه، بعد أن وصل إلى حالة النيرفانا، لم يعد الوصول إليه ممكناً.

لقد ظلت النيرڤانا الهدف الأخير للراهب الماهاياني، لكن الهدف الأول لهذا الراهب كان أن يصبح بوذيساتفا (المستنير)، وكان يتطلع إلى الحصول على العون في محاولته بلوغ هذا الهدف، من مجمع البوذيساتفا القائمين، والذين يمكن أن يتقدم إليهم للحصول على هذا العون. فالبوذي الماهاياني كان يأمل في الوصول إلى هدفه المباشر، بمساعدة بوذيساتفا؛ وهذا لم يكن المقصود منه الوصول إلى النيرفانا، بل الوصول إلى الإقامة في السماء.

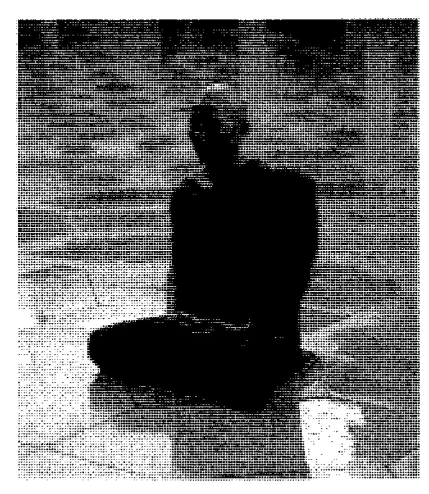
والبوذيساتفا هو عامل في التجربة الروحية التي وضع النيرفانا بوذا أسسها. لقد وصل عتبة النيرڤانا وأصبح باستطاعته الآن أن يدخل النيرفانا إذا اختار ذلك، إلا أنه قد اختار بدلاً عن ذلك (كما اختار بوذا نفسه)، وكان اختياره تطوعاً، أن يؤجل دخوله، وذلك كي يقدم المساعدة لزملائه المنتظرين. وإذا نظرنا إلى القضية في إطار الصور البدائية فالبوذيساتفا هو المخلص»(٢).

البوذي يؤمن بدورة النفس تناسخاً في الأبدان في مسعى للتطهر حتى تصل إلى حالة الاستنارة والصفاء، وبذلك تستحق التسامي والرحيل من دورتها في

---

(١) حميد، فوزي محمد، م.س، ص١٩٧.

(٢) توينبي، أرنولد، **تاريخ البشرية**، ج١، م.س، ص٣٦٧، ٣٦٨.





ممارسة التأمل للوصول إلى النيرڤانا عند البوذية

الأبدان لتتحقق لها النيرڤانا، وهي الاندماج الكامل والاتحاد بالمخلص بوذا. وهذه الفكرة البوذية تقارب المفهوم المسيحي الذي يقول بالاتحاد بالمسيح عليه السلام، كما أن هذه الفكرة تسربت إلى بعض الطرق الصوفية عند المسلمين، فقال هؤلاء بالاتحاد الذي زعموا فيه الاتحاد بين المريد والمراد، أي بين الصوفي والله، مما قاد بعضهم إلى شطحات أدت بهم إلى الكفر كالحلاج والبسطامي وسواهما.

وطريق النيرڤانا عندهم يمر بالزهد والتغلب على الأهواء والشهوات، ووفق «إنجيل بوذا»، تتحقق النيرڤانا لمن سلك الطريق التالي: «الزاهد هو الذي يتغلب على كل رغبة عالمية ولذة محتقراً وجوده، فيتقبل دهارما[١] سالكاً في هذا العالم حسناً.

إن من يتغلب على الشهوات ويتحرر من الكبرياء والعظمة، يذلُّ رغباته، ويلين جانبه، يشعر بغبطة نفسية فيسلك حسناً في هذا العالم.

إن المؤمن الحق هو الذي يعرف طريق النيرڤانا، فلا يحتد ولا يغضب، ولا يجدُّ، بل يكون طاهر القلب، صافي النيَّة، حسن السيرة، مبتعداً عن الشرِّ

(١) دهارما: الشريعة التي تنظم السلوك، والقانون الأخلاقي.

قولاً وفعلاً، هو الزاهد السالك في سبل العالم حسناً»[١].

إن هذا النظام الحياتي الذي يقود إلى النيرفانا يعد نظاماً يؤسس رهبانية قاسية تغالي في إماتة البدن والهوى، والنوازع كافة، وفي هذا تلتقي البوذية ثانية مع الرهبانية في المسيحية، ومع ما وفد إلى طرق صوفية كثيرة تعتمد هذا النظام.

هذا التطهر عماده فكر سليم، وعقل نيِّر، ويقوم انطلاقاً من الاختيار الذاتي، فالإنسان هو الذي يقرر بنفسه سلوك هذا الطريق مخالفاً بذلك طريق مارا (الشيطان).

يوجه «إنجيل بوذا» إلى هذا الطريق الذي يعطي العقل والإرادة موقعاً رئيساً في حياة الصالحين بما يلي:

«إن الخليقة بأسرها قد انبثقت من العقل وتخلَّقت بما اكتسبته من أخلاق ما حولها، والعقل الأصيل فيها هو الذي يكون على استعداد لقبول البركة أو اللعنة.

إن الشرير يصوغ أخلاقه، بها يتألم بعد أن يضعه «مارا» (الشيطان) في بؤرة الأوجاع والأحزان.

إن الإنسان هو نفسه يطهِّر ذاته أو يدنِّسها. فابذل ما بوسعك لتتطهر، وتتفاتا (بوذا) وحده يرشدك إلى الصراط الحق. والفكر الذي يلج سبيل الحق يتحرر من قيود مارا الشرير، فمن استيقظ ولبى نداء ضميره يخلص، وأما الذي يتوانى ويكسل فيسقط»[٢].

هكذا تتبلور الصورة أكثر فأكثر أمامنا بالنسبة للبوذية التي تبغي الخلاص للإنسان وأن يتحول إلى إنسان كامل لا سلطان عليه للشهوة ولا لمارا الشيطان أو لأي هوى، هذه هي اهتمامات البوذية، لذلك تتمحور وصايا البوذية باتجاه ما يحقق ذلك ولا تهتم بالعبادة أو بطقوس معينة، وربما تكون بذلك قد تركت الحرية لأتباعها ليُمارسوا الشعائر التي يرون فيها ما يحقق هذا التطهر وصولاً للخلاص من خلال الاتحاد بالمخلص بوذا.

---

(١) **إنجيل بوذا**، م.س، ص١٨٩، ١٩٠.

(٢) **إنجيل بوذا**، م.س، ص١٤٧.

فالبوذي إما أن يصمد في وجه الشهوة وفتنة مارا الشيطان ويتحقق له الخلاص بانطفاء الشهوة عنده ويكون في النيرفانا، وإما أن يغرق في الأهواء ويقع في قيود الشيطان (مارا).

لذلك ذمَّت البوذية الشهوات، ودعت لمقاومتها، فجاء في «إنجيل بوذا»، حول هذا الشأن: «إن الذين يعيشون لمسرَّاتهم، ويهتمون بما يأكلون ويشربون، قد قيَّدهم مارا بقيوده وجعلهم يتلاعب بهم تلاعب الريح بالشجرة الضعيفة التي لا تصمد فتسقط. إن الذين لا يهتمون بما للجسد من أكل وشرب، فهم كصخرة ثابتة في أصيل جبل لا تقوى الرياح على زعزعتها»[١].

فالبوذية، لما مضى كله، نسميها فلسفة لا ديناً له طقوسه وشعائره، فهي تركز على الزهد والتأمل العقلي وإخماد الشهوات وصولاً إلى الخلاص بالنيرفانا، لكن البوذية مع الزمن تأقلمت مع المناخات الدينية التي نشأت فيها، فبات للبوذيين معابدهم وفيها تماثيل لبوذا ويؤدون فيها بعض الطقوس.

ومن ذلك ما وصفه سليمان مظهر في معبد «سوايامبونات»، في كاتمند عاصمة النيبال، حيث قال: «وهناك طقوس يتبعها البوذيون كلما جاؤوا إلى المعبد، فالأب يأتي وقد أحاط رقبته بمنديل أحمر، ويخلع حذاءه ثم يركع على ركبتيه أمام الهيكل الرئيسي عدة مرات وتتبعه زوجته وأبناؤه الذين ارتدوا أزهى الملابس والمجوهرات، ثم يتجه الجميع ليضع الراهب على جباههم علامة التيكا الحمراء رغم أنها علامة هندوسية»[٢].

٥ ـ البوذية والمنهج الخلاصي وسبيل الفضيلة

إن بوذا الذي نادى بمنهج خلاصي ينقذ النفس من دوراتها في الأبدان في عملية التناسخ حدد منهجه هذا، وخطوات هذا المنهج الخلاصي غير بعيدة عن مجمل فلسفته التي حركتها الآلام ووجوه الشقاء والموت، وعن الغاية عنده في إنجاز إخماد الشهوات وصولاً إلى النيرفانا.

إن كل إنسان أراد الخلاص الذي يتحقق بالاتحاد ببوذا عليه أن يسلك طريق الاستنارة كبوذا نفسه، وهذا يكون منطلقه توليد حالة وعي وشفافية

---

(١) **إنجيل بوذا**، م.س، ص١٤٩.
(٢) مظهر، سليمان، م.س، ص٥٩.

بحقائق أربع تشكل القاعدة التي يرتكز إليها الإنسان ليتحقق الوصول إلى شخصية الإنسان الكامل الذي يظفر بالخلاص.

هذه الحقائق تساعد الإنسان الذي ينشد الفضيلة والنبل على إخماد الشهوات وإماتة الذات وتلاشي البدن. فما هي هذه الحقائق حسب البوذية، ومن خلال «إنجيل بوذا»؟:

«**فالحقيقة المثلى الأولى**: الولادة حزن، النمو شقاء، المرض آلام، والموت عذاب، وإنه لمن المضني المؤلم أن نجاور ما لا نحب ونرغب فيه، وإنه لمن الحزن العميق أن نفترق عمن نشغف به حباً، ونتحمل العذاب والقهر من أجله.

والحقيقة المثلى الثانية: الألم وسببه الشهوة التي تكتنف العالم، إحساساً واستجداء وعطشاً، وتتطلب الإرواء من الأشياء التي تتراءى للذات، وهذه كلها تقود إلى اللذة المرغوب فيها وهي سبب الأوجاع.

والحقيقة المثلى الثالثة: الإحساس بالحزن، ومن يقهر شهواته ويتغلب عليها يُعدُّ عظيماً، لأنه يتحرر من القيود فلا يأخذه طمع أو بريق لذة.

والحقيقة المثلى الرابعة: هي الممر الثامن إلى الإحساس بالحزن، وللذات التي تسعى وراء الحقيقة المجردة خلاص إذا سلكت سبيل الصلاح ورفضت كل لذة عالمية، **فالحكيم الحكيم هو ذلك الذي يسلك الطريق المعبدة بإخلاص فيتفلَّت من كل حزن وألم**»[(١)].

هذه الحقائق الأربع هي القاعدة كما سبق القول ولا بد من استكمال المنهج الخلاصي من خلال السبل التي تؤدي إلى هذا الخلاص، وبوذا يحددها بثمانية، وبعض الدارسين قال عنها: الطريق ذات الشعب الثمانية التي تشكل مجتمعة أسس الطريق المكمل للمنهج الخلاصي.

وإذا كان قد ورد ذكرها عند الحديث عن الحقيقة المثلى الرابعة، وأنها الممر الثامن، أو ترتبط مع هذا الممر، فما هي الممرات حسب «إنجيل بوذا»؟

---

(١) **إنجيل بوذا**، م.س، ص٤٨، ٤٩.

«والممرات الثمانية هي:

١ ـ صحة الفهم واستقامته.

٢ ـ النتيجة التي تعقب الطمأنينة.

٣ ـ الكلام الحق.

٤ ـ الأعمال الصالحة.

٥ ـ الطريق السوي لكسب العيش.

٦ ـ الجهد الحسن في الخير.

٧ ـ الأفكار الصالحة.

٨ ـ سلامة العقل والضمير.

هذا هو الصلاح، هذه هي الحقيقة، هذا هو الدين»[١].

إن هذا التعقيب الذي ورد في «إنجيل بوذا» على الممرات الثمانية جاء ليؤكد أن البوذية ليست ديناً بالتعريف المعلوم عند الجميع وإنما فلسفة تركز اهتمامها على حياة الإنسان، وكيف يمكن إسعاده. ومن أراد الدين أو الحقيقة أو الصلاح حسب هذا النص، فعلية اتباع هذه الضوابط الممرات الثمانية، وكلها تدور حول الإنسان المفكر العاقل ونيته وقوله ومعاشه وطاقته وأنشطته، ويلاحظ أن هذه الممرات لم تقرب باتجاه البدن، وما ذاك إلا لأن البدن في فلسفة البوذية لا مكان له ولا أهمية، وإماتة البدن وإخماد شهواته هي أحد أهداف البوذية.

وجون كولر، الذي أورد تسميات مختلفة لهذه الشُّعَب الثمانية، عقب عليها بتوجيه ترى فيه البوذية سبيل تحقيق لما تنشده. يقول كولر: «ينبغي لألوان السلوك المختلفة في الحياة التي تعمل بهذه المبادئ الثمانية وتعبِّر عنها، أن تمضي بشكل متزامن على نحو أو آخر، حيث أن الهدف هو تحقيق حياة مستقيمة من أسمى طراز. والعلاقات بين التصرفات الحياتية والمبادئ التي تشكل هذه التصرفات يمكن إدراكها من خلال تأمل الحقائق الثلاث الخاصة

---

(١) **إنجيل بوذا**، م.س، ص٤٩.

بالسلوك الأخلاقي والانضباط الذهني والحكمة التي تشكل أساس المبادئ والتصرفات كافة»[١].

العقل والحكمة والسلوك الأخلاقي الفاضل من خلال الحقائق الأربع والممرات الثمانية يقودون الإنسان الذي ينشد الخلاص إلى هدفه.

٦ ـ وجوه من النظام الأخلاقي للبوذية

إذا كنا قد لمسنا تركيز البوذية على الأخلاق والنظام الأخلاقي والمسلك، فإنه يكون من المفيد أن نشير بأن هذه الفلسفة الأخلاقية قد وردت قواعد في «إنجيل بوذا» وفي كتاب «دارما» الذي أصدره المجلس الأعلى البوذي في أندونيسيا.

هذا النظام المسلكي يحتاج، أول ما يحتاج، إلى تطهير باطن الإنسان وذلك لسلامة النية. فالنية مفتاح الصلاح لأنها قاعدة القرار الذاتي للإنسان، والقرار الذاتي بالخلاص هو الدافع نحو إنجاز هذا الطريق.

تبدأ الحكاية مع رهبان البوذية أنفسهم الذين يرتدون الثياب ذات اللون الأصفر لتعبر عن إشراقة نفوسهم، فهؤلاء يحتاجون لطهارة الباطن أولاً، كما يشترط النص في دارما (الطريق إلى الدين البوذي).

«الذين يريدون ارتداء الثياب الصفراء عليهم أن يطهروا أبدانهم من الباطن وإلا فإنهم لا يستحقون ارتداء هذه الثياب»[٢].

والتشديد على النية والفكر لأن العمل هو الترجمة لما في الذات، لذلك فالنية السليمة والفكر السليم سبيلان للعمل الصالح، يقولون: «جميع الأموال هي نتيجة لتفكيرنا بصورته المعينة خيراً كان أو شراً، فنتائج الأعمال تتبع الباعث على العمل كعجلات العربة تتبع حوافر الحيوان الذي يشدها»[٣].

ولأن الفكر هو القائد، والسلوك الفاضل المبني على الزهد هو العاصم من

---

(١) كولر، جون، م.س، ص١٩٧.

(٢) **دارمابادا**، أورده على شكل ملحق الدكتور رؤوف شلبي، كتابه: الأديان القديمة في الشرق، م.س، ص١٥٠، ١٥١.

(٣) **دارمابادا**، أورده على شكل ملحق الدكتور رؤوف شلبي، كتابه: الأديان القديمة في الشرق، م.س، ص١٥٠، ١٥١.

الزلل، فإن البوذيين يثقون جيداً بالفكر والزهد اللذين يساعدان صاحبهما على الثبات في وجه سلطان الشهوات وفتن المادة وشيطان الأهواء.

في دارما: «وإذا كانت الرياح لا تستطيع أن تؤثر شيئاً في الجبل الأشم فإن الأحداث كذلك لن تؤثر في الشخص الذي أبعد عن فكره الهوى والشهوة ووجَّه طاقته لليقين والحياة الزاهدة»[١].

«وإذا كان المطر لا يمكنه التأثير في السقف المتين فإن النفس وشهواتها لا يمكن أن تؤثر في الفكر السليم»[٢].

الزهد والفكر السليم سلاحان يسعفان صاحبهما للتوصل إلى المنطق السليم، والتحرر من نير الشهوات، وذلك مقدمة إلى خلاص النفس من دورة التناسخ في الأبدان.

الفضيلة هي الغاية، وبذلك نجد بوذا مجدداً يفسح للأخلاق كي تحتل المساحة الكاملة في دعوته، لا بل اهتمامه كله ينصب على هذا الجانب. جاء في نصوص «دارما»: «الذين يفكرون بمنطق الفضيلة في كل غاياتهم ومقاصدهم يزدادون قوة على قوة في سلامة منطقهم فلا يتقيدون برباط دنيوي أو شهواني»[٣].

إلا أن ما يُسجَّل على بوذا أنه دعا إلى نمط سلوكي سلبي، فالفضيلة عنده لا تتحقق، والإنسان منخرط في شبكة علاقات اجتماعية، وإنما تكون من خلال الفرار من المجتمع، وهجر النمط المعيشي الذي يمارسه الآخرون، فطريق الزهد الذي يقود إلى الخلاص لا يتم إلا عندما تضيق البيوت وكل مواقع السكن بطالب الخلاص، وهذا الفرار يكون بقرار ذاتي يتخذه الشخص، لأن كل إنسان في هذه الحالة يكون متوحداً فيما يمارسه من نظام زهد وتقشف ورهبانية.

جاء في «دارمابادا»: «ليستعد الرجل الحكيم لترك كل طريق مظلم، وليدخل في كل صوب مضيء، وعندما يترك منزله ولا يجد له محلاً يبيت فيه يكون قد حبَّب لنفسه طريق الزهد والتقشف»[٤].

---

(١) **إنجيل بوذا**، م.س، ص١٥٠.

(٢) **إنجيل بوذا**، م.س، ص١٥١.

(٣) **دارمابادا**، م.س، ص١٦٦.

(٤) **دارمابادا**، م.س، ص١٦٥.

أين يسكن من يهجر بيته وأهله ويسلك طريق الزهد؟ الجواب عند بوذا: الغابات والبراري هي المكان الطبيعي الذي يستطيع فيه المرء أن يظفر بالسعادة، فهناك فقط يكون الإنسان قد هجر المطالب الدنيوية فعلاً.

يقول البوذيون: «الغابات هي المحل الذي يسعد الإنسان القديس الطاهر حيث لا يقابل إنساناً من البشر العاديين، لأنه قد تحرر من أهواء النفس، ولهذا فإنه يشعر بالسعادة والراحة والطمأنينة لأنه لا يشتغل بالبحث عن مادية تهواها نفسه»[١].

هذا المنهج السلبي في السلوك والمعاش يصعب، لا بل يستحيل أن يمارسه كل الناس لأنه مناقض لسنَّة الله في خلقه، فما الذي يكون يا ترى لو أن كل الناس نفذوا ما طلبه بوذا؟ أي مارسوا الفرار إلى أحضان الغابات ليعيشوا منفردين، ويقضون وهم في عزلة عن المجتمع.

المنهج البوذي هذا هو الذي أخرج البوذية عند انتشارها من أصولها بحيث أصبح هناك أكثر من بوذية، كل واحدة تنطبع بما هو سائد في موقع انتشارها بحيث لم يعد هناك اليوم بوذية بالشكل الذي طلبه بوذا حتى في بلد المنشأ، الهند ونيبال.

إن المتتبع لنصوص البوذية يجدها تقودك دائماً إلى فعالية النفس، ومصارعة الهوى، فمحاربة أهواء النفس أهم في شرع البوذية من محاربة الأعداء والتمكن منهم. وقد تسرب هذا المفهوم إلى بعض الصوفية عند المسلمين، فتجدهم قد قدَّموا مجاهدة النفس على الجهاد ضد الأعداء، فعاشوا حياة سليمة عمادها التوحد والعزلة والهروب من المواجهة. يقول البوذيون.

«إذا وجدنا شخصاً سجن ألفاً، ورجلاً آخر سجن هوى نفسه فإن الأخير هو أفضل الذين يسيطرون على الأمور... لئن يسيطر المرء على نفسه أفضل من أن يسيطر على أناس آخرين، وكل من يسيطر على نفسه هو الذي يستطيع أن يغسلها دائماً ويطهرها من الآثام»[٢].

لكن مع هذه المواقف السلبية التي لا يمكن إقرارها ـ كما سبق القول ـ

---

(١) **دارمابادا**، م.س، ص١٦٨.

(٢) **دارمابادا**، م.س، ص١٦٩.

تعرض بوذا للقيم الأخلاقية عموماً، وكان له توجيهات في هذا الباب تصب في خانة نشر الفضيلة والصلاح، وهذا أمر طبيعي من شخص محور اهتمامه الأخلاق.

من التوجيهات البوذية في ميدان الأخلاق هذا النص الذي يتضمن قواعد خلقية تلتقي فيها البوذية مع رسالات السماء. ورد عندهم:

«فليحاول الناس أن يسيطروا على الغضب بالصبر، فليحاول الناس التغلب على الشرور بالعمل الفاضل، فليحاول الناس التغلب على البخل بأسلوب الكرم، فليحاول الناس التصدي للكذب بالتحلي بالصدق»[١].

إن بوذا في حضِّه على هذه القيم عاد في موقع آخر كما ورد في «إنجيل بوذا» إلى المنهج السلبي في طرح فلسفته الأخلاقية، فنجده بدل أن يأمر بالخير والفضيلة اعتمد أسلوباً آخر ألا وهو أن ينهي عن الشر والفساد، وصنَّف الشرور بعشرة وأمر باعتزالها، ولست أدري هل هناك رابط ما مع الوصايا العشر المنسوبة لموسى عليه السلام في العهد القديم؟ فالاتصال بين الهنود وسكان المنطقة العربية قائم وموسى عليه السلام كان قبل بوذا بحوالي ألف سنة.

بشأن اعتزال الشرور العشرة، قال بوذا:

«إن جميع الأعمال السيِّئة تنتج عن شرور عشرة، والابتعاد عنها يأتي بالحسن الجيِّد.

يوجد ثلاثة شرور جسدية، وأربعة لسانية، وثلاثة فكرية. أما الشرور الجسدية فهي: القتل والسرقة والزنى.

وأما اللسانية فهي: الكذب والإساءة والوشاية والكلام الباطل.

وأما الفكرية فهي: الطمع والبغض والضلال.

وإنِّي موصيكم بالابتعاد عنها جملة:

لا تقتل بل احرص على الحياة.

لا تسرق، ولا تسلب بل دع المجتهد يلذُّ بثمار أتعابه.

---

(١) **دارمابادا**، م.س، ص١٨٩.

تنكَّب الدناءة ومِلْ إلى النقاوة.

لا تكذب بل كن صادقاً، وقل بإدراك وبدون جزع وبقلب محب.

لا تختلق شراً، ولا تشتهِ مقتنى قريبك بل غضَّ بصرك وكن مدافعاً مخلصاً عنه ضد الأعداء.

لا تحلف بل تكلم بوقارٍ واحتشام.

لا تبدد الوقت بالهذر، بل قل ما يجب أو فاصمت.

لا تطمع ولا تحسد بل إفرح لسعادة الآخرين.

نقِّ قلبك من كل شر ودنس، ولا يمِلْ قلبك إلى البغض بل أحب عدوك وعامل الخلق بمعروف وإحسان.

حرِّر عقلك من الكبرياء، واسلكْ سبيل الصدق، ولا سيما فيما تحتاج إليه، لئلا تسقط فريسة للريب والضلال، لأن الريب يجعلك مهملاً متوانياً ويقودك إلى الجهل فتضل عن الطريق المستقيمة الموصلة إلى حياة الخلود»[١].

لعل هذه الوصايا العشر التي أوصى بها بوذا في مواجهة الشرور العشرة الجسدية واللسانية والفكرية تحوي جماع فلسفته الأخلاقية، وتحوي قواعد ومبادئ للسلوك الإنساني تجعل بوذا بين المصلحين وفلاسفة الأخلاق دون خلاف على هذا التصنيف.

نختم هذا الفصل بموقف بوذا من المرأة. إن بوذا لم يختلف عن واقع مجتمع الهند في نظرته للمرأة، فمجتمع الهند مجتمع ذكوري يتعامل مع المرأة على أنها في موقع دوني، ويسلبها الكثير من حقوقها الإنسانية.

فبوذا الذي دعا إلى الرهبانية واعتزال المجتمع والعيش في الغابات يكون بذلك قد دعا إلى عدم الزواج وهجر الأسرة، وهذا ما مارسه هو شخصياً، وهذا السلوك بحد ذاته موقف سلبي من التكوين المجتمعي الذي يقوم على الاقتران بين الرجل والمرأة.

وبوذا كما أثر عنه «لم يكن يطمئن نفساً في حضرة النساء، وتردد كثيراً قبل

---

(١) **إنجيل بوذا**، م.س، ص١٤٢.

أن يسمح لهن بالانضمام إلى الطائفة البوذية، ولقد سأله تلميذه المقرب أناندا ذات يوم:

- كيف ينبغي لنا يا مولاي أن نسلك إزاء النساء؟

- كما لو لم تكن قد رأيتهن يا أناندا.

- لكن ماذا نصنع لو تحتمت علينا رؤيتهن؟

- لا تتحدث إليهن يا أناندا.

- لكن إذا ما تحدثن إلينا يا مولاي، فماذا نصنع؟

- كن منهن على حذر تام يا أناندا»[١].

هذا الموقف السلبي من المرأة يتعارض مع الإنسانية التي جعلها الله تعالى في خلقه، وهو موقف يندرج ضمن تراث الهنود ويلتقي فيه مع الهندوس، ومع النظرة الدونية للمرأة التي صاغها يهود في العهد القديم، وقد زعموا أن حواء مصدر الخطيئة.

خلاصات حول البوذية

بعد هذه الجولة مع مسيرة بوذا وفلسفته ومذهبه، يمكن أن نسجل الاستنتاجات التالية:

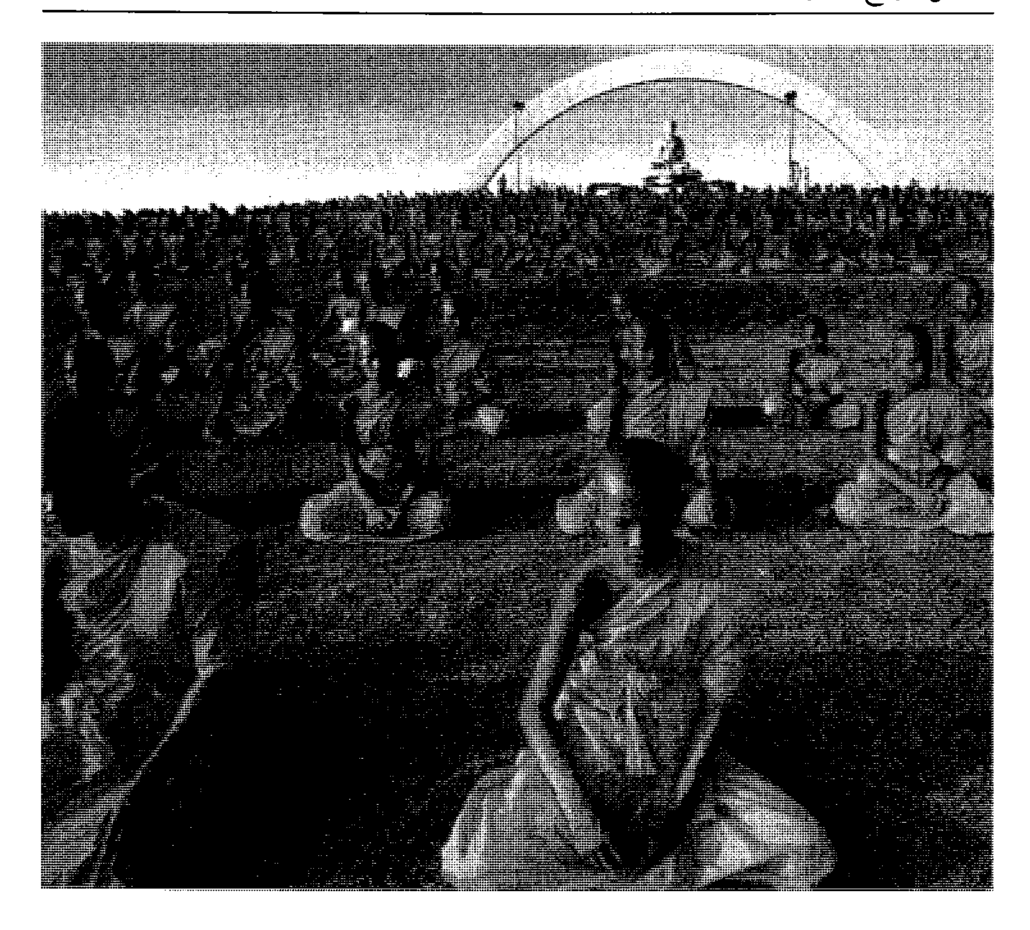
١ - بوذا لم يهتم بالجانب العقدي أو العبادي دينياً، ولم يطلب من أتباعه أية طقوس أو شعائر، ولا أسَّس في حياته لمعابد، لكن الأمر اختلف بعد بوذا، فالبوذية اليوم لها معابدها وعباداتها وشعائرها.

٢ - خلَّف بوذا فلسفةً أخلاقيةً ثار من خلالها على الكثير من مفاهيم الهندوس خاصة نظام الطبقات. فبوذا آمن كالهندوس بالتناسخ، لكنه رفض نظام الطبقات الأربع الهندوسي الذي يميِّز بين الناس بالولادة، وفيه احتقار للمنبوذين الشودر.

٣ - الزهد والتقشف والعزلة عماد السلوك البوذي، وهجر المطالب الدنيوية مع مغالبة الأهواء مطلوبة عند بوذا كي يصل الإنسان إلى إخماد الشهوات

---

(١) ديورانت، ول، م.س، ج٣، م١، ص٧٧.



وإطفائها تحقيقاً للنيرڤانا، وهي عندهم حالة خلاصية تحصل بالاتحاد ببوذا المخلص.

٤ ـ طرح بوذا شروراً عشرة وبمواجهتها أوامر أو وصايا عشر، وكأنه قد تأثر بالمنسوب إلى موسى عليه السلام في العهد القديم، ولكن نظامه الأخلاقي قد عابه أمران:

أ ـ السلبية والفرار من النظام الاجتماعي إلى الغابات.

ب ـ الموقف السلبي من المرأة والنظرة الدونية لها.



الفصل الخامس

السيخية

١ ـ النشأة والمؤسس

المسرح الأصلي لنشأة السيخية هو شمالي الهند في البنجاب، والنشأة لم تكن منفصلة، ولا مغايرة لمفاهيم كثيرة تنتشر في بلد النشأة. والدارس للسيخية من كل الجوانب يلمس ذلك حيث سيعثر على مؤثرات هندوسية كثيرة، وكذلك على مؤثرات إسلامية ومن بعض الصوفيين خاصة.

نشأ المؤسس الأول للسيخية في هذا المناخ. فهو هندوسي، هندي المولد والنشأة، عاش في مناخ إسلامي، والمؤسس الأول هو ناناك Nanak، المولود سنة ١٤٦٩م.

إلا أن السيخية مسبوقة بحركات إصلاحية وسط الهندوس بتأثير ظلال عقيدة التوحيد التي حملها الإسلام إلى بلاد الهند، ولعل أبرز المصلحين السابقين على ناناك هو كبير Kabir (١٤٤٠م ـ ١٥١٨)، الذي تأثر بالتراث الهندوسي وبالقرآن الكريم وببعض الطرق الصوفية. ومن المفيد أن نذكر هنا أن ناناك نفسه لم يكن سوى ابن المناخ الديني نفسه أي الهندوسي والإسلامي عامة والصوفي خاصة، وهذا يجعلنا نطل على مسألة ثابتة هي أن الإسلام دخل بلاد الهند من خلال الطرق الصوفية بشكل خاص. ولعل ما حدا بكل من كبير Kabir وبعده ناناك إلى طرح حركتيهما الإصلاحيتين ذلك التعصب الذي وجداه في مجتمعيهما، ولهذا نجد ناناك قد أسس السيخية على أساس أنه لم يلمس ثمة فارق بين الله اسم الجلالة عند المسلمين وفيشنو Vishnu الإله الحافظ عند الهندوس.

«وعنده الإله واحد، هو ذلك الذي ينير الروح، هذا الإله الذي يحيط علمه بالملايين وليس له أعين، وهو الخالق لملايين الأشكال والأجسام وهو ليس

متجسماً، وهو الغالب لكل ساحر ومشعوذ، وما من قلب منير إلا والنور الذي حل فيه من مصدر واحد هو هذا الإله، فهذا الإله مفارق للمخلوقات كافة»[١]. وما هذا المفهوم إلا ما نصت عليه الآية الكريمة التي جاء فيها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١].

هذا التنزيه لله تعالى عن التجسيم وعن الشبيه والمثل، وهذا المفهوم للتغاير بين الخالق والمخلوقات الذي طرحته السيخية يتوافق تماماً مع المفهوم الديني السليم، لذلك طرح مؤرخو الأديان بأن ناناك نشأ وترعرع، وهو الهندوسي، وقد تأثر بمؤثرات إسلامية، ومن هذه الإزدواجية نبتت ديانة السيخ مع الغورو Gourou ناناك أو المعلم ناناك.

٢ ـ المعلم ناناك (١٤٦٩م ـ ١٥٣٩م) (Gourou Nanak)[٢]

يعد ناناك المؤسس الأول والحقيقي للسيخية في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد، والحديث عنه تعج به الأدبيات المنتشرة في منطقة البنجاب، وكلها من منطلق ديني سيخي تتولى جانب عرض زهده وما ينسب إليه من أقوال وأفعال.

إلا أن وقائع حياته العملية غير مدونة لأنها ليست محط اهتمام أتباعه.

ولد ناناك في البنجاب من عائلة هندوسية وضيعة الشأن ضمن التصنيف الهندوسي للطبقات الاجتماعية، وطبقتة كانت دون طبقة كشاتريا طبقة العسكر. وكانت ولادته في نيسان (أبريل) عام ١٤٦٩ في قرية تلفاندي Talvandi التي تبعد ٤٠ ميلاً جنوب غربي لاهور وتعرف حالياً باسم ننكانا ـ

---

(١) Clarke, Peter B. et autres auteurs, Le Grand livre des religions du monde, Paris, éditions Solar, l'année 1995, p.173.

(٢) المعلومات عن ناناك اعتمدنا فيها المصادر التالية:

ـ بارندر، جفري، **المعتقات الدينية لدى الشعوب**، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة د. عبد الغفار مكاوي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ذو القعدة ١٤١٣هـ أيار (مايو) ١٩٩٣م، ص٢٠٠ وما بعدها.

- Delahoutre, Michel, les Sikhs, Paris, Éditions Breplos, l'année 1988, p.13, 14.

- The New Encyclopædia Britannica, Volume 27, Micropædia, Knowledge in Depth, 15 édition, p.281.

صاحب. وتجدر الإشارة إلى أن السيخ يحتلفون بميلاد ناناك في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) وليس السبب واضحاً.

ولما شبَّ ناناك عمل في خدمة حاكم سلطانبور Sultanpur، وعمله كان في المحاسبة مما أكسبة خبرة في الحياة العملية، وكان قد حصَّل ثقافة أولية حول الهندوسية والإسلام، وتعرف في سلطانبور، أثناء عمله، على عامل مسلم يدعى ماردانا (Mardana)، وكان ماردانا هذا عازف ربابة، وبرفقته بدأ ناناك بنظم بعض الأناشيد التي كان ينشدها على ألحان ربابة ماردانا، ومعاً أسسا فرقة للإنشاد الديني، والإنشاد أمر معتمد عند معظم المتدينين، وكذلك تعاون ناناك وماردانا في إقامة مطعم صغير شعبي كان يقصده مسلمون وهندوس من مختلف الفئات، كل ذلك وفَّر للمعلم ناناك أوسع اتصال مع الناس.

مع حوالي سنة ١٥٠٠م، كان الغورو ناناك قد بلغ الثلاثين من العمر، فاختفى عن الأنظار بعض الأيام ليظهر مدَّعياً أنه مكلف بدعوة من الإله. «لقد زعم، وهو مقتنع بذلك بأنه، وبناءً لنداء إلهي علوي، بات الرسول المبعوث للمسلمين والهندوس ولكل الطبقات الاجتماعية وكذلك للفضلاء من الناس والصالحين. ودعوته لها ثلاث قواعد هي:

١ ـ الكدُّ والعناء، وسلوك طريق التقشف وشظف العيش.

٢ ـ ممارسة الإحسان والبر للآخرين.

٣ ـ التأمل الذي تصدر عنه مدائح مؤلفه من قبل الغورو، وأهمية التأمل لأنه يوفر للإنسان غذاءً روحياً مما يمكنه من رؤية الله في وجوه كل أبناء الإنسانية»[١].

عند هذه المحطة بدأ ناناك ترحاله البعيد المدى نسبياً، ومن رحلاته ما كانت إلى مكة وبغداد والتيبت ومختلف أرجاء الهند وشرقي آسيا. ويعتقد السيخ أن معلمهم ناناك قد اكتسب من مشارب كثيرة، ولم يكن في نيته بالأصل أن يؤسس ديناً أو مذهباً خاصاً به، إلا أنه لبى نداءً إلهياً من جهة، ومن جهة ثانية فقد التف حوله عدد كبير من المريدين بايعوه رئيساً ومصلحاً وآمنوا بما جاءهم به، وبذلك، مع سنوات عمره الأخيرة، بات صاحب دين

---

(١) Clarke, Peter B., Ibid, p.174.

جديد بكل ما للكلمة من معنى، ويبدو أنه شهد الغزو المغولي لبلاد الهند بقيادة بابير مما دفعه لكي يوقف رحلاته، والمعلوم «أن شخصاً ما تبرع له بقطعة أرض تقع على ضفاف نهر رافي Ravi، فأقام عليها قريته المسماة كارتربور Kartur Pur. ومن الواضح أنه قضّى معظم سنوات حياته المتبقية في هذه القرية إلى أن مات هناك قرب نهاية العقد الرابع من القرن السادس عشر حوالي شهر سبتمبر ١٥٣٩»[١]. في هذه القرية أقام ناناك أول معبد للسيخ والقرية تقع اليوم في باكستان.

٣ ـ خلفاء الغورو ناناك

بعد الغورو ناناك تعاقب تسعة أشخاص على زعامة الجماعة السيخية، وكل واحد منهم حمل لقب غورو Gourou؛ أي المعلم. وكان أتباع الغورو ناناك في البداية يدعون: ناناك بانتيز (Nanak - panthis)؛ أي المتحدون مع ناناك، وبعد مدة أصبح الواحد منهم يعرف باسم السيخ وتعني الكلمة: المتعلم أو «المريد».

الخليفة الأول لناناك، والثاني على زعامة السيخ، الغورو أنجد Anjad (١٥٠٤م ـ ١٥٥٢م)، وقد اختاره لهذه المهمة ناناك نفسه قبل وفاته، وأنجد هذا لم يكن له أثر كبير في مجرى تطور السيخية.

بعده كان الغورو الثالث عمارداس Amar Das (١٤٧٩م ـ ١٥٧٤م)، وعمارداس بدأ بعملية بلورة للشخصية السيخية، فحدد لهم بعض الطقوس الخاصة في الزواج والموت وسائر وجوه الحياة، ونقل إقامته إلى مدينة جوندفال (Goind Wal)، ومن ذلك اعتماد ثلاثة أعياد مستفادة من الطقوس الهندوسية، واعتمدوا الاغتسال في طقوسهم في الأعياد، وركزوا على زيارة الأنهار على طريقة الهندوس، وعمارداس أحدث تطوراً آخر حيث انتقل بالسيخ إلى الريف لينشر دعوته بين الريفيين بدل أن كانت محصورة، في عهد المؤسس وخليفته أنجد، بين سكان المدينة.

وجاء دور الخليفة الرابع الغورو رام داس، وهو زوج ابنة عمارداس، Râm Das (١٥٣٤م ـ ١٥٨١م)، وهو أيضاً من طبقة الخاتري Khatri وهي في

(١) بارندر، جفري، م.س، ص٢٠١.

طبقات الهندوس أدنى من طبقة الكشاتر وهم العسكر. وقد ألف أناشيد أضيفت إلى التراث السيخي، وقد أدخلت خمسة منها في نصوص كتاب السيخ المقدس آدي غرانت Adi Granth، وما صاغه هو تأملات في الله تعالى الذي لا تدركه الأبصار ولا شكل له. والغورو عمارداس هو الذي أسس مدينة أمريستار Amristar وهي تبعد ٤٠ كيلومتراً عن جوندفال لجهة الشمال الغربي، وبعد هذا الإجراء باتت أمريستار مدينة السيخ المقدسة، وفيها أهم معابدهم على الإطلاق، معبد الذهب Le Temple d'Or، وإن كان بناء هذا المعبد قد تمَّ من قبل الغورو الخامس أرجان Arjun.

أما الغورو الخامس أرجان Arjun، فقد اختاره للمنصب والده رام داس، وأرجان (١٥٦٣م ـ ١٦٠٦م) استلم المسؤولية وهو لا يزال شاباً حيث كان أن خلف والده عام ١٥٨١م، ويعد بحق من مؤسسي السيخية الأساسيين، فلقد اختار مركزاً له هو أمريستار، وفي عهده وبإشرافه بنى السيخ معبدهم الرئيسي المسمى معبد الذهب والذي لا يزال، حتى يومنا هذا، الموقع الأكثر قداسة عند السيخ، كما أن أرجان هو الذي وضع نصوص كتابهم المقدس المعتمد كذلك حتى يومنا هذا، وهو آدي غرانت Adi - Granth أو غرانت صاحب Granth - Sahib، ويعد عهده محطة رئيسة في تاريخ السيخية، حيث تعزز وجودهم مما أغاظ المغول الذين كانوا يحكمون بلاد الهند، وقد قام الحاكم المغولي جهانكير باعتقال أرجان وأودعه السجن حيث قضى في السجن سنة ١٦٠٦م.

تولى بعده الغورو السادس، وهو ابنه، هارغوبند Hargobind (١٥٩٥م - ١٦٤٥م)، وفي عهده مال السيخ إلى ممارسة السلطة في مناطق انتشارهم بوجهيها السياسي والعسكري، وقد كان ذلك جديداً في مذهبهم، ولم يمنعهم ذلك من المحافظة على الأسس التي وضعها المعلم الأول ناناك.

وجاء دور الغورو السابع هارراي Har Rai (١٦٣٠م ـ ١٦٦١م) وقد تولى رئاسة السيخ وسمي معلمهم عام (١٦٤٤م).

وهار راي آثر المسالمة مع المغول والعودة عما سنَّه سلفه، وكان عهده مرحلة سلام بالنسبة للسيخ. وهار راي هو حفيد الغورو السادس هارغوبند،

أما الغورو الثامن هاركريشان Har Krishan (١٦٥٦م ـ ١٦٦٤م) فقد سماه

والده هار راي لمنصب الغورو، وكان له ذلك وهو طفل سنة (١٦٦١م)، ولكنه لم يعش طويلاً وأصيب بالجدري وكانت وفاته عام (١٦٦٤م)، أي عن عمر ثماني سنوات.

وأصبح الغورو التاسع تاج بهادور Tegh- Bahadur (١٦٢٢م ـ ١٦٧٦م)، وهو ابن هارغوبند الغورو السادس، وكان يميل إلى المسالمة وعدم اعتماد المواجهة والحرب. بعده آلت القيادة إلى الغورو العاشر ابنه غوبند سنغ Gobind-Singh (١٦٦٦م ـ ١٧٠٨م).

٤ ـ الغورو العاشر غوبند سنغ

غوبندسنغ كان الغورو العاشر والأخير، حسب مذهب السيخ، وبعده أصبح المعلم هو كتابهم المقدس آدي غرانت صاحب. وللغورو العاشر الذي استلم مهمته عام (١٧٧٦م) وهو ابن عشر سنوات أهمية خاصة ليس لأنه الأخير في ترتيب معلميهم، وإنما لأنه وضع إضافات نوعية في نظام السيخ حيث حولهم إلى مؤسسة عسكرية بكل ما للكلمة من معنى.

كان ذلك عام ١٦٩٩م، عندما اشتد التسلط المغولي على السيخ فما كان من غوبندسنغ إلا أن أعلن عن تأسيس الخلسا Khalsa، وإذا كانت الكلمة بلغتهم تعني الطاهر فإنها في مصطلح الغورو العاشر والسيخ عموماً باتت تعني «المخلصون للسيخية» الذين تعاهدوا على الدفاع عن أنفسهم وعن دينهم الجديد.

في الثالث عشر من نيسان ١٦٩٩م عمَّد غوبندراي (سنغ) خمسة من السيخ ونظمهم فيما سمي الخلسا وأعطاهم معه كنية جديدة هي سنغ Singh أي الأسد، وبات الاسم يطلق على الرجل من السيخ، أما المرأة فباتت تدعى عندهم كير Kaur أي اللبوءة. هذه الأخوية الجديدة للأنقياء (الخلسا) تلزمهم بنظام زهد وتقشف مع الامتناع عن شرب الخمر والتدخين وأكل لحم الخنزير.

وقد عرف عهد الغورو العاشر صراعات مع المغول قتل فيها عدد كبير من أتباعه بينهم أولاده الأربعة، وطرد من البنجاب، واغتيل في ناندد المعروفة اليوم باسم مهارشترا، في تشرين الأول ١٧٠٨م. وكان قد أعلن انتهاء تعاقب



بطاقة تعود للعام ١٩٨٩ عليها صورة الغورو العاشر غوبند سنغ كما يتخيله السيخ

المرشدين (الغورو) في السيخ بعده، وأضاف إلى كتابهم (آدي غرانت صاحب) أدبياته التي جمعها في كتاب سماه داسام غرانت (Dasam Granth).

وبفضل هذا المنحى الجديد، الذي اتخذه مسار الحياة السيخية القائم على العمل العسكري، استطاع قائد السيخ بعد (غوبندسنغ) بندابهادر وقد وجهوا ضربات موجعة للمغول واستطاعوا أن يؤسسوا مملكة ضمت معظم إقليم البنجاب، واستمرت ثماني سنوات، وبعدها تمكن منه المغول، واعتقل مع سبعمائة من أتباعه وتم إعدامهم في دلهي صيف ١٧١٦م.

٥ ـ أماكن انتشار السيخ اليوم(١)

تعد البنجاب والقسم الهندي منها خاصة الموطن الأساسي للسيخ، وهم

(١) يراجع بشأن هذه المعلومات

١ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط٢، سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، ص٢٨٦ وما بعدها.

٢ ـ Delahoutre, Michel, Ibid, p.23- 27.

٣ ـ The New Encyclopædia Britannica, volume 10, Micropædia, 15th édition, p.799, 800.

٤ ـ The New Encyclopædia Britannica, volume 27, Micropædia, 15th édition, p.282, 283.

يرون فيها رمز نشأتهم، وفيها معبدهم الذهبي وهو الرئيسي عندهم، ويقع على بحيرة في أوتيسار.

بعد ضعف المغول الذين كانوا يحاربون السيخ، تمكن السيخ من السيطرة على البنجاب، وقد تمكنوا من دخول مدينة لاهور في ٧ تموز (يوليو) من عام ١٧٩٩، وكانوا قد شكلوا قبل ذلك وحدة عسكرية تحت حكم رانجيت سنغ (١٧٨٠م ـ ١٨٣٩)، الذي أطلق عليه اسم مهراجا (Maharaja) (الحاكم العام) البنجاب، وذلك عام ١٨٠٠، وبعدها اعتمدت هذه التسمية لزعيم السيخ ما دام الغورو العاشر غوبندسنغ قد منع أن يكون بعده غورو آخر.

والإنكليز الذين كانوا قد استعمروا الهند أرادوا ترويض السيخ وإخضاعهم لسيطرتهم، وقد حصلت حروب متعددة بين الإنكليز المحتلين للهند والسيخ ما بين عامي (١٨٤٥ ـ ١٨٤٩)، وبعد هزيمة السيخ أصبح إقليم البنجاب ملحقاً بالهند التي يحتلها الإنكليز.

بعد هذا التاريخ تعامل الإنكليز إيجابياً مع السيخ واعتمدوا عليهم في جيشهم، ويفسر لنا ذلك انتشار السيخ في مناطق من العالم كانت قد خضعت للاحتلال البريطاني، وهذا ما ولَّد حالة سيخ الشتات الذين يقيمون ما وراء البحار، ولكنهم جميعاً يعدون البنجاب موطنهم الأصلي.

ومن بلاد انتشار السيخ خارج الهند، التي كانت تتبع الأمبراطورية البريطانية أو تتكلم الإنكليزية إضافة إلى بريطانيا نفسها، هناك أستراليا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية والدول الإسكندنافية وكينيا وأوغندا وتانزانيا وملاوي وزامبيا، إضافة إلى البلاد المجاورة للهند كباكستان وأفغانستان وماليزيا وبنغلادش وسواها[١].

وإذا كانت المعلومات متضاربة حول العدد الحقيقي للسيخ في العالم إلا أن المتفق عليه أن عددهم لا يقل عن ١٥ مليوناً، ولا يزيد عن ٢٠ مليون نسمة

---

(١) يراجع إضافة إلى المصادر السابقة:

1 - Le grand livre des religions du monde, Ibid, p.173 - 175.

2 - Encyclopédie des religions, tome 1, sous la direction de Frédéric Lender, et Ysé T. Masquelier, Paris, Bayord éditions l'année 1997.

يسكن حوالي ٨٠٪ منهم في البنجاب[١].

إن شهر العسل البريطاني ـ السيخي استمر قرابة سبعين عاماً حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. ففي هذه الحرب كان السيخ يشكلون ٢٠٪ من الجيش البريطاني ذي الأصول الهندية، لكن الحال تغيَّرت بعد هذا التاريخ حيث انضم السيخ إلى حركة المهاتما غاندي التحررية العاملة لإخراج الإنكليز من الهند.

عندما تمَّ تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين: الهند ـ باكستان عام ١٩٤٧ حيث أصبح القسم الغربي من البنجاب مقاطعة تابعة للباكستان، كان بعد ذلك صدام بين المسلمين والسيخ دفع حوالي المليونين ونصف المليون من السيخ أن يهجروا إلى الشطر الآخر من البنجاب التابع للهند حيث بات موطنهم الأكثر كثافة وحضوراً.

لقد تمركز السيخ إذن في البنجاب وتشمل حالياً «ولاية البنجاب **Punjub** وهارايانا **Harayana**، وحوالي ٤٪ يعيشون في المنطقة المتاخمة لشمال راجستان ودلهي»[٢].

والمنطقة التي يقيم فيها السيخ خصبة في الغالب مما وفَّر قوة اقتصاد زراعي بيدهم حتى أطلق على منطقتهم اسم «سلة الخبز الهندية».

والسيخ الذين تمتعوا بنفوذ معين تحت ظل الإنكليز لم يكن الأمر بالنسبة لهم كذلك تحت الحكم الهندي، لذلك بدأوا يسعون ولا يزالون من أجل حكم ذاتي وأن يكون لهم اتحاد فيدرالي مع حكومة الهند.

لكن السيخ مع كل ذلك يتمتعون بوضعية مميزة كأقلية دينية في مجتمع الهند، ويقول جفري بارندر: «لم ترجح كفة السيخ العددية في أي مكان من الهند فهم حتى في ولاية البنجاب يشكلون حوالي ٥٠٪ من السكان، وإن كان لهم تأثير كبير يزيد عن حجم تعدادهم لا داخل ولاية البنجاب وحدها، بل كذلك داخل ميادين واسعة من الحياة الهندية، وهذا التأثير يشمل القوات المسلحة، والنقل والمواصلات، والنشاط السياسي، والنشاط الرياضي. وتنعم

(١) بارندر، جفري، م.س، ص٢١٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٢١٢.

جماعة السيخ أيضاً بوضع اقتصادي ممتاز نسبياً، وهم يبلغون في التعليم درجة أعلى من المتوسط في كل أنحاء الهند»[1].

إن ما يتمتع به السيخ، مضافاً إليه مطالبتهم بإقامة حكم مستقل، يكون له اتحاد فيدرالي مع الهند، حرك الهندوس ليكيدوا للسيخ، وبدأت الاضطرابات بين الحكومة الهندية والسيخ في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات، وقد أسس السيخ حزباً هو «أكيل دال» قام بتحركات كان أبرزها عام ١٩٧٨، وهو الاجتماع الموسع في المعبد الذهبي بأمريتسار.

في ٢ حزيران (يونيو) سنة ١٩٨٤ أمرت أنديرا غاندي، رئيسة وزراء الهند يومها، بإخماد تمرد للسيخ وتمَّ تطويق المعبد الذهبي من قبل الجيش الهندي، وأسفر الحصار ومن ثم الهجوم عن مقتل القائد السيخي بندراويل Bhindrawal مع حوالي ١٥٠٠ من السيخ و٥٠٠ من الجيش الهندي المهاجم، فما كان من السيخ إلا أن خططوا لاغتيال أنديرا غاندي، وقد تمكنوا من ذلك في وقت ليس ببعيد، فكان اغتيالها من قبل رجلين من حراسها ينتمون إلى طائفة السيخ وذلك في ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٨٤ نفسه.

إن السيخ المتحفزين للاستقلال السياسي في البنجاب إذن لهم صراعاتهم الدامية مع الهندوس ومع المسلمين، وهم بمقدار تمسكهم بطقوسهم في البنجاب والهند، إلا أن الشتات السيخي عنده الاستعداد للتخلي عن بعض رموزه وطقوسه إذا استلزم الأمر، أو مسايرة للأوضاع، لكن هذا لا يعني أنهم غير حريصين على شعائرهم ويدل على ذلك أن السيخ يملكون في بريطانيا وحدها ٥٠ معبداً جوردوارا Gurdiwara.

٦ ـ عقيدة السيخ وكتبهم وطقوسهم

تجدر الإشارة مجدداً إلى أن السيخية مع مؤسسها الأول «ناناك» كانت نتاج مؤثرات هندوسية وإسلامية في الوقت نفسه.

وعقيدتهم تقوم على «إجلال وتقديس الإله غير المشخَّص لتجنب أية حالة وثنية، وهو في الأصل خالق العالم، وعملية الخلق هذه تستند إلى قدرة الإله

---

(١) بارندر، جفري، م.س، ص٢١٢.

الذي حوَّل العالم من اللاكيف إلى حالة لها كيفياتها»[١].

هذا التنزيه للإله لم يمنع ناناك من القول بأنه داعية لوحدة عقيدة كل الناس، ولذلك فاعتقاد المسلمين بوحدانية الله لا يختلف برأيه عن اعتقاد الهندوس بفشنو إله الخير.

وعملية الخلق لها مفهوم خاص عند السيخ يدمج بين مفاهيم متعددة ويخضع لمؤثرات متنوعة، وخلق العالم عندهم ضرورة لإظهار قدرة الله تعالى. وقد فسروا عملية الخلق على الوجه التالي: «مضى زمن لم يكن فيه سماء ولا أرض ولا نهار ولا ليل، ولا شمس. والخالق كان في حالة تأمل عميق ولم يكن من موجود سواه تعالى.

العالم جاء إلى الوجود بإرادة إلهية. عندما أمضى الله إرادته كان وجود أو ظهور العالم... لقد خلق الله العالم بأقسامه الجوهرية وعناصره الأساسية وعناصره الوسيطة والثانوية... والإله المطلق تجلى وأعلن عن نفسه وعن قدرته من خلال مخلوقاته»[٢].

المفاهيم السابقة الذكر حول الخلق وتجلِّي قدرة الله من خلال المخلوقات أقرب في جوهرها إلى الإسلام، وبعيدة إلى حد كبير عن الهندوسية التي تطرح ـ كما مر عند الحديث عن الموضوع عند الهندوسية ـ مفهوماً مختلفاً يربط إتمام الخلق ببراهما الأول في ثالوثهم المكون من براهما ـ فشنو ـ شيفا.

وإذا كانوا قد أعطوا الغورو مكانة خاصة، لكن ذلك لم يدفعهم إلى إعطائه صفة ألوهية، فتنزيه الخالق هو أساس عقيدتهم. ورد عندهم في كتابهم المقدس «آدي غرانت»:

«لا يوجد إلَّا إله واحد

وليس كمثله شيء

ويوجد الغورو وهو معلم الكل

الثواني والدقائق والساعات والأيام والفصول

---

(١) Encyclopédie des réligions, Ibid, p.993.

(٢) Delahoutre, Michel, Ibid, p.37.

كلها نتيجة من المصدر الوحيد نفسه
وهو المصدر نفسه الذي خلق الشمس
وكل ما هو مخلوق صادر عن الإله»[١].

هذا النص يؤكد ما ذهبنا إليه سابقاً عن عقيدة السيخ وأنها أقرب إلى الإسلام منه إلى الهندوسية، والسيخ ينصحون بعدم التركيز على العبادات والطقوس فكلها ـ حسب رأيهم ـ مظاهر، لا فائدة منها، والمطلوب الحقيقي هو أن يعيش حالة تؤهله كي يستحضر الإله في قلبه. ولعل حالة التأمل هذه والتركيز على العلاقة القلبية بالله تسعفنا في إثبات تأثر الغورو الأول ناناك بالصوفي الهندي المعاصر له «كبير». والمطلوب لاستحضار الله في القلب أن يردد الإنسان اسم الله مرات متتالية مع الاستسلام لإرادته حتى تحصل هذه الحالة.

والله الذي أضفى على العالم إشراقه وبهاءه وحوّله من عالم لا وجود له إلى عالم كائن له كيفياته يسعى الإنسان باتجاهه ليتحقق له الخلاص.

وإذا كان الإنسان عند السيخ يحتاج الغورو لتحقيق هذا الخلاص، والغورو عندهم معصوم.

وقد ورد نص في كتابهم «آدي غرانت» منسوباً للغورو الخامس أرجان بهذا الصدد، وفيه:

«كل البشر الذين نعرفهم خطاؤون
الغورو الحقيقي وحده لا يخطئ
إنه الزاهد الفعلي بكل جدارة».

إلا أن حالهم اليوم تختلف أو بالأحرى بعد الغورو غوبندسينغ، ومفهومهم اليوم يتلخص بما يلي: «الإنسان لا يمكنه الخلاص منفرداً، وهو بحاجة في ذلك إلى الغورو، والغورو اليوم هو كتابهم المقدس «آدي غرانت» المتوافر دوماً في معابدهم «غودوارا» ويقع في ١٤٣٠ صفحة تحوي أناشيد من مصادر سيخية وغير سيخية وبشكل خاص من مصادر صوفية إسلامية، وهو ليس كتاباً

---

(١) Delahoutre, Michel, Ibid, p.37.

دينياً تقليدياً وإنما مقتطفات على شكل أغانٍ وأناشيد تناسب موسيقياً طقوسهم»[١].

لقد شاع عند السيخ أدبيات متعددة منها مثلاً «جانام ـ سيخ» وهي قصص عن حياة المعلم الأول ناناك كتبت بعد وفاته بما يزيد عن خمسين عاماً، لكن علماء السيخية رفضوها واكتفوا بما ورد في الـ «آدي غرانت» عن حياة الغورو الأول ناناك، وكذلك الحال مع كل ما انتشر عندهم حيث أفردوا كتاباً واحداً أقرُّوا به في ديانتهم وهو ـ كما سبق القول ـ البديل عن الغورو. فبعد غوبندسينغ الغورو العاشر توقفت السلسلة ليكون الخلاص للسيخي بكتابهم «آدي غرانت» بدل الغورو.

وإذا كان عندهم كتاب هو داسم غرانت، وهو مجموعة نصوص منسوبة للغورو العاشر إلا أنه لا يتمتع بالقداسة التي يحتلها «آدي غرانت».

الكتاب الرئيسي المقدس آدي غرانت «ألّفه الغورو الخامس أرجون سنة ١٦٠٤م، وتوجد ثلاث نسخ من الـ «آدي غرانت» على الأقل، وهي تختلف عن بعضها في تفاصيل بسيطة، والنسخة المعتمدة عند السيخ حالياً هي تلك التي راجعها ونقحها الغورو غوبندسينغ سنة ١٧٠٤م.

يتألف الـ «آدي غرانت» من ٦٠٠٠ ترنيمة نظمها الغورو الخمسة الأوائل ناناك (٩٧٤) وأنجد (٦٢)، وأمرداس (٩٠٧)، ورام راس (٦٧٩)، وأرجون (٢٢١٨)، ولقد أضاف إليها غوبندسينغ ١١٥ ترنيمة منسوبة لأبيه تاج بهادور. إلى جانب هذا الترانيم يضم الـ «آدي غرانت» ترانيم قديس بهاكتي والمسلمين الصوفيين... وترانيم بعض الشعراء الذين ينتمون إلى حاشية الغورو»[٢].

والأمر المهم عند السيخ، بعد كتابهم آدي غرانت، هو ما يسمى بالكافات الخمسة، وهي خمس كلمات بالسنسكريتية يصعب نقلها إلى العربية على مبدأ الكافات الخمسة لأن اللفظ يختلف. وهذه الكافات تنسب إلى الغورو العاشر غوبندسينغ، وقد ترافقت مع نظام الخلسا Kalsa، وهو نظام الأخوة بين السيخ الذي يوحِّد جوانب التزامات السيخي الدينية والاجتماعية والعسكرية.

---

(١) Encyclopédie des réligions, Ibid, p.993.

(٢) The New Encyclopædia Britannica, volume 27, Micropædia, Ibid, p.283.



الاعتناء بتنظيف الشعر واللحية والرأس الممنوع حلقهما عند السيخ

الكافات الخمسة التي يصرون على الالتزام بها هي:

١ ـ **الكيسا Kesh**: وتعني الشعر الواجب أن يحافظ عليه السيخي الذي انتسب إلى الأخوة Kalsa. فعندهم أن شعر الرأس واللحية يجب أن يطلق ولا يقص منه شيء، وهذا الأمر من الأمور التي تميِّز السيخ، وحرمة قص الشعر بدأت عندهم قبل الغورو العاشر والخلسا، والإجراء معمول به عند بعض الهندوس خاصة فئة رهبان الهندوسية الذين يعيشون حياة زهد وتقشف.

٢ ـ **مشط Kanghã**: والمشط يحمله كل واحد من السيخ، وهو لزوم شعر رأسه ولحيته الطويل ليسرحه به ساعة الضرورة وساعة يشاء.

٣ ـ **الكاشا Kaccha**: سروال قصير لا يتجاوز الركبة، وهو أشبه بشورت عسكري.

٤ ـ **كارا Karra**: سوار من الفولاذ يضعه كل سيخي في معصم يده اليمنى، وهو عندهم أشبه ما يكون بتعويذة يظنون أنها تبعد الشر عنهم والأذى.

٥ ـ **كيربان Kirpãn**: خنجر من الفولاذ، أو مدية، يتمنطق بهذا الخنجر كل رجل من السيخ، ويبدو أن هذا الأمر يلازم شخصيتهم العسكرية القائمة على

فلسفة القوة التي أصَّلها الغورو العاشر غوبندسينغ.

وعندهم كل من لم يلتزم بهذه الكافات الخمسة ينعتونه بصفة باتت Patit أي المرتد، أما الذين لم يتطهروا قط من قبل حسب طقوسهم ويلتزموا بهذه الأمور فيعطونهم فرص الاقتراب من الالتزام بهذه الكافات الخمسة تدريجاً ويسمون الواحد منهم «المتكيف البطيء»[١].

السيخ بنوا معبدهم الرئيسي في أمريتسار (بركة الخلد) وهذه المدينة تأسست بدءاً من العام ١٥٦٦ بعد أن وهب أرضها السلطان المغولي للغورو رام داس، ومعبدهم فيها المسمى «المعبد الذهبي» هو مكان حج السيخ.

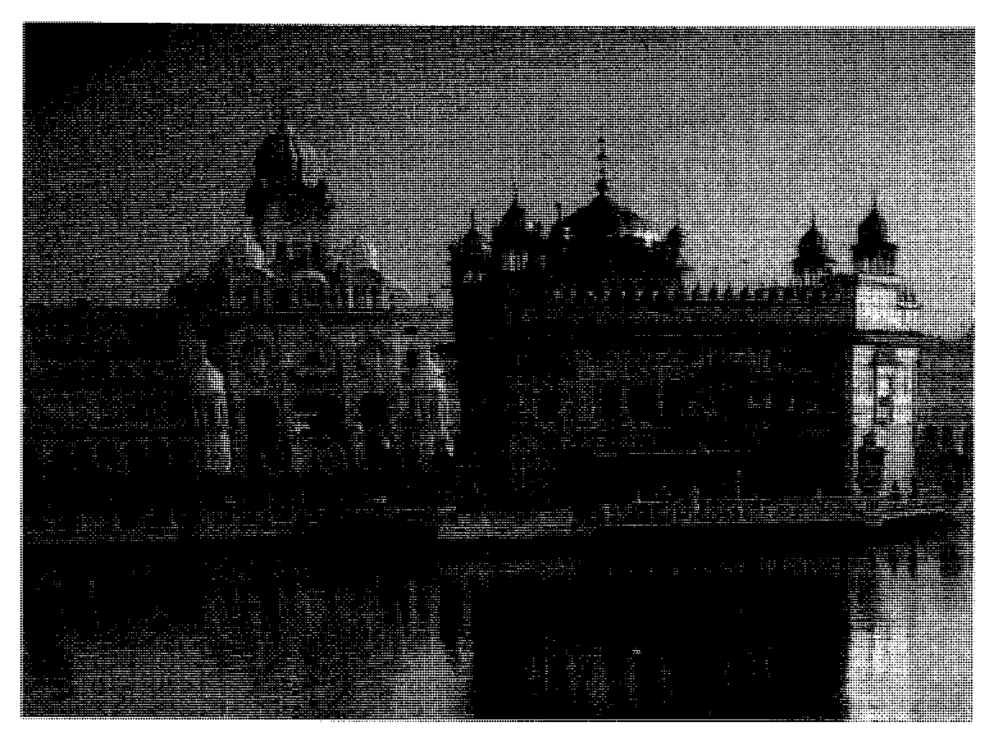
المعبد الذهبي (Harimandir) مع سائر معابدهم التي تسمى غوردوارا (Gurdwara) ومعناه البوابة إلى الغورو يمنعون فيها أية صور أو رسوم تشير للإله، فعقيدتهم عقيدة توحيد لله وتنزيه عن الشبيه وعن التجسيد. ومعابدهم تشبه المساجد في نظام بنائها إلا أن المساجد يكون اتجاه الصلاة فيها إلى مكة المكرمة، بينما معابد السيخ ليس لها اتجاه محدد، والسيخ يستحضرون العالم الخارجي في معابدهم حيث تراهم يزينونها بِـ «أوراق الأشجار والأزهار ورسوم العصافير والأشجار مع رسوم أخرى وصور أخرى وصور للغورو ولوحات تنطق بأهم المحطات في تاريخ السيخ، وترتفع فيها موسيقى تتميز بالقوة والرصانة»[٢].

معابدهم هي مكان أداء الصلوات العامة، ففي الغوردوارا يلتقي أتباع الخلسا «ونمط العبادة المتبع في الغوردوارا يعتمد أساساً على إنشاد فقرات نصوص المعلم جرانت صاحب، وعندما يدخل السيخي هذا البناء لأول مرة فإنه يتجه نحو الكتاب المقدس وهو الجورو جرانت صاحب، ويلمس الأرض بجبهته ويقدم قرباناً. وفي أوقات معينة يشترك جميع الحاضرين في تلاوة

---

(١) يراجع:
- حميد، فوزي، م.س، ص٢١٢ وما بعدها.
- بارندر، جفري، م.س، ص.٢٠٨ ٢٠٩.
- Delahoutre, Michel, Ibid, p.224, 225.
- The New Encyclopædia Britannica, volume 27, Micropædia, Ibid, p.283.

(٢) Delahoutre, Michel, Ibid, p.121.



المعبد الذهبي Harimader في أمريتسار
وهو المركز الرئيسي الديني للسيخ في العالم

الأرداس (Ardas) أي صلاة السيخ، وهي شكل معين من الابتهالات للنعمة الإلهية، وتذكُّر الآلام الماضية التي مرت بها الجماعة وكذلك أمجادها»[١].

هذه الطقوس التعبدية في الغوردوارا تحتاج لطقس يومي فيه إعطاء مكانة خاصة للغورو غرانت صاحب، وهي تشبه حالة تجسيد بشرية له، لأن هذا الكتاب «آدي غرانت» بعد الغورو العاشر بات هو الغورو الملهم وفيه التوجيه.

«وكتابهم الغورو غرانت صاحب يُرفع في كل صباح ويوضع تحت ستار من القماش، وبعدها يدخل السيخيون وينحنون أمامه ويقدمون القرابين طوال النهار، وفي المساء يعاد غرانت صاحب إلى موضعه. وفي الأعياد يحمل السيخ الغورو غرانت صاحب ويطوفون به في الشوارع. وتجدر الإشارة هنا إلى أن معظم طقوس السيخ تركز على كتابهم الأول آدي غرانت.

(١) بارندر، جفري، م.س، ص٢١٢.

وقد اشتهر عندهم طقس في المعابد هو أن يجتمع عدد من السيخ يقرأون ترانيم هذا الكتاب من الغلاف إلى الغلاف دون أي توقف، ومن طقوسهم أن تتم هذه القراءة خلال يومين بلياليهما. وطريقة ختم الكتاب عندهم تكون بأن يقرأ أحدهم وإذا تعب يليه سواه وهكذا حتى إتمام قراءة الكتاب»[١].

وتجدر الإشارة إلى أنه لا وجود لنظام كهنوتي عند السيخ وإنما الراشدون من الجنسين هم الذين يقومون بإحياء الطقوس الدينية والشعائر بما في ذلك أداء الترانيم والأناشيد في صلاتهم وسائر مناسباتهم.

والسيخ يمارسون مسألة التسبيح حيث يكررون اسم الإله مرات عديدة مع ترانيم الغورو غرانت صاحب، وذلك برأيهم يطهِّر من الخطايا، ويسعف الإنسان في التغلب على الشر.

وعندهم كذلك نوعان من الصلاة والطقوس تتم على الشكل التالي:

«**أولاً**: التلاوة اليومية لفقرات معينة من كتاب المعلم غرانت صاحب خصوصاً الجابجي Japji للمعلم ناناك الذي ينبغي تلاوته من الذاكرة بعد النهوض من النوم والاغتسال مباشرة.

ثانياً: الطقوس اليومية للأسرة رغم أنها ليست عامة على الإطلاق، فيتجمع كثير من الأسر كل صباح ومعهم نصوص المعلم جرانت صاحب ويقرأون فقرات يتم اختيارها عشوائياً»[٢].

أما بالنسبة للحج في الطقوس السيخية فهو - كما ذكرنا سابقاً - إلى أمريتسار حيث معبد الذهب (Harimandir)، ويأتي عندهم في المرتبة الثانية بعده «نانكانا»، مكان ولادة الغورو الأول مؤسس السيخية ناناك، وهو حالياً يقع في باكستان، وهناك مواقع في البنجاب أقل مكانة من الاثنين الأولين أبرزها: أناندبور - باتيلا - باتّنا - نانداد، وهذه المواقع كلها ترتبط بالغورو العاشر والأخير غوبندسينغ.

إن إقرار أمور طائفة السيخ تتم من خلال حالة شورى تتم في المعبد وبالتصويت، والنساء لا تشارك في هذا العمل.

---

(١) The New Encyclopædia Britannica, volume 27, Micropædia, Ibid, p.283.

(٢) بارندر، جفري، م.س، ص٢١١.

وهناك طقس جماعي يمارسونه في معابدهم هو المأدبة الجماعية التي يقيمونها في الأعياد والمناسبات الاحتفالية و«هذا الواجب التضامني الإنساني يتحقق من خلال وجبة طعام مشتركة تعد في المعبد حيث هناك مطبخ وغرفة طعام خاصة ملحقة بالغوردوارا، وهي بجوار القاعة المخصصة للغورو غرانت صاحب. يتم تحضير الطعام، وهو من الطحين والسكر والسمن المصفى المذاب، وله اسم هو كراه براسا Karah prassa. هذه الوجبة المشتركة العامة تحقق غرضين:

١ ـ تقديم الطعام المحضر لكل صاحب حاجة إليه.

٢ ـ إتاحة الفرصة أمام كل الحاضرين ليتناولوا طعاماً موحداً بحضور وبركة الغورو.

هذه المؤاكلة العامة تعني عند السيخ أن كل البشر سواء أمام الإله، وقد أرادوا هذه الطقوس لدحض القاعدة الهندوسية التي تقوم على أن الناس متفاوتون حسب طبقاتهم، ويراعى ذلك حتى في تناول وجبات الطعام»(١).

وإذا انتقلنا إلى الأسرة، وهي الحلقة المهمة في المجتمع، نجد أن الزواج عندهم زواج ديني بحت، ويتم في المعبد «الغوردوارا»، ومراسمه تتم أمام كتابهم «الغورو غرانت صاحب». والسيخ يحتفلون بالزواج وطريقتهم تقوم على «إحضار الخطيبين أمام الغورو غرانت صاحب ويرافق ذلك ترتيل أناشيد وترانيم مخصوصة، ويطلب من العروسين أن يقفا أثناء أداء الصلاة والموعظة ومراسم الزواج من قبل الشخص الذي يقود الاحتفال الزواجي، وبعدها يقوم العروسان اللذان يصليان بالانحناء أمام الغورو غرانت صاحب، وذلك إشارة إلى أنهما قررا أن يتزوجا. واللحظة الهامة في الاحتفال الزواجي تكون عندما يقوم العروسان بأربع دورات حول الغورو غرانت صاحب ترافقها ترانيم العرس وبذلك يختتم الاحتفال»(٢).

أما الولادة وإنجاب طفل فلها كذلك بعض المستلزمات، وأولها إنشاد بعض المقاطع من نصوصهم الدينية احتفالاً بالمولود الجديد، و«بعد أيام قليلة

---

(١) Delahoutre, Michel, Ibid, p.136.

(٢) Delahoutre, Michel, Ibid, p.138, 139.



عقد زواج يتم في المعبد الذهبي ـ أمريتسار

يحضرون الطفل إلى الغوردوارا ويفتح كتاب الـ «آدي غرانت» ويعطى المولود اسماً استناداً إلى أحرف الكتاب ويكون عادة الحرف الأول من الكلمة الأولى على الصفحة اليسرى»(١).

عندما يتفتح الوعي عند الطفل يبدأون بتعليمه بعض النصوص المقدسة من كتبهم، وعند البلوغ يعمِّدون أولادهم، ويكون ذلك باحتفال في الغوردوارا يسقون المعمَّد فيه شراباً يسمونه الرحيق الإلهي وبعدها يعلنون انضمامه إلى الأخوية المسماة الخلسا.

وبعد وفاة الإنسان هناك مراسم خاصة بالجنائز مأخوذة من الهندوس، «الجنائز عند السيخ تعالج بشكل بسيط جداً حيث يحملون الجثمان إلى مكان مخصوص لإحراق الموتى، وتحضر الجثة للحرق ويتم حرق الجثمان وسط تواشيح وأناشيد معينة ترتل بشكل متواصل، وتتلى صلاة ابتهالية، هذا مع اختلاف النظرة للجنازة حسب سن المتوفى.

فإذا كان المتوفى شاباً يحصل الكثير من النحيب والندب من قبل العائلة لأن حياة هذا الشاب قد انتهت في وقت مبكر. أما إذا كان المتوفى متقدماً

---

(١) The New Encyclopædia Britannica, volume 27, Micropædia, Ibid, p.283.

في السن فإن لوناً من الغبطة يسود لأنهم يتوقعون الخلاص وانعتاق النفس لهذا الشخص»[١].

بعد إحراق جثة الميت يتبع السيخ عادة الهندوس حيث يلقون رماد الجثمان في أحد الأنهار ويفضلون إلقاءها في نهر الغانج، وهو النهر المقدس عند الهندوس.

خاتمة

تأسيساً على ما تقدم نقول: إن طقوس السيخ وعباداتهم وسائر شعائرهم متنوعة المصادر، فمنها الإسلامي ومنها الهندوسي ومنها المسيحي كالتعميد، ومنها عادات وتقاليد اجتماعية موروثة أو وافدة، لكن على أي حال فإنهم يشكلون اليوم جماعة بشرية لها معتقدها ومفاهيمها وخصوصياتها، كما أنها تتصرف بشكل عدواني حيال المسلمين، وبدرجة أقل عدوانية حيال الهندوس من مواطنيهم، وهذا أمر يحتاج إلى دراسة متأنية لاستكشاف الثغرات التي يمكن النفاذ منها إلى هذا الاجتماع البشري الديني الذي يقارب عدده العشرين مليوناً، لأن استمرار التعاطي معه على أنه أقلية وعلى أنه منبوذ سيزيد الأمور سوءاً وتعقيداً، إذ لا بد من البحث الدقيق والمتأني فيما يعتمده السيخ، وفيه الإيجابي على قلّته، وفيه السلبي، وبذلك يكون التعاطي على أساس تكبير الإيجابي وتعطيل مفاعيل السلبي.

(١) Delahoutre, Michel, Ibid, p.139.

الفصل السادس

الشنتوية

اليابان

الحديث عن اليابان مهم لما تتمتع به من موقع متميِّز في الاقتصاد العالمي، ولما حلَّ بها في محطات تاريخية كان آخرها ذلك القصف النووي الأمريكي لمدينتي ناكازاكي وهيروشيما، يضاف إلى ذلك القصف الثقافي الذي بدأ بعد الحرب الثانية، وفي هذا النصف الثاني من القرن العشرين للميلاد حيث لم تعد اليابان في حال النقاء الثقافي الذي كانت تعيشه إلى حد كبير، على امتداد زمن طويل.

تتألف اليابان من ٣٩٠٠ جزيرة صغيرة، وأهم هذه الجزر: هونشو، هوكايدو، كيوشو، شيكوكو. مساحة اليابان ٣٦٩٦٦٢كلم٢، وعدد سكانها بات قرابة ١٢٨ مليون نسمة. أول حالات الانفتاح على الجوار والتفاعل معه بدأت في اليابان مع القرن الخامس للميلاد، وكان ذلك مع الكوريين، وبعدها خلت البوذية القادمة من الهند حوالي ٥٣٨م، ولم تحدث حالات انفتاح أكثر لأن عوامل الطبيعة، مع واقع المجتمع الياباني أسهمت في عزلة عرفتها بعض دول شرق آسيا كالصين، ولكن هذه العزلة لم تطل لزمن طويل نسبياً في غير اليابان مما أسس لشخصية حضارية لها انفرادها وتفرُّدها بما فيه من إيجابيات وسلبيات.

تمهيد

«الشنتو» ديانة اليابان الأكثر قدماً، وهي شكلت وتشكل القسط الرئيس من تراث اليابان، حتى أن معتقداتها اختلطت بالاسم والمفاهيم السائدة، والشمس التي تتخذ المقام الأول في معبودات «الشنتو» ترتبط باسم اليابان.

إن السكان الأوائل الذين هاجروا إلى اليابان من مناطق آسيا المجاورة لها كانوا يطلقون عليها اسم «نيبون» أي بلد الشمس. وقد انطلقوا بهذا من اعتقادهم أن الشمس إنما تشرق من خلف الجبال المنتشرة على الجزر اليابانية لتنير العالم كله. ولا تزال التسمية معتمدة حتى يومنا هذا، حيث يطلق اليابانيون على جزرهم حالياً اسم «نيبون تيكولا» أي بلد الشمس المشرقة.

أما الصينيون الأكثر اتصالاً مع جزر اليابان فإنهم كانوا يسمونها: «جيم بن كو»؛ أي البلاد التي تشرق منها الشمس. وماركوبولو كان يسميها: «زابانغو»؛ ثم اقتصرت التسمية على «زابان» وحوِّر الاسم فيما بعد إلى «جابان» وفي اللغات السلافية تقلب «الجيم» «ياء» وبذلك كان الاسم: «اليابان».

«الشنتو» دين اليابان القومي، وكل ما فيه، أساطير كان أم وقائع، مرتبط بتراث اليابان وتاريخها، ومعظم ما ينتشر في اليابان، من أنماط السلوك والعادات والطقوس - حتى عند غير الشنتويين - تسود فيه مفاهيم الشنتوية، لهذا باتت الشنتوية تعني الوطنية اليابانية.

عقيدة الشنتو

الكلمة صينية الأصل من مقطعين: Shen-toa. شين تعني روح أو إله، وتاو تعني طريق، والشنتو إذن معناها: طريق الإله. والدلالة نفسها أو المعنى نفسه في التعبير الياباني الأصل Kami-No-Michi «كامي - نو - ميتشي» وهو بالعربية كذلك طريق الإله أو الآلهة.

وعقيدة الشنتو، الدين القومي لليابان، لا تذهب باتجاه الآخرة، ولا باتجاه التفكير العقلاني المحدَّد، بل تقوم هذه العقيدة في الأغلب على الأساطير، «والعقيدة عندهم تربط معبوداتهم بتعدد آلهة على علاقة بكل مظاهر الطبيعة، حيث الكل مقدس من الكواكب إلى الأنهار إلى الأجداد والسلف إلى الأباطرة والكثير من المظاهر الطبيعية، وعلى هذا الأساس لا نجد الشنتو معتقداً خاصاً ما خلا الذهاب في كل ما يقدسونه ويجلّونه من مظاهر باتجاه «الكامي Kami»، فباسمه ومن خلاله تتم كل الأشياء»[1].

---

(١) Malherbe, Michel, **Les Religions de l'humanité I**, Paris, Critérion, l'année 1993, Page 333, 334.

تأسيساً على ما تقدم يمكن القول إن الشنتو تعني طريق «كامي»، لكن الإشكالية هي في مفهوم الـ«كامي» نفسه حيث اللبس والغموض. و«على الرغم من أن كلمة «كامي» كثيراً ما تترجم بإله أو آلهة، فإن من الأفضل، فيما يبدو، أن تظل بغير ترجمة لأنها تقال على الوحوش، والطيور، والنباتات، والبحار، والجبال، وظواهر الطبيعة... أو تنطبق على أسلاف العشيرة أو المحاربين. وبعد أن أقرَّ أحد فقهاء الشنتو في القرن الثامن عشر وهو موتوري نورينجا Motoori Noringga بعجزه عن فهم معنى هذه الكلمة راح يعرِّفها، بصورة عامة، بألفاظ مقدسة، فيقول: جميع الأشياء أيّاً كانت التي تستحق التبجيل، وتبعث على الرهبة لأنها فوق المألوف، وكذلك القوى الفائقة التي تملكها تسمى «كامي»...

...ومع ذلك فكلمة «كامي» موجودة في اللغة اليابانية وهي تعني: فوق أو أعلى، وسوف يكون من الحكمة أن نربط بين المقطع Ka الذي هو تعبير عن التعجب أو الحيرة التي يثيرها الشيء المخيف، أو ما لا يمكن الإحاطة به»[١].

إن معتقدات الشنتو يتضمنها كتابان يعود زمن صياغتهما بالشكل المتداول حالياً إلى النصف الأول من القرن الثامن الميلادي، والكتابان هما: Nihongi-Kojiki كوجيكي ـ نيهونجي.

وكوجيكي[٢]؛ أي سجلات الآثار القديمة، وقد كتب عام ٧١٢ للميلاد وكتب بالأصل بأحرف صينية تصوَّر بالألفاظ الصوتية للسكان.

أما نيهونجي؛ أي سجل الأحداث التاريخية لليابان، فقد كتب عام ٧٢٠ للميلاد. وإذا كان الأول يتضمن أساطير اليابانيين حول خلق العالم وانتشار المخلوقات وارتباطها والدور الأساس فيها للشمس فإن الثاني يعرض تاريخ

---

(١) بارندر، جفري، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة د. عبد الغفار مكاوي، الكويت، عالم المعرفة، العدد ١٧٣، ذو القعدة ١٤١٣هـ مايو/أيار ١٩٩٣م، ص٣٣٨، ٣٣٩.

(٢) وكتاب الـ«كوجيكي» نقله إلى العربية «محمد عطية» ونشرته دار الكنوز الأدبية في بيروت، وهذا الأمر سهَّل لنا الوقوف على الكثير من معتقدات الشنتو وستستفيد مادة الكتاب من هذه الترجمة.

اليابان منذ القدم حتى عام ٦٩٧م، وفيه سعي لإثبات عراقة اليابان، ومكانة الأسرة الامبراطورية، وهذا الكتابان يعدّان من أهم مصادر عقيدة وفكر ديانة الشنتو[١].

إن الشمس تعد المرتكز الأبرز والأهم في عقيدة الشنتو، وهي عندهم تتميز من خلال صنمها «بالحكمة والفضل والقلب الطيب الذي ينشر الأمن والنظام، وهو الذي ينظم أحوال المعيشة.

وهذه الشمس تسمى: «أماتيراسو ـ أومي ـ كامي Amaterasu-Omi-Kami». إنها تملك أخاً ذكراً الذي يسمى: «سوسا ـ نو ـ وو Swsa-No-Wo»، وفي يوم من الأيام قام «سوسا ـ نو ـ وو» بعمل فوضى وتشويش داخل مملكة أخيه الأكبر «أماتيراسو ـ أومي ـ كومي» إلى درجة أن صنمه المقدس فزع فهرب واختفى في غار أو كهف بالسماء ولهذا تظلم الدنيا ويكسوها الليل»[٢].

إن عقيدة الشنتو مزيج من مقدسة أو معبودات شتى تتدرج مما هو سماوي إلى ما هو أرضي إلى ما هو بشري، والـ«كامي» صاحب الفعل فيها كلها، ولا بدَّ مع ذلك من الإحسان لتسير شؤون الحياة والطبيعة بالشكل السليم.

يلخص هذا المفهوم العقدي سازو إيديميتسو فيقول: «لدينا نحن اليابانيين تعبير «أون أوشيرو On-O-Shiro»، وأون تطابق بصورة عامة الحس بالامتنان والالتزام، ولكنها توحي وتنطوي على أكثر من ذلك.

أون On. عُلِّم اليابانيون في الأزمنة الغابرة أن يؤمنوا بأنهم مدينون بحياتهم وسعادتهم ورفاهيتهم لـ (شي ـ أون Shi-On)؛ أي نِعم المحسنين الأربعة، وأن يقدروا واجباتهم حق التقدير.

والمحسنون الأربعة هم: السماء والأرض، والوالدان، والحاكم، والشوجو

---

(١) يراجع: بارندر، جفري، م.س، ص٣٣٣ وما بعدها.

ـ **الموسوعة العربية العالمية**، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة، م١٤، ط٢، سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، ص٢٧١.

(٢) رحمات بن داتو بحر الدين، د. حاج أورانج كاي، **التفكير الديني في العالم قبل الإسلام**، ترجمة وتعليق د. رؤوف شلبي، الدوحة (قطر)، دار الثقافة، بدون تاريخ، ص١٥٨.

«Shujo» (جميع الكائنات الحساسة التي تشمل الحيوانات، والطيور، والنبات. . . إلخ، والإنسان أيضاً). وبناءً على ذلك، يدرك اليابانيون تقليدياً فضل الطبيعة عليهم وواجبهم نحوها، ونحو جميع الظاهرات الطبيعية، والأشياء الطبيعية، والمجتمع وسائر إخوانهم البشر.

ولم يَسعْ أسلافنا إلا أن يعترفوا بجميل «التينو Tinno»، وأن يكونوا ممتنين له، للحماية، والعناية اللتين منحهم إياها، ولم يسعهم إلا أن يشعروا بالامتنان للبيئة السليمة التي وفَّرتها فضائل العائلة الامبراطورية. كانوا يعلمون أنهم مدينون بحياتهم ورفاهيتهم لِنعمة «التينو Tinno»، ونعمة المجتمع، ونعمة الأجداد، وليس نعمة المخلوقات المجانسة وحسب بل وجميع الكائنات الحساسة. ذلك هو الحسّ بالـ «أون On» وهو ملك لنا نحن على نحو مميَّز»[(١)].

العقيدة عندهم فيها: «كامي»، وهو روح أو قوة تسيطر على الأشياء والبشر، ولا حدود لعدد الـ «الكامي» في ديانة الشنتو، وفيها أون On رمز الإحسان والمحسنين، وفيها «تينُّو Tenno» وهي ترمز إلى العلاقة مع الأصنام القائمة للمعبودات أو الآلهة المتعددة وعلى فعل وإحسان الامبراطور.

إن «أماتيراسو»، أو صنم الشمس، هو أكبر هياكل العبادة عند الشنتو، ولكنهم يقيمون إلى جانبه آلاف الأصنام لآلاف الآلهة أو المعبودات كالبحر والجبال. . . إلخ.

ولكن «الروح الأهم هي الروح المتعلقة بالأمن الغذائي والزراعي، فصنم «إناري Inari» رمز لإله الأرز الذي جسدوه على شكل الذئب Serigala، وكما تقدست هذه الأصنام الكثيرة فإن الأبطال والشجعان قد عبدوهم وقدسوهم كذلك، إنهم ينادونهم باسم «كامي Kami»[(٢)].

نخلص إلى القول: إن «الشنتو» لم يذهبوا في معتقدهم إلى الإقرار بإله واحد هو الخالق الواحد للكون، وليس لعقيدة التوحيد مكان عند «الشنتو»[(٣)]،

---

(١) إيديميتسو، سازو، **كن يابانياً أصيلاً**، لا بلد نشر، ط١، سنة ١٩٧٣م، ص١٣٤.

(٢) رحمات بن داتو بحر الدين، د. حاج أورانج كاي، م.س، ص١٦٠.

(٣) يراجع: Clarke, Peter B., Le grand livre des religions du monde, Paris, Solar, L'année 1996, Page 197.

بل هم مؤمنون بتعددية الآلهة والمعبودات التي يقيمون لها المعابد (الهياكل) والأصنام أو التماثيل، وتتلازم عقيدتهم مع موقف أخلاقي حازم لجهة التقديس والطقوس، والطهارة الطقسية تكون بتمكن الإنسان من إقامة علاقة مع الـ «كامي»، وليس للآخرة مكان عند «الشنتو» بل هو دين أرضي التوجهات لا يهتم أتباعه بما بعد الموت، وعندهم مزارات وهياكل يقصدونها بالآلاف، والشعائر الشنتوية يؤديها ما لا يقل عن ٩٥ بالمئة من سكان اليابان، وإن اعتناق قسم كبير منهم للبوذية بمدارسها وتفرعاتها لم يمنعهم من أن يحافظوا على طقوسهم الشنتوية، ويعتمدوا المزاوجة بين الشنتوية والبوذية.

لكن لا بد من التأكيد أن الـ «كامي Kami» يشكل المحور والركيزة في عقيدة الشنتو، والذي يشكل صورة فوق طبيعية يصعب تصورها كما أسلفنا القول، كما أن الـ«كامي» عندهم له قدرات لا محدودة وغير اعتيادية.

الخلق والانبثاق الوجودي وفق كتاب الـ «كوجيكي»[1]

إن الشنتو ينطلقون في عقيدتهم من أساس هو عبادة وتقديس الشمس من خلال الإله «أماتيراسُ»، وصنم «أماتيراسُ» يعدُّ عندهم أهم الأصنام والهياكل وأولاها بالعناية والعبادة. لكنهم يذهبون من ذلك إلى الاعتقاد بتعدد الآلهة ناسبين لكل واحد مهمة وخصوصية، وقد تضمن كتاب الـ «كوجيكي» عرضاً كاملاً لعقيدة الخلق عندهم، والتي تعتمد قاعدة الاتصال بين السماء والأرض عبر جسر يصل بينهما.

والأسطورة عندهم تقول: إن أو الموجودات كان ولد آلهة في السماء هم: الإله المولى مركز السماء المهيب، ثم بعدها كان وجود إله الإنتاج الأعلى المهيب، وأخيراً كان إله الولادات الإلهية. هذا الثالوث من الآلهة، وهو الأول في سلسلة الآلهة، له عندهم صور جسدية حيث صرحوا أن هؤلاء الآلهة كانوا عازبين وقد حجبوا أجسادهم عن الأنظار، ولم يبرروا كلامهم

---

(١) نعتمد في عرض الموضوع على نسخة منقولة حديثاً إلى العربية، وقد كان فيها فائدة نظراً لصعوبة متابعة النص لو بقي باللغة اليابانية:

- **كوجيكي «وقائع الأشياء القديمة»**، ترجمة وتقديم محمد عضيمة، بيروت، دار الكنوز الأدبية، ط١، سنة ١٩٩٩م، ص١٠١ وما بعدها.

وعمَّن كان الحجب ما داموا هم أول ما وجد، ثم لم يعللوا سبب قولهم بآلهة ثلاثة. ومن ثم تتوالى عندهم أعداد أخرى، ولكن كما يبدو من أسماء هؤلاء الآلهة الثلاثة الأُول فإنهم قد نسبوا إليهم المهابة والإنتاج والولادات، وهي الأمور الأساسية في الخلق والسلطان.

بعدها كان إلهان من الأرض هذه المرة هما: الإله الأمير الرضيّ، والإله المقيم أبداً في السماء، بذلك يكتمل عندهم عقد الآلهة الخمسة السماويين الذين يتميَّزون عن الآلهة الأخرى التي يقولون بها.

بعدها كان إلهان آخران عازبين ومحجوبين عن الأنظار كالخمسة السابقين هما: الإله المقيم أبداً في الأرض، والإله حقل الغيوم الوافرة، بعد ذلك يأتي دور الآلهة المتزاوجين، وحسب أسطورة الـ«كوجيكي» يولد إله الين وزوجته إلهة اليف، وبعدهما الإله الوتد الصّلد وزوجته الإلهة الوتد الهائج، ومن ثم يولد الإله الذكر الهيكل الكبير، وزوجته الإلهة الأنثى الهيكل الكبير، ويأتي دور ولادة الإله الهيئة الناضجة وزوجته الإلهة المعشوق، ويكون أخيراً من منهما كان الأباطرة، وهما إلهان تبادلا الغواية مما يجعل فعلهما قريباً مما كان في الجنة من غواية ووسوسة؛ وهذا الإلهان هما: إيزاناكي نوكامي وزوجته إيزانامي نوكامي، وإلى هذين الأخيرين أُسندت مسألة التكاثر والخلق والتوالد، ومن عملهما كانت الجزر اليابانية حسب الأسطورة.

إيزاناكي ـ نو ـ ميكوتو زوجته إيزانامي ـ نو ـ ميكوتو جاءهما الأمر من الآلهة السماويين بأن يبدءا مسيرة حياتهما التي كانت منها الجزر اليابانية وهي أول ما وُجد من بلاد الأرض، وعندما هبطا باتجاه الأرض، وبينما كانا على جسر السماء العائم الذي يصل السماء بالأرض، أعطيا فأساً إلهية فغطساها في ماء البحر المالح وعندما سحباها حدثت بقبقة، وبعدها نزلت قطرات ماء البحر فتحولت إلى جزر اليابان.

وبدأت العلاقة التوالدية بينهما من خلال التكامل بينهما، والعلاقة بدأت هذه المرة بالجسد وترافقت مع إبداء الإعجاب من كل منهما بالآخر وأنه فاتن، وقد جاء في النص: «وبينما كانا يدوران تكلمت إيزانامي ـ نو ـ ميكوتو أولاً: «آه يا للرجل الفاتن»، فتابع إيزاناكي ـ نو ـ ميكوتو: «آه يا للمرأة الفاتنة» وكان بعد ذلك إنجاب الجزر، ومن ثم ولادة الآلهة، ومنها إله الريح

المدعو: الإله الأمير ذو الهبوب الطويل، فإله الخشب المدعو: الإله روح الجذع، فإله الجبال المدعو: الإله روح الجبل الكبير، فإله السهول المدعو: الإلهة أميرة الأعشاب أو الإلهة روح السهل. وهكذا تواصلت سلسلة الولادات من هذا الالتقاء فكان لكل أمر ومخلوق إله، فالإلهة منبثة عندهم في كل مظاهر الطبيعة، فالنار لها إله، والمناجم لها إله وهكذا... إلخ.

كل ما في اليابان مولود إلهي: الجزر، الجبال، البحار، مظاهر الطبيعة (السهول، الجبال النباتات، الأشجار)، وكذلك الحكام الأباطرة الذين انحدروا من سلالة أماتيراسُ، وبعدهم الشعب الياباني عموماً الذين يعدونه مميَّزاً ومتميِّزاً على سائر الشعوب والأمم.

وتوالت عمليات الخلق والانبثاق إلى أن جاء دور ولادة العائلة الامبراطورية وهي من أنواع الآلهة، والآلهة ـ كما ذكرنا ـ في اليابان بالآلاف، والولادة الامبراطورية جاءت من إله الشمس: أماتيراسُ.

«أماتيراسُ ـ نو ـ كامي منذ القدم القديم ينظر إليه على أنه رئيس أصنام نحلة الشنتو Shinto ومن بقاياه قطع مادية يعتقد في قداستها لأنه يعتقد أنها ترجع إلى أصل الصنم الرئيس المقدس، وهذه القطع المقدسة عبارة عن **مرآة وخنجر وبقايا سبَّحة**.

وتبعاً لهذه القصة فإن أماتيراسُ ـ نو ـ كامي أرسل ولده الذي يدعى: «ني ـ نيجي Ni-Nigi» ليحكم بلاد اليابان، ثم تزوج هذا الابن من ابنة جبل فوجي Fuji، وحفيد هذين الزوجين المسمى جمّو ـ تنُّو Jimmu-Tenno نصَّب نفسه قيصراً وملكاً ذا سلطان وحكم، فهو القيصر الياباني الأول.

وبناءً على هذا فمنزلة الصنم المقدس أماتيراسو مستمرة أبدية طالما حفيدة قيصراً على اليابان. أما عن الأرستقراطيين الآخرين فإنهم يعدون من نسل وسلالة هذه الأصنام المقدسة Dewa Succi لكنها أقل من منزل الأصنام المقدسة العليا الحاكمة. فإذا كان أماتيراسُ ـ نو ـ كامي يُعتقد أنه رئيس الأصنام المقدسة فإن ذريته Tenno رؤساء العالم البشري؛ والمقصود هو الشعب الياباني»[١].

---

(١) رحمات بن داتو بحر الدين، د. حاج أورانج كاي، م.س، ص١٥٩.

وحكاية أماتيراسُ مع الامبراطور ذي الأصل السماوي مع استخدام السيف والمرآة والسبَّحة أو العقد كلها وردت في الـ «كوجيكي» بطريقة أسطورية عملوا من خلالها على تفسير توالي الليل والنهار وإعطاء الموقع الخاص لـ «أماتيراسُ».

ورد في الأسطورة: «والحالة هذه، خافت الإلهة الكبيرة المهيبة أماتيراسُ فانزوت داخل مغارة سماوية. عند ذلك أسدل الليل ظلامه فارتفعت أصوات آلاف الآلهة، وحلَّت كوارث لا تحصى «عندئذٍ اجتمع ثمانية مليون إلهاً في مجرى النهر السكينة السماوي، وتواصلت جهود الآلهة مع صياح طويل للديكة في مسعى لجعل الشمس تشرق، أي كي تخرج أماتيراسُ من المغارة السماوية، وصنع الآلهة سيفاً ومن ثم مرآة، وعدداً من فصوص الـ«تاما» معقوفة منضدة داخل خيوط طويلة على شكل عقد أو سبَّحة ومن خلال هذا الإجراء برَّر الشنتو استخدامهم لهذه الأدوات الثلاثة: المرآة ـ السيف ـ والسبَّحة.

بعد خروج أماتيراسُ من المغارة السماوية، وبدء نظام تعاقب الليل والنهار، وكان الإجراء عندها أن أمرت أماتيراسُ ولدها كي ينزل إلى الأرض ليكون ولياً للعهد وحاكماً وليتسلم السلطة من الامبراطور أوكني ـ نُشي، وهذا الأمر تمَّ بعد أن كانت الأرض قد هدأت، والبلاد قد استقرت. وعندما كان جلالة المنتصر حقاً الروح العنيف الانتصار سنابل رز السماء الوافر في طريقه إلى الأرض ليحكمها جاءه مولود اسمه جلالة مهدِّئ السماء والأرض الأمير فوق المذبح السماوي المقدس السنابل الناضجة، وكان أن طلب ولي عهد أماتيراسُ مولوده للمهمة، وتمَّ اتخاذ القرار بأن وصل جلالة السنابل الناضجة حفيد أماتيراسُ إلى الأرض ليحكمها، وقد تسلم لهذه الغاية المرآة المقدسة والسيف والسبَّحة (العقد) وهكذا باتت السلالة الامبراطورية الحاكمة في اليابان سلالة إلهية منبثقة من أماتيراسُ إله الشمس، وهذا ما لا يزال قائماً وإن كان ثمة تراجع عن شيء من هذا المفهوم قد تمَّ بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م، وإلحاق الهزيمة باليابان على يد دول الحلفاء وأمريكا خاصة.

عندما نزل حفيد أماتيراسُ الأمير جلالة السنابل الناضجة إلى اليابان ليحكمها اتخذ مكاناً لبناء قصره على جبل تاكاتشيهو جنوب جزيرة كيوشيو... وهناك ولد حفيده الرابع «جيَّم» جلالة الأمير إيواريه من ياموتو المقدس،

وكان أول إمبراطور حكم اليابان ومولود فيها، وكان ذلك حوالي عام ٦٠٠ق.م. وتعاقب الأباطرة اليابانيون من نسله بعد ذلك وصولاً إلى الامبراطور الحالي أكهيتو الذي استلم السلطة بعد وفاة أبيه الامبراطور هيروهيتو عام ١٩٨٩م، وبذلك يكون قد توالى على حكم اليابان من هذه السلالة ١٢٥ إمبراطوراً، وبهذا تكون العائلة الامبراطورية اليابانية أقدم أسرة حاكمة لا تزال في السلطة في العالم كله.

الهياكل عند الشنتو

ديانة الشنتو مبسَّطة ولا تطالب أتباعها بطقوس خاصة ومعقَّدة، كما أنها على استعداد للتعايش مع أي مذهب وافد، لذلك باتت الشنتو بالنسبة لليابانيين في موقع التاريخ والتراث والعادات، وطقوسها متوارثة يمارسها معظمهم على أنها حالة من التعبير عن الانتماء للوطن والحضارة.

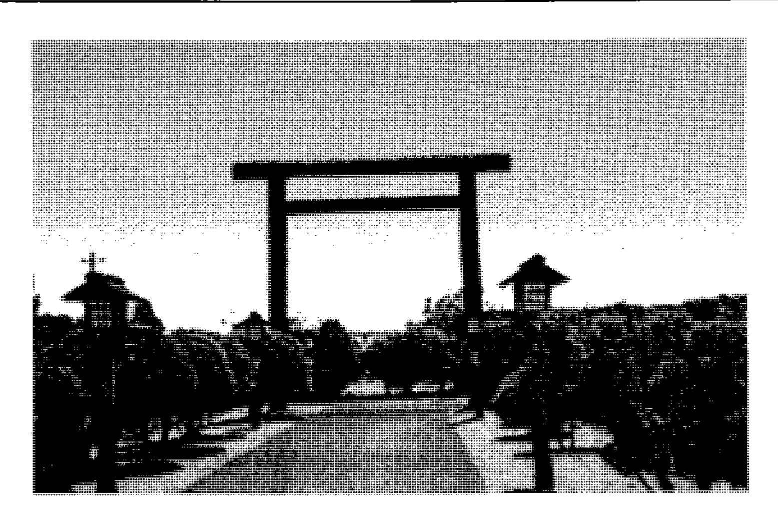
عند هذا يصح القول: «إن مذهب الشنتو ما هو إلا عادات إجتماعية يابانية تقليدية ومتوارثة عبر الأجيال... إن الشنتو هي أسلوب حياة يعيشها اليابانيون»[1].

إن الشنتو التي هي طريق الآلهة، حسب مصطلحهم، تقوم تنظيماتها على أساس الاعتقاد بالـ «كامي» الذي تحوَّل مع الوقت إلى شيء معبود عندهم، وكل طائفة أو عشيرة تعتمد نظام عبادة وتقديس تؤدي من خلاله الإجلال والاحترام لـ «كامي» خاص بها أو بحاجتها انطلاقاً من حياتها اليومية. وكل واحد يشعر بضرورة عدم التعارض مع هذا الكائن المفترض والقوة غير المحددة، والإنسان بحاجة إلى التوافق مع الـ «كامي» والرجوع إليه حيث كل واحد عنده مخالفات وانتهاكات تكسر وتعطل هذا التوافق والانسجام مع الـ «كامي».

الـ «كامي» يوفر للإنسان ما لا يمكن حصره من أجل حياته وأرزاقه، وكل وجه له كامي من زراعة الأرز إلى سائر الأمور، هذا الاعتقاد دفع أتباع الشنتو

---

(١) شبانة، عبد الفتاح محمد، **اليابان: العادات والتقاليد وإدمان التفوق**، القاهرة، مكتبة مدبولي، سنة ١٩٩٦م، ص٩، ١٠.



مدخل معبد شنتوي

إلى قبول أشكال متنوعة من السحر والتنجيم والشعوذات والأساطير بشكل يبعد عن الواقع والعقل السليم[(١)].

تركز ديانة الشنتو على فعل الـ «كامي» في كل ما في الوجود، ومن جهة أخرى على ما يطلبون إحلاله، والمقدسون عندهم: الشمس ولها صنم أماتيراسُ، والأسلاف، والعائلة الامبراطورية، وتقتصر أغلب طقوسهم على زيارات موسمية على شكل الحج إلى مواقع ترمز إلى عبادة الشمس، أو إجلال الأسلاف، أو تقديس الأباطرة، ولا يتجاوز أتباع الشنتو إلى أبعد من ذلك ولا اهتمام عندهم بعالم آخر وحياة أخروية، ولذلك لا تراهم يعملون لمثل هذه الحياة بعد الموت، وإنما مفاهيمهم الدينية لا تعدو كونها مرتبطة بهذه المقدسات الثلاثة التي ذكرناها، وهذا ما دفع وِلْ ديورانت كي يقول ما يلي: «لم تكن ديانة شنتو بحاجة إلى تفصيل مذهبي أو طقوس معقدة أو تشريع خلقي، ولم تكن لها طبقة من الكهنة خاصة بها، كلا، ولا تذهب إلى ما يبعث العزاء في نفوس الناس من خلود الروح ونعيم الفردوس، فكان كل ما تطالب به معتنقيها أن يحجوا آناً بعد آنٍ لأسلافهم، وأن يقدموا لهم ضراعة

(١) يراجع:

- Lénoir, Frédéric et Masquelier, Ysé. **Encyclopédie des religions**, Paris, Bayard Éditions, l'année 1997, Page 1127.

الخاشعين، ويفعلوا كذلك لإمبراطورهم ولماضي أمتهم»[١].

وديانة الشنتو لا تستخدم الصور والرسوم في معابدها لكنها تعتمد الرموز وهي كثيرة وأبرزها ـ ما سبق ذكره ـ المرآة، وهي عندهم تشير إلى الارتباط مع إله الشمس «أماتيراسُ» حيث المرآة هي الجسم العاكس لنور الشمس، وكذلك يستخدمون السيف، والسبَّحة أو العقد المكون من مجموعة من الحبات أصلها من الجوهر.

ويبدو أن الشنتوية، كما البوذية، بدأت على شكل فلسفة وتوجيهات عامة، ولم يكن فيها قديماً طقوس وشعائر على مستوى رفيع ومعقد، وقد حدث هذا في الأغلب مع الزمن وكانت نتيجة لتطور هذه الديانة من خلال ما أراده أتباعها.

تأسيساً على ما تقدم يمكن القول: «كانت طقوس الشنتو في البداية بسيطة إلى أقصى حد، إذ لم تكن تتطلب مباني خاصة، بل تقام الصلوات، وتؤدي الطقوس في هياكل طبيعية، تحت شجرة ساكاكي Sakaki المقدسة مثلاً، وهي موجودة الآن داخل كل هيكل في أية ضاحية، ويتلفظ بالكلمة الإلهية عن طريق الشامان وهو في حالة استحواذ الـ«كامي» عليه، يعبَّر عنها بلفظ «كامي ـ جاكاري Kami-Gakari» و«كانجاكاري Kanagakari» التي كثيراً ما تتجلى في رقصة الوجد»[٢].

ورقصات الوجد هذه تقودهم كما يظنون إلى التوحد مع الـ «كامي»، وهو مطلب ينشدونه. وطقوس الشنتو هذه تؤدى بشكل جماعي لا فردي، وقد اتسع النطاق من الأسرة إلى العشيرة بحيث بات عندهم هيكل لكل عشيرة.

يقول جفري بارندر عن عبادات الشنتو في الهياكل: «كانت العبادة في بدايتها مسألة عائلية خاصة بشؤون الأسرة لا العشيرة، ولما كانت العشيرة امتداداً للأسرة، فهناك عدد كبير من الهياكل مخصصة للـ «يوجي جامي Uji Gami»، أي: كامي العشيرة، وهي تختص بالمصالح المشتركة للعشيرة،

---

(١) ديورانت، وِل، **قصة الحضارة**، ج٥، م١، ترجمة د. زكي نجيب محمود، بيروت، دار الجيل، ص١٣.

(٢) بارندر، جفري، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، م.س، ٣٣٩، ٣٤٠.

والقول بأن الجماعة تستمد وحدتها من علاقتها باليوجي جامي بوصفهم «يوجيكو Ujiko»، أي أطفال العشيرة. لا بد أن يوحى بأن يوجي جامي يقوم مقام الأب Laco parentis بالنسبة للجماعة (أعني الـ «أويا Oya» أو الأب)، كما يوحي بأن طلب الحاجات المادية له مغزاه، لأن الأب على استعداد أن يمنح أطفاله هبات سخية. وهيكل يوجي جامي يسمى هيكل العشيرة، أو هو يسمى أحياناً هيكل عشيرة كامي»[١].

إن اختصاص كل عشيرة بهيكل معين كان سببه ـ كما يبدو ـ ذلك التقديس للأسلاف الموجود في ديانة الشنتو، ويشترك الكونفوشيون الصينيون مع الشنتو في هذا الاعتقاد. لهذا كان من الطبيعي أن «تلعب عبادة الأسلاف العائلية ـ العشائرية دوراً فائق الأهمية في الشنتوية، وهناك اعتقاد بأن كل ميِّت يتحول إلى كامي (وهي التسمية العامة التي تشمل كافة الأرواح والآلهة)، ويؤدي رب العائلة أو رئيس السلالة الصلوات اليومية كما يقدم لها القرابين»[٢].

أهم الهياكل اليابانية التي يحج إليها الشنتويون هيكل مدينة آيس Ise على المحيط الهادي، ويعد أهم هياكل الشنتو، وقد تم تشييده في القرن الثالث الميلادي، ويتألف من هيكل داخلي مخصص لعبادة إلهة الشمس «أماتيراسُ» وللجد الأول للأسرة الامبراطورية، ومن هيكل خارجي تمَّ بناؤه في القرن الخامس الميلادي، وهذا أدنى مكانة من الأول، ويخصصونه لعبادة الآلهة «تويوك ميكامي Toyouke Mikami» وهي إلهة الزراعة.

إن من دلائل ارتباط الهياكل بالأسر والعشائر، ما يظهر عندهم من ربط بين الـ «يوجي جامي» وبين عبادة الأسلاف. «إن الـ «يوجي جامي» يمكن النظر إليه على أنه السلف الرئيسي المحلي أو القائد المحلي، ويمكن أن يحدث العكس، إذ يمكن للسلف الفعلي أن يتخذ مكانه الـ «يوجي جامي»، ويبدو أن الحالة الأولى كانت هي حالة أسرة الامبراطورية التي كان في يدها زمام القيادة في عشيرة «ياموتو Yamuto»، فالامبراطور الكبير لا بد أن يكون كاهن نفسه في عقيدة أسرته التي تحولت في تاريخ مبكر إلى الهيكل الكبير «آيس

---

(١) بارندر، جفري، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، م.س، ص٣٤٠.

(٢) توكاريف، سيرغي، **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ترجمة د. أحمد فاضل، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر، ط١، سنة ١٩٩٨م، ص٢٨٦.

Ise»، وأصبح ينظر إلى حارس الأسرة كامي بوصفه سلف الامبراطور»[١].
ولعل سبب هذا الاستثناء في التوحد بين السلف عند الأسرة الامبراطورية والـ «كامي» يعود إلى اعتقاد الشنتو أن العائلة الامبراطورية أصلها سماوي ـ إلهي.

ومن الهياكل المتميِّزة عند الشنتو هيكل «تيشا Taisha» في «إزومو Izumo»، وهو يحمل اسم العشيرة «إزومو». وإزومو التي كانت سوقاً تجارياً رئيسياً للمنتجات الزراعية نالت شهرتها بوصفها من المراكز الدينية المهمة عند الشنتو، وفي ضاحية لجهة الشمال الغربي من تيشا تقع أقدم هياكل الشنتو حيث كان ولا يزال يقصدها الحجاج من الشنتو على مدى أيام السنة.

وهناك هياكل عديدة أخرى في إزومو، ومن معتقدات الشنتو أن الآلهة يجتمعون في شهر أكتوبر/تشرين الأول من كل عام في الهياكل الصغيرة، لهذا كانوا يسمونه شهراً بلا آلهة.

والهياكل الشنتوية يكون اتجاهها نحو الجنوب وأحياناً نحو الشرق، ولا تكون مطلقاً باتجاه الغرب أو الشمال فإنهما اتجاهان غير محظوظين عندهم، وكانت الهياكل عندهم تقوم وعلى مدخلها حارسان هما كلبان كوريان باستثناء هياكل الإناري Inari التي يخصصونها لـ «كامي» حقول الأرز، فهياكل الإناري يحرسها تمثال ثعلب وسبب ذلك اعتقادهم أن الثعلب هو رسول الـ «كامي».

وهياكل الإناري مهمة لأن الإناري هو الإله الذي يحمي زراعة الأرز في أساطير اليابان، وهو إله العطاء والرخاء لأن الأرز يشكل مادة رئيسة في طعامهم.

يفيد أن نختم هذا العرض بالقول: إن الهياكل المنتشرة في أمكنة كثيرة، والتي تشكل أساس العبادة والتقديس عند الشنتو، لا تزال محل اهتمام المسؤولين، وقد ربطوا الشنتوية بالروح الوطنية، فباتت الوطنية اليابانية، والشنتوية، وجهين لعملة واحدة، ولهذه الغاية «أقاموا نظاماً قامت فيه الدولة بدعم معابد الشنتو الكبيرة التاريخية، وتطوير المعابد الوطنية الجديدة الأخرى، مثل معبد «ميجي» الجميل الضخم القائم في طوكيو، والذي خصص

---

(١) بارندر، جفري، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، م.س، ص٣٤١.

لأول إمبراطور ياباني معاصر، ومعبد ياسوكوني الموجود في طوكيو أيضاً وقد كرس لأرواح العسكريين الذين ماتوا دفاعاً عن الوطن. ولكن تحافظ الحكومة اليابانية على زعم أن اليابانيين يتمتعون بحريتهم الدينية المطلقة حددت الحكومة رسمياً أن الشنتو الوطنية هي عقيدة الدولة ليس بوصفها ديانة وإنما بوصفها مظهراً للوطنية»[1].

إن الهياكل شكلت ولا تزال أهم ركيزة في ديانة الشنتو وفي التقاليد الوطنية اليابانية، فاليابانيون من كل الأعمار والمستويات حتى الامبراطور والحكام إلى الأطفال يقصدون هذه الهياكل وفقاً لطقوسهم الشنتوية.

من أسس التربية الشنتوية في اليابان

اليابان مجموعة جزر أكبرها هي: هونشو، وشيكوكو، وكيوشو، وهوكايدو، وأرض اليابان التي تبلغ مساحتها ٣٦٩٦٦٢كلم² تشكل الجبال ٨٥ بالمئة منها، ولا تزال بعض جبالها تقذف حمماً بركانية. هذه الخصائص الجغرافية فرضت على اليابان نمط حياة خاصة ترك بصماته على شعب اليابان حضارياً.

إن اليابان المعزولة عن العالم حتى ما يقارب نصف قرن تكونت فيها أنماط ثقافية دينية وغير دينية (إجتماعية) تخصّها دون سواها، وعماد ذلك في ديانة الشنتو: عبادة إلهة الشمس أماتيراسُ، وتقديس الأسلاف، وتقديس العائلة الامبراطورية التي انحدرت من حفيد أماتيراسُ الذي نزل من السماء ليمارس السلطة في اليابان.

وفي تفاسير وتعليقات على كتابهم الـ«كوجيكي» منها ما كتبه عالم شنتوي في القرن السابع عشر للميلاد اسمه موتوري Motoori يوضح اليابانيون نزعتهم إلى إظهار التفوق، وتبريرهم يقوم على مقولة هي: ما دام الامبراطور الياباني سليل الآلهة المباشرة فهذا كافٍ لتكون اليابان متفوقة على بقية الأمم والشعوب.

هذه النزعة ولَّدت روح المقاومة عند شعب اليابان، وروح الجدية في

---

(١) رايشاور، أدوين، **اليابانيون**، ترجمة ليلى الجبالي، مراجعة شوقي جلال، الكويت، عالم المعرفة، الرقم ١٣٦، شعبان ١٤٠٩هـ، نيسان/إبريل ١٩٨٩م، ص٣١٣.

العمل لتحقيق إنجازات تثبت هذا التفوق. هذا ما يفسر لنا لماذا بقيت اليابان عصية لم يدخلها محتل إلا عند هزيمتها في الحرب العالمية الثانية بعد أن قصفها الأمريكان بالقنابل الذرية، ومع ذلك نجد أن التربية اليابانية تقوم على أساس نزعة العنفوان وعدم الاستسلام أو التسليم بأمر واقع.

وقد نقل عبد الفتاح شبانة ذلك قائلاً: «حدث بعد الاحتلال الأمريكي لليابان في نهاية الحرب العالمية الثانية أن اليابانيين لم يستخدموا إطلاقاً كلمة تسليم أو استسلام أو كلمة جيش الاحتلال، لا في الوثائق الرسمية ولا في جرائدهم ومجلاتهم، واستخدم اليابانيون جملة: انتهاء الحرب، بدلاً من التسليم، وجملة: الجيش الذي عسكر في قاعدة متقدمة، بدلاً من جيش الاحتلال»[1].

إن اليابانيين عاشوا، عشية هزيمتهم العسكرية في الحرب العالمية الثانية، مناخاً عاماً لم يتعودوه من قبل، وكان من الصعب عليهم أن يروا أعلاماً غير أعلامهم ترفرف في بلدهم، كما أنه يصعب عليهم كذلك أن يروا إمبراطورهم المقدس، حسب عقيدتهم، وسليل الآلهة وهو يعلن الاستسلام. والإمبراطور نفسه الذي يعيش نزعة قداسة لم يتعود ولم يرث عن أسلافه، على مدى مئات السنين لا بل الآلاف، حالة كهذه، ولذلك تعاطى رغم الهزيمة بأسلوب عدم الخضوع، وقال يومها كلمة مليئة بالانفعال بسبب الموقف الحرج، ومما جاء في كلمته: «من الحكمة أن نتحمل ما لا يمكن احتماله، فإن ذلك أفضل من سفك المزيد من الدماء». ونلاحظ الأسلوب الامبراطوري الياباني في التخاطب، فهو لم يذكر كلمة الهزيمة[2].

إن هذا التعاطي بروح عدم التسليم بالأمر الواقع هو الذي ساعد اليابانيين، وحفَّزهم على بناء نهضتهم، حيث نجدهم اليوم وقد تفوقوا في ميادين كثيرة صناعية وغير صناعية.

هذه الروح المقاومة ساعدت عليها التربية اليابانية التي انبعثت مع ثورة التجديد في ديانة الشنتو مع الامبراطور ميجي (١٨٦٧ ـ ١٩١٢م). مع هذه

---

(١) شبانة، عبد الفتاح محمد، م.س، ص٣٩، ٤٠.

(٢) يراجع: شبانة، عبد الفتاح محمد، م.س، ص١٧.

الثورة أيقظ اليابانيون الشعور الوطني وباتت الشنتوية وجه العملة الآخر للوطنية اليابانية، والقصر عندهم والمعبد لهما دلالة واحدة، ومع هذه الانطلاقة «أظهروا نفوراً من كل ما هو أجنبي. . . وعادت الشنتوية ديناً قومياً في المرتبة الأولى»[١]. وتأصلت في هذه الحقبة مكانة الامبراطور ووضع الدستور الذي يستمد ركائزه من تصنيف الشنتوية للامبراطور.

يضاف إلى ما سبق قاعدة مهمة في مجتمع اليابان، إنها تلك الروح الجماعية التي تحكم قناعات الشعب، وتتحكم بمسلكه. فلا مكان للأنا في الثقافة والمسلك، والفردية أمر مقيت يصل إلى مستوى الأمر الشائن، وترى الشخص عندهم ينخرط مع الجماعة شكلاً ومضموناً، ويجد في ذلك سعادته بخلاف مجتمعات كثيرة، منها ثقافة الغرب، التي تعزز الفردية ويطلب الشخص فيها التمايز والخصوصيات وربما على حساب العام أحياناً.

«يؤمن اليابانيون أن اتخاذ أي قرار يجب ألا يصدر عن شخص واحد، وإنما ينبغي أن يصدر عن أغلبية الأصوات، وبعد مشاورات جماعية، أو من خلال لجنة عمل مكوَّنة من فريق، ذلك لأنه، بالنسبة لليابانيين، يعتبر اتخاذ القرارات بالإجماع هو هدف في حد ذاته، بحيث يصدر القرار بالاتفاق العام دون أن يتمسك فرد واحد برأيه المعارض مهما كان موقع هذا الفرد أو سلطانه. فإذا فرض أن حدث مثل هذا الموقف وتمسَّك شخص برأيه المعارض، وسط جماعة ما، فلا ينظر إليه إلا بالاستياء الشديد، وحتى القرارات التي لا تصدر عن الإجماع وإنما عن أغلبية الأصوات، لا يشعر نحوها اليابانيون أيضاً بالرضا»[٢].

هذا المنهج الجماعي ولَّد الانسجام القومي، وعزَّز التعاون وتكافل الجهود مع المنافسة في الإطار العام، وهذا مؤشر آخر على عوامل نهضة اليابان. وبمقارنة سريعة بين الثقافة الغربية وما تربى عليه أفراد المجتمع، وما تقوم عليه ثقافة اليابان من أسس تربوية في الروح الجماعية نراهما على طرفي نقيض. «فاليابانيون، في معظم الأحوال، يقومون بأعمالهم، أكثر من

---

(١) حميد، فوزي محمد، **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة**، ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، سنة ١٩٩١م، ص٢٤٧.

(٢) رايشاور، أدوين، م.س، ص١٩٢.

الغربيين، في مجموعات، وهم على الأقل يدركون تماماً أنهم يعملون بهذا الأسلوب الجماعي، وبينما نجد الغربيين يؤكدون على الاستقلال والفردية، نجد معظم اليابانيين يشعرون بالرضا والراحة وهم متماثلون في ملبسهم وسلوكهم وأسلوب حياتهم، حتى في تفكيرهم بمعايير الجماعة»[١].

هذا المنهج التربوي الجماعي الأبعاد يعتمده اليابانيون انطلاقاً من مفاهيم الشنتوية في إعداد أولادهم، فالطفل الياباني ينشأ على تقبل الانخراط في جماعة ويتمرس على قبول سلطة المجتمع عليه، ويخاف النبذ الاجتماعي والعزلة فهي أشد العقوبة وقعاً عليه.

إن دراسة قواعد تربية الأطفال في اليابان تبيِّن ذلك بوضوح تام. نقل أدوين رايشاور عن هذه المسألة ما يلي: «ينمو الطفل وهو يتوقع دائماً تفهُّم أمه وتسامحها معه، بل يقبل سلطاتها عليه أيضاً. وينمو معه هذا الواقع ليشمل فيما بعد تقبُّله سلطة الوسط الاجتماعي المحيط به، وحاجته إلى تقبل اعتماده هذا من الجماعة الأكثر اتساعاً. وبهذا الأسلوب التربوي ينتقل الطفل من واقعه الطبيعي في سنوات عمره الأولى إلى قبوله السلطة الأبوية، ثم سلطة المدرسة الصارمة، بسهولة تثير الدهشة، **بعدها يجيء قبوله وتسليمه بما تصدره الجماعة التي ينتمي إليها من أحكام، أو من المجتمع ككل.**

لذلك نجد أن الطفل إذا ما تعرض لتأنيب أبيه أو زجره بقوله: إن الناس يضحكون عليك، يكون هذا التأنيب بمثابة قوة مدمِّرة للطفل، تعادل في تأثيرها مقاطعة الجماعة إياه في حال ارتكابه خطأ ما. **أما في القرية اليابانية التقليدية فيكون نبذ مجتمعها لفرد من أفرادها هو أقصى عقوبة يمكن أن يتعرض لها الفرد،** وهي العقوبة التي عرفتها العصور القديمة باسم «موراها شيبو MuraHachibu»، ومعناها الحكم بالنفي إلى جزيرة أو إقليم بعيد، وهي أقصى عقوبة يخشاها الياباني»[٢].

الياباني أليف متوحِّد مع مجتمعه وأهله ووسطه الاجتماعي، لا يحب الفردية والانفراد، لا بل يخافهما. لهذا تعد المقاطعة للشخص اجتماعياً

---

(١) رايشاور، أدوين، م.س، ص١٨١.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠١.

عقوبة قاسية، كما أن الياباني يرغب في أن يؤدي واجبه ودوره من خلال المجموعة، والدلالة الحضارية على ذلك المثل الذي يتداولونه والذي ينص على الآتي: «إن رأس المسمار البارز هو الذي يتلقى ضربات المطرقة». والدلالة الحضارية الأخرى هي أن اليابان على امتداد تاريخها لم تشهد حالات حرب أهلية ولا تصدع في وحدتها الوطنية حتى بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية وتدخل الأمريكان والغرب بشؤونها، وهذا يعطي درساً واضحاً للأمم جميعاً بأن التربية على المنهج الجماعي والثقافة التي تحقق وحدة أهل المجتمع وانسجامهم هي صمام الأمان للوحدة الوطنية.

واليابانيون الشنتو يبدؤون رحلة إعداد أولادهم وتربيتهم في وقت مبكر، وتراهم يصحبونهم إلى زيارة الهياكل والمعابد منذ عمر الثلاث سنوات وفي مناسبات متنوعة، ويدربونهم على الإيمان بمبعوداتهم ومشاركة أهل مجتمعهم في ذلك.

والوقت عندهم يتم استثماره بشكل مدروس جداً. فالأسرة اليابانية، والمرأة خاصة، لا يرضيها أن يعود رب الأسرة إلى المنزل قبل سواه وأن لا يطول وقت عمله فذلك بنظرهم أنه أقل قيمة من غيره. ونظام المدارس والتعليم في اليابان يلتزم هذا الاتجاه حيث يذهب التلميذ الياباني إلى المدرسة ٢٤٠ يوماً في السنة مقابل ١٨٠ يوماً يذهب فيها التلميذ الأمريكي إلى مدرسته، والرقم أقل من ذلك في بلد مثل لبنان حيث يصل عدد الأيام التي يقضيها التلميذ في المدرسة مع مدة الامتحانات إلى ما يتراوح بين ١٥٠ و١٦٠ يوماً في السنة.

ويلمس الدارس في جوانب أخرى من مسلك التلامذة الجدية في حياة التلميذ الياباني، وينقل عبد الفتاح شبانة من مراقبته النظم المدرسية اليابانية عن قرب ما يلي: «لا يوجد في المدارس اليابانية عمال نظافة، بل إن مسؤولية نظافة الفصول والمدرسة تقع على عاتق التلاميذ، يقومون بها تحت إشراف المدرِّسين. علَّق خبير أميركي على هذه المعلومة بقوله: لعل ذلك هو السبب في عدم وجود كلمات بذيئة مكتوبة على الحوائط والجدران»[1].

قد يقول قارئ: ما دخل هذا الذي ورد في هذه الفقرة بحديث عن ديانة

---

(١) شبانة، عبد الفتاح محمد، م.س، ص٤٣.

الشنتو معتقدات وطقوساً؟ الجواب: إن الدين عقيدة وشريعة يكون له فعله في سلوك الإنسان، وبمقدار صدق الإيمان والالتزام الديني ينعكس ما يؤمن به الشخص في سلوكه. وإذا كانت الشنتوية عند اليابان ـ كما سبق القول ـ تعني الثقافة الوطنية وحضارة اليابان وتراثها، فإن ما يسود من سلوك وأساليب تعامل هو نتاج هذه الثقافة على وجه التأكيد.

إن النجاح وطرد الفشل أساس تربوي تزرعه الثقافة اليابانية في أتباع الشنتو، أمام أية حالة فشل ترد ردة الفعل المألوفة وهي الانتحار. فالأم التي رسب ابنها في امتحان قد تنتحر لأنها تعتبر نفسها مسؤولة عن فشله، والأب الذي أساء لأسرته بإدمان أو مفسدة قد ينتحر تعبيراً عن الاعتذار والتوبة، والتلميذ الذي يرسب قد يلجأ إلى الانتحار، وأب سرق ابنه فقتله ثم انتحر عقاباً ولإزالة العيب واعتذاراً من المجتمع وهكذا دواليك[١]. وما كان ليحصل هذا التشدد في معاقبة النفس إلا لأن الياباني وفق ثقافته يرى أن النجاح يجب أن يكون حليفه دوماً، كما أنه يصعب عليه السكوت عن أي عار أو رذيلة.

وقفة مع بعض الطقوس والمفاهيم الدينية للشنتو

تقوم عقيدة الشنتو على أساس تقديس آلهة الشمس ويرمز إليها بـ «أماتيراسُ»، وتقديس الامبراطور لأنه سليل آلهة الشمس، ولذلك يخضع له الجميع. والعائلة الامبراطورية في اليابان هي أقدم عائلة حاكمة في العالم، وقد تجدد مقامها ومكانتها مع الامبراطور المصلح المجدد شنتويا ميجي Meigi (١٨٦٧م ـ ١٩١٢م)، ويدل ذلك ما حصل عند موته حيث «حزن عليه جميع الناس في مدينة نيبون Nippon وتردد الجميع عليه للزيارة ثم اعتقدوا أن روحه لها أصل بالقديس «أماتيراسو ـ أومي ـ كامي» فعظَّموه ورفعوه لأنه من أصل مقدس. لقد أرادوا أن يعظموه أكثر من كونه إنساناً عادياً. القياصرة الذين جاؤوا من بعده قبلوا هذه المنزلة العليا التي خلعت عليه، ومع طول الزمن ظهرت فكرة: أن تنوهيكا Tenno Heika لا بد وأن يُعبد من كل طبقات الشعب كما يعبدون إله الشمس»[٢].

(١) يراجع: شبانة، عبد الفتاح محمد، م.س، ص٣٦، ٣٧.

(٢) رحمات بن داتو بحر الدين، د. حاج أورانج كاي، م.س، ص١٦١.

والمقدس الثالث عند الشنتو هم الأسلاف الذين تقام في البيوت رفوف عليها صورهم، وإليها يتجه الشنتويون في صلواتهم.

إلا أن الهياكل تشكل الأساس في عبادة الشنتو، ومعبد آيس Ise على المحيط الهادي يشكل المعبد الأكبر ورمز وحدة اليابان وتراثها. وزيارة الهياكل (المعابد) عندهم ترافقها طقوس خاصة يصفها جفري بارندر قائلاً: «إذا كانت زيارة الهيكل خاصة سار المتعبد على قدميه بمجرد أن يتخطى الثوري الأول (البوابة الأولى)، ولا بد أن يغسل يديه وفمه من ماء نبع طبيعي في مجمع الهيكل، أو من حوض الماء المحفور في الصخر مستخدماً أواني يزوده بها الهيكل، ثم يصف المتعبد، أو تصف إن كانت أنثى، وهو يحني الرأس إجلالاً أثناء تقديم توسلاته. غير أن التوسُّل يمكن أن يكتب على ورق، ويعلق على إحدى أشجار السكاكي Sakaki المقدسة»[1].

والشنتوية التي لا تعقيدات في طقوسها بالأصل بل حالة تراثية شعبية وطنية الطابع في اليابان، تتوارثها الأجيال، ولكن مع الزمن تبلورت عندها طقوس محددة عمادها التطهر والقربان المقدم والصلاة ومن ثم الوليمة الجماعية.

تتضمن العبادة الرسمية عند الشنتو أربعة عناصر هي

١ ـ فعل التطهر (هاراي Harai) بالإضافة إلى الاغتسال، عندما يلوح الكاهن بفرع من شجرة السكاكي (أو بورقة منها) على رأس المتعبد.

٢ ـ ثم القربان (شينسن Shinsen) الذي يكون من الحبوب أو التراب، وإن كانت العادة جرت الآن أن يكون من المال أو قد يكون رمزياً في صورة غصن من شجرة السكاكي.

٣ ـ طقوس الصلاة Norito.

٤ ـ الوليمة الرمزية Neorai دلالة على تناول الطعام مع كامي. وكثيراً ما يشمل العنصر الأخير رشف قطرات قليلة من خمر الأرز ميكي Miki المقدس الذي كان يقدم في البداية في عيد من أعياد الحصاد الذي يقدمه الكاهن أو إحدى الكاهنات من الميكو Miko.

---

(١) بارندر، جفري، م.س، ص٣٤٢، ٣٤٣.

ويمكن لجماعات المتعبدين أن تطلب أيضاً تأدية الرقصة المقدسة للمعبد (كاجورا Kagura) التي يوجد منها خمس وثلاثون رقصة تعبِّر عن الأساطير القديمة»[١].

هذا الشكل من الطقوس التي تؤدى في الهياكل (المعابد) ليست الوحيدة، بل كثيراً ما نرى الأسرة اليابانية تخصص مكاناً للعبادة في المنزل، ويدعونه كامي ـ دانا Kami-Dana أو (رف ـ كامي)، أو الإله على الرف، وهذا ما يصبح بنظرهم هيكل المنزل، وهذا الرف قد يضعون عليه بعض التمائم التي يجلبونها من هيكل آيس Ise، الهيكل القومي ورمز الوحدة اليابانية، ووحدة الأسرة ضمن المجتمع تكون من خلال التوحد مع الأسلاف والإمبراطور الذي يقوم بدور كل اليابانيين.

وبالنسبة لصلواتهم، سواء كانت في هيكل المنزل أو الهيكل العام، فإنهم يمارسون فيها ابتهالات وأدعية تركز في الغالب على المطالب الدنيوية، وبشكل خاص تلك التي تتعلق بالزراعة حيث يبتهلون للكامي كي تكون المحاصيل وفيرة ومن ذلك الأرز بشكل خاص. ومن نماذج نصوصهم المستخدمة هذا النص:

«أولاً وقبل كل شيء، هناك في حقلك المقدس أيها الإله المهيمن.
ليت حبة الأرز الأخير التي سيحصدونها،
ليت الحبة الأخيرة من الأرز التي ستحصد،
بحبات العرق المتساقط من سواعدهم،
وتشدُّ، مع الوصل العالق بالفخذين،
ليت هذه الحبة تزدهر بفضلك،
وتتفتح سنابل الأرز التي تتوق إليها الأيدي الكثيرة،
فتكون أولى الثمرات في الشراب وأعواد النبات»[٢].

لكن ما يجدر أن نشير إليه هو أن النصوص ليست موحَّدة عندهم، بل يقوم

(١) بارندر، جفري، م.س، ص٣٤٣.
(٢) المصدر السابق، ص٣٤٣، ٣٤٤.

الكهنة بصياغة نصوص للتضرعات والابتهالات تتناسب مع الظروف والمناسبات، وقد استمر ذلك حتى بعد عصر الامبراطور ميجي الذي فرض الشنتوية كديانة قومية يابانية. وفي اليابان أكثر من ٨٠,٠٠٠ هيكل للطقوس الشنتوية، وقد تأسست بعد العام ١٩٤٦م «جمعية هياكل الشنتوية» والتي تولت الإشراف على الهياكل وصياغة نصوص الصلوات، لكن مع ذلك بقيت للكهنة الحرية في تأليف نصوص للصلوات والتضرعات وفق رغباتهم.

العابد الشنتوي يؤدي طقوس صلاته صباح مساء في هيكل المنزل خاصته، فبعد مراسم الوضوء بالماء ينحني أمام الهيكل مصفقاً بيديه مرتين، ثم ينحني بصمت، وبعدها تكون الابتهالات.

الشنتوية لا تبالي بحياة أخروية، بل يصح القول: إن الشنتوية ديانة محض دنيوية لا تؤمن بحياة أخر غير الحياة الدنيا، لذلك تتركز اهتماماتهم على تحقيق السعادة الدنيوية، والموت عندهم ينتهي بجسم المتوفى إلى منطقة ملوثة، أما الروح فبالموت تكون قد تخلصت من قيود البدن المادية لتتحد من جديد بالقوى الطبيعية، وهذا ما يقرب الشنتوية من مفهوم الهندوس والبوذيين الذين يقولون بأن النفس بعد دورة التطهير تغادر الأبدان لتتحد بالروح الكلية للكون.

ولكن هذا المفهوم لم يمنع الشنتو، واستمراراً في تقدير وتقديس الأسلاف والأهل من ممارسة طقس سنوي يسمونه (Obon) يوم أرواح الأهل. ما وقائع هذا الطقس السنوي؟ يقول عنها السفير عبد الفتاح شبانة من خلال مشاهداته المباشرة ما يلي: «يحدث في شهر يوليو من كل عام في اليابان حالة تكاد تقترب من الهجرة، حيث يسافر الناس إلى قراهم وموطنهم الأصلي ليحضروا هذا الاحتفال ويسمى يوم أرواح الأهل. يعتقد اليابانيون أن أرواح أقاربهم الموتى تعود في هذه الفترة إلى منازلها الأرضية حيث يستقبلها الأهل بالترحاب والاحتفالات.

تضع الأسرة شعلة صغيرة من النيران في مدخل البيت من الخارج، وتقدم الهبات إلى نموذج المعبد المقام داخل المنزل، والهبات عادة ما تكون بعضاً من ثمرات فاكهة الموسم مع البخور. يؤمن اليابانيون أن أرواح الأهل تسترشد بالشعلة، وتدخل المنزل وتحيط بالمعبد الصغير المنزلي وبهم، لتباركهم

وتعيش معهم هذه الفترة، وبعد يومين يُعاد إيقاد الشعلة خارج المنزل لتعرف الأرواح طريق العودة إلى مقرها الدائم»[١].

إن هذا الطقس من طقوس الشنتو «يوم أرواح الأهل» يؤكد مدى ارتباط الياباني بالأسلاف وكيف أنهم واحد من مرتكزات العبادة عنده.

وما دمنا نتحدث عن موضوع الآخر عند الشنتو، وارتباطهم السنوي في طقس خاص مع أرواح الأهل فإنه من المفيد أن نذكر أن الشنتو قد اعتمدوا تضرعات أو ابتهالات لمراسم الحزن، وتعود هذه إلى الامبراطور كينكو وعائلته، فعندما مات أحدهم، الذي يسمونه في كتابهم الـ «كوجيكي» جلالة العنيف ـ ياموتو ـ ياموتوتاكيرُ، حيث في الـ «كوجيكي» ما يلي:

«والحالة هذه، نزلت نساؤه وأطفاله الذين كانوا في ياماتو، نزلوا جميعاً إلى إقليم إيسيه وبنوا له ضريحاً هناك. بكوا منطرحين على الأرض، مختلجين، متخبطين في حقول الأرز المجاورة وغنوا:

سروع الإنيام

التي تلفُّ جذوع الرز وتعربش بها،

جذوع رز الحقول المجاورة.

عندئذٍ تحوَّل إلى طائر أبيض كبير وطار في السماء، ثم أخذ يطير باتجاه الشاطئ. أما نساؤه وأطفاله فقد تابعوه نائحين نادبين، ولم يشعروا بآلام أقدامهم التي تشققت من جذوع الخيزران المكسَّرة النافرة من الأرض، آنذاك أنشدوا مغنين:

في غابة الخيزران الغني

تتعب خواصرنا، ودون أن نذهب إلى السماء

سنذهب إلى الأقدام

وكذلك عندما دخلوا البحر بمشقة وعناء، أنشدوا مغنين:

سنذهب في البحر، وتتعب خواصرنا

---

(١) شبانة، عبد الفتاح محمد، م.س، ص١٣.

سنتوه في البحر، مثل أعشاب
تنبت في نهر كبير.
وكذلك عندما توقف الطائر وحطَّ على الشاطئ الصحراوي أنشدوا:
يا طير الشاطئ
سوف لن نطير على امتداد الشاطئ الرملي
ولكن على امتداد الشاطئ الصخري.

هذه الأشعار الأربعة، أنشدت جميعاً أثناء المراسم الجنائزية، لذلك لا تزال تُنشد وتغنَّى حتى اليوم أثناء مراسم الأباطرة الجنائزية»[١].

هذه النصوص التي لا تزال مستخدمة في المراسم الجنائزة للأباطرة يمكن أن يستمد منها القارئ عِبَر ويسجل على أساسها ملاحظات هي:

١ ـ الميت الذي يتحلل بدنه تتحول روحه إلى طائر، وبذلك اعتقاد بالارتفاع.

٢ ـ ربط الابتهالات بالأرز والخيزران والحقول، وهذا ما يؤكد دنيوية اهتماماتهم الدينية.

٣ ـ النظرة للرجل على أنه ضابط الأسرة، بدليل أنهم خاطبوه بأنهم سيصابون بالتيه والضياع والتشرد بعده.

٤ ـ العناية بموطأ القدم، وبما يعتمد عليه الإنسان حيث الشاطئ الصخري هو المفضل عندهم.

٥ ـ البحر هو موضع الاهتمام الثاني عند الشنتو بعد الحقول لأنه مصدر صيئد الأسماك، والصيد البحري من أساسات المعاش كما التراث الياباني.

وهناك مناسبات أخرى على شكل أعياد سنوية تكون فيها للشنتو زيارات للهياكل وصلوات وتضرعات. ففي ١٧ أكتوبر/تشرين الأول يكون يوم الاحتفال للكامي حيث يترافق العيد مع أوائل محاصيل الأرز، وفي ٢٣ نوفمبر/تشرين الثاني يحجون إلى معبد آيس Ise حيث يتقرَّبون للكامي من أجل

---

(١) كوجيكي، **وقائع الأشياء القديمة**، م.س، ص٢٣٩، ٢٤٠.

الأسلاف وعبادة آلهة الشمس أماتيراسُ Amaterasu طلباً لمواسم حصاد أفضل.

وعندهم كذلك في روزنامتهم السنوية مجموعة من الأعياد الأخرى أبرزها:

١ ـ عيد النار، وفيه يزورون هيكل أو معبد Kumano Nuchi.

٢ ـ عيد كامي الماء وفيه يزورون هيكل[1] Suijin Matsuri.

إلى غير ذلك من الأعياد ومواسم العبادات، لكننا نلاحظ مجدداً أنها كلها تدور ضمن أبعاد تتعلق بالحياة الدنيوية من الحقول والحصاد والأرز إلى الماء والنار، وهذا ما يؤكد الطابع الدنيوية للديانة الشنتوية التي لا تحفل كثيراً بحياة أخرى غير هذه الحياة الدنيا.

الأسرة والمرأة في اليابان

إن دراسة هذا الموضوع في اليابان ينبغي أن تنطلق من المفاهيم الشنتوية التي تأسست على قاعدة التراكم المعرفي، وتراكم العادات والأعراف التي باتت متأصلة في الحضارة اليابانية على أنها تراث لا انفكاك منه.

إن الحياة في الجزر اليابانية بدأت بزواج وتوالد، هذا الزواج تمَّ بين زوجين من الآلهة، حسب الأساطير الشنتوية في كتابهم الـ «كوجيكي»، وقد كان بقرار الآلهة، والزوجان هما: إيزاناكي ـ نو ـ ميكوتو؛ والزوجة هي: إيزانامي ـ نو ـ ميكوتو، هذان هما الأبوان لليابان أرضاً وبشراً حسب عقيدة وتراث الشنتو.

يلاحظ في نصوص الـ «كوجيكي» أن العلاقة قامت بين هذين الزوجين الإلهين، حسب زعمهم، على أساس المجتمع الذكوري الذي يقدم الرجل، ولا يقبل تقدم أو سبق المرأة له.

جاء في نصوص الـ «كوجيكي» ما يلي: «لذلك صاح إيزاناكي ـ نو ـ ميكوتو قائلاً: والحالة هذه، سندور، أنتِ وأنا، حول الدَّعام السماوي المهيب ثم نقترن. بعد تبادل العهود بينهما، قال: تدورين، أنتِ، من اليمين،

---

(١) يراجع:

- Clarke, Peter B., Ibid, Page 201 .

وأنا من اليسار كي نلتقي. وبينما كانا يدوران تكلمت إيزانامي ـ نو ـ ميكوتو أولاً: آه! يا للرجل الفاتن!. فتابع إيزاناكي ـ نو ميكوتو: آه! يا للمرأة الفاتنة!

بعد أن لفظ كل منهما قوله هذا، أردف إيزاناكي ـ نو ـ ميكوتو قائلاً: **ليس حسناً أنَّ المرأة تكلمت أولاً**»[١].

بعد هذا الزواج أنجبا أولاداً لم يكونوا مكتملين، فراجعا الآلهة بشأن الأولاد والنقص، وهنا كان، حسب نص الـ «كوجيكي»: «فأجاب الآلهة السماويون، بعد مزاولة الكهانة والتنجيم بحرق عظم كتف إبل مخلوط بالخشب: لم يكن حسناً أن تتكلم المرأة أولاً، إرجعا. اهبطا وأعيدا كل شيء.

هكذا هبطا، ومثل السابق، دارا حول الدعام السماوي المهيب. فقال إيزاناكي ـ نو ـ ميكوتو أولاً: آه! يا للمرأة الفاتنة!. فتابعت زوجته إيزانامي ـ نو ـ ميكوتو: آه! يا للرجل الفاتن! ثم تزوجا وأنجبا»[٢].

إن هذه الحكاية الأسطورية تبيِّن لنا كيف أن الشنتوية قامت على أساس تفضيل الرجل وإعطائه المكانة الأولى، وإذا تفحص باحث أو مطَّلع حال المجتمع الياباني اليوم يجد أن الأمر لا زال هو هو، فالرجل الياباني لا يزال السيِّد المطاع في بيته، ولا تزال الزوجة والأولاد يقفون أمام ربّ الأسرة موقف الإجلال والتقدير، لذلك قيل: «اليابان جنة الرجل».

وللصبي دور وامتيازات أكثر من الفتاة في مجتمع اليابان حتى يومنا هذا، ومن أسباب ذلك ما في معتقداتهم الدينية التي تنص على أن تقديس الآباء والأجداد، لا يمكن أن يقوم به إلا الأبناء والأحفاد الذكور.

وقد قاد هذا الأمر إلى إحساس الرجل الياباني بعظم المسؤوية العامة الملقاة على عاتقه في عمله وتجاه بلده. فالياباني لا يوفر جهداً إلا ويصرفه للنهوض بمؤسسته التي يعمل فيها، ولا هم عندهم إن كان ذلك مقابل أجر مادي أو على سبيل التطوع. حمل هذا المفهوم اليابانيات على قبول غياب الرجل لوقت طويل عن المنزل، وبالتالي باتت المرأة تقوم في الأسرة اليابانية

---

(١) كوجيكي، **وقائع الأشياء القديمة**، م.س، ص١٠٤، ١٠٥.

(٢) المصدر السابق، ص١٠٥.

بمعظم احتياجات الأسرة بما في ذلك رعاية الأولاد وتعليمهم، وبات غياب الرجل لوقت طويل في عمله محل اعتزاز من قبل زوجته.

ينقل السفير عبد الفتاح محمد شبانة من مشاهداته عن هذا الموضوع، ما يلي: «تتحكم التقاليد اليابانية في حياة الأسرة، فالرجل يقدِّس عمله، ويقضي فيه أوقاتاً إضافية حتى دون الحصول على أجر إضافي، ويعقب الانتهاء من العمل أن تتجمع كل مجموعة في أحد المشارب لتناول بعض المشروبات في جو بعيد عن رسميات العمل، وتناقش مشاكل العمل في جو ودِّي بين المرؤوسين والرؤساء.

. . .يترتب عليها أن يصل الزوج متأخراً إلى منزله مما يحرمه من رؤية أولاده، والإشراف على تعليمهم وتربيتهم تاركاً كل ذلك للزوجة المكافحة، ومن الطريف أن الزوجة، التي يعود زوجها للمنزل باكراً، تحس بالإحباط وخيبة الأمل لأن عودة زوجها مبكراً تعني أمام جيرانها أنه ليس من العناصر المهمة في المؤسسة التي يعمل بها»[١].

إن توزيع المسؤوليات وترك الرجل الياباني يعطي كل إمكاناته لعمله ربما شكل أحد أهم الدعائم لنهضة اليابان الحديثة بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م. إن المرأة اليابانية تخفف من الأعباء الكثير عن كاهل زوجها، وهذا أمر قائم حتى يومنا هذا في اليابان «تعتبر الزوجة هي المسؤولة عن المهام الجسام في الأسرة، فهي المسؤولة عن تدبير نقود لشراء مسكن للأسرة أو سيارة أو الآلات المعمرة للمنزل، وهي المسؤولة عن اختيار مدارس الأولاد، ومتابعة دراستهم، والاتصال بالمدرسين، وحضور إجتماعات مجالس أولياء الأمور، والزوجة هي التي تمثل الأسرة في جمعية الحيّ وتشترك في المداولات والقرارات لتحسين مستوى الخدمات بالحيّ»[٢].

وشريعة الشنتو لا تعارض تعدد الزوجات لا بل تقرُّه، وإن كان غير معمول به عندهم هذه الأيام. ورد في نصوص الـ «كوجيكي» ما يقرُّ ذلك صراحة، حيث جاء ما يلي بلسان زوجة أحد الأباطرة:

---

(١) شبانة، عبد الفتاح محمد، م.س، ص٢٤، ٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص٢٤.

«يا جلالة الإله ـ الثمانية ـ آلاف فأساً [أوكُني ـ نُشي]
مولاي، مولى ـ الإقليم ـ الكبير! أوكُني ـ نُشي.
لأنك رجل سوف تجد بسهولة
زوجة شبيهة بالأعشاب الفتية
في كل رأس من الجزر حيث سوف تمرُّ.
وأنا لأنني امرأة،
لا أستطيع أن اتخذ رجلاً، أي رجل، غيرك،
فسواك لا أستطيع أيَّ زوج»[١].

نلاحظ أن هذا النص قد بيَّن لنا كيف أن المرأة اليابانية تسلِّم بالمجتمع الذكوري، من ثمَّم بحق الرجل في تعدد الزوجات، بينما المرأة لزوجها فقط.

لكن هذا لم يمنع من احترام الحياة الزوجية، أو إعطائها هالة وموقعاً سامياً حيث طقوس الزواج في اليابان لا تزال تعتمد الطقوس الشنتوية المتوارثة، كما أن هذا الزواج لا يزال مكانه الهياكل والمعابد الشنتوية وليس الدوائر المدنية الحكومية التي يأتي دورها لاحقاً لتوثيق بعض المعاملات.

«يتمُّ الجانب الرسمي من الزواج في أحد معابد الشنتو، ويتناول العروسان كأساً من الساكية ـ المشروب الوطني المصنوع من اورز المُختمر ـ بعد أن يباركه الراهب في حضور أفراد قلائل من الأسرتين... يقف العروسان أمام الراهب ويركعان أمام نموذج المعبد، ثم يأخذان من الراهب كأس الساكية الذي يقدم قرباناً لآلهة الزواج. يقوم كل من العروسين بارتشاف قليل من الساكية ثلاث مرات لأنه في ديانة الشنتو فإن رقم ثلاثة يعني الحظ الطيِّب، وهو رقم محبب للآلهة فتستجيب للدعوات»[٢].

هكذا تبحر سفينة الحياة الزوجية بعد إضفاء هالة دينية عليها ليكون على عاتق المرأة العبء الأكبر في تدبير المنزل وشؤون الأسرة. ومجتمع اليابان لا يزال مجتمعاً تقليدياً محافظاً من هذه الناحية، ولم تغزُه أنواع السلوك الإباحي التي أصابت مجتمع أوروبا وأمريكا وسواهما.

---

(١) كوجيكي، **وقائع الأشياء القديمة**، م.س، ص١٤٣.
(٢) شبانة، عبد الفتاح محمد، م.س، ص٢٧.

يؤكد ذلك تقرير حكومي نشر في أواخر نيسان إبريل من العام ١٩٩٩م، يبيِّن كيف أن المرأة اليابانية لا تزال مساهمتها في الأعمال خارج المنزل أقل، وأنها على استعداد لترك العمل من أجل التفرغ لشؤون بيتها وأسرتها.

«ذكر تقرير للحكومة اليابانية أمس أنَّ واحدة فقط من بين كل عشر نساء عاملات في اليابان تتولى منصباً إدارياً. وقارن التقرير بين نسبة اليابانيات اللواتي يشغلن مناصب وهي ٩,٣ في المئة من بين ٢٦,٦٥ مليون امرأة عاملة في اليابان، وبين نسبة ٤٤,٣ في المئة في الولايات المتحدة و٣٠,٦ في المئة في النروج و٢٦,٦ في المئة في ألمانيا.

ووصف التقرير النسبة في اليابان بأنها منخفضة جداً. ويأتي التقرير في أعقاب تعديل قانون يحظر التمييز على أساس الجنس في التوظيف والترقيات، وفي الوقت الذي تعتزم فيه الحكوم استثمار أكثر من ١,٦ مليار دولار في تعزيز برامج لمساعدة المرأة العاملة.

وخلص التقرير إلى أن نسبة المديرين من النساء ترتفع بين الأجيال الشابة لكن لا تزال الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال عائقاً أمام تقدم المرأة في العمل.

وقالت هانيوا ناتوري، مدير مكتب المساواة بين الجنسين التابع لمكتب رئيس الوزراء: عندما نجمع بين العمل المدفوع الأجر وأعمال المنزل غير المدفوعة الأجر نجد أن النساء اليابانيات يعملن ساعات أطول... في إشارة أخرى إلى ثقل الأعباء الملقاة على كاهل المرأة.

وأضافت: إن الكثير من النساء يستقلن قبل بلوغهن مناصب قيادية بسبب العبء الإضافي المتمثل في الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال»[١].

قبل أن نختم هذا الفصل يكون مفيداً لو توقفنا عند أمر مهم ألا وهو التضامن الأسروي وتكريم الأبوين القائم في اليابان. إن الأبناء يحرصون على تكريم والديهم وإسكانهم معهم في منزل واحد، كما أن الإخوة يكونون جاهزين للتضامن مع بعضهم في حالات الطوارئ.

---

(١) جريدة **الديار**، بيروت، العدد ٣٨٠٩، السنة ١٢، السبت في ٢٤/٤/١٩٩٩م.

إن واقع الحال يشير بأن تضامن الأسرة في اليابان لا يزال قوياً، وهذا الأمر «يساعد بقدر كبير في استقرار حياة الأسرة والأفراد، وعلى سبيل المثال، فما زال من المعتاد أن يعيش الآباء المسنين مع أولادهم. وفضلاً عن ذلك، ففي كثير من الحالات يقدم الأبناء، الذين يعيشون منفصلين عن آبائهم كبار السن، مساعدات مالية لهم. وهذا الإحساس بالتضامن يوجد كذلك بين الذين تربطهم صلة الدم كالإخوة، والأخوات الذين يبدون استعداداً لمساعدة بعضهم البعض في مناسبات الطوارئ، مما يسهم في الاستقرار لحياة الأسرة وأفرادها إلى حد كبير. ولتشجيع مثل هذا التضامن، وضعت الحكومة مزايا ضريبية لأولئك الذين يساعدون ذويهم المتقدمين في السِّن، كما أنها تنفذ مشروعات لبناء مساكن عامة مصممة خصيصاً لسكن الآباء والأبناء معاً»[1].

إن نظام الأسرة في اليابان الذي يقوم على تراث شنتوي نما مع الزمن، أسهم، دون شك، في الاستقرار الاجتماعي، وفي التماسك الوطني من أجل تكون اليابان، بعد كل الذي أصابها، وبعد نصف قرن من الزمن، كما نشهد اليوم، دولة مزدهرة تنافس أوروبا وأمريكا وعواصم الصناعة والتقانة والقرار ـ الاقتصادي خاصة ـ في العالم.

الواقع الديني في اليابان اليوم

إن اليابانيين يتحدثون رسمياً عن الحرية الدينية، وأن حرية المعتقد مكفولة لأي مواطن، وفي دستورهم الصادر عام ١٩٤٦م، لم يعطوا أي امتياز لأية هيئة دينية، حيث جاء في دستورهم المذكور النص التالي: «لا يجوز لأي تنظيم ديني أن يتمتع بأية امتيازات من الدولة، أو أن يمارس أي سلطة سياسية. ولن يُجبر أي شخص على الاشتراك في عمل ديني أو احتفالات أو شعائر أو ممارسة دينية. ويمتنع على الدولة وأجهزتها إدخال الدين في المناهج الدراسية أو القيام بأي نشاط ديني آخر».

لكن هذا النص لا يلغي واقعاً حضارياً يابانياً هو أن الشنتوية عقيدة متأصلة في الشعب كله، فاعتبار الامبراطور رمز وحدة اليابان وتقديس الأسلاف ورؤية

---

(١) شريف، د. حسين، **التحدي الياباني في التسعينات**، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، سنة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، ص٢٨١، ٢٨٢.

التأله في كل ما في الطبيعة وعبادة آلهة الشمس «أماتيراسُ»؛ مع انتشار الهياكل التي يزورها كل اليابانيين، أضف لذلك المتفرعات الطقسية الشنتوية في الزواج والجنائز وسواها، كلها أمور راسخة لذلك بات تاريخ وواقع اليابان لصيقاً بالشنتوية.

البوذية كانت أول الديانات التي دخلت اليابان في وقت مبكر، وكان ذلك في القرن السادس الميلادي، وكان لها تأثيرها الثقافي والاجتماعي، وقد استطاعت بعد أخذ ورد طويلين، أن تعايش الشنتوية، واليوم يدين بمبادئ بوذية ما زيد عن ٨٠ في المئة من اليابانيين ولكنهم يزاوجونها مع الشنتوية، وتتداخل طقوس الديانتين في ممارساتهم اليومية. لذلك يمكن القول إن أغلب سكان اليابان هم شنتويون وبوذيون معاً.

الكونفوشية دخلت من الصين ولها بصمات حضارية وثقافية، وفي جانب الأخلاق، ولكن رغم ذلك لم يبق لها أتباع في اليابان.

أما المسيحية فقد كان دخولها اليابان لأول مرة في العام ١٥٤٩ للميلاد على يد بعثة من المبشرين الجيزويتيين بقيادة الأب فرانسيس كزافييه (Saint Francis Xavier)، لكن الامبراطور هايديويوشي ومن تلاه في السلطة وجدوا في المسيحية خطراً يهدد وحدة اليابان الوطنية خاصة في عهد الامبراطور توكوجاوا فقمعوها وأعملوا القتل في أتباعها، وقد تمكنوا من محاصرتها إلى درجة كبيرة مع العام ١٦٣٨م، لكن عادت ونشطت الدعوة إلى المسيحية بعد أن توقف القمع، ويقدر عدد المسيحيين حالياً بحوالي ٧٥٠ ألفاً موزعين بين الكاثوليكية والبروتستانتية.

أما الإسلام فدخوله يتجاوز بقليل المئة سنة. ففي عام ١٨٩٠م حيث كان الامبراطور ميجي في السلطة وصلت إلى ميناء يوكوهاما باخرة عسكرية تركية اسمها «أرطغرل»، وقابل قادتها الامبراطور ومكثوا في اليابان حوالي ثلاثة أشهر، وقد دخل على يدهم في الإسلام شخص يدعى تورا جيرويامارا الذي أصبح اسمه: عبد الحليم. وقد وفد إلى تركيا لمدة عامين يدرس علوم الإسلام عاد بعدها إلى بلده مشراً، أما أول ياباني أتى إلى مكة المكرّمة لأداء فريضة الحج فاسمه كونارو ياماؤكا الذي سمى نفسه عمر، وكان حجه عام ١٩٠٩م.

والشخصية التي كان لها بصماتها في الدعوة للإسلام في اليابان هو الشيخ التركي الأصل محمد بن عبد الرحمن قربان علي، الذي وصل اليابان عام ١٩٢٠م، والذي تمكن من جمع التبرعات لبناء أول مسجد في أرض اليابان، وكان ذلك في طوكيو العاصمة سنة ١٩٣٧م، وقد تم افتتاح هذا المسجد عام ١٩٣٨م، وتوالى بعدها وإلى يومنا هذا بناء بعض المساجد أو تأسيس بعض الجمعيات، ويقدر عدد المسلمين حالياً في اليابان بحوالي ٢٠٠ ألف مسلم.

نخلص إلى القول: إن عدد المسلمين والمسيحيين لا يتجاوز المليون نسمة من أصل سكان اليابان الـ ١٢٨ مليوناً، وبذلك يكون اليابانيون على الشنتوية الممزوجة بالبوذية في الغالب والتي تتوزع على أكثر من مئة مذهب ومدرسة دينية.

الفصل السابع

الكونفوشية

الصين

الصين عملاق عالمي بين الدول مساحة وسكاناً. فمساحة الصين ٩,٦ ملايين كلم² وهي الثالثة بعد روسيا وكندا عالمياً من حيث المساحة، ويسكنها بحدود ٢١ بالمئة من سكان العالم، وسكان الصين منذ العام ١٩٩٥م بحدود مليار ومئتين وعشرين مليون نسمة، وقد حافظت الصين على موقعها السكاني هذا بالنسبة نفسها منذ العام ١٩٦٠م.

تتمتع الصين بحركة نمو مطردة شهدت تقدماً معدَّله بحدود ٣ أضعاف ما كانت عليه، وقد أسعفها على ذلك ثروتها المعدنية التي تضم لائحتها حوالي ١٥١ معدناً، وأرضها الزراعية البالغة ٩٤,٩١ مليون هكتار، وغاباتها البالغة ١٢٨,٦٣ مليون هكتار، وأراضيها العشبية البالغة ٤٠٠ مليون هكتار، مما جعلها غنية بالثروة الحيوانية والبرية منها بشكل خاص، التي يبلغ عدد أنواعها الألفين أي ما معدله ١٠ بالمئة من مجموعها في العالم.

الصين هذه تأصلت فيها الكونفوشية منذ زمن بعيد يبلغ ٢٥ قرناً، وبات اسم الصين ملازماً للكونفوشية. والكونفوشية يدين بها سكان الصين عموماً إلا القلة، وتراث الصين وحضارتها ملتحمان معها. فالمؤمنون بالإسلام والمسيحية والبوذية والطاوية[1] لا يزيد عددهم عن ١٠٠ مليون، ويبقى مليار ونيف من الكونفوشيوس.

---

(١) الطاوية: Taoism = التاو: كلمة صينية معناها: الطريق أو السبيل، ويقصد بها الطريق الصحيح، طريق السماء. أما الطاوية أو التاوية كمذهب فقد أسسها في القرن السادس قبل الميلاد لاو ـ تسو، ومذهبه يقوم على التأمل ويخاطب الأحاسيس، وقد عمل أتباعه باحثين عن إكسير الحياة كيميائياً.

والصين عملاق متفرد في خصائصه الحضارية، وأنماطه الثقافية حيث «تقف الصين وحدها وسط حضارات العالم العظيمة. فقد تطورت في عزلة تامة، تقريباً، عن بقية الحضارات... ويتكلم الصينيون لغة لا تربطها صلة بأية جماعة لغوية أخرى، وتكتب بخط اخترعوه لا يشبه غيره.... كان الشعب الصيني في تراثه التقليدي يعتبر نفسه مركزاً للكون، وكلمة شنج ـ كيو Chung-Kou، وهي الاسم الصيني للصين، تعني حرفياً مملكة الوسط، فقد عدَّ الصينيون أنفسهم على نحو ما فعل الإغريق، جزيرة من الثقافة وسط بحر من التوحش والهمجية»[١].

الصين هذه يجد فيها دعاة العَوْلَمة/ الأمْرَكَة هذه الأيام أنها تضاف إلى الإسلام ليشكلا سداً يمنع سياسة العَوْلمة من السيادة بقيادة منفردة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية. ها هو صامويل هنتنجتون الأمريكي يقول في كتابه «صدام الحضارات»: «بالنسبة لحضارات التحدي من المرجح أن تكون علاقات الغرب بالإسلام والصين متوترة على نحو ثابت وعدائية جداً في معظم الأحوال... الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية، كل منهما ينتظم تقاليد ثقافية عظيمة تختلف جداً عن التي لدى الغرب، وهي في نظرهما أرقى من تقاليد الغرب بمراحل لا محدودة»[٢].

لهذا يكون من المهم أن يقف الإنسان على الكونفوشية التي طبعت الصين بطابعها.

كونفوشيوس والكونفوشية[٣]

الكونفوشية تنسب في أساس نشأتها إلى شخص بعينه هو K'ung-fu-Tzu؛

---

(١) بارندر، جفري، م.س، ص٢٦٧.

(٢) هنتنجتون، صامويل، **صدام الحضارات**، ترجمة طلعت الشايب، تقديم د. صلاح قنصوه، القاهرة، سنة ١٩٩٨، ص٢٩٥، ٢٩٦.

(٣) هذه الفقرة تعتمد المراجع التالية:

ـ بارندر، جفري، م.س، ص٢٨٤ وما بعدها.

ـ ديورانت، ول، **قصة الحضارة**، ج٤، م١، ترجمة محمد بدران، بيروت، دار الجيل، بدون تاريخ، ص٤٠ وما بعدها.

ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، الندوة العالمية للشباب =



تمثال لكونفشيوس يعتمده أتباعه

كونج ـ فو ـ دْزه. وكونج بالصينية معناها: المعلم. وكونفوشيوس ولد في عام ٥٥١ق.م، في مناخ تسود فيه المدارس الفلسفية في الصين، وكانت تلك الفلسفات تتجه غالباً إلى الإنسان وإدارة شؤون الدولة والمجتمع، لذلك اتسمت الفلسفة الصينية بطابع الاجتماع والسياسة، ولم يكن كونفوشيوس سوى الشخص المنفرد المميز في هذه السلسلة.

كانت ولادته في مدينة تشو ـ فهو وهي في مملكة لو Lu، وحالياً هي ولاية شان تونج، وعاش حياته فيها إلى حين وفاته عام ٤٧٩ق.م.

وكونفوشيوس الذي يتحدر من أسرة أرستقراطية أحاطت بولادته أوهام وأفكار خيالية، تتناقلها القصص في التراث الصيني، منها أن الأشباح أبلغت إلى أمه الشابه مولده غير الشرعي، وكيف كانت الأرواح الإناث تعطر لها الهواء وهي تلده في أحد الكهوف.

كونفوشيوس الذي ينتسب إلى سلالة «يين» التي كان منها ملوك لبلادهم

= الإسلامي، الرياض، ط٢، سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، ص٤١٧ وما بعدها.

ـ **موسوعة السياسة**، ج١٥، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، سنة ١٩٨٧م، ص٢٨٨ وما بعدها.

وانتزعت منها السلطة سلالة «زهو»، عاش يتيماً، فوالده توفي وهو ابن ثلاث سنوات، وقد مال إلى دراسة الفلسفة مع اشتغاله بأعمال بسيطة، ولكن ما إن شبَّ ونضجت شخصيته حتى فرض نفسه، فاستعان به الأمراء مستشاراً، وتقلَّب في مناصب الحكم والقضاء، ووصل إلى منصب الوزير الأول في (لو Lu) سنة ٤٩٦ق.م. إلا أن الاهتمام الأساسي لكونفوشيوس انصب على نشر مذهبه الفلسفي، وهو مشروع إصلاحي إجتماعي أخلاقي اعتمد التعليم المباشر والحوار مع الأتباع الذين بلغوا الآلاف إبان حياته، وقد تفرغ أواخر عمره لعمله التعليمي هذا.

ذكر بعض مريديه أنهم سمعوه ينشد في الصباح، قبيل وفاته بقليل، الأغنية الحزينة التالية:

سيُدكُ الجبل الشاهق،

وتتحطم الكتلة القوية،

ويذبل الرجل الحكيم كما يذبل النبات.

أدبيات الكونفوشية[1]

إن كونفوشيوس الذي اعتمد الطريقة السقراطية في التعليم من خلال المحاورة، قد أبقى قسماً من تراثه بين طلابه يتناقلونه شفهياً حيث قاموا فيما بعد بتدوينه.

وتجدر الإشارة إلى مسألة هي أن الصينيين قبل كونفوشيوس كانوا يعطون للتدوين والكتابة هالة معينة بحيث لا يكون التدوين إلا لبعض الأمور الطقسية والشعائرية أو لأرشيف الحكومات، ولم يكن التأليف الفردي معتمداً.

---

(١) تعتمد هذه الفقرة على المراجع التالية:

- توكاريف، سيرغي، م.س، ص٢٦٩.
- كولر، جون، **الفكر الشرقي القديم**، ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة د. إمام عبد الفتاح إمام، الكويت، عالم المعرفة، تموز/يوليو ١٩٩٥م، ص٣٣٤ وما بعدها.
- ديورانت، ول، م.س، ص ٤٩ وما بعدها.
- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، م.س، ص٤٢٢ وما بعدها.
- **موسوعة السياسة**، م.س، ص٢٨٩ وما بعدها.

يُعدُّ كونفوشيوس أول من كسر هذا التقليد، وأسند إلى نفسه مهمة الكتابة لتوعية معاصريه بما ينشره من مبادئ وقيم أخلاقية واجتماعية تدور حول شؤون السلطة وإدارة المجتمع. أما كتب الكونفوشية المنسوبة، والتي لا تزال معتمدة، فهي الكتب الخمسة الكلاسيكية التي تركها كونفوشيوس، يضاف إليها أربعة كتب دونها التلامذة، وقالوا بأنها تضم مجموعة أقوال وتوجيهات قالها كونفوشيوس لمريديه:

أ ـ الكتب الخمسة الكلاسيكية للكونفوشية

وهي كتب ألَّفها ودونها كونفوشيوس، يختصُّ كل واحد منها بموضوع يختلف فيه عن الآخر، وهي:

١ ـ كتاب **الشعر** أو **الأغاني** **Shih Ching**، وهو مجموعة من الأشعار يعود تاريخها إلى عهد تشو، وتتألف من ٣٥٠ أغنية وستة تواشيح تغنى بمصاحبة الموسيقى.

٢ ـ كتاب **التاريخ** **Shu Ching**، ويحوي تاريخ أباطرة الصين وملوكها، ويحوي وثائق مهمة من التاريخ الصيني، هذا بالإضافة إلى قصص تظهر سمو الأخلاق والطباع من الصين الامبراطورية الموحدة قبل عهد كونفوشيوس حيث يظن أن حكامها كانوا أبطالاً يعملون في غير أنانية لتمدين الشعب ورفع مستواه ويتحدث عن المرحلة من عام (٢٠٠٠ق.م حتى ٧٠٠ق.م).

٣ ـ كتاب **التغيرات** أو **التحول** **I-Ching**، يحوي صيغاً سحرية وتعاويذ، وفيه نصوص تدور حول تفسير الظواهر الكونية والطبيعية تستخدم على نطاق واسع في العرافة، وينسب هذا العمل إلى وينج وانج Weng Wang (1100ق.م)، وهذا الكتاب يتطرق إلى موضوع ما وراء الطبيعة (ميتافيزيقا) الذي حرص كونفوشيوس على أن لا يقرب منه.

٤ ـ كتاب **الطقوس** أو **سجل المراسم** **Li Chi**، ويحوي وصفاً للطقوس الدينية الصينية القديمة بالإضافة إلى مجموعة من القواعد التي تنظم السلوك الاجتماعي، وكان يعتقد كونفوشيوس أن هذه القواعد في آداب اللياقة من الأسس الدقيقة التي لا بد منها لتكوين الأخلاق ونضجها، واستقرار النظام الاجتماعي، وتشير بعض الدراسات إلى أن هذا الكتاب قد تمَّ وضعه بعد

كونفوشيوس، ولكنه يمثل بصورة جيدة القواعد والعادات التي تعود إلى عصور سابقة.

٥ ـ كتاب **حوليات الربيع والخريف Chun Chiu** وهو سجل لوقائع الأحداث ومجريات الأمور في لو Lu، موطن كونفوشيوس، وذلك من سنة ٧٢٢ق.م إلى سنة ٤٦٤ق.م.

ب ـ الكتب الأربعة

وهي نصوص منسوبة لكونفوشيوس نفسه، ومنها ما قد يكون لبعض تلامذته، وقد تم تدوينها بعده مضافاً إليها بعض التفسيرات أحياناً، وهذه الكتب الفلسفية هي:

١ ـ **مختارات كونفوشيوس** أو كتاب الأخلاق والسياسة Lun Yu، وهي مجموعة آراء ونصائح ومواقف لكونفوشيوس، وقد قام تلامذته بجمعها وتنسيقها، وكلها تعاليم توجه إلى قيم توجه الإنسان باتجاه الكمال.

٢ ـ **كتاب العلم العظيم Ta Hsueh**، ويضم أبرز تعاليم كونفوشيوس حول نظام الحكم، ويحوي هذا الكتاب تطوير هسون تسو لفكر كونفوشيوس.

٣ ـ **عقيدة الوسط، (تشونج يونج Chung Yung)** وهو تعاليم حول ضرورة مراعاة الانسجام في الأمور كافة والبعد عن التطرف، وموضوعاته حول تنظيم الحياة وتحقيق الانسجام لذلك سمّاه بعضهم كتاب الانسجام المركزي.

٤ ـ كتاب **منشيوس منج تسو Meng Tzu** ويحوي حِكَماً وأمثالاً عائدة لكونفوشيوس أو لبعض تلامذته مع شروح وحواشي وضعها منشيوس الذي يعد من الشرّاح الأوائل لفكر كونفوشيوس.

إن هذه الكتب التسعة جميعاً لا تدخل ولا تتدخل كثيراً في ما يصح أن نسميه الإلهيات Theologie، ولا تبحث في الألوهية والخلق أو فيما وراء الطبيعة بقدر ما نجدها تتجه إلى الأحداث والوقائع، إلى الأخلاق أو إلى السياسة، فالمجتمع وإدارته ونظامه والحكم والقضاء والعدل هي الأمور التي تدور حولها في الأغلب هذه الأدبيات.

«فالشيء الرئيسي في تعاليم كونفوشيوس، هو أنها تعاليم عن قواعد السلوك، وعن الحياة السليمة. إنها منظومة أخلاق سياسية وذاتية،

وكونفوشيوس بالذات قليلاً ما كان يصرف انتباهه نحو الأمور الميتافيزيقية... فاهتمامه الرئيسي كان موجهاً نحو الجانب العملي من مذهبه»[١].

ما المشروع الفكري لكونفوشيوس؟

لم يذهب كونفوشيوس باتجاه الحديث عن أمور ما وراء الطبيعة، ولا بحث في نظام الكون وسننه، ولا هو أَوْلى جلَّ اهتمامه للبحث في المادة والماديات وظواهر الطبيعة ومظاهرها، وإنما تركز اهتمام كونفوشيوس على الإنسان.

حضارة الصين كحالة حضارة بلاد الهند وفارس، وكحالة حضارة المنطقة العربية بكل تفرعاتها، خصوصاً بعد رسالات السماء وبعثة الأنبياء صلوات الله عليهم؛ حضارة إنسانية المنطلقات، إنسانية الغايات، فمحورها الرئيسي هو الإنسان، والأبحاث فيها تتجه إلى ابتكار أفضل الأساليب التي تساعد على تحقيق سعادته.

هذا ما دفع جون كولر إلى القول: «إن الاهتمامات بالناس تأتي أولاً في الصين، فالعالم الإنساني له الصدارة، أما عالم الأشياء فيحتمل مرتبة ثانوية، وهذه السمة تجلى في الكونفوشية في التأكيد على النزعة الإنسانية الاجتماعية...

يؤدي التأكيد على العظمة الإنسانية، بصورة طبيعية، إلى التأكيد على الأخلاق والحياة الروحية، فالروح، وليس الجسم، هي الجانب الأهم في الوجود البشري، وهذه الروح لا بد من تغذيتها ورعايتها، لكي تتطور بحسب قدراتها، ولقد كانت الحياة الأخلاقية مطلباً مسبقاً لهذا التطور، وتلك إحدى الخصائص البالغة الوضوح في الكونفوشية»[٢].

إن المشروع الفكري الإصلاحي لكونفوشيوس ولد من رحم هذه السمات الحضارية الإنسانية الطابع، وإذا كان كونفوشيوس هو ما تُنسب إليه الكونفوشية إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن الكونفوشية لا تبعد كثيراً عن الهندوسية في الهند، والشنتوية في اليابان. والمعلوم أن الهندوسية كما

---

(١) توكاريف، سيرغي، م.س، ص٢٦٩.

(٢) كولر، جون، م.س، ص٣٢٧.

الشنتوية تعبر كل واحدة منهما عن التراث والتراكم المعرفي عبر الأجيال لبلديهما، كذلك الحال بالنسبة للكونفوشية فهي الصياغة الإنشائية من قبل كونفوشيوس وبعده أتباعه أو من انبروا لشرح وتحليل أفكاره لمفردات ومفاهيم الثقافة الصينية، فكونفوشيوس كرَّر أو صاغ العديد من أفكار السابقين عليه، وتواصل العطاء في الصين، من كونفوشيوس إلى يومنا هذا، في حالة اتصال وتراكم معرفي يكمِّل بعضه بعضاً.

إن هذا التوحد بين حضارة الصينيين الكونفوشية دفع إلى اعتماد الكونفوشية مرتكزاً تعليمياً وأساساً للممارسة السياسية والاجتماعية. . . إلخ، فكانت بذلك في موقع باعثة الحياة في الفكر الصيني عبر المراحل كافة. لذلك يصح الاستنتاج بأن شريعة الكونفوشية «لا تتكوَّن من مؤلفات مؤسسي الكونفوشية فحسب، بل كذلك من الوثائق الدنيوية التي كانت موجودة قبل كونفوشيوس، وتشكِّل التراث الكلاسيكي للصين. لقد ظلت الشريعة الكونفوشية لألفين من السنين هي العصب الرئيسي لمنهج التربية والتعليم في الصين، وكان الإلمام بالشريعة على سبيل المثال، هو أحد المتطلبات الرئيسية في امتحانات الخدمة المدنية»[١].

يقودنا البحث إلى سؤال: ما سر نجاح المشروع الفكري لكونفوشيوس؟ الجواب بكل بساطة: إن كونفوشيوس عكف على مجتمعه باحثاً في أزماته وقضاياه التي تمس حياة المواطن من الجوانب كافة، وعاد إلى تراث بلاده، ومن ذلك خرج بأفكاره الإصلاحية التي تنطلق من الإنسان والمجتمع من أجل الإنسان، فكان لأفكاره القبول العام بسبب ذلك.

إن الكونفوشية لست ديناً وضعياً بالمفهوم المتعارف عليه، لكنها تؤسِّس على يقين مقدس فلسفة إنسانية تركز على أن الاعتقاد بفطرة الإنسان الطيبة وبضرورة تطوير الذات والحياة الخاصة هذا مع احترام الآخرين، فإن ذلك سيساعد على نشر السعادة في المجتمع كله[٢].

تأسيساً على ما تقدم يكون كونفوشيوس مصلحاً سياسياً واجتماعياً، كما

---

(١) بارندر، جفري، م.س، ص٢٦٩.

(٢) يراجع: كولر، جون، م.س، ص٣٣٤، ٣٣٥.

- **Encyclopédie des religions**, V.1, Ibid, P. 1097.

أعلن ومارس خلال حياته، ولم يشغل وقته بنظام للعبادات والشعائر بقدر ما انصب اهتمامه على الجانب الإصلاحي من أجل تحقيق الاستقرار لمجتمعه، حيث كانت حياته في حقبة صعبة من تاريخ الصين ومنطق لو Lu التي ينتمي إليها بشكل خاص.

وكونفوشيوس «يرى نفسه رجلاً شريفاً متحضِّراً كرس حياته للتعليم بأن الرفق تجاه الآخرين، وقواعد الأخلاق، والعلاقات العائلية السليمة هم الذين يحققون أساس مجتمع منسجم ومنظم تنظيماً جيداً»[١].

مشروعه الفكري مشروع إصلاحي بهدف إلى إصلاح المجتمع وإسعاد الإنسان، وإلى سيادة القيم الخلقية تحقيقاً لدولة قوية مستقرة.

هل الكونفوشية دين؟

الكونفوشية مذهب يُدين به خُمس سكان العالم، وإذا كانت في عهد مؤسسها أقل من مشروع مذهب ديني وضعي وأكثر من نظام أخلاقي، إلا أنها تحوَّلت في مراحل لاحقة إلى عقيدة وشريعة يتبعها هذا الكم السكاني الكبير في الصين.

«والواقع أن كونفوشيوس كان يعتبر الدين والأخلاق والسياسة شيئاً واحداً، فكلمة (Li) لي التي تعني عنده النظام الاجتماعي تعني في نفس الوقت النظام السياسي والنظام الديني، وهذه الكلمة، كلمة (Li)، قد أخذت معنى خاصاً عند الصينيين، فإذا أُطلقت وحدها فُهم منها مذهب كونفوشيوس السياسي والديني والاجتماعي»[٢].

لعل النقاش الذي دار ويدور حول ما إذا كانت الكونفوشية مذهباً دينياً أم مجرد نظام أخلاقي يعود إلى ما كان يعمده كونفوشيوس من أسلوب التركيز على كل ما يعني السلوك الإنساني، وبالمقابل كان يتجنب كل حديث عن الغيب وما بعد الموت، والمعلوم أن النزعة المسيطرة على كونفوشيوس كانت «تطبيق مبادئ الفلسفة على السلوك وعلى الحكم، قد كان يتجنب البحث فيما

---

(١) **Le grand livre des religions du monde**, Ibid, p. 180.

(٢) شحاتة سعفان، د. حسن، **كونفوشيوس**، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ، ص٦١.

وراء الطبيعة، ويحاول أن يصرف عقول أتباعه عن كل الأمور الغامضة، أو الأمور السماوية. صحيح أن ذكر السماء والصلاة كان يرد على لسانه أحياناً، وأنه كان ينصح أتباعه بألَّا يغفلوا عن الطقوس والمراسم التقليدية في عبادة الأسلاف والقرابين القومية، ولكنه كان إذا وجِّه إليه سؤال في أمور الدين أجاب إجابة سلبية... ولما سأله كي ـ لو، عن خدمة الأرواح ـ أرواح الموتى ـ أجابه: إذا كنت عاجزاً عن خدمة الناس فكيف تستطيع أن تخدم أرواحهم؟

وسأله كي ـ لو: هل أجرؤ على أن أسألك عن الموت؟ فأجابه: إذا كنت لا تعرف الحياة فكيف يتسنى لك أن تعرف شيئاً عن الموت؟»[١].

هذه الإجابات السلبية التي رد بها كونفوشيوس تعطي فكرة عن أسلوبه في التعاطي مع النظام العقدي، ويتبين أنه لم يولِ هذه المسألة اهتماماً كبيراً، ولا حاول كونفوشيوس الذهاب بعيداً مع معاناة الناس أو تساؤلاتهم، وإنما سعى كي يبقى ملتصقاً بالواقع في معظم ما طرحه.

لذلك يمكن القول: إن «**الكونفوشية ليست نظاماً ذهنياً أو فكرياً عقدياً أو ذا اتجاه قطعي في أطروحاته، لأن مؤسس هذه الديانة لم يعمل لفرض نظرياته وآرائه، ولا رغب في استغلال معاناة الناس وعذابهم، وإنما سعى بسلوكه ذي الطابع الإنساني أن يثبت أن للحياة معنى، وأن السعادة تكون بالعيش في مناخ الفضيلة واحترام القيم والاعتراف بالآخر**»[٢].

إن كونفوشيوس الذي عاش في مجتمع يسوده الاضطراب، والفوضى السياسية، وعدم انتظام الحياة العامة بشكل سليم، خصص جهده ومذهبه لإنقاذ المجتمع من هذه المعاناة، لهذا طغى الجانب الاجتماعي على ما عداه في الكونفوشية، وهذا ما دفع أحد المعاصرين إلى القول: «الكونفوشية مذهب يتسم بنزعة إجتماعية دنيوية، قد ناضلت من أجل بلوغ أكبر قدر ممكن من العدالة الاجتماعية يمكن تحقيقه في مجتمع إقطاعي بيروقراطي»[٣].

---

(١) ديورانت، ول، م.س، ج٤، م١، ص٥٣.

(٢) **Encyclopédie des religions**, V.1, Ibid, P. 1095.

(٣) نيدهام، جوزيف، **موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين**، ترجمة محمد غريب جودة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٥م، ص١٣٩.

نخلص إلى نتيجة مفادها أن الكونفوشية بما شهدته من تطور وإضافات، ومحطات من الاندفاع والامتداد أو الانكفاء عبر قرون عديدة بلغت إلى أيامنا ٢٥ قرناً تبلورت على شكل ديانة لها معتقداتها وطقوسها ومعابدها، وإن كان الجانب الاجتماعي السياسي الأخلاقي هو الغالب فيها.

معتقدات الكونفوشية

إن كونفوشيوس الذي وجه اهتمامه إلى الإصلاح الاجتماعي السياسي، والذي كان يهدف إلى صياغة مجتمع صيني مستقر، لم يخرج عن المألوف الصيني في المعبود، ولم يذهب إلى مظهر طبيعي يعبده كالشنتوية في اليابان الذين قدسوا آلهة الشمس، أو كالهندوسية في الهند التي انطلقت من الثالوث: براهما ـ فيشنو ـ شيفا إلى الإيمان بآلهة متخصصة لكل شأن.

لقد آمن كونفوشيوس «بأنه ليس في الوجود سوى إله واحد قوي الإرادة هو السماء، وكان أول من صرَّح بوجود العناية الوحدانية بالصين عندما كانت الصين غارقة في ظلمات الوثنية والوحشية. ولم يكن هو نفسه موضع عبادة أو تأليه، ولم يرضَ بذلك، لأنه كان يعتبر الآلهة رموزاً لقوى الطبيعة وأرواح السلف ليس أكثر»[١].

هكذا قامت العقيدة عند الكونفوشية على أساس عبادة السماء مع تلمس الوحدانية، وعلى افتراض آلهة تعرب عنها قوى وظواهر الطبيعة، ومن ثم تقديس الأسلاف على الطريقة الشنتوية اليابانية، والعنصران الآخران في العقيدة مشتركان بين الكونفوشية والشنتوية.

يمكن تحديد العقيدة الكونفوشية عل الوجه التالي: «إن الديانة التي اعتنقها كونفوشيوس والتي كانت سائدة في أيامه، على الرغم من الاضطراب الفكري والديني والفلسفي الديني الذي كان سائداً آنذاك، كانت قائمة أولاً على عبادة السماء باعتبارها الإله الأعظم وحاكم الحكام أو رب الأرباب، ثم عبادة الأرض لأن للأرض هي الأخرى إلهاً، ثم عبادة أرواح الأجداد ثم عبادة الجبال والأنهار»[٢].

---

(١) حميد، فوزي محمد، م.س، ص٢٣١.

(٢) شحاتة سعفان، د. حسن، م.س، ص٦٣.

وعند الكونفوشية تفسير يحاولون من خلاله تبرير اعتقادهم بقوى الطبيعة وكائناتها، هذا التسير يبدأ من الماء والنار وما يتعلق بهما وينتهي مع الإنسان، وهو عندهم أرقى الكائنات. ولقد عبَّر عن ذلك أحد المجددين في الكونفوشية هسون تسو (٣١٢ق.م ـ ٢٣٨ق.م) من خلال قوله: «للماء والنار چيهيان Chihi؛ أي روحان رقيقان، لكن ليس لهما شينج Shêng (حياة)؛ وللنباتات والأشجار شينج، ولكن ليس لهما چيه Chih أي (إدراك)؛ وللطيور والحيوانات چيه ليس ليس لها (آي I) (إدراك للعدل). أما الإنسان فله چيهي وشينج وچيه بازضافة إلى آي، لذا فالإنسان أنبل الكائنات الأرضية»[١].

تأسيساً على ما تقدم نجد أن الإكونفوشية تضع في رأس القائمة الإنسان حيث تتركز فيه الخصائص كلها الموزعة في سائر المخلوقات. وينتقل بعدها المعتقد عند الكونفوشية إلى الثنائية التي تحكم نظام الأشياء، ومن ثم إلى العناصر الخمسة ومتعلقاتها وهي أساس الحركة في السنن الكونية.

الكون عندهم دينامي متحول وصيرورة لا تتوقف، من ذلك «نشأ مفهوم Yang Yin؛ الـ Yang الذي يدل في الأصل على الطرف المضيء لهضبة، وال Yin الذي يدل على الطرف الآخر.

اختير هذان الطرفان لأنهما مختلفان تماماً ومتكاملان ومتواصلان. إنهما يحكمان الأرض: الـ Yang المضيء، الجبار القاسي، والمذكر، والـ Yin المظلم البارد العذب والمؤنث... والعناصر الخمسة نُظموا أيضاً: الأرض ـ الخشب ـ النار ـ المعدن والما، ولكل عنصر منهم جهة هي بالتتالي: الوسط ـ الشرق ـ الجنوب ـ الغرب ـ الشمال، ولكل عنصر لون هو: الأصفر ـ الأخضر ـ الأحمر ـ الأبيض والأسود، ولكل عنصر طعم هو: حلو ـ حامض ـ مر ـ حار ـ مالح، ولكل واحد منهما عنصر فيزيائي هو: العضلات ـ العظام ـ النفس ـ الأظافر ـ الدم، ولكل عنصر نشاط إنساني هو: الطهارة ـ العلوم ـ النظام الجيِّد ـ الخبرة ـ الرصانة، ولكل عنصر شعور هو: الحب ـ الفرح ـ السعادة ـ الحزن ـ الغضب»[٢].

---

(١) نيدهام، جوزيف، م.س، ص١٤٣.

(٢) **Le grand livre des religions du monde**, Ibid, P. 178.

إن هذه العناصر الخمسة تشكل محور المعتقد الكونفوشي لذلك كانت عندهم ضمن عباداتهم المرتبطة بالعقيدة خمسة قرابين: «وهذه العبادات الخمس كانت لها طقوس خاصة تختلف من عبادة لأخرى، كما كانت القاربين التي تقدم في حالة عبادة السماء غير تلك التي تقدم في الة عبادة الأرض مثلاً. وعبادة هذه الأشياء الخمسة إنما كانت لأغراض نفعية خاصة بالإنسانية؛ فعبادة السماء أو ربِّ الأرباب تؤدي إلى أن يقوم كل رب من الأرباب الأخرى المنتشرة في السماء والأرض والبحر بمهمته المكلف بها، وعبادة الأرض من شأنها أن تحفز إله الأرض إلى إنماء النبات وإخراجه إلى حيز الوجود، وعبادة أرواح الموتى الأجداد في المعبد الخاص بذلك من شأنها أن تؤكد الصلة بين الأجداد والأحفاد والآباء والأبناء وتولد الشفقة والعطف بين أفراد الأسرة الواحدة. أما عبادة الجبال والأنهار فهي لتقديس الأرواح الإنسانية الأخرى غير أرواح الأقارب والأجداد، أما تقديم القرابين الخمسة فالغرض منه تخليد أصل الحرف الإنسانية»[١].

إن عقيدة الكونفوشيوس تتلخص فيما يلي:

- الإله الأعظم أو إله السماء.

- إله الأرض، ومن ثم إله الشمس والقمر والكواكب والجبال والأنهار، ولكل إله تقدم قرابين معينة.

- أرواح الأسلاف فهي عندهم موقع قداسة وعبادة.

- الإيمان بثنائية الـ Yang والـ Yin والعناصر الخمسة وخصائصها وصولاً إلى القرابين الخمسة التي يقدمونها ولكل واحدة وجهتها.

العبادات والهياكل في الكونفوشية

كان الصيني قبل كونفوشيوس يعبدون السماء ويقدسونها، وكانوا يقدسون الأسلاف ويعبدونهم، وعندما جاء كونفوشيوس وأرسى أس هذه العبادة استقبل الصينيون عموماً دعوته، وكان لها انتشار سريع في أرجاء البلاد كافة، لأنها وافقت مزاجهم، والتزمت منتجات تراثهم الديني.

---

(١) شحاتة سعفان، د. حسن، م.س، ص٦٣.

وقد عرف واقع الصين انتصار وسيادة «الكونفوشية، وعبادة الأسلاف على كثير من الديانات المنافسة لهما، وقاومتا هجمات كثيرة من أعدائهما، وخرجتا ظافرتين من صراع دام عشرين قرناً، لأن الصينيين يشعرون بأنهم لا غنى عنهما للاحتفاظ بالتقاليد القومية السامية التي أقامت الصين عليها حياتها. وكما كانت هاتان الديانتان هما الضمانتين الدينيتين لهذه الحياة، فكذلك كانت الأسرة هي الوسيلة الكبرى لدوام هذا التراث الأخلاقي. فقد ظل الأبناء يتوارثون عن الآباء قانون البلاد الأخلاقي جيلاً بعد جيل حتى أصبح هذا القانون هو الحكومة الخفية للمجتمع الصيني»[(١)].

إن هذا النسيج العقدي الموحد للصينيين هو الذي أسهم في صياغة وحدة دينية وقومية جعلت مجتمعهم متماسكاً في الظروف وأمام التحديات كافة. وكانت رأس العبادات عندهم تلك الاحتفالات السنوية الضخمة التي تقام بأمر من الامبراطور وبمشاركته، وتقدم فيها القرابين للسماء بوصفها تشير عندهم إلى إرادة الإله. يقول ول ديورانت وهو يصف هذا الاحتفال السنوي: «كان من الأصول المقررة في الديانة الكونفوشية الاعتراف بالشانج ـ تي، أي القوة العليا المسيطرة على العالم، وكان الامبراطور في كل عام يقرِّب القربان باحتفال عظيم على مذبح السماء لهذا المعبود المحرر. وقد خلا هذا الدين الرسمي من كل إشارة للخلود، فلم تكن السماء مكاناً بل كانت إرادة الإله أو نظام العالم»[(٢)].

لقد آمن الكونفوشيوس كمن قبلهم من الصينيين بإرادة عامة تخلق وتسيِّر المخلوقات أطلقوا عليها اسم السماء. بعد عبادة السماء هذه تحل في مرتبة تالية عبادة الأسلاف، وعبادة الأسلاف هذه جعلت ثمة خصوصية عائلية في طقوس العبادات، وإقامة المعابد، حيث أقامت كل عائلة هياكلها ومعابدها الخاصة، وكثيراً ما كانوا يجعلون هذا المعبد أو الهيكل، وهو عندهم «البچودة»، لتخليد ذكرى مؤسس العائلة أو من كان في تاريخها الأكثر بروزاً. «إن عبادة الأسلاف هذه أضحت القسم المكوِّن الرئيسي للمعتقدات والطقوس الصينية، رغم أنها ليست ديناً رسمياً في الصين، فكان لكل عائلة معبدها

---

(١) ديورانت، ول، م.س، ج٤، م١، ص٢٦٥.
(٢) المصدر السابق، ص٢٥٩.

العائلي الخاص أو مصلّاها، حيث تقام فيه طقوس العبادة العائلية في وقت محدد، ولكل سلالة ـ شي ـ معبدها العشائري للأسلاف (مياو ـ أوتزون ـ مياو) وكثيراً ما يدعى الآن نصيتان، مكرس الأوائل من أنشأ السلالة المعنية.

إن لكل مجموعة عشائرية أكثر كبراً ـ سين (عائلة) ـ كان لها معبد بدورها مكرس لأول رئيس عام للعائلة. أما القرابين والصلوات في هذه المعابد فكان يقيمها إما رأس العائلة أو الأكبر سناً في العشيرة»[١].

إن هذه العبادة للأسلاف مع تخصيص هياكل للسلف، وأن يقود المقدم في العشيرة الصلوات كلها تؤكد مقدراً ما يجل ويحترم الكونفوشي عائلته وكبارها بالإضافها إلى أسلافه، وهذا أمر مشترك بين الصين واليابان حيث الأمر نفسه موجود عند الشنتوية.

إن عبادة الأسلاف لها مواسمها ومناسباتها وطقوسها، وحسب ما هو سائد عند الكونفوشية فإنه «يحدث التوجه بصلوات مشابهة إلى الأسلاف عند حدوث وقائع عائلية أخرى، وخلال الأعياد وفي أيام محددة من السنة. ففي أوساط كل شهر من أربعة شهور من السنة مثلاً (أرباع السنة) ينبغي تقديم قربان عائلي. وقبل فترة وجيزة على حلول الموعد يتقدم رب العائلة من معبد الأسلاف، ويجثو على ركبتيه أمام اللوحات المخرجة من الخزائن وهو يتلو: أنا العابد الحفيد فلان الفلاني، اليوم وبمناسبة حلول أواسط الفصل كذا، أود تقديم قربان لكم، أيها المرحومون إلى القريب والجدِّ، وجدِّ الجدِّ، وجدِّ جدِّ الجدِّ، وإلى القريبة، الجدَّة، وجدَّة الجدَّة، وجدَّة جدَّة الجدَّة، وأملك الجرأة لنقل لو حكم الخشبي إلى قاعة المنزل لأدعو أرواحكم لتنعم هناك بقبول القرابين التي ستقدم مع فائق التبجيل»[٢].

هكذا ترتبط طقوس الكونفوشيوس إذن بالأسلاف، وكذلك هياكلهم «البجودات» والكلمة مشتقة من كلمة هندية هي بت ـ كده؛ أي بيت الأصنام. وتنتشر الهياكل في الصين بشكل واسع، وفي استعراض واقع هذه الهياكل وانتشارها نسجل ما يلي: إما «أقدم البجودات التي لا تزال قائمة حتى الآن

---

(١) توكاريف، سيرغي، م.س، ص٢٧٠، ٢٧١.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٢.

البجودة القائمة في سونج إيورسو، والتي شيِّدت عام ٤٢٣م على جبل سونج شان المقدس في هونان، ومن أجملها البجودة الصيفية، وأروعها منظراً بجودة اليشب في بيجنج، وبجودة المزادة في (وو ـ واي ـ شان)، وأوسعها شهرة برج الخزف في ناتكنج وقد شيِّد في عام (١٤١٢م ـ ١٤٣١م) ويمتاز بطبقة من الخزف فوق جدرانه المقامة من الآجر، وقد دمر هذا البرج في ثورة تاينيج التي استعرت في عام ١٨٥٤م.

وأجمل الهياكل الصينية هي التي مخصصة للديانة الرسمية في بيجنج (بيكنج). ومن هذه الهياكل كونفوشيوس... ولكن الهيكل نفسه يخلد الفلسفة أكثر مما يخلد الفن، وقد شيِّد في القرن الثالث عشر الميلادي، ثم أدخلت عليه عدة تعديلات وأُعيد بناء بعض أجزائه عدة مرات»[1].

ولكن هذه الهياكل «البجودات» المنتشرة في الصين ومعظمها يرتبط بعبادة الأسلاف أو على الأقل أبرزهم، لم تخل من مظاهر القداسة لكونفوشيوس حيث كانت ولا تزال تقدم القرابين أو تقام الطقوس مرة بعد مرة تخليداً لذكراه. هكذا إذن تكاثرت الهياكل فمنها ما يكون للأسلاف ومنها ما يكون لكونفوشيوس.

وهناك وجه آخر للعبادة والتقديس عندهم يرتبط بعبادة السماء بوصفها الإرادة العامة للخلق وتسيير الكون، وبعبادة الأسلاف، ونشدان الاستقرار في المجتمع حسبما وجه كونفوشيوس إنه تقديس الأباطرة واعتبارهم من سلالات الآلهة على الطريقة اليابانية تماماً.

عند هذه النقطة أقام كونفوشيوس ربطاً وثيقاً بين السماء والشعب والحاكم. فرغبة الشعب ترتبط برغبة الإله الذي هو السماء، وفي الوجه السياسي تقوم الكونفوشية على أساس الحكم والسلطة الموجودين في قبضة الأباطرة الذين هم ليسوا أكثر من تفويض وتوكيل إلهي الطابع، فالأباطرة يحكمون بإرادة السماء لكن هذه السلطة المفوضة من السماء للحاكم إنما مسخرة بالكامل لمصلحة الشعب والمجتمع، فالإمبراطور عندهم من نسل الآلهة، ووكيل السماء في منصبه السلطوي، لكن ما يمارسه ينبثق من إرادة سماوية تلتقي مع

(١) ديورانت، ول، م.س، ج٤، م١، ص١٨١، ١٨٢.

إرادة الشعب في تحقيق مصلحة المجتمع واستقراره[١].

وكونفوشيوس، كمن سبقه من فلاسفة الصين، قال بانتظام الأمور الكونية وشؤون المجتمع وفق قوانين لها صفة الثبات، والتغيير ليس مطلباً قريب المنال. ويؤثر عن كونفوشيوس أنه قال مرة، وهو على ضفة نهر، العبارة التالية: «كل شيء يجري كما تجري هذه المياه، لا شيء يتوقف، لا النهار ولا الليل، من لا يعرف إرادة السماء لا يصبح حكيماً»[٢].

هذا الانتظام الكوني لا دخل لإرادة الإنسان فيه، فالكونفوشية تقول بجبرية مطلقة لا يستقر حال الإنسان إلا بالتكيف معها، هذا هو المطلوب، إنه سعي كل إنسان كي ينسجم مع هذه الحتمية والجبرية في المسيرة الكونية ومسيرة الحياة المنطلقة من إرادة سماوية.

لكن حتى لا نذهب بعيداً من كونفوشيوس لا بد من أن نؤكد بأن الكونفوشية في أساسها دعوة إجتماعية إصلاحية أخلاقية، والأفضل أن ينسجم الإنسان مع مسيرة الحياة، ويترك ما وراء الطبيعة ليفكر بواقعية إجتماعية وسعياً لإرساء نظام أخلاقي صارم.

ونخلص تأسيساً على ما تقدم، إلى التالي: «الكونفوشية لها نصوصها التي هي موضع إجلال وتوقير، ولكن من دون مفهوم للألوهية، ومن دون مناصب كهنوتية، ومع قليل جداً من الطقوس الدينية، وبالتالي لم تشتمل هذه الفلسفة على أي عبادة ما، وإنما أكدت فقط على التفكير السديد والحياة السليمة من خلال الولاء للحاكم وولاء الأبناء للآباء، والتمسك الصارم بمجموعة الطقوس والآداب الاجتماعية»[٣].

هذا الواقع يقودنا إلى تقرير واقع حال الكونفوشية التي لم يضع مؤسسها نظام عبادات وطقوس من صلاة وصوم وحج وما شابه ذلك وإنما اتجه إلى إصلاح إجتماعي سياسي أخلاقي من خلال مقدسات هي: السماء التي يرمز بها إلى الإله، والأسلاف، والإمبراطور أو الحاكم الذي يجسد إرادة إلهية،

---

(١) يراجع: شحاتة سعفان، د. حسن، م.س، ص٧٠ وما بعدها.

(٢) **Le grand livre des réligions du monde**, Ibid, P. 178.

(٣) رايشاور، أدوين، م.س، ص٣٠٥، ٣٠٦.

ولهذه الغاية كانت هياكل للقرابين ولبعض المناسبات والمحطات، وهذه نفسها أقيمت بعد كونفوشيوس وليس في عهده.

من قواعد السياسة والأخلاق في الكونفوشية

إن الجهد الأساسي لكونفوشيوس كان مخصصاً من أجل بناء مجتمع تتحقق فيه سعادة الإنسان، ولعل دافعه ما كان يسود مجتمعه من فوضى وظلم واستهتار بالإنسان، لذلك نراه قد ركز في اختياره من التراث الصيني مسألة الولاء للأسلاف ورفعهم إلى مقام القداسة مع ضرورة توافق الشعب والحكام مع الإرادة السماوية التي تهدف إلى إسعاد الإنسان. وهذا الولاء أو التقدير يقود إلى نظام إجتماعي عماده الترابط والتوادد على مختلف المستويات. بهذه الطريقة «أصبح الولاء البنوي يعني خدمة الوالدين أثناء حياتهما، ومن ثم اكتملت العلاقات الخمس لتعاليم كونفوشيوس وهي: علاقة الأمير بالرعيَّة، وعلاقة الابن بأبيه، والأخ الأكبر بأخيه الأصغر، وعلاقة الزوج بزوجته، وعلاقة الصديق بصديقه»[(١)].

إن قيام هذه العلاقات الاجتماعية بأطرها الخمسة يحقق قدراً عالياً من الاستقرار الاجتماعي وتماسك الحكام والشعب وهو ما ينشده كونفوشيوس، وقد أرشد هذا المصلح إلى أن السياسة لا تستقيم إن لم تقترن بضوابط أخلاقية تحكم مسارها. لذا يمكن القول: إن فلسفة كونفوشيوس تسعى لإقامة «نظام سياسي إجتماعي على أساس من المنطق السليم والمبادئ العقلية السليمة، وهذا النظام السياسي يتخذ أساسه من الأخلاق، لأن الأخلاق ـ فيما يرى الكونفوشيون ـ هي المبدأ الرئيسي الذي يجب أن يكون أساساً لأي نظام إجتماعي مستقر، ولا يتحقق النظام السليم إلا إذا كان الأفراد الخاضعون له متحلين بالأخلاق السليمة... **فالسياسة والأخلاق في نظر أصحاب هذا المذهب ليسا إلا شيئاً واحداً، وهما يستهدفان تحقيق غرض واحد، وهو إقامة نظام إجتماعي متين مستقر**»[(٢)].

عرف عهد كونفوشيوس في الصين عموماً، وفي موطنه لي Lu حالة سياسية

---

(١) بارندر، جفري، م.س، ص٢٨٨.

(٢) شحاتة سعفان، د. حسن، م.س، ص٣٥.

غير مستقرة، حيث ساد التسلط، وعمت الفوضى، واستغل الحكام مناصبهم لمصالحهم الخاصة، واعتمدت أساليب بعيدة عن القيم والأخلاق، لذلك كان اتجاهه الإصلاحي هذا، إنه اتجاه ربط السياسة بالقيم الخلقية.

والحاكم عنده يحتاج لأمرين هما:

١ ـ التأهيل العلمي الأكاديمي.

٢ ـ المستوى الرفيع من الخلق.

ولم يقم وزناً للانتماء الاجتماعي، فإن الحاكم لا يكفيه أن ينتمي لعائلة ما بقدر ما يحتاج العلم والأخلاق. لهذا «أيَّد كونفوشيوس فكرة التعليم الشامل، ونادى بأن المناصب الدبلوماسية والإدارية يجب أن يتولاها أفضل المؤهلين من الناحية الأكاديمية لا من الناحية الاجتماعية»[1]. من خلال عنصري العلم والأخلاقي نستطيع تحقيق العدالة في المجتمع، هكذا رأى كونفوشيوس، وإن كنا نجده قد شدَّد على العامل الأخلاقي وأعطاه الصدارة على ما عداه من العوامل.

يرى كونفوشيوس «أن مشكلات الشعب تنبع من السلطة الحاكمة التي تمارس بغير مبدأ أخلاقي، ولمجرد تحقيق مصلحة الحاكم ورفاهيته فحسب، فلا عجب إذن أن نجده يدعو إلى الإصلاحات الاجتماعية التي من شأنها أن تسمح بأن تدار الحكومة لمصلحة الناس جميعاً، **وقد شدَّد على أن ذلك يمكن القيام به إذا كان أعضاء الحكومة ممن يتميَّزون بأقصى قدر من الاستقامة الشخصية، ويتفهمون احتياجات الناس ويهتمون بمصالحهم وسعادتهم قدر اهتمامهم بأنفسهم**»[2].

إنها توجيهات يحتاجها السياسيون في كل مكان وزمان. فلو أن كل حاكم وذا سلطة أخذ بهذه القيم في تعاطيه السياسي لحصل ائتلاف وطني راسخ بين الشعب والحكام، ولساد العدل واستقر المجتمع، ولاستطاع أهل المجتمع مقاومة التحديات المفروضة عليهم مهما كثرت.

ويركز كونفوشيوس على نظام القدرة في سلوك الحاكم؛ أي أنه يطالب

---

(١) نيدهام، جوزيف، م.س، ص١٣٩.

(٢) كولر، جون، م.س، ص٣٣٣.

الحاكم أن يمارس ويطبق في سلوكه القواعد السياسية والخلقية السليمة عندها يكون بمقدوره أن يطالب الشعب بأن يحذو حذوه، لا بل إن الناس عندها سيعتمدون أسلوب محاكاة الحاكم في أفعاله دونما طلب.

قال كونفوشيوس عن هذا الموضوع: «حكم أو قيادة الناس، هو جعلهم يتبعون الصراط المستقيم. إذا أنت نفسك، أيها الملك (الحاكم)، مشيت في مقدمتهم على الطريق المستقيم، من يجرؤ ألّا يتبعك؟»[١].

إن الحاكم القدوة الذي يلتزم الفضائل هو الذي يقود المجتمع إلى سعادته. هذا يحتاج أن يلتزم الجميع مبدأ «جين»، أي المبادئ الأخلاقية التي تحقق كمال الإنسانية أو من يبعد عن مبدأ «جين» يكون قد بعد عن كماله الإنساني، و«جين» يجب أن يقترن بمبدأ آخر هو لي (Li) والكلمة تترجم على أنها تعني الاستقامة، وهذان المبدآن إذا ما اقترنا بمبدأ «هسياو»؛ أي الولاء البنوي الذي سبق الحديث عنه يكون الإنسان عندها حاكماً ومحكوماً قد سار إلى كماله الإنساني من خلال هذه المبادئ الثلاثة، وهكذا يسود الصلاح ويستقر المجتمع، وتتحقق السعادة. على أساس هذه المبادئ تترابط السياسة بالأخلاق، وإذا «كان الناس صادقين مع أنفسهم ويتسمون بالإخلاص فإنهم سيجسدون الفضائل المختلفة، وإذا ما قام كل شخص بهذا فإنه من المؤكد أنه سيتكون هناك حكومة جيدة، ونظام إجتماعي تعمُّه السعادة»[٢].

إن من بيده مقاليد السلطة؛ أي الحاكم، يتحمل المسؤولية الأساسية، فإن كان قدوة في إدارة شؤون بلده ومجتمعه ملتزماً المبادئ الأخلاقية والاستقامة والولاء للأسلاف المؤدي إلى ترابط إجتماعي سليم يكون قد حقق سعادة مجتمعه، وأنقذه من الفوضى والفساد والظلم.

إن كونفوشيوس يقول كثيراً في مشروعه الإصلاحي على الحكام «من هنا يتعيَّن إدراك أن المهمة التي يضعها كونفوشيوس على كاهل الحكومة هي مهمة عملاقة لأنها طوباوية للغاية، وهو يقول: إن مهمة الحكومة التأكد من وجود الوفرة المادية والروحية، وإن الناس يتصرفون على نحو أخلاقي، وذلك لكي يتحقق السلام. وتتبنى إحدى هذه الطرق موقفاً قوامه أن الوسائل الواضحة

---

(١) **Le grand livre des réligions du monde**, Ibid, P. 180.

(٢) كولر، جون، م.س، ص٣٥٧.

للوصول إلى الوفرة المادية والروحية هي إصدار القوانين وجمع الضرائب وبناء المدارس والمعابد والمتاحف وتنظيم العمل والإنتاج بحيث يتمُّ إنتاج ما يكفي، ويحصل كل شخص على نصيبه من الإنتاج»[١].

إنها مهمات غير سهلة تلك التي ينيطها كونفوشيوس بأهل الحكم، لكنه يرى أن إنجازها ممكن حال التزام طريق الاستقامة والمبادئ الأخلاقية السامية، وأن يقوم في منطقته بما يمليه عليه الواجب، خاصة إذا توافرت أطر العلاقات السليمة بين أشخاص المجتمع. هكذا تكون الكونفوشية المرتكز لنظام سياسي إجتماعي شامل، ولا تقوم إلا إذا كانت مبادئها مطبقة ومعتمدة من قبل الحاكمين.

لأن الحاكم يتمتع بهذا الموقع في الكونفوشية، يجدر أن نختم هذا المبحث بالشروط التي حددها كونفوشيوس للحاكم والتي تشكل الأسس التي عليه اعتمادها لكي ينهض بمهمته بشكل صحيح وسليم، «وهي:

١ ـ أن يتعلم قواعد الأخلاق الشخصية.

٢ ـ أن يحترم الأفراد الجديرين باحترامه.

٣ ـ أن يتودد إلى من تربطه بهم صلة القربى، وأن يقوم بالتزاماته الرسمية إزاءهم كاملة.

٤ ـ أن يجل وزراء ولايته أو امبراطوريته.

٥ ـ أن يعامل موظفي دولته بالحسنى.

٦ ـ أن يجعل من الصالح العام والرفاهية الاجتماعية صالحه الشخصي، ورفاهيته الشخصية، وأن يجعل من نفسه أباً للشعب، أو الأفراد الذين يقوم بحكمهم.

٧ ـ أن يعمل على تشجيع الفنون النافعة والنهوض بها.

٨ ـ أن يعطف على رعايا الدول الأخرى الذين يقيمون في دولته.

٩ ـ أن يهتم برفاهيته أمراء الامبراطورية»[٢].

---

(١) كولر، جون، م.س، ص٣٥٩.

(٢) شحاتة سعفان، د. حسن، م.س، ص٧٤.

إنها قواعد يصلح القسم الأكبر منها مرتكزات لفلسفة الحكم، وصياغة الدساتير من أجل الوصول إلى مجتمع مستقر يسوده العدل والوئام.

من توجيهات كونفوشيوس

إن الأخلاق كانت محل الاهتمام الأساسي لكونفوشيوس ـ كما سبق القول في أكثر من موقع ـ لأنه كان يرى أن الفوضى التي يعاني منها مجتمعه، وأهل زمانه ما هي إلا فوضى خلقية بالدرجة الأولى والأخيرة.

إستناداً إلى هذه القناعة، ركز كونفوشيوس في توجيهاته لأتباعه على ضرورة اعتماد نظام شخصي من قبل كل واحد منهم يساعده على تطهير نفسه وعلى اكتساب القدر اللازم من المعارف.

يقول كونفوشيوس: «إن القدامى الذين أرادوا أن ينشروا أرقى الفضائل في أنحاء الامبراطورية قد بدأوا بتنظيم ولاياتهم أحسن تنظيم، ولما أرادوا أن يحسنوا تنظيم ولاياتهم بدأوا بتنظيم أسرهم، ولما أرادوا تنظيم أسرهم بدأوا بتهذيب نفوسهم، ولما أرادوا أن يهذبوا نفوسهم بدأوا بتطهير قلوبهم، ولما أرادوا أن يطهروا قلوبهم عملوا أولاً على أن يكونوا مخلصين في تفكيرهم، ولما أرادوا أن يكونوا مخلصين في تفكيرهم بدأوا بتوسيع معارفهم إلى أبعد حدٍّ مستطاع، وهذا التوسع بالمعارف لا يكون إلا بالبحث عن حقائق الأشياء»[١].

لهذا اعتمد كونفوشيوس التعليم، وجمع حوله التلامذة، وكان يردد أن الطبيعة الإنسانية من معدن خير، ومهمة التعليم أن يزيل «ما علق بها من أدران الشر وأن يجلو النفس البشرية»[٢].

إلا أن كونفوشيوس المعلم كان متشدداً في تعليمه، وفي تعاطيه مع تلامذته، حيث كان يرى أن موقع المعلم يستلزم أن يبقي هذا الأخير حداً فاصلاً بينه وبين تلامذته كي تسود علاقاتهم معه، وبالعكس قواعد وآداب أساسية ورئيسة في العملية التربوية.

---

(١) ديورانت، ول، م.س، ج٤، م١، ص٥٤، ٥٥.
(٢) شحاتة سعفان، د. حسن، م.س، ص٥٢.

ويصح القول: إن كونفوشيوس كان «معلماً من الطراز القديم **يعتقد أن التنائي عن تلاميذه، وعدم الاختلاط بهم ضروريان لنجاح التعليم**، وكان شديد المراعاة للمراسم، وكانت قواعد الآداب والمجاملة طعامه وشرابه، وكان يبذل ما في وسعه للحدِّ من قوة الغرائز والشهوات وكبح جماحها»[١].

إن كونفوشيوس اعتمد التعليم العملي، أي التعليم الذي تُوظف فيه المعارف في سبيل التسامي من قبل المتعلم، وهذا يكون بالعمل من أجل سلوك عماده الفضائل، والأخلاق السامية لا مكان فيه لتحكم الشهوات والأهواء.

وكونفوشيوس في جملة توجيهه يشدد على أهمية سيادة قواعد الاحترام للآخرين داخل المنزل وخارجه، فيقول: «في المنزل على الشاب أن يحترم أهله، وخارج المنزل يجب أن يحترم الأكبر منه يجب أن يتكلم قليلاً ولكن بصدق، يجب أن يحب كل الناس، لكن عليه ألّا يتصل إلّا بالأشخاص الصالحين والشجعان، وعندما تترك له واجباته بعض الفراغ عليه أن يخصص هذا الوقت لدراسة المعارف الجيدة والمفيدة»[٢].

هذه المقتطفات من تعليمات كونفوشيوس ومختاراته التعليمية التربوية تحوي كماً من القواعد التربوية في كلمات قليلة، إنها توجه إلى الأدب في التعامل مع الكبار، وترشد إلى الإقلال من الكلام مع صدق اللهجة، وتأمر بضرورة أن يحب الإنسان سواه مع الاحتراز من معشر السوء، وأن تكون مخالطته للشجعان والفضلاء فقط، وأن يحسن استثمار الوقت، حتى وقت الفراغ يجب أن يخصص للمطالعات الجادة النافعة.

إن كونفوشيوس يأمر أتباعه بتدريب أنفسهم على الروح الجماعية ونبذ الفردية، كما أنه يشدد، كما في كل مرة، على أن الجهود يجب أن تتوجه للأمور العملية النافعة في دنيانا، وأن نقلل ما أمكن تحرياتنا ومباحثنا حول الإله والسماء والروح.

عند هذه النقطة يمكن أن يقول الدارس ما يلي: «يتميَّز المذهب الكونفوشي

(١) ديورانت، ول، م.س، ج٤، م١، ص٤٤.

(٢) **Les Entretiens de Confucius**, Traduit par Pierre Reykmans, préface d'Etiemble, Paris, éditions de Gallimard, l'année 1987, P.14.

إلى جانب ذلك، بتربية الأفراد وتنشئتهم بحيث يشعر كل منهم بأنه عضو في جماعة، وبأنه بهذه الصفة مسؤول عن الإيفاء بالتزامات خاصة نحو غيره من الأفراد الذين يشاركونه في معيشته الاجتماعية، أي أن **الكونفوشية تستهدف غرس الشعور بالمسؤولية الجمعية في نفوس الأفراد...**

...وهي لا تبحث عن مثل عليا في عالم غير عالمنا الأرضي، بل ولا ترسم مثلاً لا يمكن للطبيعة الإنسانية أن تحققها، ولكنها ترسم أنماطاً من السلوك المبني على الطبيعة الإنسانية وإمكانيات هذه الطبيعة»[١].

هذا النمط التعليمي التربوي لكونفوشيوس لم تغب عنه لفتة اعتنى بها، إنها المرح حيث كان كونفوشيوس يولي اهتماماً لموضوع المرح والسرور، وكان يميل إلى سماع الموسيقى والغناء، كما أنه أوصى بأن تبدأ العملية التعليمية بالشعر، ومن ثم أن تقوى بالمبادئ الخلقية السامية، وبعدها يستهلك جزء من وقتها في الموسيقى والسماع.

ما مبرر كونفوشيوس في هذا التوجيه؟ إن الموسيقى عنده «تعبِّر عن النفس الإنسانية وما يعتريها من أحوال نفسية أو انفعالات، وإذا كانت الموسيقى تعبِّر عن الحالات النفسية المختلفة، فإننا نستطيع، بشكل عكسي، أن نؤثر على الحالات النفسية بوساطتها، فنهدئ النفوس ونثيرها ونطمئنها ونقلقها... عن طريق الموسيقى، لأن الأنغام المختلفة تعبِّر في الوقت ذاته عن الحالات التي نريدها متى استطعنا أن نسمع الفرد موسيقى من نوع ملائم للحالة التي نريد إيجادها»[٢].

إن الموسيقى لها فعلها في النفوس، وننجح في إثارتها بالاتجاه الذي نريد، لذلك كان الحكام في الصين يعمدون إلى الموسيقى المتآلفة الهادئة لتوليد الانسجام والاستقرار بين أهل مجتمعهم.

لكن توجيهات كونفوشيوس تطالب أتباعه أن يعمدوا إلى فضيلة الاعتدال في الأمور كافة. يقول كونفوشيوس: «إن الإنسان المستقيم أو الشريف يقوم سلوكه على الاعتدال، ويتصرف وفقاً للطقوس والشعائر، ويؤدي عبادته

(١) شحاتة سعفان، د. حسن، م.س، ص٣٦.

(٢) المصدر السابق، ص٨٧.

باعتدال وتواضع، ويقدم على إنجاز أفعاله بإخلاص ونوايا حسنة، هكذا يفعل الإنسان المستقيم»[١].

كما أن العفة والتسامي على أسس العزة والكرامة هي الأساس في تعليمات كونفوشيوس، حيث لا يصح أن يكون أي شيء على حساب إنسانية الإنسان وكرامته، يقول كونفوشيوس: «إن الإنسان الكريم والفاضل لا يسعى لوفير حاجاته ومقومات حياته وصموده على حساب إنسانيته، وإنما الإنسان الفاضل هو من يكون مستعداً للتضحية بحياته من أجل حفظ إنسانيته»[٢].

أما إذا انتقلنا إلى عالم المرأة، وهي نصف المجتمع، فإننا نجد كونفوشيوس قد قلل من شأنها وتشدد في عزلها على طريقة البوذيين والشنتويين والهندوس وسائر الأفكار والمذاهب السائدة في شرقي القارة الآسيوية.

لقد اعتمد كونفوشيوس في نظامه الاجتماعي والتربوي نظاماً أبوياً تحكمه عقدة الذكورة، مما يحمل على القول بأنه مع عهد كونفوشيوس بدأ سلطان أن «يكون سلطاناً مطلقاً في جميع الأمور، فكان في وسعه أن يبيع زوجته وأبناءه ليكونوا عبيداً، وأن لا يفعل ذلك إلا إذا ألجأته إليه الضرورة القصوى... وكان يتناول الطعام بمفرده، ولا يدعو زوجته و أبناءه إلى المائدة معه إلا في أوقات قليلة نادرة، وإذا مات كان ينتظر من أرملته ألا تتزوج بعده، وكان يطلب إليها في بداية الأمر أن تحرق نفسها تكريماً له، وظلت حوادث من هذا النوع تقع في الصين إلى أواخر القرن التاسع عشر بعد الميلاد، وكانت النساء يعشن في أقسام خاصة من المنزل، وقلما كن يختلطن فيه بالرجال»[٣].

وأراد كونفوشيوس أن يثبت نظريته التي تحط من شأن المرأة، وقد ألصق بها تهمة الفتنة والغواية، وكان أن سعى إلى هذه الغاية بإجراء اتخذه حيث دعا ثمانين من الفتيات الجميلات في موطنه لو Lu، وتركهن يرقصن أمام حاكم لو Lu ومعاونيه، ولما حاول كونفوشيوس وتلميذه تسيلو أن يحولا أنظار الحكام عن الفتيات إلى موضوع آخر لم يفلحا، وقد أراد كونفوشيوس

(١) **Les Entretiens de Confucius**, Ibid, P. 86.

(٢) **Les Entretiens de Confucius**, Ibid, P. 85.

(٣) ديورانت، ول، م.س، ج٤، م١، ص٢٧٢.

أن يخلص من ذلك إلى توكيد موقفه السلبي من المرأة، فعقب على ذلك بقوله:

«إحذر لسان المرأة

إنك ستُلدغ منه إن عاجلاً وإن آجلاً

واحذر زيارة المرأة

إنها ستصيبك إن عاجلاً وإن آجلاً»[١].

إن دعوة كونفوشيوس التي قامت من أجل الإصلاح، والتأسيس لمذهب سياسي إجتماعي أساسه الأخلاق، هذه الدعوة يعيبها هذا الموقف الذي يحط من شأن المرأة. إذ كيف يدعو كونفوشيوس إلى الترابط الأسروي في وقت يعطل فيه دور المرأة في الأسرة؟ وكيف يدعو إلى العلاقات السليمة واحترام الآخرين ـ خاصة الأكبر منا ـ وفي الوقت عينه يدعو إلى حجب المرأة والتقليل من شأنها؟ إنها صفحة غير مقبولة المضمون في فلسفة كونفوشيوس تلك التي خطَّ عليها موقافه التي تلصق الدونية بالمرأة.

وقفة أخيرة مع أثر الكونفوشية

إن كونفوشيوس الذي صاغ تراث الصين على شكل نظرية متكاملة عمادها الأخلاق، ودعوتها تتمحور حول الإصلاح السياسي والاجتماعي وصولاً إلى استقرار المجتمع وإنهاء حال الفوضى فيه، كونفوشيوس هذا سادت أفكاره تاريخ الصين كله منذ كان كونفوشيوس، ما خلا مراحل بسيطة، وإن كانت حركة تجدد رئيسة قد حصلت على يدي شوهسي Chu-Hsi (١١٣٠م ـ ١٢٠٠م) الذي طوَّر الكونفوشية وظلت سيطرتها الفكرية في الصين بعده إلى يومنا هذا، كما امتدت إلى كوريا واليابان.

الكونفوشية الجديدة التي طورها شوهسي يمكن تلخيصها بالتالي: «إنه يوجد في أي عقل بشري ملكة للمعرفة، كما يوجد في أي شيء مبرر وجوده. ويرجع نقص معرفتنا إلى عدم كفاية بحثنا عن علة كل شيء، ولا بد للطالب أن يذهب إلى جميع الأشياء الموجودة تحت قبة السماء، بادئاً من المبادئ

(١) شحاتة سعفان، د. حسن، م.س، ص١٠.

المعروفة، وساعياً إلى الوصول إلى أسمى المبادئ، وبعد بذل الجهد الكافي يأتي اليوم الذي يصبح فيه كل شيء واضحاً ومفهوماً»[١].

لقد سيطرت الكونفوشية سيطرة شاملة على ما يسود في بلاد الصين من سياسة وفكر وثقافة وقيم وطقوس بشكل لم يتحقق مثيله لأي مذهب آخر من المذاهب المماثلة. وكانت مبادئ الكونفوشية أساس التعليم والتشريع، ومادة امتحان لدخول الوظائف العامة إلى حين قيام الشيوعية في الصين، حيث حاول ماوتي تونغ ومن معه وقف سلطان الكونفوشية، ولكن ذلك لن يعطل كلياً فكراً ترسخ في مجتمع الصين وحضارة هذا البلد مئات السنين، خاصة وأن الكونفوشية ضمنت لمجتمع الصين الاستقرار والتماسك الوطني الداخلي كل هذه القرون الخمسة والعشرين.

ونختم بهذه الفترة التي قالها ول ديورانت، وفيها: «الفلسفة الكونفوشية أهم ما يواجه المؤرخ لبلاد الصين، ذلك أن كتابات معلمها الأكبر ظلَّت جيلاً بعد جيل النصوص المقررة في مدارس الدولة الصينية، يكاد كل صبي يتخرج في تلك المدارس أن يحفظها عن ظهر قلب، وتغلغلت النزعة المتحفظة القوية التي يمتاز بها الحكيم القديم في قلوب الصينيين، وسرت في دمائهم، وأكسبت أفراد الأمة الصينية كرامة وعمقاً في التفكير لا نظير لهما في غير تاريخهم أو في غير بلادهم، واستطاعت الصين بفضل هذه الفلسفة أن تحيا حياة إجتماعية متناسقة متآلفة، وأن تبعث في نفوس أبنائها إعجاباً شديداً بالعلم والحكمة، وأن تنشر في بلادها ثقافة مستقرة هادئة أكسبت الحضارة الصينية قوة أمكنتها من أن تنهض من كبوتها، وتسترد قواها بعد الغزوات المتكررة التي اجتاحت بلادها»[٢].

هذه الكونفوشية التي حققت بعض الانتشار في كوريا واليابان ثم أخلت مكانها كدين لتبقى بعض مؤثرات ثقافية منها، لكن شكلت مرتكزات الحضارة الصينية، وهي دين مئات الملايين في الصين الذين يُقاربون خُمس سكان المعمورة.

---

(١) بارندر، جفري، م.س، ص٣٢٩.

(٢) ديورانت، ول، م.س، ج٤، م١، ص٦٧.



الباب الثاني

١ ـ اليهودية

٢ ـ العقيدة عند يهود

٣ ـ العبادات والطقوس عند يهود

٤ ـ أحكام وطقوس يهودية

٥ ـ الفرق الدينية اليهودية

٦ ـ مصطلحات يهودية

٧ ـ الصهيونية

٨ ـ المسيحية

٩ ـ العهد الجديد

١٠ ـ طقوس ومصطلحات

١١ ـ الأسرار

١٢ ـ من منظومة القيم الأخلاقية في المسيحية

١٣ ـ المسيحية والإسلام

١٤ ـ اليزيدية



الفصـــل الأول

اليهودية

رسالة سماوية حملها موسى عليه السلام في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وأصل التسمية قد يكون مشتقاً من «يهوذا» (Juda)؛ وهو أحد الأسباط من نسل يعقوب، وهم إثنا عشر سبطاً. ويهوذا باركه يعقوب، وجاء نص في العهد القديم يؤكد ذلك، فيه:

«يهوذا إيّاك يحمد إخوتك
يدك على رقبة أعدائك
يسجد لك بنو أبيك
يهوذا شبل أسدٍ
من الافتراس صعدت يا بنيّ
جثم وربض كالأسد واللّبوة
فمن ذا يقيمه؟
لا يزول الصولجان من يهوذا
ولا عصا القيادة من بين قدميه»[1].

فيهوذا هذا يتميّز بالقوة، والقدرة على السيطرة، والإمساك بزمام القيادة التي تدوم له حتى يأتي من يستحقها، ويكون مهيّاً كي تخضع له الأمم. هذا ما ورد في نهاية النص السالف ذكره: «إلى أن يأتي صاحبها وتطيعه الشعوب»[2].

وقد جاء في النص القرآني قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٤٩، الفقرات ٨، ٩، ١٠.
(٢) سفر التكوين، الإصحاح ٤٩، الفقرة ١٠.

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة/ ٦٢].

قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ معناه صاروا يهوداً؛ نسبوا إلى يهوذا، وهو أكبر ولد يعقوب عليه السلام؛ فقلبت العرب الذال دالاً؛ لأن الأعجمية إذا عُرِّبت غُيِّرت عن لفظها. قيل: سُمّوا بذلك لتوبتهم عن عبادة العجل، هاد: تاب، والهائد: التائب، قال الشاعر: إنّي امرؤ من حبِّه هائد؛ أي تائب.

وفي التنزيل: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾؛ أي تبنا. وهاد القوم يهودون هوداً وهيادة إذا تابوا. وقال ابن عرفة: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾؛ أي سكنّا إلى أمرك»[(١)].

أما اللغويون العرب وأهل الاصطلاح فقد ذهبوا مذهباً واحداً، هو أن كلمة: يهود ويهودية إنما تعود إلى الفعل الماضي: هاد، لأن أتباع موسى عليه السلام الحقيقيين أهل عقيدة التوحيد، وبذلك هم الهائدون إلى الله تعالى والمؤمنون بوحدانيته في مناخ يسوده الشّرك والوثنية.

ورد عن ابن منظور: «هود ـ الهَوْدُ: التّوبة، هاد يهود هوداً وتهوّد: تاب ورجع إلى الحقّ، فهو هائد... وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي تبنا إليك... وقيل: معناه تبنا إليك ورجعنا وقربنا من المغفرة... والتهوّد: التوبة والعمل الصالح. والهوادة: الحرمة والسّبب. ابن الأعرابي: هاد إذا رجع من خيرٍ إلى شرٍّ أو من شرٍ إلى خير... والهود: اليهود، هادوا يهودون هوداً. وسمِّيت اليهود اشتقاقاً من هادوا أي تابوا.

وهوَّد الرجل: حوَّله إلى ملَّة يهود. قال سيبويه: وفي الحديث: (كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصرانه)؛ معناه أنهما يعلمانه دين اليهود والنصارى ويدخلانه فيه. والتهويد: أن يصير الإنسان يهودياً. وهاد وتهوّد إذا صار يهودياً»[(٢)].

---

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، م ٦، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حب الله، وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ، ص ٤٧١٨.

أما الراغب الأصفهاني فيقول: «هود: الهوْد الرجوع برفق، ومنه التهويد وهو مشيٌ كالدّبيب، وصار الهوْد في التعارف التّوبة، قال تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي تبنا. قال بعضهم: يهود في الأصل من قولهم: هدنا إليك، وكان اسم مدح ثم صار، بعد نسخ شريعتهم، لازماً لهم وإن لم يكن فيه معنى المدح... ويقال: هاد فلان إذا تحرّى طريقة اليهود في الدّين»[١].

أما في الكتاب المقدس فالمرجح هو اشتقاق الاسم من يهوذا، أحد الأسباط الإثني عشر، وهو بعد رأوبين وشمعون ولاوي، والاسم يهوذا مشتق من الحمد. ويقال إن الاسم يهوذا جاء في إطار تمييزه عن باقي الأسباط، وقد أطلق عليهم اسم إسرائيل ما عدا بنيامين، وبعد محطات عديدة تمّ تعميم الاسم على الجميع وتحققت لسبط يهوذا السيطرة ـ كما ورد سابقاً ـ ومن نسل يهوذا كان داود، ومن نسل داود كانت مريم أم المسيح عليهما السلام. وفي إنجيل متّى: «نسب يسوع المسيح: ابن داود وابن إبراهيم: إبراهيم وَلَدَ إسحق، وإسحق وَلَدَ يعقوب، ويعقوب وَلَدَ يهوذا وإخوته»[٢] إلى أن تنتهي السلسلة إلى مريم والمسيح عليهما السلام.

وحسب العهد القديم إنّ يهوذا أصبحت اسم مملكة تمتد على ٣٥٠٠ ميل مربع، وهي في الشمال بمقابل السامرة في الجنوب، ومن حكموها كانوا من سلالة داود التي زالت من الوجود أوائل القرن السادس قبل الميلاد، في سنة ٥٨٨ق.م على يد نبوخذ نصر[٣]. وبعد ذلك أطلق بعض مؤرخيهم على أرض يهوذا: اليهودية، وهي حالياً في القسم الجنوبي من فلسطين المحتلة؛ أي في الضفة الغربية.

تأسيساً على ما تقدم نقول: إن الاسم قد أصبح مخصوصاً بأتباع الموسوية أو الرسالة التي جاء بها موسى عليه السلام وهي: التوراة.

---

(١) الراغب الأصفهاني، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق نديم مرعشلي، بيروت، دار الكاتب العربي، سنة ١٩٧٢م، ص٥٤٤.

(٢) **إنجيل متّى**، الإصحاح ١، الفقرتان، ١، ٢.

(٣) لمزيد من التفصيل، راجع: **قاموس الكتاب المقدس**، حرره د. بطرس عبد الملك، ود. جون ألكساندر طمسن، وإبراهيم مطر، القاهرة، دار الثقافة، ط٩، سنة ١٩٩٤م، ص١٠٨٤ وما بعدها.

ولكن يهوداً فيما بعد خلطوا الاسم مع اسمين آخرين هما: عبريين، وإسرائيليين، مع العلم أن لكل من الاسمين مصادر اشتقاق مختلفة عن اسم اليهودية. فالعبرية منهج حياة، ومسلك اجتماعي، وإسرائيل نسب وسلالة ترجع إلى يعقوب عليه السلام، فاسمه الثاني هو: إسرائيل.

إسرائيل: كلمة آرامية من مقطعين: إسرا: عبد؛ إيل: الإله، ويكون معناها بالعربية: عبد الإله. ولكن هذا الاسم حمَّله يهود معنى آخر بالعبرية كما ورد في قاموس الكتاب المقدس، فهو عندهم: إسرائيل: يجاهد مع الله أو الله يصارع. وقد وردت القصة عندهم في نص كتبوه في سفر التكوين، زعموا فيه أن الرب تجلى ليعقوب وصارعه جسدياً، وكانت الغلبة ليعقوب، ولمّا عرف يعقوب من يصارع انتزع منه بركة تكون واجبة لمن يحملون اسم إسرائيل. ورد في النص المزعوم:

«وقام في تلك الليلة فأخذ امرأتيه وخادمتيه وبنيه الأحد عشر فعبر مخاضة يبّوق. أخذهم وعبَّرهم الوادي وعبّر ما كان له. وبقي يعقوب وحده.

فصارعه رجل إلى طلوع الفجر. ورأى أنه لا يقدر عليه، فلمس حُقَّ وركه، فانخلع حُقُّ ورك يعقوب في مصارعته له. وقال: اصرفني لأنه قد طلع الفجر. فقال يعقوب: لا أصرفك أو تباركني. فقال له: ما اسمك؟. قال: يعقوب. قال: لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد، بل إسرائيل، لأنك صارعت الله والناس فغَلَبْتَ»[١].

إن هذا الزعم الخطير الذي يحمل في طياته تطاولاً على الذات الإلهية لجهة تجسد الرب أولاً، ولجهة اقتدار يعقوب في مواجهته، يفسر لنا لماذا يتمسك يهود تاريخياً بالاسم: إسرائيل، ويرغبون أن يسمّوا: طائفة الإسرائيليين كما هو الأمر في أكثر من بلد عاشوا فيه، ومن هذه البلدان: لبنان، حيث ورد اسمهم في تصنيف الطوائف، وفي إحصاءات دوائر الأحوال الشخصية باسم إسرائيل وليس باسم يهود.

وإذا كانت اليهودية قد جاءت مع موسى عليه السلام بعد قرابة ٥٠٠ سنة من عهد يعقوب، فما الرابط يا ترى؟. ثمّ إن خلطاً متعمداً قد حصل لأن

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٣٢، الفقرات ٢٣ ـ ٢٩.

إسرائيل، ومنها بنو إسرائيل، هي نسب لأسباط هم أولاد يعقوب عليه السلام، بينما اليهودية هي رسالة وشريعة سماوية منزلة، والبون شاسع بين المصطلحين.

واستخدم يهود كذلك اسم: **عبريين أو عبرانيين**: وحسب نصوصهم في سفر التكوين أن عابر هو أحد أجداد إبراهيم. وحسب أسطورتهم حول السامية ورد «ووُلِد لسام أيضاً بنون، وهو أبو جميع بني عابر وأخو يافث الأكبر. وبنو سام عيلام وأشّور وأرفكشاد ولُود وأرام. وبنو أرام: عُوص وحُول وجاثر وحاش. وأرفكْشَاد ولد شالح، وشالح ولد **عابر**»[1].

ولكن كلمة عبري اشتقت أيضاً من العبور الذي يقال لعملية اجتياز الماء بواسطة أو بدون واسطة ووسيلة، وبناءً عليه قيلت عن إبراهيم عندما عبر الفرات باتجاه فلسطين فسمِّي إبراهيم العبراني. واسم عبيرو أو هبيرو أو خابرو، استعملته عدة أقوام وشعوب وقبائل ممن كانوا يعيشون في الأرض العربية في بلاد ما بين النهرين ووادي النيل وساحل المتوسط والأحمر وفلسطين وجوارها، بمن في ذلك الإسرائيليين، سلالة يعقوب، لأن اللفظة كانت تعني منهجاً في الاجتماع البشري يقوم على الترحال، والعبري من كان في حياة تشبه البداوة، حيث لا يستقر فيها الإنسان في بقعة معينة.

وجاءت صفة عبراني Hébreu ليونان، وهو في الإسلام النبي يونس، وفي العهد القديم سفر باسمه، وأنه ركب في سفينة مع قوم فتدافعتهم العواصف وكادوا يغرقون، ووقعت القرعة على يونان كي يلقوه في البحر وعندما سألوه كي يعرِّفهم بنفسه، ورد بلسانه عندهم: «فقال لهم: أنا **عبراني**، وإني أتَّقي الرب، إله السموات الذي صنع البحر واليبس»[2].

تأسيساً على ما تقدم نقول: أيّاً تكن الأسماء: يهودي عبري إسرائيلي، فالواقع حالياً، ومنذ زمن سابق على الإسلام، أن هناك طائفة تسمى باليهودية، وتسمي نفسها بالإسرائيلية تنسب نفسها إلى موسى عليه السلام، وأحياناً يستخدمون تسمية موسوية، وهؤلاء ينتشرون في أكثر من بلد، ويبلغ

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ١٠، الفقرات ٢١ ـ ٢٤.
(٢) سفر يونان، الإصحاح ١، الفقرة ٩.

عددهم بحدود أربعة عشر مليون نسمة، منهم حوالي خمسة ملايين في فلسطين المحتلة، وهم غاصبون لحق الشعب العربي الفلسطيني، وأكثر من ثلاثة إلى أربعة ملايين في الولايات المتحدة الأميركية، والباقون ينتشرون في دول أوروبية غربية وشرقية، ما عدا قلة قليلة قد تكون في آسيا أو إفريقيا، وبعد اغتصاب فلسطين، بمساندة أوروبية غربية عامة وبريطانية خاصة، وبعد تبنٍّ أميركي، منذ أربعة عقود أو أكثر، هجر معظم يهود العرب مواطنهم لينضموا إلى الحركة الصهيونية ويسهموا في الاستعمار الاستيطاني الإحلالي في فلسطين ولم يبقَ منهم في البلدان العربية إلا النزر القليل، وكانوا قبل الاغتصاب لفلسطين ينتشرون في المملكة المغربية وتونس ومصر واليمن ولبنان وسوريا والعراق وسواهم.

الكتب المعتمدة عند يهود

عند يهود حالياً، ومنذ قرون تزيد عن الخمسة عشر، نصوص مقدسة معتمدة يحويها كتابان هما:

١ ـ العهد القديم.

٢ ـ التلمود.

١ ـ **العهد القديم**: الاسم جاء من التصنيف المسيحي بعد المسيح عليه السلام حيث سمّوا ما يخص المسيحية من أناجيل ورسائل، تتوزع في سبعة وعشرين سفراً، العهد الجديد، وبالتالي ما كان قبل هذه الأسفار، وهو معتمد بالأصل عند يهود قبل المسيحية، سمّوه: العهد القديم أو العهد العتيق، وتقع نصوصه في ثلاثة أقسام هي:

أ ـ التوراة أو ناموس موسى، وهي في خمسة أسفار: التكوين، والخروج، واللاويين أو الأحبار، والعدد، والتثنية أو تثنية الاشتراع.

ب ـ الأنبياء، وهم الأنبياء الأولون: سفر يشوع، وسفر القضاة، وسفر صموئيل الأول، وسفر صموئيل الثاني، وسفر الملوك الأول، وسفر الملوك الثاني.

أما أسفار الأنبياء المتأخرين فهم على قسمين:

الكبار: سفر إشعيا، وسفر أرمياء، وسفر حزقيال.

الصغار: وفيهم أسفار لكل من: هوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخي.

جـ ـ الكتب أو المؤلفات: وهي أسفار المزامير، والأمثال، وأيوب، ونشيد الإنشاد، وراعوث، والمراثي، والجامعة، وأستير، ودانيال، ونحميا، وعزرا، وأخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثاني.

ولكن الترجمة الكاثوليكية أضافت أسفاراً أخرى كان يهود يسمونها بالأسفار غير القانونية، هذه الأسفار هي: طوبيّا، ويهوديت، وسفر المكابيين الأول وسفر المكابيين الثاني، وسفر الحكمة، وسفر ياروك، وسفر يشوع بن سيراخ.

أما تدوين العهد القديم فقد استغرق زمناً طويلاً، بدأ حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وانتهى، حسب المصادر اليهودية، مع قرار عزرا بشأن الشريعة والأسفار القانونية، وذلك في سنة ٣٩٨ق.م.

والنصوص المعترف بها تلك التي تمّ تدوينها وإقرارها بعد هذا التاريخ بكثير وربما بعد المسيحية بحوالي قرن أو أكثر، لكن أقدم نسخة وصلت هي المدونة بعد القرن الثامن الميلادي والمعروفة باسم: المسّوري، أو «ماصوريت» (Massoreth)، وهذه النسخة أعدها مجموعة من علماء اليهودية بعد القرن السادس الميلادي إلى الثامن، وبعض المصادر تشير بأنهم إلى عائلة ابن آشير. والماسوريون هم الذين أضافوا إلى النصوص الشكل والحركات، وكان بفعل ذلك توحيد القراءات بالنسبة للعهد القديم. وإن كانت الأسفار الخمسة، أي التوراة، قد ظهرت بمخطوط يعود لحوالي منتصف القرن التاسع الميلادي، إلا أن نص العهد القديم كاملاً لم يظهر إلا مع نهايات القرن العاشر الميلادي، وعثر عليه في مخزن المعبد اليهودي بالقاهرة. والمسورة أو ماصوريت هو النص المعترف به، والكلمة: مسّورة؛ عبرية معناها: قيّد أو ربط، من كلمة أسر.

وأقدم منها النصوص التي عُثر عليها في وادي قمران، قرب البحر الميت، أواسط القرن العشرين للميلاد، واشتهرت باسم: لفائف البحر الميت، وتعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وستكون عودة إليها في سياق هذا الكتاب.

إن العهد القديم طبع لأول مرة سنة ١٤٨٨م في سونشيومن في دوقية ميلانو

بإيطاليا، وبعدها توالت الطبعات، وتوالت الترجمات وتنوعت، ومن الترجمات تلك التي قام بها مؤسس الحركة البروتستانتية مارتن لوثر، إلى الألمانية.

ويسمى العهد القديم بالأسفار القانونية: التّناخ، ويكتبونها: (ت، ن، ك)، وهي الحروف الأولى من الألفاظ: توراة ـ ونبيئيم (الأنبياء)، ـ وكتوبيم (الكتب). «ومن الأسماء المستعملة عندهم لتحديد هذا الكتاب: (المِقْرا)؛ أي النص المقروء لأنهم مطالبون بقراءته في عباداتهم، والرجوع إلى الأحكام الشرعية التي تنظم حياتهم»[١].

والتناخ والمقْرا اسمان يضافان إلى الاسم الوارد سابقاً: المِسْورة أو (ماصوريت)، وهو الذي دققه السلف اليهودي وارتضوه من دون سواه، ونقلوه منذ القرن العاشر الميلادي نقل تواتر، وهذه العملية التي قام بها علماء (المسورة) هي التي بوَّبت النصوص وضبطتها مما جعل الناس حيالها متفقين على اللفظ والقراءة.

بعد العهد القديم بنصوصه القانونية، تأتي تلك النصوص غير القانونية، وغير المقبولة التي تسمى: أبوكريفا « Apocrypha؛ أي الكتب المخفية، والتي لا تشكل جزءاً، ولو كانت مقبولة للقراءة من الناحية التاريخية، كما تضاف إليها تلك التي يطلق عليها اسم: المنسوبة Pseudepigrapha؛ أي المنسوبة خطأ إلى مؤلفين توراتيين»[٢].

من هذه النصوص الأبوكريفا ما هو كتابات تاريخية، كسفر المكابيين الأول والثاني، ومنه ما هو عقدي موجه ضد عبادة الأصنام ومن أجل إظهار القدرة الإلهية والمعجزات ومنها سفر يهوديت، وسفرطوبيا، وسفر الجامعة، وسفر الحكمة.

وإذا كان يهود قد اعتبروا الأبوكريفا غير قانونية، ولم يدخلوها في

---

(١) ظاظا، د. حسن، **الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه**، الإسكندرية، مكتبة سعيد رأفت، سنة ١٩٧١م، ص٧٣.

(٢) ديب، سهيل، **التوراة بين الوثنية والتوحيد**، بيروت، دار النفائس، ط١، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص١١.

ترجماتهم للعهد القديم، فقد شاركهم في ذلك البروتستانت، بينما نجد الكاثوليك قد ضمَّنوا طبعاتهم وترجماتهم كل النصوص الرسمية وغير الرسمية، ووافقهم في ذلك الأرثوذكس.

وإذا كانت مدة تدوين العهد القديم قد استمرت حوالي سبعة قرون، فإن الذين أسهموا في هذه العملية كثيرون وعاشوا في مراحل زمنية مختلفة، وحسب دراسات الكتاب المقدس «يبلغ عدد الكتَّاب الملهمين، الذين كتبوا الكتاب المقدس، أربعين كاتباً، وهم من جميع طبقات البشر، بينهم الراعي والصيّاد وجابي الضرائب والقائد والنبي والسياسي والملك... إلخ... وفي الكتاب المقدس جميع أنواع الكتابة من نثر وشعر، وتاريخ وقصص، وحِكَم وأدب وتعليم وإنذار، وفلسفة وأمثال»[1].

هذا ما يفسر تفاوت النظم الأدبي ومستوى الصياغة في أسفار العهد القديم، يضاف إلى ذلك أننا نجد فيها أسفاراً تتحدث عن أنبياء سبقوا عهد موسى مثل أيوب، وأسفاراً تمتد لعشرات القرون بعد موسى كسفر أستير أو سفر عزرا.

والدارس المدقق لنصوص العهد القديم يجد فيها أكثر من موضوع وأسلوب، منها:

١ ـ في موضوع الخلق والتكوين إسقاطات لأوهام وأفكار أسطورية، ومزاعم لا تلامس الواقع ولا تقاربه، كمزاعم السامية وأولاد نوح وعملية الخلق.

٢ ـ نصوص تنضح بالعنصرية، كفكرة الشعب المختار، أو كالأفكار والمواقف تجاه المرأة منذ الخلق إلى حكاية الخطيئة إلى التشريع المزعوم عندهم الذي يجعلها في موقع دوني.

٣ ـ صياغة للتاريخ أو للكثير من محطاته وفق ما تهوى أنفسهم، كموضوع الهيكل، أو تلك القراءات المغلوطة للعلاقات بين الشعوب، أو تلك الوعود المزعومة بأن تكون لهم أرض كنعان من الفرات إلى النيل.

٤ ـ نصوص تحوي مفاهيم مغلوطة حول الألوهية وحول الأنبياء، مما

---

(١) **قاموس الكتاب المقدس**، م.س، ص ٧٦٢.

ينافي الذوق السليم ويخالف الحقيقة والواقع.

٥ ـ تراثهم الأدبي نثراً ونظماً حوته أسفار في العهد القديم، خاصة في القسم الثالث المسمى: الكتابات (كتوبيم).

٢ ـ **التلمود: (TALMUD)**: التلمود هو الشريعة الشفوية بمقابل الشريعة، أو ناموس موسى المكتوب على الألواح، والذي كانوا يحفظونه في تابوت العهد؛ أي التوراة. وعندهم أن موسى عندما كان على طور سيناء تلقى إلى جانب الشريعة المدونة، أو التوراة المكتوبة، أسفاراً شفهية تمَّ جمعها لاحقاً، بدءاً من عهد عزرا في التلمود. والتلمود جاء يقنِّن ويبسِّط تعاليم يهود. وحسب الرابيِّين (رابّي Rabbi: رجل دين يهودي) فإنهم «يعتبرون موسى عليه السلام هو المؤلف الأول لهذا الكتاب. يفسرون ذلك، مع التأكيد: أنَّه بالإضافة إلى القانون المكتوب على ألواح من الحجر، الذي تسلَّمه موسى من ربه على جبل سيناء ـ وهذا القانون يدعى عند يهود توراه شيبكتاب Torah Schebiktab ـ فقد تسلَّم موسى أيضاً من الله تفسيرات وشروحاً لهذا القانون، أو ما يُدعى القانون الشفوي المعروف عند يهود باسم توراه شيبيل بيه Torah Shebeal Peh. يستطرد الرابّيون في توضيحهم للقضية قائلين: إن هذا هو السبب في بقاء موسى لوقت أطول مما هو محدد له على جبل سيناء... ويقال أيضاً إن موسى نقل هذا القانون الشفوي إلى جوشوا Joshua، وهذا نقله إلى الشيوخ السبعين»[1]. ومجلس السبعين إشارة إلى مجمع السنهدرين.

إن الشريعة الشفهية الموسوية المعروفة باسم: التلمود، ظلت تتداولها الأجيال اليهودية حتى أوائل القرن الأول للميلاد حيث بدأ الاشتغال بها والعمل لإقرارها هيلل Hillel رئيس المجلس الأعلى (السنهدرين) في أيام هرودتس الذي كانت في عهده ولادة المسيح عليه السلام، هو الذي بوَّب نصوص التلمود وجعلها في ستة أجزاء أو أقسام، ثم كان بعده الحاخام عقيبا (Akiba)، ومن ثمّ مئير الذي أضاف إلى النصوص بعض الأحكام والتفاصيل، إلا أن الذي قام بعملية التدوين الكاملة لأول مرة الحاخام يهوذا النّاسي،

---

(١) برانايتس، **فضح التلمود**، إعداد زهدي الفاتح، بيروت، دار النفائس، ط٢، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٢١، ٢٢.

وكان ذلك بين عامي ١٩٠ إلى ٢٠٠ للميلاد. هذه السلسلة من علماء التلمود عُرِفت باسم: «التنائيم ـ Tannaim»، وهم المعلمون الثقاة، ويبدأ عصر التنائيم مع هيلل، ويستمر حتى الرابي يهوذا، وهو من سلالة هيلل، وهذه السلالة كانت من فرقة الفريسيين، والناسي تعني الأمير. وبذلك يكون من أتمَّ تدوين التلمود يهوذا الأمير (الناسي). «وتؤكد المصادر اليهودية، إذن، على الدور الرئيسي الذي قام به يهوذا الناسي في جمع مواد المشنا وتصنيفها وتبويبها، وتنسب إليه تقسيم المادة المجموعة إلى ستة أجزاء (Six orders) صارت تُعرف، فيما بعد، بالسدريمات الستة، ثم اختزلها يهود إلى شصّ Shichah Sedarim-Shas التي أصبحت بدورها تسمية رائجة في أوساط العامة للتلمود البابلي. ويحتوي كل سدر أو صدر من الأجزاء الستة على عدد من المقالات أو الأسفار التي تعرف بماسيكتوت Massiktot، وهذه اللفظة مشتقة من الجذر الآرامي بمعنى: نسج أوحاك. كما تقسم كل مقالة بدورها إلى عدد من البراقيم (Perakim) أو المفاصل، ويتألف كل مفصل بدوره من فقرات عديدة، تُعرف بحلقوت Halakot، جمع حلقا، وهي الأحكام الشرعية»[1]. والمرجح أن عملية الجمع هذه قد تمت مع أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث للميلاد[2].

المتن الأساسي من التلمود يسمى مِشْنا Mishnah؛ أي التعليم، وهي أول لائحة تشريعية كتبها يهود بعد العهد القديم، وهي، وفق النسخة المعتمدة بعد يهوذا الناسي، مؤلفة من ستة أجزاء رئيسية هي:

١ ـ **زراعِيم Zeraim**: خاص بالبذور أو الإنتاج الزراعي. ويتضمن القوانين المتعلقة بالأرض الزراعية. ويبدأ بتحديد الصلوات المفروضة والبركات أو الأدعية.

٢ ـ **مُوعد Moed**: موضوعه الأعياد، ويحوي الأحكام الخاصة بالسبت والأعياد والأيام المقدسة.

---

(١) رزّوق، د. أسعد، **قاموس التلمود والصهيونية**، بيروت، دار الناشر، ط٢، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص١٢٧.

(٢) تتوافق الدراسات المعاصرة على أن التلمود البابلي (مشنا) قد أبصر النور مع يهوذا الناسي في سنة ٢٢٠م.

٣ ـ **ناشيم Naschim**: موضوعه المرأة وقضايا النساء، وفيه النظم والتشريعات التي تتعلق بالزواج والطلاق وسائر قضايا الأسرة.

٤ ـ **نزيقين Nezikin**: أي الأضرار. يحتوي هذا القسم على الأنظمة والأحكام المدنية والجنائية ومعها نظام العقوبات والقصاص والتعويضات.

٥ ـ **قدّاشيم Kodaschim**: خاص بالمقدسات، ويحوي الشرائع الخاصة بالقرابين وخدمة الهيكل.

٦ ـ **طَهَارُوت Taharoth**: يحوي أحكام الطهارة والنجاسة، وما هو حلال وما هو حرام من الأطعمة وأنواع المشروبات.

وكل واحد من هذه الأقسام يتوزع في فقرات تحوي الكثير من التفاصيل، معظمها يستمد مؤيدات من نصوص العهد القديم، وتقع كلها في ٦٣ سفراً أو مقالاً (ماسيكتوت)؛ وتتوزع هذه الأسفار، والمقالات في ٥٢٣ جزءاً أو مفصلاً أو موضوعاً (براقيم).

والمِشْنا نوعان: التلمود الفلسطيني أو الأورشليمي، والتلمود البابلي.

«١ ـ **التلمود الفلسطيني**: ينسبه يهود خطأ إلى أورشليم بقولهم: الأورشليمي (Talmud Yerushalmi)، لأن القدس خلت من المدارس الدينية بعد خراب الهيكل الثاني، وانتقل الأحبار إلى إنشاء مدارسهم في يمنية وصفورية وطبرية.

٢ ـ **التلمود البابلي**: وهو نتاج الأكاديميات اليهودية في العراق، وأشهرها: سورا ونهاردعا وفومبديتا.

حين تستخدم لفظة التلمود بمفردها ومع أل التعريف، فإن المقصود بها هو التلمود البابلي بدون منازع، وعلى سبيل الميزة والأفضلية والتفوق. والبابلي يدين بتلك الأهمية، التي حظي بها منذ أواسط القرن الثامن، إلى جملة أسباب وعوامل يأتي في طليعتها ذلك التأثير الهائل الذي مارسه على يهود واليهودية طيلة القرون اللاحقة، بالإضافة إلى حجم مادته التي تبلغ ثلاثة أضعاف التلمود الفلسطيني»[١].

---

(١) رزّوق، د. أسعد، م.س، ص ١٠٦.

القسم الآخر من التلمود بعد «مِشنا» هو جمارا Gemara؛ وهو شرح المِشناه. ولكل واحد من التلمودين شرحه. فمع مِشناه بابل جمارا، ومع مِشناه فلسطين جمارا. والجمارا هي مجموعة المناقشات والأحكام التطبيقية حول نصوص المِشناه.

بدأت أعمال الجمارا مع الرابيين في كل من الموقعين في القرن الثالث للميلاد، أي بعد تدوين المِشناه، وقد انتهت طبقات الشرّاح في فلسطين حوالي سنة ٣٦٠م، بينما تواصلت أعمال الشرح والمناقشات في بابل إلى العام ٥٠٠م. وإذا للتلمود البابلي الأفضلية والسلطان على يهود بذلك يكون أول تلمود متكامل بشطريه: مِشناه وجمارا قد ظهر إلى الوجود عام ٥٠٠م.

التنائيم هم الرابيون الذي دوَّنوا مِشناه، أما من قاموا بالشروحات والمناقشات ووضعوا التطبيقات فقد عرفوا باسم: أمورائيم Amoraim، ومعناها: المتكلمون، أو المفسِّرون، وهم علماء اليهودية الذين أقاموا في العراق وفلسطين بين عامي ٢٢٠ إلى ٥٠٠م.

وتذكر بعض الدراسات فئة من الرابيين في العراق عاشت في القرن السادس للميلاد عرفت باسم: الصابورائيم Saboraim. «هذه التسمية تعني الشّراح أو التأمليين في أقوال السلف، وأصحاب الرأي أحياناً. ويمتد نشاط هؤلاء طيلة القرن السادس للميلاد. أشهرهم: الرابي جوزية (فومبدينا)؛ والرابّي أحاي في مطلع القرن السادس. ومن المرجح أنهما شاركا في أعمال الجمع التي قام بها المتأخرون من الأورائيم. والراب جيزا (سورا)، والراب سمعونا (فومبديتا) في منتصف القرن السادس... بيد أن مدرسة الصبورائيم هي مؤسسة بابلية بحتة، لا تقابلها فئة مماثلة من العلماء في فلسطين»[(١)].

إن التلمود بقسميه: مِشْنا وجمارا، يشكل موقعاً مهماً عند يهود، خاصة فرقة الفريسيين (سيرد الحديث عنهم لاحقاً)، والتلمود المعتمد هو البابلي لأن تلمود فلسطين أو أورشليم لا يبلغ حجماً أكثر من ثلث الأول، وقد تمَّ إعداده على عجل بخلاف الأول الذي استغرق وقتاً فجاء بشكل أكثر دقة وأشمل

---

(١) رزّوق، د. أسعد، م.س، ص ١٣٥، ١٣٦.

معالجة للأمور، مع الإشارة بأن مضمونهما غير متباعد[١].

لقد جلبت طباعة التلمود في أوروبا، بعد استخدام الطباعة، الكثير من المتاعب، وأثارت العديد من المشكلات لأنه مشحون بنصوص تجهر بالعداء للمسيح عليه السلام وللمسيحية، لذلك ما كان العلاج بإحراق النسخ المطبوعة من التلمود، وقد حكمت الفاتيكان بضرورة تطهير عالم الكتب المطبوعة من التلمود، ومن ذلك «في سنة ١٥٦٥م أصدر البابا بيوس الرابع (Pious IV) أمراً: أنه يجب حرمان التلمود حتى من مجرد اسمه»[٢].

وإذا أراد القارئ معرفة ما يحويه التلمود ضد المسيحية فإننا نترك الإجابة لكاتب يهودي هو إسرائيل شاحاك الذي قال: «إن التلمود.. يحتوي على مقاطع معادية جداً ووصايا موجهة أساساً ضد المسيحية. على سبيل المثال، إضافة إلى الاتهامات الجنسية البذيئة ضد يسوع، ينص التلمود أن عقوبة يسوع في الجحيم هي إغراقه في غائط يغلي ـ وهي عبارة لا تجعل التلمود مقبولاً من المسيحيين المؤمنين ـ كما يمكن التذكير بالوصية التي يؤمَر اليهود بموجبها بإحراق أي نسخة من الإنجيل، علانية إذا أمكن، تقع بين أيديهم»[٣].

لقد جلب التلمود متاعب كثيرة للمؤمنين به في كل مجتمع كانوا فيه لذلك كان تداوله قليلاً ومحدوداً، وقد عمدوا إلى حذف مقاطع وفقرات من بعض طبعاته من باب التقية، وسيرد معنا، في مواقع أخرى من هذا الكتاب، نصوص تبيِّن ما يحويه من العدوانية والعنصرية ضد كل من هو غير يهودي.

---

(١) للتفصيل يراجع: خان، ظفر الإسلام، **التلمود: تاريخه وتعاليمه**، بيروت، دار النفائس، ط٧، سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص٢٢ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٧.

(٣) المرجع السابق، ص٢٨.

العقيدة عند يهود

إن أمر العقيدة عند يهود، بحسب ما ورد عندهم في العهد القديم، وفي بعض نصوص التلمود، فيه غرائب تبعدهم عن التوحيد. فالخالق سبحانه جدَّفوا عليه، ولم يرعوا عصمة أو حرمة للأنبياء والرسل، واليوم الآخر وهو من أركان الإيمان اختلفت فرقهم بشأنه، هذا عدا عن التلاعب بالنصوص، وما عندهم من نظرة استعلاء ومزاعم بأنهم الشعب المختار مما يخالف قاعدة تكريم الإنسان.

عقيدة يهود في الخالق سبحانه وتعالى

لقد تنوعت الدراسات حول سلامة عقيدة التوحيد عند يهود وبعضها ذهب إلى أن يهوداً واصلوا الاعتقاد بتعدد الآلهة لقرون قبل أن يتراجعوا عن ذلك ويلتزموا الإيمان بالله الواحد. إن أحدهم، وهو عالم النفس سيجموند فرويد (١٨٥٦م ـ ١٩٣٩م)، وهو يهودي نمسوي الأصل، وقد أسس مدرسة التحليل النفسي، ذهب إلى اعتبار مصدر عقيدة يهود حصرياً من ديانة أخناتون. وقد أوصل فرويد إلى هذا الموقف استخدام يهود مصطلح «أدوناي» لاسم الخالق، وقد قارنه مع إله ديانة أخناتون: «أتون». قال فرويد وهو يهودي ـ كما ذكرنا سابقاً ـ: «إذا كان موسى مصرياً، وإذا كان قد نقل إلى يهود ديانته هو نفسه، إذاً فقد كانت تلك الديانة هي ديانة أخناتون، أعني ديانة أتون»[1].

ويكمل سيجموند فرويد قائلاً: «ومن السهل أن نتبين نقاط التشابه، وكذلك نقاط الاختلاف بين الديانتين، ولكنها لا تثيرنا كثيراً، فكلاهما شكل من

---

(١) فرويد، سيجموند، **موسى والتوحيد**، تعريب ودراسة الدكتور عبد المنعم الحفني، القاهرة، دار الرشاد، ط١، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٤٧.

التوحيد المتزمت، وسنميل إلى أن نرجع إلى هذه السمة الأساسية ما هو متشابه في كل منهما. ولكن التوحيد اليهودي في بعض نقاطه لا يقل تزمتاً عن التوحيد المصري»[١].

إن اللبس والغموض اللذين أصابا سيجموند فرويد، وهو فيلسوف يهودي، يدلِّل على التشويش والغموض عموماً في العقيدة اليهودية حيث حوت مفاهيم وفدت إليها من معتقدات سابقة عليها، وسيظهر كيف وصل الأمر بهم إلى أكثر من التأثر بديانة أخناتون عندما نسبوا إلى الذات الإلهية ما يصل إلى حد التجديف والتطاول والكفر.

إن التجديف على العزَّة الإلهية بدأ مع نصوصهم في الخلق وأول مسيرته حيث نسبوا للرب، تعالى عن كفرهم، ما ينسبونه للبشر من العمل وما يليه من تعب، فقال كتَّاب العهد القديم: «لأن الربَّ في ستة أيام خلق السموات والأرض والبحر وجميع ما فيها، **وفي اليوم السابع استراح**»[٢]. وقد جاء النص القرآني مفنداً لمثل هذه المزاعم والأباطيل لأن الله تعالى خالق، ولا يجوز مطلقاً أن يقاربه أحد مع المخلوق. وفي الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [قٓ/٣٨] (اللغوب: تعب وإعياء).

والنص نفسه، أو ما يقاربه، ورد عندهم في سفر آخر فقالوا: «وفرغ الرب في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمله. وبارك الله اليوم السابع وقدَّسه **لأنه فيه استراح من جميع عمله** الذي خلقه بنفسه»[٣].

وقد استخدم العهد القديم للخالق ثلاثة أسماء هي: إيلوهيم، وأدوناي، ويهوه، ولكل اسم دلالة عندهم. فالاسم ألوهيم يدل على صفة الله الخالق العظيم، وعلى أنه على علاقة مع جميع الأمم والشعوب. والاسم أدوناي يستخدمونه عندما يريدون مخاطبة الله بخشوع ووقار ومهابة، وأما الاسم يهوه؛

(١) فرويد، سيجموند، م.س، ص٤٨.
(٢) سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، فقرة ١١.
(٣) سفر التكوين، الإصحاح ٢، الفقرات ١ ـ ٣.

فيزعمون أنه خاص بهم، وهو يشير إلى العلاقة الخاصة بين الله وبين يهود، وهو إله الوصايا وتابوت العهد، ولا يرغبون بالإكثار من استخدامه حتى لا يشيع ذلك بين الأمم[١].

إن مزاعم نصوص العهد القديم وما فيه من تعابير تدور حول الله تعالى يصعب على أي عاقل أن يتقبلها مهما كان فهمه للأمور سطحياً، فالخالق عندهم مشى في الجنة باحثاً عن آدم وحواء بعد أن أكلا من الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها، وآدم وحواء أدركا ذلك المشي من خلال وقع أقدام الرب في الجنة، فسارعا إلى الاختباء. هذا الكلام ليس استنتاجاً ولا اتهاماً لهم بل استخدموه بحرفيته في العهد القديم، حيث قال، فيما يتعلق بهذه الواقعة: «وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنّة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنَّة. فنادى الرب الإله الإنسان وقال له: أين أنت؟ قال: إنِّي سمعت وقع خطاك في الجنَّة فخِفت لأنّي عريان فاختبأت»[٢]. هل يقبل عاقل هذا الكلام؟ ثم هل يتناسب ذلك مع عقيدة التوحيد التي تنزِّه الله تعالى عن المثل والشبيه؟ فهو سبحانه خالق والبشر مخلوقون.

إن العهد القديم قد كتبوه على امتداد قرون بأيديهم، لذلك حمل مثل هذه التخرصات، وقد توعدهم الله تعالى بالعقاب جرّاء ما كسبت أيديهم، وجاء النص القرآني وفيه قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة/ ٧٩].

وتأتي ضمن مزاعمهم مفاهيم وأقوال أكثر جرأة وتطاولاً، ومنها ما ورد في التلمود البابلي حيث يزعمون أن الخالق ـ تعالى عن كفرهم ـ يوزع الساعات وفيها مراجعة وتراجع، وفيها ما هو عبث ولهو، والعياذ بالله. جاء في النص عندهم: «لكن ألم يقل ح. يهودا باسم رابه: هنالك اثنتا عشرة ساعة في اليوم، ينشغل القدوس، المبارك، في ثلاث ساعات منها، بالتوراة، وفي

(١) للتفصيل: تراجع هذه المصطلحات في مواقعها من **قاموس الكتاب المقدس**، م.س.
(٢) سفر التكوين، الإصحاح ٣، الفقرات ٨ ـ ١٠.

الساعات الثلاث التي تليها، يحاكم العالم ككل، وعندما يرى أنه عرضة للتدمير، يقوم عن كرسي الدينونة ويجلس على كرسي الرحمة. وفي الساعات الثلاث التي تليها، يمدُّ العالم كلَّه بالطعام، من أعظم الخلائق إلى أصغرها. وفي الساعات الثلاث الأخيرة يلعب مع ليوتان، . . . لكن في الساعات الثلاث الرابعة يعلِّم التوراة لطلبة المدارس، . . .يمكننا قول إذا شئتم، إنه يفعل في الليل ما يفعله في النهار. ويمكننا القول، إذا شئتم، إنه يركب على غمامة ليله ويتحرك في كل الاتجاهات»[١].

إنها وثنية أين منها نظرة عبدة الأوثان لآلهتهم؟ إذ كيف ينسب هؤلاء المتخرصون إلى الله تعالى مثل هذه الأشياء؟ فهو يلاعب لوياتان، ويتدارس التوراة مع الطلبة، وينتقل من كرسي إلى آخر مبدلاً مواقفه، وفي كل هذه النصوص يبرز أكثر فأكثر المعتقد الفاسد ليهود.

وتُبَدِّل المواقف، وأن يقضي الله تعالى أمراً ومن ثمَّ يعدل عنه إذا بدا له شيئ يوجب هو ما عرف عقدياً باسم: **«البَدَاء»** وهو محال في حق الله تعالى، وهو قائم في دنيا البشر، ويكثر كتاب العهد القديم من النصوص التي ينسبون فيها البداء لله تعالى، من ذلك زعمهم أن الرب غضب على قوم موسى بفعل ما اقترفت أيديهم فرجاه موسى أن يسامحهم، وأن يعدل عن غضبه عليهم، فكان لموسى ما سأل، قد جاء في نصهم ما يلي: «فاسترضى موسى الرب إلهه، وقال: يا ربّ، لِمَ يضطرم غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويدٍ قديرة؟ ولِمَ يتكلم المصريون قائلين: إنه أخرجهم من ههنا بمكر ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض؟. **ارجع عن اضطرام غضبك واعدل عن الإساءة إلى شعبك.** واذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك الذين أقسمت لهم بنفسك، وقلت لهم: إنِّي أكثر نسلكم كنجوم السماء، وكل الأرض التي تكلمت عليها سأعطيها لنسلكم فيرثوني للأبد.

فعدل الرب عن الإساءة التي قال إنه ينزلها بشعبه»[٢].

إن هذا النص يحوي فساداً عقدياً يبعد بالمعتقدين به عن جادة الصواب،

---

(١) **التلمود البابلي ـ رسالة عبدة الأوثان ـ**، ترجمة وتقديم نبيل فياض، دمشق، دار الغدير، ص١، سنة ١٩٩١م، ص٢٥.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، الفقرات ١١ ـ ١٤.

وعن العقيدة السليمة، فهو ينسب البداء لله تعالى وهذا محال، وينسب الإساءة لله تعالى، وحاشا لله تعالى، لكن معتقدهم الفاسد جعلهم يستسهلون استخدام مثل هذه العبارات غير مبالين بالأدب المطلوب من العبد تجاه الخالق، وأن يكون الخطاب بإجلال لله تعالى، وبتوقير وليس بهذه الطريقة.

ويكمل النص في العهد القديم في مسار الفساد العقدي عند هؤلاء القوم حيث ينسبون لله تعالى ما ينسبونه للبشر فيضيفون إلى البداء، وهو تبديل الموقف والقرار الإلهي؛ أي القضاء، أمراً آخر هو الندم والأسف فيقولون في أحد أسفارهم: «ورأى الرب أن شرَّ النّاس قد كثر على الأرض، وأن كلّ تصوُّر أفكار قلوبهم إنما هو شرّ في جميع الأيام. فندم الربُّ أنَّه عمل الإنسان على الأرض وتأسَّف في قلبه»[1]. بعد هذه الألوان من النصوص التي لا تحترم الذات الإلهية يأتي السؤال: أين التوحيد في مثل هذه العقيدة؟ أبقي توحيد وهم ينسبون إلى الذات الإلهية العلية مثل هذه الأمور؟!

ويزداد فساد العقيدة حين ينسبون لإبراهيم عليه السلام ما فيه إساءة له ولنبوته، بالإضافة إلى الإساءة لله تعالى، فيقولون بأن إبراهيم ضحك وظن الأمر عبثاً ومزاحاً حين أبلغه الرب تعالى بأنه سيكون له ولد من زوجته الأولى سارة، بعد أن كان قد أنجب إسماعيل من هاجر. قال كتّاب العهد القديم حول هذا الموضوع: «وقال الله لإبراهيم: ساراي امرأتك لا تسمّها ساراي بل سمِّها سارة. وأنا أباركها وأرزقك منها ابناً وأباركها فتصير أمماً، وملوك شعوب منها يخرجون. **فسقط إبراهيم على وجهه وضحك، وقال في قلبه ألإبن مئة سنة يولد ولد، أم سارة، وهي ابنة تسعين سنة، تلد؟**»[2].

يستفاد من هذا النص أن إبراهيم «لم يضحك من الإله حتى سقط على وجهه من الضحك فقط، بل واعتقد أن الإله يمزح معه أو يعابثه أو يعده بشيء مستحيل التحقيق، وإلا فلماذا ضحك؟ وكما هو واضح، لو كان بشر، سواء كان إبراهام أو غيره، قد وقف في حضرة إله، لانتابه الخشوع. ولو كان الإله قد أكد له أنه سيجعل امرأته تحمل وتلد له ابناً، لصدَّق الإله من فوره،

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٦، الفقرتان ٥، ٦.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح ١٧، الفقرات ١٥ ـ ١٧.

وانكفأ على وجهه وشكر الإله بدلاً من أن ينكفئ على وجهه من شدة الضحك»[١].

هذا التخرص يظهر التناقض عند كتَّاب العهد القديم إذ كانوا صدقوا قبلاً بولادة إسماعيل ووعد الله لإبراهيم قد تحقق، فما المانع من أن يكون ثانية بأمر الله تعالى؟. كل ما في الأمر أنهم أرادوا أن يُخضعوا القدرة الإلهية لمقاييس بشرية، وهنا بيت القصيد في زيغ عقيدتهم وانحرافهم عن التوحيد الحق.

والرب، حسب مزاعمهم، لم يظهر في الجنة لآدم وحواء حين سمعا وقع خطاه فقط، وإنما وقف أمام إبراهيم ليبلغه بأن سارة ستنجب إسحق، وهو يحرص على الشعب المختار ـ حسب زعمهم ـ فيرافقه من مكان إلى آخر مستتراً بالغمام، وهذا تجسيد لا يجوز في حق الله تعالى، ويؤشر إلى تغلغل المفاهيم الوثنية في عقيدة هذا الشعب. صرَّحوا بذلك زاعمين ما يلي، أبّان الخروج من مصر مع موسى عليه السلام: «وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود من غمام ليهديهم الطريق، وليلاً في عمود من نار ليضيئ لهم ليسيروا نهاراً وليلاً. لم يبرح عمود الغمام نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب»[٢].

ويزداد المفهوم الوثني وضوحاً في نص آخر يزعمون فيه أن الرب لم يكن له مسكن عندما أقام في الغمام، وقد قام سليمان ببناء بيت له فسكن فيه. ورد في النص المزعوم هذا: «حينئذٍ تكلم سليمان قال الرب إنه يسكن في الضباب. إنِّي قد بنيت لك بيت سكنى مكاناً لسكناك إلى الأبد»[٣].

وتزداد أساليب التجديف عندهم حيث يصرحون في زعم آخر بأن الرب قد يحلُّ وسط الناس، ويمشي معهم، ولكن عندما تكثر أخطاؤهم يتجنب الرب، ذلك لأنه في هذه الحالة قد ينفعل غاضباً فيفنيهم، لذلك قال لموسى، حسب

---

(١) مقار، شفيق، **السحر في التوراة: العهد القديم**، لندن، دار رياض الريس، ط١، سنة ١٩٩٠م، ص٤٠.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح ١٣، الفقرتان ٢١، ٢٢.

(٣) سفر الملوك الأول، الإصحاح ٨، الفقرتان ١٢، ١٣.

ما كتبوا بأيديهم: «أما أنا فلا أصعد في وسطكم، لأنكم شعب قساة الرقاب، لئلا أفنيكم في الطريق»[١].

إن هذا العرض يبيِّن للقارئ والمتابع بأن عقيدة هؤلاء القوم في الله تعالى عقيدة غير سليمة، ولا يكفي أن يصرحوا بأنهم موحِّدون، والحال كما ظهر أن ذلك مجرد ادعاء، فقد كتب من صاغوا العهد القديم ما تداخل فيه الحق والباطل حيث تسربت مفاهيم متوارثة من شعوب قديمة إلى كتابهم، وبذلك يكونون قد قالوا على الله تعالى الكذب كما ورد في قوله تعالى في النص القرآني: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران/ ٧٨].

وما قالوه من كذب جعل نصوصهم مكتظة بما هو محرَّف وزائغ عن جادة الحق، عقيدة وشريعة، لأنهم لم يوفروا نصاً أو فكرة أو مبدأ إلا التقوا عليه لأنهم أرادوا ديناً كما تهوى أنفسهم، ولم ينقادوا للهدى ودين الحق، كما جاء به الرسل وموسى عليهم السلام وحياً من عند الله تعالى. ويبلغنا الحق سبحانه عن حالهم هذه في الآية الكريمة التي جاء فيها: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء/ ٤٦].

وإذا كان يهود قد حرَّفوا النصوص فإنه من البديهي أن يتلاعبوا بها تأويلاً وتفسيراً كي تماشي ما يضمرونه من نوايا، وما يخططون له.

عقيدة يهود في الأنبياء وموضوع العصمة

إن النبوة عند يهود اصطفاء إلهي، فالله تعالى يختار من يحمل رسالة وبلاغاً إلى الناس، والنبوة محض عطية من الله تعالى. وأقوال النبي يوحي بها إليه الله تعالى وليست من بنات أفكاره، ولا هي من مواهبه الذاتية، وعند يهود كلمة النبي[٢] ترادف كلمة الرائي، فالرائي هو الإنسان الذي أُعطي قدرة كي يرى

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٣٣، الفقرة ٣.

(٢) يراجع: ـ **قاموس الكتاب المقدس**، م.س، ص ٩٤٩ وما بعدها.

ـ **معجم اللاهوت الكتابي**، ص ٧٩٦ وما بعدها. دار المشرق، بيروت، ط٢، سنة ١٩٨٨م.

أموراً لا تقع في دائرة البصر الطبيعي للبشر، ويسمع أشياء لا تستطيع الأذن الطبيعية أن تسمعها، ومتلقي الوحي يتم له ذلك وهو بكامل وعيه ويقظته، وقد يدَّعي بعضهم النبوة ويتكلم من ذاته، فهذا يُهجر ويُعاقب.

نبَّه النص في العهد القديم إلى هذا الأمر، حيث جاء فيه ما يلي: «بل كن كاملاً لدى الرب إلهك، لأن تلك الأمم التي أنت طاردها تصغي إلى المنجمين والعرّافين. وأما أنت فلم يُجِز لك الرب إلهك مثل ذلك. يقيم لك الرب إلهك نبياً مثلي من وسطك، من إخوتك، فله تسمعون، وفقاً لكل ما سألته الرب إلهك في حوريب، في يوم الاجتماع، قائلاً: لن أواصل سماع صوت الرب إلهي ولن أرى بعد الآن هذه النار العظيمة، لئلا أموت. فقال لي الرب: قد أحسنوا فيما قالوا. **سأقيم لهم نبي من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما آمره به.** وأي رجل لم يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي، فإني أحاسبه عليه. ولكن أي نبي اعتد بنفسه فقال باسمي قولاً لم آمره أن يقوله، أو تكلم باسم آلهة أخرى، فليُقتل ذلك النبي»[(١)].

النبوة موهبة خاصة يهبها الرب لمن يشاء من عباده، وبمقابلها هناك أدعياء وكَذَبَة يعتمدون السحر أو التنجيم والعرافة أو الأحلام، وهؤلاء جميعاً يخرج من أفواههم كلام كامن في النفس أو أوهام موجودة في الذهن، بينما يجري على لسان النبي ما منحه الله تعالى من وحي. وهذا المفهوم للنبوة واحد عند كل أتباع الرسالات السماوية.

وقد عصم الله تعالى الأنبياء عن الخطأ بغرض حمل الرسالة، لأنه لو كانوا على ما عليه كل الناس لأفسد ذلك قبول دعوتهم، إذ كيف يدعون، وفي سلوكهم ما يخالف الذي يوجِّهون إليه؟

فالقاعدة العامة أن واجب الإنسان أن ينفذ ويمارس ما يرشد سواه إليه فكيف الحال مع الأنبياء الذين اصطفاهم الله تعالى لمهمة النبوة، ومنحهم بسبب ذلك المواهب والقدرات؟

لكن يهود لم يكترثوا لهذه النقطة وحال عقيدتهم في الأنبياء كما حالها

---

(١) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ١٨، الفقرات ١٣ ـ ٢٠.

بشأن التوحيد، فإن عقيدتهم في الأنبياء فيها زيغ وانحرافات عن الذوق السليم والفهم الصحيح لمكانة الأنبياء ودورهم الوظيفي في حمل البلاغ الإلهي.

لقد كتب من صاغوا العهد القديم بحق الأنبياء الذين اصطفاهم الله تعالى ما لا يجوز ولا يصح ولا أحد يقبله حتى من أناس عاديين ليسوا مصطفين ولا يقربون من مقام النبوة، وقصص الأنبياء، كما وردت في العهد القديم، مثيرة للاشمئزاز، والمعلوم أن من أراد أن يشوِّه دعوة فعليه أن يعمد إلى تشويه صورة حامل الدعوة، وهذا ما مارسوه بحق الأنبياء والرسل. والوجه الآخر الأشد خطورة هو أن ما نسبوه للأنبياء فوق أنه يناقض العصمة فإنه يشيع الفاحشة وينشر الفساد، لأن أي رجل أو امرأة سيقولان: ما دام الأنبياء يفعلون هذا، أو أن زوجات وبنات الأنبياء يفعلن هذا، فالأولى أن يكون ذلك مباحاً بين البشر.

يأتي بين المضامين الغريبة لنصوصهم بحق الأنبياء حكاية لوط النبي مع ابنتيه، حيث تصل بهم حالة الافتراء والاستهتار بالنبوة حداً نسبوا فيه إلى لوط أنه واقع ابنتيه وهو سكران وحملتا منه، وأحيا منهما نسلاً. ففي النص عندهم ما يلي: «وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه. لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا كعادة كل أهل الأرض. هلمّ نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه. فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اصطجعي معه. فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط منه. وولدت الكبرى ابناً وسمَّته موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغرى أيضاً ولدت ابناً وسمّته بَنْعَمِّي، وهو أبو بني عمّون إلى اليوم»[١].

إن مثل هذه القصة وما نالها من تحريف، من قِبَل يهود، تخالف أسس

(١) سفر التكوين، الإصحاح ١٩، الفقرات ٣٠ ـ ٣٨.

النبوة وتفتري على لوط، وكذلك تحط من شأن المرأة التي يصل بها الحال أن تغرّر بوالدها وتسقيه خمراً كي يغيب من الوعي ويمارس معها الفاحشة الخطيرة المسماة زنا المحارم، وفوق ذلك تحمل ويصبح نسلها منه سلالة ونسباً عندهم. إنه لأمر مستغرب فعلاً أن تنحطَّ المفاهيم إلى هذا المستوى.

ويأتي بين القصص الخطيرة المحرَّفة عندهم قصة النبي داود الذي مال إلى امرأة أحد جنوده أوريا الحثي فتآمر عليه كي يُقتل على يدي العدو تمهيداً ليخلو له الجو بالزوجة، ويضمها إلى نسائه. ورد عندهم في هذه القصة: «ولما كان مدار السنة في وقت خروج الملوك إلى الحرب، أرسل داود يوآب وضباطه معه وكل إسرائيل، فأهلكوا بني عمون وحاصروا رَبَّه. وأما داود فبقي في أورشليم، وكان عند المساء أن داود قام عن سريره وتمشّى على سطح بيت الملك، فرأى عن السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة جداً. فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقيل له: إنها بَتْشابع بنت أليعام، امرأة أوريا الحثّي. فأرسل داود رسلاً وأخذها، فأتت إليه فضاجعها، وكانت قد تطهرت من نجاستها. ورجعت إلى بيتها. وحملت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إنَّني حامل. فأرسل داود إلى يوآب قائلاً: أرسل إليّ أوريا الحثّي. فأرسل يوآب أوريا إلى داود. فجاءه أوريا، فاستخبره داود عن سلامة يوآب والشعب وعن الحرب. ثم قال داود لأوريا: انزل إلى بيتك واغسل رجليك. فخرج أوريا من بيت الملك، وحُمِلت وراءه هديةٌ من عند الملك. لكن أوريا اضطجع على باب بيت الملك مع جميع خدم سيِّده، ولم ينزل إلى بيته.

وأُخبر داود أن أوريا لم ينزل إلى بيته. فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر؟ فما بالك لم تنزل إلى بيتك؟ فقال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا مقيمون في الأكواخ، ويوآب سيدي وضباط سيِّدي معسكرون على وجه الحقول، وأنا أدخل بيتي وآكل وأشرب وأضاجع امرأتي؟ لا، وحياتك وحياة نفسك، إني لا أفعل هذا»(١).

عندها وجد داود حرجاً كبيراً والمرأة قد حملت منه، وكيف سيتم تبرير الأمر، فأرسل إلى يوآب طالباً منه أن يحاصروا العدو، وأن يدفع أوريا الحثي إلى مكان قريب من العدو، وكان الأمر وقُتل أوريا. ويتابع النص الزائغ الذي

(١) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ١١، بكامله.

صاغوه: «وسمعت امرأة أوريا أن أوريا زوجها قد مات، فناحت على زوجها. ولما تمت أيام مناحتها، أرسل داود وضمَّها إلى بيته. فكانت زوجة له وولدت له ابناً. وساء ما صنعه داود في عيني الرب»(١).

إن قراءة هكذا قصة وسيرة يلصقونها بالنبي داود تبعث الحيرة والاستغراب. كيف لجندي أن يكون حريصاً على الجيش أكثر من نبي ملك؟ ثمّ كيف يخرج نبي إلى سطح منزل ليتجسس على منازل جيرانه؟ ثمّ كيف تحضر امرأة إلى منزله وتمكّنه من نفسها دونما ممانعة؟ ثم كيف يتواطأ يوآب ويقبل دفع جندي معه، هو أوريا، إلى الموت المحتوم من دون أن يفكر بالأمر وعواقبه؟ إن هذه القصة تصلح لأن تكون مادة لمسرحية في التآمر والجنس المباح والبعد عن القيم. وإذا كانت مثل هذه الأنماط من السلوك والتصرفات تصدر عن نبي، فأين القيم والمعايير الأخلاقية التي توجِّه إلى الدين؟. وإذا كان يهود قد آمنوا بأن النبي يتلقى الوحي، وأن الله يختاره ولا يختار نفسه، هل تكون مثل هذه الأفعال مناسبة أو متناسبة مع المختار للنبوة ومتلقي الوحي؟ إن هذا النص بحق داود وأمثاله يؤكد كيف أن يهود حرَّفوا الكلم عن مواضعه، وأسقطوا دفائن نفوسهم المريضة في نصوص العهد القديم.

ويواصل النص في العهد القديم بالنيل من أنبياء الله، ويزداد التمادي إلى حد اتهام سليمان بأنه تزوج من أعراق متعددة، ومن نساء لسن مؤمنات، وبدل أن يستقطبهن إلى دعوته استطعن هن أن يذهبن بقلبه باتجاه عقيدة الشرك بالله تعالى. ورد عندهم بحق سليمان ما يلي: «وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع ابنة فرعون، من الموآبيات والعمونيات والأدوميات والصيدونيات والحثّيات، من الأمم التي قال الرب لبني إسرائيل في شأنها: لا تذهبوا إليهم ولا يذهبوا إليكم، فإنهم يستميلون قلوبكم إلى اتباع آلهتهم. فتعلّق بهن سليمان حباً لهن. وكان له سبع مئة زوجةٍ وثلاث مئة سرية، فأزاغت نساؤه قلبه. **وكان في زمن شيخوخة سليمان أن أزواجه استملن قلبه إلى اتباع آلهة أخرى، فلم يكن قلبه مخلصاً للرب إلهه،** كما كان قلب داود أبيه. وتبع سليمان عشتاروت، إلاهة الصيدونيين، وملكوم، قبيحة بني عمون. وصنع سليمان الشَّرَّ في عيني الرّب، ولم يتَّبع الرب اتباعاً تاماً مثل داود أبيه. حينئذٍ

(١) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ١١، بكامله.

بنى سليمان مَشَرفاً لكاموش، قبيحة موآب، في الجبل الذي شرقيّ أورشليم، ولمولك، قبيحة بني عمون. **وكذلك صنع لجميع نسائه الغريبات اللواتي كنَّ يُحرقِن البخور ويذبحن لآلهتهن**»[١].

لقد جعلوا نبياً يفتتن بالنساء فيجمع ما بين نساء وسراري ألف امرأة وكأنه لا همَّ له سوى معاشرة النساء، ورغم أنه نبي يتلقى الوحي فإنه عصى، ومال إلى عقيدة الشرك ووافق بعض نسائه على ما يعتقدن لدرجة أنه بنى لهن المعابد ليقدمن فيها القرابين والبخور لآلهة وثنية مما جلب غضب الرب له.

ويقول كتّاب العهد القديم بأن سليمان قد بنى معابد لنسائه في ربوع القدس، وهذا يعني أنه لم يكن قد حصر اهتمامه ببناء الهيكل المزعوم. لذلك يكون السؤال المطروح: كيف يجوز أن يفعل سليمان ما حمل فيه بلاغاً إلى أتباعه بألّا يفعلوه؟ ثم إذا كانت الفتنة تقود نبياً معصوماً إلى الشرك، فكيف الحال بالنسبة لعامة الناس؟ ثم إذا كان سليمان قد بنى أكثر من معبد، ومنها أغلبية للأوثان كما يزعمون، فهل يريد مدَّعو الهيكل المزعوم حالياً أن يجدِّدوا بيوت العبادة هذه كذلك على افتراض أنها موجودة؟. ثمَّ لمن يأخذون بالعهد القديم ويقولون إنهم موحدون نقول لهم: هل يمكنكم أن توافقوا على مثل هذه الترهات والأقاويل الباطلة؟.

ونختم هرطقات وأباطيل كتّاب العهد القديم الذين لم يرعوا حرمة ولا عصمة في نصوصهم التي خطُّوها بأيديهم، ووصل بهم الموقف إلى حد القول إن الله تعالى تجسد وواجه يعقوب وحصلت بينهما مصارعة دامت من المساء إلى الصباح، وانتهت بمباركة يعقوب وأنه سيكون اسمه بعد ذلك: إسرائيل (عبد الإله)، جاء في النص: «وقام في تلك الليلة فأخذ امرأتيه وخادمتيه وبنيه الأحد عشر فعبر مخاضة يبّوق. أخذهم وعبَّرهم الوادي وعبَّر ما كان له. وبقي يعقوب وحده، فصارعه رجل إلى طلوع الفجر، ورأى أنه لا يقدر عليه، فلمس حِقَّ وركه، فانخلع حِقُّ ورك يعقوب في مصارعته له. وقال: اصرفني، لأنه قد طلع الفجر. فقال يعقوب: لا أصرفك أو تباركني. فقال له: ما اسمك؟ قال: يعقوب. قال: لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد، بل إسرائيل،

---

(١) سفر الملوك الأول، الإصحاح ١١، الفقرات ١ ـ ٨.

لأنك صارعت الله والناس فغلبت. وسأله يعقوب قال: عرفني اسمك. فقال: لِمَ سؤالك عن اسمي؟ وباركه هناك. وسمّى يعقوب المكان فنوئيل (بني إيل ـ وجه الله) قائلاً: إني رأيت الله وجهاً إلى وجه، ونجت نفسي»[1]. إنه منتهى التجديف على الذات الإلهية، كما أنه مفهوم من الخطورة بمكان كبير، فيه إساءة لله تعالى من جهة كما فيه تطاول من جهة يعقوب كما يزعمون، وهذا لا يمكن أن يصدر عن نبي.

إن عقيدة يهود في النبوة ـ كما لاحظنا من النصوص ـ عقيدة فاسدة، وما زعموه حين سردوا بعض الأحداث المتعلقة بالأنبياء يتناقض مع تعريفهم النبوة بأنها اصطفاء إلهي، وبأن النبي ينطق بما يوحى إليه به، ولا يقول كلاماً من ذاته وأفكاره الخاصة، وشأن الفساد العقدي في النبوة كشأن الفساد العقدي عندهم فيما يتعلق بالإيمان بالله الواحد.

عقيدة يهود باليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر والاعتقاد بحياة أخرى غير الحياة الدنيا ركن إيماني مشترك بين كل أتباع الرسالات السماوية، وهي مع عقيدة التوحيد يشكلان ركنا العقيدة السليمة. جاء في الآية القرآنية قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة/ ٦٢].

ونصوص العهد القديم، وفق ما هي عليه بعد التدوين من قبل كتّابه، لم تخرج عن هذه القاعدة، فقد أكدت على حياة آخرة، ومصير ينتظر كل إنسان، وأن الناس مصنفون بين أبرار وكفار، ولكل جزاء ما اقترفت يداه.

إذن، هناك حالان يكون على أحدهما كل كائن بشري على الوجه التالي:

١ ـ «أما نفوس الأبرار فهي بيد الله فلا يمسّها أي عذاب. في أعين الأغنياء يبدو أنهم ماتوا، وحُسِب ذهابهم مصيبة، ورحيلهم عنّا كارثة لكنهم في سلام. وإذا كانوا في عيون الناس قد عوقبوا فرجاؤهم كان مملوءاً خلوداً. وبعد تأديب يسير سيكون لهم إحسانات عظيمة لأن الله امتحنهم فوجدهم أهلاً له»[2].

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٣٢، الفقرات ٢٣ ـ ٣١.

(٢) سفر الحكمة، الإصحاح ٣، الفقرات ١ ـ ٥.

٢ ـ «أما الكافرون فسينالهم العقاب المناسب لأفكارهم فهم الذين لم يبالوا بالبارّ وارتدُّوا عن الرب. فالذي يحتقر الحكمة والتأديب شقي: باطل رجاؤهم، وغير مفيدة أتعابهم، وغير نافعة أعمالهم»(١).

والمآل الأخروي لكلٍ من الفريقين مختلف. ففريق الأشرار والكافرين سيكون في جهنم، وفريقٌ الأبرار والصالحين سيكون في الفردوس. وترد كلمة الجحيم في العهد القديم على أنها تُطلق على الموقعين معاً قبل التفصيل والتحديد، وهي دار الميعاد. في النص عندهم: «فعلمت أنك إلى الموت تعيدني إلى دار ميعاد كل حيّ»(٢).

وحسب دراسات الكتاب المقدس من مثل ما ورد في قاموس الكتاب المقدس ومعجم اللاهوت الكتابي، حُدِّد أن مثوى الأموات هو الجحيم أو الشيول أو شاؤل (Shéol)، وكل الأموات سيكون موقعهم في هذا المكان، وفيه ظلمة أو أنه حفرة.

وإذا كانت كلمة فردوس فارسية الأصل إلا أنها صارت «تشير إلى مقر الأموات الصالحين، وكان يهود يميِّزون بين فردوسين: فردوس علوي هو جزء من السماء، وفردوس سفلي هو قسم من مقر الموتى، وتُخصَّص لنفوس الأبرار»(٣).

أما جهنم، أو الهاوية، فهي النار التي يلقى فيها الكفار والأشرار العقاب، وهؤلاء في عذاب أبدي، كما ورد في النص التالي من العهد القديم: «ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوني لأن دودهم لا يموت، وناره لا تُطفأ ويكون رُذالةً لكل البشر»(٤).

هذا الاعتقاد باليوم الآخر وبالجزاء، ثواباً أو عقاباً، خالفته فرقة يهودية هي الصدوقيون (نسبة لصدوق الذي عاصر داود وأخذ البيعة بعده لسليمان، وسمّاه سليمان بعدها الكاهن الأعظم)، فالصدوقيون أنكروا القيامة والبعث،

---

(١) سفر الحكمة، الإصحاح ٣، الفقرات ١٠، ١١.
(٢) سفر أيوب، الإصحاح ٣٠، الفقرة ٢٣.
(٣) **قاموس الكتاب المقدس**، م.س، ص ٦٧٤.
(٤) سفر إشعيا، الإصحاح ٦٦، الفقرة ٢٤.

وبالتالي أنكروا الجزاء الأخروي، وفي معتقد هذه الفرقة ما يلي:

«أ ـ إنها لا تؤمن بقيامة الأموات من القبور.

ب ـ ولا تؤمن بالحياة الأبدية للبشر بأفرادهم وأشخاصهم كما كانوا في الدنيا.

جـ ـ وترفض بالتالي الثواب والعقاب في الآخرة»[١].

وقد أبلغ النص القرآني عند الصدوقيين وأمثالهم من منكري الحياة الآخرة والجزاء بعد البعث؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام/ ٢٩].

يوم الخلاص عند يهود ونهاية العالم

الخلاص بالمعنى القريب يعني النجاة من خطر داهم حصل في وقت ما، وهذا الخلاص يكون فيه مخلص، وفي هذا المدلول كان لبني إسرائيل وليهود خلاص أكثر من مرة ـ كما يزعمون ـ وذلك كلما أحدق بهم خطر ما، من مثل عند الخروج من مصر، أو حين السبي، وما شابه ذلك.

إلا أن الخلاص المقصُود هنا هو يوم للرب ـ كما يقول يهود ـ تكون فيه حالة خلاص للأمم جميعاً وليس ليهود فقط، ومجيء المخلص يكون بسبب انتشار الشرور والمفاسد والرذائل، وأما الأموات الذين انتقلوا من الدنيا قبل موعد الخلاص فإنهم يكونون ـ كما مرَّ سابقاً ـ في حالة السعادة أو الشقاء بانتظار هذا اليوم. ورد حول هذا الأمر في النص عندهم: «وكثير من الراقدين في أرض التراب يستيقظون، بعضهم للحياة الأبدية، وبعضهم للعار والرَّذل الأبدي. ويضيءُ العقلاء كضياء الجلد، والذين جعلوا كثيراً من الناس أبراراً كالكواكب أبد الدهور.

وأنت، يا دانيال، أغلق على الأقوال، واختم على الكتاب إلى وقت النهاية، إن كثيرين يتيهون ويزداد الإثم»[٢].

إن هذا اليوم الخلاصي تسبقه علامات وإشارات تنذر به كي يتهيأ الناس

---

(١) ظاظا، د. حسن، **الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه**، م.س، ص٢٥٩.

(٢) سفر دانيال، الإصحاح ٢، الفقرات ٢ ـ ٤.

له، وفيه يجتمع الشمل ويلتقي الأبرار تكريماً لهم، وهذا اليوم يحمل معه ما لم يكن معروفاً من قبل في حياة البشر من الاستحقاقات، لذلك صنَّفه «الكتاب المقدس» بأنه يوم رهيب وعظيم. وفي النص: «ها أنذا أرسل إليكم إيليّا النبي قبل أن يأتي يوم الرَّب العظيم الرهيب، فيردّ قلوب الآباء إلى البنين، وقلوب البنين إلى آبائهم لئلا آتي وأضرب الأرض بالتحريم»[(١)].

والمخلص الموعود هو المسيا أو المسيح ـ حسب المفهوم اليهودي ـ ولكن هذا الشخص مخصوص بأسرار، وبشخصية غير معلومة الأبعاد، وكل ما يفيده النص في «العهد القديم» بأن القيامة ونهاية أزمنة الأمم لن تكون إلا مع مجيئه، وهو سيكون هداية للأمم، حيث يدخل الناس، حسب زعمهم، في اليهودية، ولا تعود اليهودية خاصة بهم بعد مجيئ المخلص. قالوا في سفر التكوين: «لا يزول الصولجان من يهوذا ولا عصا القيادة من بين قدميه إلى أن يأتي صاحبها وتطيعه الشعوب»[(٢)].

وإذا كان انتشار الفساد والشرور سبباً في غضب الرب فإن الحلَّ هو في التوبة عن المعاصي كي ينال التائبون رضى الرب. وبذلك تكون التوبة شرط الخلاص و«إذا كانت المواقيت المعينة قد مرت بسلام، فلا بد من اعتماد الخلاص على التوبة وإتيان الأفعال الحسنة. أي أن خلاص بني إسرائيل مرهون بالتوبة»[(٣)].

ورغم أنه قد مضى على ظهور أول نسخة مكتوبة من العهد القديم أكثر من ٢٣ قرناً، فقد ورد بأن هذا اليوم قريب، وذلك لم يتحقق حتى تاريخه. كتبوا في نصوصهم: «أما أنتِ يا جبال إسرائيل، فتنبتين أفنانكِ وتثمرين ثمركِ لشعبي إسرائيل، **لأنه مجيئه قد اقترب**»[(٤)].

إن يهود الذين استكبروا وزعموا أنهم الشعب المختار، وتلاعبوا بالنصوص والمفاهيم الدينية لم يكونوا مقبولين، وعاشوا حياة عزلة وفي مخاطر دفعتهم

---

(١) سفر ملاخي، الإصحاح ٣، الفقرة ٢٣.
(٢) سفر التكوين، الإصحاح ٤٩، الفقرة ١٠.
(٣) رزّوق، د. أسعد، م.س، ص ٢٣١.
(٤) سفر حزقيال، الإصحاح ٣٦، الفقرة ٨.

إلى مسألة انتظار يوم خاص هو يوم الخلاص ليعللوا النفس به. وقد بيَّن ذلك الدكتور حسن ظاظا قائلاً: «والذي يهمنا هنا هو الإشارة إلى تعلُّق يهود بفكرة المخلص، والبناء الفكري المعقَّد الذي ارتبط بهذا الأمل، والذي أصبح عالماً حافلاً بحكايات كثيرة ترتبط به، وشخصيات لعل أعظمها وأشهرها وأشدها ارتباطاً بما يراه يهود في المسيح هي شخصية النبي إلياس، الذي يسميه يهود: إيليا التشبي أو إلياهو النبي، ووصفه في العهد القديم بالتِشبِي هو نسبة إلى موضع غامض قد يكون من أرض جِلعاد التي هي بادية الشام. أما نسبه في بني إسرائيل ففيه كبير، فبعض أحبار يهود نسبوه إلى سبط جاد، وآخرون إلى سبط بنيامين، بل قيل أيضاً إنه من الكهنة، أي سبط ليفي (لاوي) الذي ينسب إليه موسى وهارون»[١].

إن هذه الشخصية إيليا التِّشِبي ورد الكلام عنها في إطار الوعيد لمن عصوا، ففي سفر الملوك الأول: «فقال إيليا التِّشِبي من تِشبَة جِلعاد الآصاب: حيٌّ الرّبُّ إلهُ إسرائيل الذي أنا واقف أمامه إنه لا يكون في هذه السنين ندى ولا مطر إلّا بأمري»[٢].

إن مجيءُ المخلص ضرورة كي يسود العدل، ويكون له المجد والسلطة ويزول كل سلطان كان لسواه، وهذه المرة تكون سلطته أبدية لا انقضاء لها، وسيدين كل الناس بما يدعو إليه. لقد بنى يهود عقيدتهم الخلاصية إذاً على الانتظار، كما يظهر في أكثر من نص ورد في العهد القديم منها هذا النص:

«وكنت أنظر في رؤياي ليلاً، فإذا بمثل ابن إنسان آتٍ على غمام السماء، فبلغ إلى قديم الأيام وقُرِّب إلى أمامه. **وأُوتي سلطاناً ومجداً وملكاً فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه وسلطانه سلطان أبدي لا يزول وملكه لا ينقرض**»[٣].

والمخلص عند يهود، المسيح الموعود، لم يأتِ بعد، وهم يشككون بالمسيح عليه السلام، الذي يقر ويؤمن به المسيحيون والمسلمون، وقد

---

(١) ظاظا، د. حسن، **الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه**، م.س، ص١١٦.
(٢) سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٧، الفقرة ١.
(٣) سفر دانيال، الإصحاح ٧، الفقرتان ١٣، ١٤.

أوردوا في نصوص التلمود، التي تمت صياغتها حوالي العام ٢٠٠ للميلاد: «إن الموعد المحدد لمجيئ المسيح قد انتهى. ويقول الحاخام راو Rau: إن الأيام المقررة لمجيئ المسيح قد مرّت منذ وقت طويل»[١]. ويقول التلمود: «إن المسيح سيظهر بعد ظهور اليأجوج والمأجوج وحرب التنين Dragon. أما عن عودة القبائل اليهودية إلى الأرض المقدسة، فيؤكدها تارة، وينكرها تارة أخرى، ولكن أن جميع الأجانب Gentiles سوف يدخلون في الدين اليهودي عند ظهور المسيح»[٢].

هذه المقولات المتعددة حول يوم الخلاص ومجيئ المخلص تمت صياغتها عند الصهيونية المعاصرة بنوعيها: الصهيونية اليهودية، والصهيونية غير اليهودية المسماة الصهيونية المسيحية، في مقولة معركة هرمجدون التي يعدونها معركة فاصلة بين الأمم، تتمُّ ويظهر المخلص عند حصولها لتكون السلطة على الأمم وسيتبعه الجميع، ويكون هذا اليوم بداية للعهد الألفي السعيد.

وهرمجدون (جبل مجدُّو) موقع اسمه اليوم «تل المتسلم الذي يقع على مسافة عشرين ميلاً جنوبي شرق حيفا في الطرف الجنوبي من سلسلة الجبال التي تنتهي بجبل الكرمل في الشمال»[٣]. وقد عرفت هرمجدون معارك عديدة، ودلّت الحفريات بأنها كنعانية الأصل منذ الألف الرابع قبل الميلاد، وقد تعاقب عليها آخرون بعد الكنعانيين، وهذا الموقع ستجري فيه المعركة الفاصلة في يوم الخلاص، ويقول بذلك حالياً الصهاينة، وكل من التزم مقولات ومشروعات الصهيونية من الفرق والحركات.

الإيمان بالشياطين والملائكة: إن نصوص العهد القديم المعتمدة في اليهودية ـ كما هي عليه حالياً ـ تؤمن بوجود مخلوقات لها تدخُّل في حياة البشر، وهو في جهتين: إيجابي وسلبي. فما هو دور ملائكي دور يرتقي بالإنسان ويحقق له السعادة كيفما اتجه، وما هو دور شيطاني دور ينذر بالغواية والأذى والخطر على الإنسان.

أ ـ **الملائكة:** مخلوقات نورانية، مفردها ملاك (بفتح الميم)، وهي جند الله تعالى تفعل ما تؤمر به في الإبلاغ أو المناصرة أو أي أمر يأتيها من الله

---

(١) و(٢) خان، ظفر الإسلام، م.س، ص٥٩.

(٣) **قاموس الكتاب المقدس**، م.س، ص٨٤١.

تعالى. وقد ورد في نصوص العهد القديم، في أكثر من موقع، ما يبيِّن ذلك. فمن أُخرج من دياره مضطراً، وغادر موطنه بعث له الخالق ملاكاً أمامه. في النص: «الذي أخذني من بيت أبي ومن مسقط رأسي، والذي كلمني والذي أقسم لي قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض، **وهو يرسل ملاكه أمامك** فتأخذ زوجة لابني من هناك»[١].

وأتى في نص آخر خطاب موسى يوم الخروج من مصر بأن الرب سيرسل ملاكاً هو في دور الحفظ والوقاية، وفي النص السابق كان الدور هو الإرشاد. ففي سفر الخروج ورد: «**ها أنا مرسل أمامك ملاكاً ليحفظك في الطريق ويأتي بك إلى المكان الذي أعددته**. فتنبَّه له واسمع صوته ولا تتمرد عليه»[٢].

المطلوب من موسى أن يتنبَّه للملاك، وأن يصغي إليه، لأن الملاك مزوَّد ببلاغ إلهي وتكليف إلهي، لهذا وجب على موسى عدم مخالفته أو الخروج عن أمره.

والملاك قد يحمل بشارة للإنسان، كما الحال عندما جاء البلاغ الإلهي لإبراهيم عليه السلام بأن يكون له نسل من هاجر ويدعى إسماعيل. والقصة كما وردت في العهد القديم: «فوجدها ملاك الرب عند عين ماء في البرية، عين الماء التي على طريق شور»[٣]. وعندما التقاها طلب منها العودة إلى قومها، وأبلغها وعد الرب لها بأن تنجب إسماعيل: «وقال لها ملاك الرب: لأكثرن نسلك تكثيراً حتى لا يُحصى لكثرته. وقال لها ملاك الرب: ها أنت حامل وستلدين ابناً وتسمينه إسماعيل»[٤].

وتتوالى البشرى على إبراهيم وأتاه ملائكة، كما ورد في النص ليبشروه بابن لزوجته سارة منه رغم أنها طاعنة في السن، وعندما التقاهم إبراهيم ظنهم ضيوفاً لأنهم بهيئة رجال فقام بتكريمهم كما ورد في النص الذي جاء فيه: «فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال: هلمِّي بثلاثة أصواع من السميد الناعم فاعجنيها واصنعيها فطائر. وبادر إبراهيم إلى البقر، فأخذ عجلاً رخصاً طيّباً وسلمه إلى

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٢٤، الفقرة ٤.
(٢) سفر الخروج، الإصحاح ٢٣، الفقرتان ٢٠، ٢١.
(٣) سفر التكوين، الإصحاح ١٦، الفقرة ٧.
(٤) سفر التكوين، الإصحاح ١٦، الفقرتان ١٠، ١١.

الخادم فأسرع في إعداده. ثمّ أخذ لبناً وحليباً والعجل الذي أعدّه وجعل ذلك بين أيديهم وهو واقف بالقرب منهم تحت الشجرة، فأكلوا»(١). بعد ذلك أبلغ الملائكة البشرى، وسارة خلف الخيمة تتنصت، فابتسمت في حركة منها مقرونة بعدم تصديق ما تسمع، إذ القناعة عندها أنها لم تعد تحيض وزوجها شيخ طاعن في السن، فما كان من الملاك إلا أن صارح إبراهيم بما حصل من سارة، فأبلغها وتراجعت معلنة إقرارها وتصديقها الأمر لأنه من الخالق سبحانه. وقد أورد النص القرآني قصة إبراهيم مع الملكين اللذين زاراه بهيئة رجال ضيوف لكنهما لم يأكلا من طعامه ولحم عجله، لأن الملائكة مخلوقات نورانية لابدن حقيقي لها، وبهذا تختلف القصة في القرآن معها كما وردت في العهد القديم، حيث النص ـ كما ورد سابقاً ـ بأنهم قد أكلوا. في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود/ ٦٩ ـ ٧١].

لقد وردت أسماء بعض الملائكة في نصوص العهد القديم، وبيَّن النص أن لهؤلاء الملائكة مهماتٍ محدَّدةً لكل منهم، وهذه المهمة يحددها الله تعالى. الملاك جبرائيل مهمته نقل الوحي، وتفسير الرؤى، وجلاء الأفهام لمن يأمره الله أن يتصل بهم. من ذلك أن أمراً جاء لجبرائيل كي يفسِّر ويبيِّن الرؤيا لدانيال. والنص هو: «**يا جبرائيل** بيِّن الرؤيا لهذا»(٢). بعد هذا البلاغ خاطب الملاك جبرائيل دانيال قائلاً: «يا دانيال إنِّي خرجتُ الآن لأعلمك فتفهم»(٣).

وورد اسم الملاك ميكائيل، ومكانته ـ حسب النصوص ـ هي رئيس الملائكة، ودوره أن ينصر من يريد الرب نصرته وتأييده في مواقع الشِّدة. وقد صرح دانيال بأن ميكائيل جاء لينصره، ورد النص بلسان دانيال: «فأتى لنصرتي **ميكائيل**، أحد الرؤساء الأولين»(٤).

وتأتي نصوص أخرى لتؤكد بأن رئيس الملائكة ميكائيل يأتي للمساعدة

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ١٨، الفقرات ٦ ـ ٨.
(٢) سفر دانيال، الإصحاح ٨، الفقرة ١٦.
(٣) سفر دانيال، الإصحاح ٩، الفقرة ٢٢.
(٤) سفر دانيال، الإصحاح ١٠، الفقرة ١٣.

والنصرة على ما يعرض للعباد والأنبياء من أمور. في النص: «لكن أخبرك بما دوِّن في الحق وما من أحد يساعدني على الأمر إلا ميكائيل رئيسكم»[١].

ونصرة العبد وتأييده من الله تعالى بملاك يسخره الله له قد تكون عامة، كما حال ميكائيل، وقد يكون التأييد في جانب محدد، وموقف دون سواه، وفي هذا الجانب يأتي الملاك رافائيل، وهو ملاك الشفاء، ورافائيل يصرح بأنه ملاك الرب وأنه واحد من سبعة من دون أن يبيِّن النص أسماء هؤلاء الملائكة السبعة. والنص هو: «أنا رافائيل أحد الملائكة السبعة الواقفين والداخلين في حضرة مجد الرب»[٢]. فالملائكة، كما ورد، في حركة دائمة في حضرة مجد الخالق سبحانه ليقوموا بما يناط بهم من أعمال، ورافائيل له مهمة الإبراء من المرض، كما ورد في النص: «أرسلني الله لأشفيك وأبرئ سارة كنتك»[٣].

تأسيساً على ما تقدم نقول: إن نصوص العهد القديم تبيِّن بأن يهود يؤمنون بالملائكة كوجود وكائنات، وأنهم جند الله تعالى ينفِّذون ما يؤمرون به.

ب ـ **الشياطين**: الشيطان (Satan)؛ إبليس، وإبليس كلمة من أصل يوناني (Diabolos) أي المشتكي زوراً، وساتان (Satan) كلمة آرامية معناها. المقاوم. والشياطين ترمز، بالمفهوم اليهودي، إلى الشرِّ والغواية والضلال. والشيطان من طبيعة روحية «وهو ملاك سقط بسبب الكبرياء... وهو خبيث، فإنه قائد العصاة على الله، يعمل ضد البرِّ والقداسة، ومملوء بالكبرياء والمكر والقساوة. حالته تنطبق على صفاته. فلكونه عدوَّ الله، هو مطرود من وجهه، ومحبوس مع رفاقه في موضع العذاب»[٤].

هذا الوصف للشيطان بالاستكبار ورد في النص القرآني، لأن الله تعالى الذي استخلف الإنسان في الأرض وكرَّمه أمر الملائكة بالسجود لآدم ففعلوا، لكن الشيطان (إبليس) رفض أمر الله تعالى مستكبراً مدعياً أن الإنسان مخلوق من طين، وهو مخلوق من النار، والنار أطهر من الطين، وبالتالي هو لن يسجد للإنسان انطلاقاً من ذلك. في الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟

(١) سفر دانيال، الإصحاح ١٠، الفقرة ٢١.
(٢) سفر طوبيا، الإصحاح ١٢، الفقرة ١٥.
(٣) سفر طوبيا، الإصحاح ١٢، الفقرة ١٤.
(٤) **قاموس الكتاب المقدس**، م.س، ص٥٣٤.

لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة/ ٣٤].

لكن النص القرآني ينفي صفة الملائكية عن إبليس ويُدرجه في عداد الجنِّ، والجن في النص القرآني نوعان: جن مؤمن، وجن كافر، هم الشياطين وكبيرهم إبليس. يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف/ ٥٠].

لكن عداوة الشياطين لبني آدم وردت في العهد القديم، كما الحال في النص القرآني، وهذه العداوة ترافقت مع مسيرة الحياة البشرية على الأرض. وعندما كان آدم وحواء في الجنة ونهاهما الله عن الأكل من شجرة الخلد، وأقدما على المعصية في هذا الأمر وكان ذلك بسبب غواية شيطانية، حيث جاء إبليس بشكل حيَّة وأغرى حواء بأن تأكل وبعدها قدمت لآدم فوقع في الغواية وأكل. وفي النص الذي ورد في العهد القديم يقولون: «فقال الرب الإله للمرأة: ماذا فعلت؟ فقالت المرأة: الحية أغوتني فأكلت. فقال الرب الإله للحيّة: لأنكِ صنعتِ هذا. فأنتِ ملعونة من بين جميع البهائم وجميع وحوش الحقل»[(١)].

إن حياة بني آدم، منذ الإنسان الأول، عرفت غواية ووقوعاً في الخطأ بسبب فتنة الشيطان، وهذا يؤسس لمفهوم يكون الواجب على كل إنسان أن يأخذه بعين الاعتبار، وبالتالي يكون العلاج بأن يتحصَّن الإنسان من هذا الشيطان الذي لعنه الله تعالى.

ولأن الشيطان مصدر فتنة، ويمارس على الإنسان الإغراء بالمعاصي فإنه يحاول الحضور في كل ملتقى، وفي كل مكان يمكنه الوصول إليه ليفعل فعله، وينفث سموم الشر، وبذلك يكون الحل في ردعه وطرده وإقصائه كي لا تكون له فرصة في إتمام ممارساته الشريرة، وقد جاء في هذا نص في العهد القديم: «وأراني يشوع الكاهن العظيم واقفاً أمام ملاك الرب، والشيطان واقفاً عن يمينه ليتهمه. فقال الربُّ للشيطان: زجرك الرب، يا شيطان»[(٢)].

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٣، الفقرتان ١٣، ١٤.

(٢) سفر زكريا، الإصحاح ٣، الفقرتان ١، ٢.

لقد جاءت النصوص القرآنية محذِّرة ومنبِّهة من عدوانية الشيطان وفتنته للإنسان، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف/٢٧].

وفي الآية نلاحظ أن البلاغ الإلهي يعلمنا بأن الشياطين يرقبوننا ويروننا ولكننا لا نستطيع رؤيتهم بخلاف ما ورد في نص العهد القديم، والذي فيه أن الشيطان يأتي بهيئة تظهر في حية كما مع حواء، أو يقف عن يمين الكاهن كما في النص السابق.

والشيطان لا يوفِّر من فتنته أحداً، وإنما يحاول أن يزيِّن الشر والمفاسد والمعاصي لكل إنسان حتى إنه حاول أن يطال بفتنته النبي أيوب عليه السلام بعد أن زادت معاناته، وتضاعف بلاؤه. ولم تكن الحصانة إلا بالحفظ الإلهي الذي خصَّ الأنبياء بالعصمة. في سفر أيوب: «فقال الرب للشيطان: أمِلتَ بالك إلى عبدي أيوب فإنه ليس له مثيل في الأرض، إنه رجل كامل مستقيم يتَّقي الله ويجانب الشَّرَّ. فأجاب الشيطان، وقال الرب: أمجاناً يتقي أيوب الله؟. ألم تكن سيَّجت حوله وحول بيته وحول كل شيءٍ له مِن كل جهة، وقد باركت أعمال أيديه»[١].

والشيطان الذي حاول أن يزرع فتنته في بيت أيوب، كان قبل ذلك يصول ويجول في الأرض ليوزع الشر حيث يستطيع، وقد ورد قبل هذا النص في سفر أيوب: «واتفق يوماً أن دخل بنو الله ليمثلوا أمام الرب، ودخل الشيطان أيضاً بينهم. فقال الرب للشيطان: من أين أقبلت؟ فأجاب الشيطان وقال للرب: من الطواف في الأرض والتردد فيها»[٢].

وقد أكد النص القرآني هذا الأمر نفسه، وأن الشيطان الذي نزلت به اللعنة، وحلَّ عليه الغضب تحرك في ذاته الحقد على الإنسان فأخذ على عاتقه أن يعمل كي يغوي البشر، ويقودهم إلى الشر والضلال، لكن الله تعالى، بفضله وعنايته سبحانه، حفظ من الغواية العباد المخلصين. في النص القرآني

(١) سفر أيوب، الإصحاح ١، الفقرات ٨ ـ ١٠.

(٢) سفر أيوب، الإصحاح ١، الفقرتان ٦، ٧.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف/ ١٦، ١٧]، إن الشيطان يسعى ليفتن الإنسان محاولاً الإحاطة به من كل الجهات الأربع، لكن الآية لفتت بأن جهتين هي الأعلى والتحت لا يقوى الشيطان على النفاذ منهما. فالجهة العلوية يتجه بها الإنسان متسامياً في معراج روحي إلى الله تعالى، والتحت هو موقع السجود لله سبحانه. فرحمة الله تعالى، وعنايته وحِفظه يقون الإنسان من شرِّ الشيطان، وهذا ما جاء في النص القرآني بشأن أيوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء/ ٨٣].

ونجد في نص العهد القديم الشيطان يحاول الوقوف عن الجهة اليمنى، وكأن في ذلك إشارة إلى أن كتاب الصلاح يكون في اليمين، ومن جهته يحاول الشيطان أن يفتن الإنسان. ومما جاء في هذا المعنى: «أقم عليه شريراً وليقف منهم (شيطان) عن يمينه»[1].

تأسيساً على ما تقدم، نخلص إلى القول: إن الإيمان بوجود الملائكة والجن، ومنهم الشياطين، موجود في عقيدة يهود مع فوارق بسيطة مع المفهوم الإسلامي للطبيعة أو الدور لكل مخلوق منهما، كما بينّا في المواضع المناسبة.

السحر في المعتقد اليهودي

إن موضوع السحر أساسي في مباحث اليهودية، لأن موسى عليه السلام عاش في مراحل حياته الأولى في مصر حيث كان الفرعون يتسلح بالسحرة ليظهر اقتداره، وليكون ذلك مستنداً له في رفض التسليم بوجود الله تعالى، وتالياً بأن يكون مؤمناً بعقيدة التوحيد.

والسحر بالأساس لازم حياة الإنسان في هذه الدنيا كما الكهانة أو العرافة، والسبب أن الإنسان وقف أمام حقائق الكون والكثير منها غير معلوم بالنسبة له، كما أن ماجريات الأحداث في الحياة كانت تباغته بما هو غير متوقع، لذلك أراد أن تساعده الكهانة في معرفة المستقبل والآتي من الأحداث، وأما

---

(١) سفر المزامير، المزمور ١٠٩، الفقرة ٦.

السحر فقد أراده باباً يرضي غروره لجهة تطويع مخلوقات له.

وقد كان الدين، من خلال رسالات السماء، مبلِّغاً للإنسان بأن الغيب لله تعالى، وأن مبدل الأحوال ومسيِّر المخلوقات، ومن له قدرة التصرف والفعل هو الله تعالى. وعند هذا الحد أصبح موجوداً غرور الإنسان بالاستناد إلى السحر والكهانة، وتواضع الإنسان الآخر بالتصديق بما هو منزل من لدن العزيز الحكيم سبحانه.

دفع هذا الواقع أحدهم إلى القول: «من هنا كان من المحتم أن يفضي ظهور السحر والدين كتوأمين، وفي الوقت ذاته اختلافهما اختلافاً جذرياً، إلى الصراع بينهما. فالسحر تعبير عن الغرور الإنساني، إذ يجسِّد اعتقاد الإنسان بأنه قادر، بجهده الخاص، على التحكُّم في ظواهر الطبيعة، وهي ظواهر يشارك السحر توأمه الدين في الاعتقاد بمرونتها وقابليتها للتحكم والتعديل. وبالمقابل، يعبِّر الدين عن التواضع الإنساني، إذ يجسد اعتقاد الإنسان بأنه أضعف وأضأل شأناً من أن يتحكم في ظواهر الطبيعة أو يستغل مرونتها وقابليتها للتعديل، لصالحه، بجهده الخاص، وهو اعتقاد يجعله يتنصل من غرور السحر والاكتفاء بمحاولة الوصول إلى القوى العليا بالصلاة والشعائر والطقوس»[١].

إن العودة إلى المفهوم اللغوي لمفردتي ومصطلحي: السحر والكهانة، تبيِّن لنا المنحى نفسه، إنه موقف رفض الدين للسحر والكهانة ومحاربتهما، وعند العرب كانا قبل الرسالات وقبل الإسلام في جزيرة العرب. ورد عند ابن منظور: «السحر عمل تقرب فيه إلى الشيطان، وبمعونة منه. . . .قال ابن سيده: وأما قوله ﷺ: من تعلَّم باباً من النجوم فقد تعلَّم باباً من السحر، فقد يكون على المعنى الأول، أي أن علم النجوم محرَّم التعلُّم، وهو كُفر، كما أن علم السحر كذلك. . والسحر: الفساد. وطعام مسحور: إذا أُفسد عَمَلُه. . وسحر المطر الطين والتراب سَحْراً: أفسده فلم يصلح للعمل»[٢].

والكهانة كالسحر تحمل معنى الفساد ومخالفة الدين والحقيقة، وهي قائمة كالسحر على الزعم والادِّعاء. قال ابن منظور: «كهن له: قضى له بالغيب. . .

---

(١) مقار، شفيق، م.س، ص ٢٢.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، م٣، ص١٩٥١، ١٩٥٢.

الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدَّعي معرفة الأسرار، وقد كان في العرب كهنةٌ... منهم من كان يزعم أنَّ له تابعاً من الجنِّ ورئيّاً يُلقي إليه الأخبار... قال الأزهري: وكانت الكهانة في العرب قبل مبعث سيدنا رسول الله ﷺ، فلما بُعث نبياً وحُرست السماء بالشُّهب، ومُنعت الجن والشياطين من استراق السمع وإلقائه إلى الكهنة، بطل علم الكهانة، وأزهق الله أباطيل الكهّان»[١].

هذه حال السحر والكهانة، فإنهما مزاعم يدَّعي أصحابهما القدرة على التحكم بالأمور أو معرفة ما في عالم الغيب، وذلك لا يقرُّه الدين، ولكنهم كانوا يشيعون بأنهم يسخِّرون قوى خفية تساعدهم ومنها الجن، وهذا لا يستطيعه سواهم، كما يزعمون. وقد استخدموا هذا السلاح للتغرير بالناس، ولتشويش عقيدتهم أو أفكارهم. وفي معجم اللاهوت الكتابي: «سحر Magic: يحاول الإنسان إزاء عالم يسحقه، وكائنات تخيفه، أو يرغب هو في السيطرة عليها، أن يكتسب قدرة تفوق قواه الخاصة، فتجعله سيِّد الألوهية، وبالتالي سيِّد مصيره. ولئن كانت الأنماط والأساليب قد تغيَّرت اليوم، إلا أن الميل للسيطرة والرغبة في إخضاع المجهول لا يزالان متأصلين في قلب الإنسان، ويفضيان إلى ممارسات متشابهة»[٢].

إن إشارة كتاب المعجم تفيد بأن ضعفاً في الإنسان أمام ما لا يعرفه لا يستطيع التحكم به دفعته وستبقى تدفعه إلى السحر وما يترتب عليه، وهنا يأتي دور الدين ضابطاً ومانعاً من هذا السلوك الذي يخرج بصاحبه عن الإيمان وعن الواقع والممكن.

وقد أعطى كتَّاب «قاموس الكتاب المقدس» التعريف والمفهوم نفسه فقالوا: «الساحر هو من يدَّعي لنفسه قدرة فوق الطبيعة أو معرفة الغيب بطرق مختلفة، وعلى الأخص بالأرواح الشريرة، وقد ادَّعى السحرة أنَّ لهم سيطرة على حوادث المستقبل لتغييرها أو تعديلها بطرق سرِّية، وزعموا أن لهم علاقة بالجان أو بالآلهة»[٣]. (المقصود هنا الوثنيون لأنهم يؤمنون بتعدد الآلهة).

---

(١) ابن منظور، م.س، م٥، ص ٣٩٤٩، ٣٩٥٠.
(٢) **معجم اللاهوت الكتابي**، م.س، ص٤١٣.
(٣) **قاموس الكتاب المقدس**، م.س، ص٤٦٠.

وإذا كان السحر محظوراً دينياً، وهو غرور بشري يقود متَّبعيه إلى ما لا تحمد عقباه، إلا أن الرد على معتمدي السحر في إضلال الناس وإفساد عقائدهم كان أمراً ضرورياً في عهد موسى عليه السلام، لأن فرعون اعتمد على سحرته في مزاعمه وأراجيفه وأباطيله. وقد جاءت نصوص العهد القديم تبيِّن كيف أن الله تعالى أيَّد موسى وهارون عليهما السلام بما يبيِّن ضعف السحرة وتهافتهم أمام قدرة الله تعالى.

أول الخطوات في إفحام فرعون وإبراز ضعف حيلته وحيلة سحرته وردت في العهد القديم عندما جاء الأمر الإلهي لموسى بأن يلقي هارون العصا لتتحول إلى حيَّة. جاء في النص: «وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: إذا كلمكما فرعون وقال: إئتياني بخارقة لصالحكما، تقول لهارون: خذ عصاك وألقها أمام فرعون، فتصير حيَّة. فدخل موسى وهارون على فرعون وفعلا كما أمر الرب: ألقى هارون عصاه أمام فرعون وحاشيته، فصارت تنيناً، فدعا فرعون أيضاً الحكماء والعرَّافين، فصنع سحرة مصر كذلك بسحرهم: ألقى كل واحد عصاه، فصارت العصي تنانين. فابتلعت عصا هارون عصيَّهم. فتقسَّى قلب فرعون ولم يسمع لهما، كما قال الرب»[1].

لقد استقوى واستنجد فرعون بالسحرة والعرَّافين الذين كانوا يمارسون بين يديه، وأمام قومه ما يوهم بأنهم يتحكمون بالأشياء ويحولونها من وضع لآخر، ومن ذلك أن يلقوا العصي فتكون حيَّات. حضر موسى وهارون إلى فرعون ليدعواه إلى عبادة الله والإيمان به، فطالبهم بعمل خارق كي يتحول إلى العقيدة الصحيحة، وقد أيد الله تعالى موسى وهارون بالعصا الموسوية التي كانت لها مهمات وارتبطت بها مآرب، وكان الأمر بأن يلقي هارون عصا موسى وألقاها فتحولت تنيناً، وألقى السحرة وتحولت عصيهم تنانين، ولكن عصا موسى التهمتهم، لكن ذلك لم يبدل من الأمر شيئاً ففرعون ازداد كفراً وعصياناً ولم يستجب للدعوة.

القصة نفسها وردت في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٧، الفقرات ٨ ـ ١٣.

سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه/ ٦٥ ـ ٦٩].

إن فرعون نعت موسى وهارون بأنهما ساحران، وأن سحرته سيغلبونهما، ولكن السياق القرآني لم يعط دوراً لهارون في إلقاء العصا بخلاف ما ورد في العهد القديم، والنص القرآني أبلغ بأن عصا موسى التهمت حبال وعصي السحرة فكانت الاستجابة من السحرة لدعوة موسى وهارون، وأشهروا الإيمان بالله تعالى، وقد دفع ذلك فرعون لتعنيفهم وقتلهم وتعذيبهم، لكنهم آثروا مرضاة الله تعالى والتوبة عن المعاصي والسحر، على التقرب إلى فرعون، وجاء النص القرآني بلسانهم في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه/ ٧٢، ٧٣].

إن القصة في العهد القديم كما في القرآن الكريم جاءت تبين كيف أن السحر كان عوناً للمشركين والكفار وأصحاب العقائد المزيفة، كي ينشروا الضلال والكفر، وفرعون يأتي في رأس القائمة، ثمّ إن القصة تبين بأن السحر معصية وإثم، وهو فعل محرَّم دينياً، وأن السحر حيل بشرية تتهافت عند الاختبار أمام قدرة الله تعالى.

والنص في العهد القديم، كما في القرآن الكريم، كيف أن فرعون ازداد قسوة، فقابل سحرته عندما آمنوا بالوعيد، وواصل مسيرته مع الكفر، وكأني بهذه الواقعة تبلغ الدعاة إلى الله تعالى بأن من قست قلوبهم وعاثوا في الأرض فساداً وبالعباد إفساداً يصعب إصلاحهم، وقد يستحيل أن يعودوا عمَّا هم عليه بسبب الاستكبار والاستعلاء.

وإذا كان النص القرآني قد توقف عند هذا الحد، فإننا نجد أن نصوص العهد القديم، بعد مسألة العصا، تورد اختبارات أخرى وخوارق حدثت حيث طالب فرعون بالمزيد من ذلك.

ورد كيد فرعون كان بخوارق كلها جرت بإلقاء عصا موسى الذي يقوم به هارون. في نص العهد القديم: «ثمَّ قال الرب لموسى: قل لهارون: خذ عصاك ومدَّ يدك على مياه المصريين وأنهارهم وقنواتهم وأحواضهم وسائر

خزانات مياههم، فتصير دماً ويكون دم في كل أرض مصر حتى في الأشجار والحجارة»[١]. وقد حاول فرعون أن يستخدم سحرته لإعادة الماء إلى حاله ولم يفلحوا وبقي الماء كذلك سبعة أيام، وحصلت معه معاناة بالنسبة لشعب مصر، ولكن فرعون لم يلن قلبه ولا آمن، ودخل بيته مستكبراً مصرّاً على كفره.

وتواصلت الاختبارات، السحر من جهة، والتأييد الرباني لموسى وهارون من جهة أخرى، فكان بعد تحويل الماء إلى دم أمر انتشار الضفادع بحيث غطت الأرض، وبعدها كان البعوض فالذباب فموت المواشي فالقروح (جروح وتشقق) تبرز على الأجسام، وبعدها البَرَد، ومن ثم الجراد ثم الظلام.. إلخ. ومراجعة سفر الخروج من الإصحاح الثامن وما بعد تطلع المتابع على ذلك، واستمر رغم كل هذه المعجزات ـ حسب العهد القديم ـ فرعون على قسوته معانداً في الكفر.

خرج موسى من لقاء فرعون غاضباً فأبلغه الرب، حسب العهد القديم: «وقال الرب لموسى: إن فرعون لن يسمع لكما، لكي تكثر خوارقي في أرض مصر. وصنع موسى وهارون هذه الخوارق كلّها أمام فرعون، وقسّى الرب قلبه، فلم يطلق بني إسرائيل من أرضه»[٢].

الحكاية، إذن، ليست بالخوارق والمعجزات والمؤيِّدات، وإنما بالاستعداد في مكونات الشخصية عند الفرد، وجهوزيته للإذعان للنداء الإلهي، وبالتالي للإيمان السليم بدين الله بدل المعاندة واتباع الهوى والضلالات.

ولأن السحر والعرافة من مسببات العناد في الكفر، وهما مصدر الظنون والأوهام فإن اليهودية حرَّمت السحر والعرافة، وتوعَّدت فاعلهما بسوء العاقبة. ورد في نصوص العهد القديم لجهة تحريم السحر والعرافة: «إذا دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك إيّاها، فلا تتعلم أن تصنع مثل قبائح تلك الأمم. لا يكن فيك من يحرق ابنه أو ابنته بالنار، ولا من يتعاطى عِرافةً ولا منجمٌ ولا متكهّنٌ ولا ساحر، ولا من يشعوذ ولا من يستحضر الأشباح أو

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٧، الفقرة ١٩.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح ١١، الفقرتان، ٩، ١٠.

الأرواح، ولا من يستشير الموتى، لأن كل من يصنع ذلك هو قبيحةٌ عند الرب، وبسبب تلك القبائح سيطرد الرب إلهك تلك الأمم من أمامك.

بل كن كاملاً لدى الرب إلهك، لأن تلك الأمم التي أنت طاردها تصغي إلى المنجمين والعرّافين. وأما أنت فلم يُجز لك الرب إلهك مثل ذلك»[١].

السحر والعِرافة وسائر أعمال الشعوذة كانت معتمدة عند الشعوب التي لم تتلقَّ رسالة سماوية، وأما أتباع موسى عليه السلام فقد أبلغهم النصُّ بأن ذلك غير جائز وهو محظور ومحرم، وبسبب اعتماده حل غضب الله على الأمم.

والسحرة والعرَّافون مصيرهم الفشل وعليهم غضب الله ولن يفلحوا فيما ذهبوا إليه. ورد في النص: «أمكثي على رُقَاك وأنواع سحرك الذي تعبت لأجله منذ صباك، عساك أن تستفيدي، وعساك أن تصيري ذات رُعب. وقد أعييت من كثرة مشوراتك، فليقف المنجمون الناظرون في الكواكب المعرّفون عن رؤوس الشهور، وليخلصوك مما هو آتٍ عليك. إنهم سيصيرون كالقش فتحرقهم النار، ولا ينقذون أنفسهم من يد اللهيب»[٢].

هذا النص جاء يتحدى فعل السحرة والعرّافين، وينبِّه من مخاطر الاعتقاد بصوابيته، ويخبر بأن مصير السحرة ومحترفي العِرافة والشعوذة الخسران والنار وسوء العاقبة، وهذا يوافق ما ورد في النص القرآني: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه/ ٦٩].

إن من أغواهم الشيطان بفتنته فمارسوا السحر يكونون قد كفروا بفعلهم هذا. جاءت الآية الكريمة في النص القرآني: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة/ ١٠٢].

والإسلام يحرِّم السحر، وقد رد العصاة بأن سليمان كان ساحراً فيما جاء معه من معجزات ولم يعدُّوا ذلك من قدرة الله تعالى، وجاءت الآية تبلِّغ بأن من اتهموا سليمان عليه السلام من الشيطانيين إنما كفروا بسبب تعليمهم الناس السحر.

---

(١) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ١٨، الفقرات ٩ ـ ١٤.

(٢) سفر إشعيا، الإصحاح ٤٧، الفقرات ١٢ ـ ١٤.

قال القرطبي في تفسيره: «قال أبو عمرو: من زعم أن الساحر يقلب الحيوان من صورة إلى صورة، فيجعل الإنسان حماراً أو نحوه، ويقدر على نقل الأجساد وهلاكها وتبديلها، فهذا يرى قتل الساحر لأنه كافر بالأنبياء، يدَّعي مثل آياتهم ومعجزاتهم، ولا يتهيَّأ مع هذا علم صحة النبوة، إذ قد يحصل مثلها بالحيلة. وأما من زعم أن السحر خُدَعٌ ومخاريقُ وتمويهاتٌ وتخييلاتٌ فلم يجب على أصله قتل الساحر، إلا أن يقتل بفعله أحداً فيُقتل به»[١]. «وروي عن الشافعي: لا يقتل الساحر إلا أن يقتل بسحره، ويقول تعمدت القتل»[٢]. أيّاً كانت الأحكام إلا أن الثابت تحريم السحر لأنه فعل شيطاني، هذا موقف الإسلام كما أنه موقف الآخرين اليهودية والمسيحية.

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢، ص٤٥.

(٢) القرطبي، م.س، ص٤٨.



الفصل الثالث

العبادات والطقوس عند يهود

إن أية ديانة لا بدَّ لها من منظومة عبادات، واليهودية كسواها في هذا الأمر، والعبادات الأساسية هي: الصلاة والصوم، بالإضافة إلى أدعية وابتهالات من النصوص التي تصنَّف مقدسة عند أتباع الديانة.

الصلاة عند يهود

تطورت أنظمة الصلاة عندهم عبر العصور، فقد بدأت على شكل أدعية ونصوص من العهد القديم فيها مناجاة للخالق أو تمجيد له، ثم تطورت إلى صلاة فردية، وبعد ذلك بات عندهم نوعان من الصلاة:

أ ـ فردية يؤديها كل شخص بمفرده في أوقات محدودة، أو في مناسبات معينة، أو عند الحاجة.

ب ـ جماعية تؤدَّى في الكنيس، ويقودها الرابي Rabbi «وتفضل اليهودية صلاة الجماعة على صلاة الفرد، ولاعتبار الصلاة جماعية لا بد أن تكون الجماعة عشرة رجال، أعمارهم تزيد عن ثلاث عشرة سنة»[(١)].

وتحديد السن سببه أن يهود يحددون سن البلوغ بالعمر الزمني للإنسان، فالذكر يبلغ عندما يبلغ من العمر ثلاث عشرة سنة، وسن البلوغ للأنثى اثنتا عشرة سنة. وللبلوغ عندهم طقوس هي: بار متسفاه وبات متسفاه.

«عندما تبلغ البنت اليهودية ١٢ عاماً، ويبلغ الولد اليهودي ١٣ عاماً فإنهما يبلغان سن الرشد حيث التكليف بالواجبات والمسؤوليات الدينية. وبهذه المناسبة يدعى ولد (البار متسفاه) لأول مرة ليتلو الجزء من التوراة، وقراءة من

---

(١) عبد المجيد، د. محمد بدر، **اليهودية**، القاهرة، جامعة القاهرة ـ مركز الدراسات الشرقية، سنة ٢٠٠١م، ص١٤٩.

أسفار الأنبياء. وفي تجمعات تشترك فيها المرأة في إقامة الصلاة، تدعى بنات (البات متسفاه) للقراءة من التوراة وأسفار الأنبياء»[١].

يؤدون الصلاة ثلاث مرات في اليوم هي:

«١ ـ صلاة الصبح أو السحر، وتدعى: شحريت، ووقتها من لحظة يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأزرق إلى شروق الشمس، وهي أهم الصلوات عندهم، والمتدينون منهم لا يقومون بأي عمل، ولا يتناولون فطور الصباح قبل أداء صلاة شحريت.

٢ ـ صلاة نصف النهار أو القيلونة، وتكون بعد الظهر بقليل، ووقتها من انحراف الشمس عن خط الزوال إلى قبيل الغروب بقليل، وتسمى: منحه.

٣ ـ صلاة المساء وتسمى: عربيت، ووقتها بعد الغسق ونزول ظلمة الليل بالكامل، وتقابل وقت صلاة العشاء عند المسلمين تقريباً»[٢].

أما طقوس الصلاة عندهم فهي:

١ ـ غسل اليدين. وبعض المتدينين قد يعمد إلى غسل البدن كله.

٢ ـ وضع غطاء على الرأس، لأن تغطية الرأس عندهم تعبير عن الاحترام، فإنهم يغطون رؤوسهم عند قراءة النصوص المقدسة، وعند ذكر الله، وإذا قابلوا إنساناً له مكانة وأهمية.

٣ ـ الاتجاه إلى أورشليم (القدس)، ومن كان في القدس يتجه إلى الهيكل المزعوم. ورد في النص عندهم: **«فكل صلاة وكل تضرع من أيِّ إنسان كانا من كل شعبك إسرائيل الذي يعرف كل واحد وخز ضميره، فيبسط يده نحو هذا البيت»**[٣] **(الهيكل المزعوم)**. وفي نص آخر: **«وصلّى إليك جهة أرضه التي أعطيت آباءه إياها والمدينة التي اخترتها والبيت الذي بنيته لاسمك»**[٤].

---

(١) موقع وزارة خارجية العدو الإسرائيلي على «شبكة المعلومات الدولية» تحت عنوان: «التعرف على الديانة اليهودية».

(٢) ظاظا، د. حسن، **الفكر الديني اليهودي**، م.س، ص١٨١.
وعبد المجيد، د. محمد بدر، **اليهودية**، م.س، ص١٤٩.

(٣) سفر الملوك الأول، الإصحاح ٨، الفقرة ٣٨.

(٤) سفر الملوك الأول، الإصحاح ٨، الفقرة ٤٨.

٤ ـ أما الطقس الأكثر شكلية فهو الذي يكون من خلال الأمور التالية: وضع شال على الكتفين، وهو أبيض اللون مستطيل أو مربع، وفي كل زاوية منه حلية تزيِّنه فيها ثمانية أهداب، هي خيوط أربعة منها بيضاء اللون، وأربعة زرقاء مختلف في درجة زرقتها، ولكن الأرجح أنها أقرب إلى زرقة السماء. والأهداب ترمز إلى طلوع الفجر بالتمييز بين خيط أبيض، وآخر أزرق. وهذان اللونان (الأزرق والأبيض) يشكلان لون علم العدو الإسرائيلي. والشال خاص بالرجال منذ سن البلوغ للذكر، وهي ثلاث عشرة سنة، ولا يجوز أن تمسَّه امرأة، ويحتفظ به الرجل في مكان خاص في بيته، وعند موته يُكفَّن به.

٥ ـ والطقس الشكلي الآخر هو «التفلين»، وهو علبة صغيرة من الجلد أو الخشب تكون في داخلها رقعة من الجلد مكتوب عليها نص السماع؛ والعلبة تُوضع في وسط الجبهة وتثبت بشريط من الجلد على الرأس، ويستخدم المصلي علبة أخرى تثبت بشريط على كف اليد اليسرى عند أصل الإبهام من الأصابع، وإذا كان الإنسان ممن يستخدمون اليد اليسرى يثبتها على كف اليد اليمنى.

هذا الطقس الذي يعتمد المظهر والشكل تطبيق حرفي لنص ورد فيه: **«اسمع يا إسرائيل: إن الرب إلهنا هو رب واحد. فأحبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل قوتك. ولتكن هذه الكلمات التي أنا آمرك بها اليوم في قلبك. ورددها على بنيك وكلّمهم بها، إذا جلست في بيتك وإذا مشيت في الطريق وإذا نمت وقمت. واعقدها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على دعائم أبواب بيتك»**[1].

الشطر الأول من هذا النص هو نص السماع أو التوحيد المطلوب أن تتم قراءته في كل صلاة، وأن يكون على رقعة من الجلد داخل التفلين ـ كما ذُكِر سابقاً ـ.

أما أداء الصلاة من الأفراد فيصح أن يكون المصلي منفرداً، وهذه صلاة يؤديها كل يهودي ساعة يريد، وفي أي مكان شاء، ولا مواقيت محدَّدة لها أو مواسم، وتكون عادة لظروف واحتياجات تدفع الفرد أن يتجه إلى الخالق طالباً

---

(١) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ٦، الفقرات ٤ ـ ٩.

حاجاته، وهناك نصوص كثيرة وجدوا فيها مبرراً لمثل هذه الصلاة منها:

«فمزَّق يشوع ثيابه وسقط على وجهه إلى الأرض قدّام تابوت الرب إلى المساء، هو وشيوخ إسرائيل، ووضعوا التراب على رؤوسهم. وقال يشوع: آه، أيُّها السَّيِّد الرب، لماذا عبَّرت هذا الشعب الأردن عبوراً لتسلمنا إلى يد الأموري، حتى يبيدنا؟ يا ليتنا كنّا ارتضينا وأقمنا بعبر الأردن، أيها السيد، ماذا أقول بعدما ولّى إسرائيل مدبراً من وجوه أعدائه؟ يسمع الكنعاني وجميع سكان الأرض فيحيطون بنا ويمحون اسمنا من الأرض. فماذا تصنع لاسمك العظيم»(١).

وهناك الصلاة الجماعية التي يشترك فيها عدد من يهود أقلّه عندهم عشرة أشخاص، وهذه تكون في كنيس أو أي مكان مخصص للعبادة، كما أنها تكون في مواسم ومواقيت وبشروط وترافقها طقوس معينة يحددها الرؤساء الروحيون (الحاخامات) أو الرابيون.

والصلاة الجماعية بدأت ممارستها عندما توفرت أماكن عبادة خاصة، وترافق معها استخدام آلات موسيقية محددة، وبين المصلين مع الموسيقيين منشدون يرددون بعض الأشعار من المزامير وسواها.

والصلاة عندهم كان يؤديها الرجال والنساء، ويكون فيها المصلي واقفاً وجالساً، وقد يسجد وهو يصلي، وتستخدم الأبواق للنفخ، وقد ينثرون التراب على رؤوسهم أثناءها، وقد يؤدونها على شكل تضرعات وابتهالات يرافقها بكاء.

وتركز التعليمات اليهودية في الصلاة على القلب، فهو باب الاتصال مع الخالق السرمدي، وفي النصوص التلمودية وصايا دقيقة بهذا الشأن. منها: **«أحبب حباً أبدياً إلهك، واتجه إليه كلياً بقلب مخلص. واعلم أن حضوره القلبي فينا يتحقق من خلال الصلاة... أما الذي يكون في صلاته فعليه أن يوجِّه قلبه إلى السماء. وعندما يصلي الفرد يجب أن ينظر إلى الأرض وقلبه باتجاه علوي»**(٢).

---

(١) سفر يشوع، الإصحاح ٧، الفقرات ٦ ـ ٩.

(٢) Cohen, A., **Le Talmud**. Traduit de l'anglais par Jacques Marty, Paris, Petite Bibliothèque Payat, l'année 2002, p. 182.

والمجتمع اليهودي ذكوري المفاهيم لذلك كان لمدة طويلة لا يسمح للنساء بدخول المعابد والكُنُس، وأبلغ دليل على ذلك حكاية امرأة عمران عندما نذرت ما في بطنها لخدمة بيت العبادة، وكان أن وضعت مريم عليها السلام، فخاطبت ربها بذلك، وأوفت بالنذر، فما كان من يهود إلا أن قاطعوا المعبد وتركوا مريم بدون أن يقدموا لها ما تحتاج، فكفلها زكريا عليه السلام، وهو زوج خالتها، ولكن الله تعالى أعطاها الرزق الذي كان يجده عندها زكريا كلما قصدها إلى محراب المعبد متفقِّداً أحوالها. جاء في النص القرآني قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران/ ٣٦، ٣٧].

ويوصي التلمود بلسان الحاخام كل شخص ذكر بأن يشكر في صلاته، وهي ثلاث مرات، ويقول: «**شكراً للإله الذي جعلني إسرائيلياً، والذي لم يخلقني امرأة، ولا خلقني فظاً غليظ الطباع**»(١).

وأما ما يؤكد ذكورية مجتمعهم، واحتقارهم المرأة فهو ذلك النص الذي يردده الرجل في صلاتهم، ويقولون فيه: «**الحمد لك يا رب لأنك لم تجعلني وثنياً ولا عبداً ولا امرأة**»(٢).

والصلاة عندهم كذلك تحمل أدعية تطلب النجاة، أو الاجتماع ولَمَّ الشمل، ويخلطون بين يهودية وإسرائيلية، علماً أن الأولى دعوة جاء بها موسى عليه السلام، وإسرائيل هو بالعربية: عبد الإله، وهو الاسم الثاني ليعقوب عليه السلام. وفي مناظرة مع يهودي مغربي دخل في الإسلام كان اسمه: شموائيل بن يهوذا بن آبوان، وأصبح اسمه الإسلامي: السموأل بن يحيى المغربي، أنكر على يهود بعض نصوص صلواتهم، فقال لمن يناظره: «**فهل كان موسى ـ عليه السلام ـ وأمته يقولون في صلواتهم، كما تقولون؟: نقاع شوفار كادول تحيرو تيئنو وسانيس لقَنَو حينوا وقبّعنو بأحد ماء رباع**

---

(١) Cohen, A, Ibid p. 291.

(٢) Cohen, A., Ibid, p. 292.

كنفوت ها أرض إن نوى قد شيخا ياروخ.

تفسيره: اللّهم، اضرب ببوق عظيم لعتقنا، واقبضنا جميعاً من أقطار الأرض إلى قدسك؛ سبحانك، يا جامع تشتيت قومه إسرائيل»(١).

نخلص إلى القول بأن يهود لم يعفوا الصلاة من تحميلها مفاهيم مفادها أنهم الشعب المختار، وأنهم يطلبون الخاص كله، فردياً كان أم جماعياً، في صلاتهم، كما أنهم يُقحمون في أدعيتهم وصلواتهم تحقير المرأة، وتصنيفها مع العبيد والوثنيين.

الصيام عند يهود

لم يكن الصوم فريضة واضحة عند يهود، وفي متابعةً مسار التزامهم بالصوم نجدهم يعتمدون أيام صيام فردية على شكل قربات وعبادات تطوعية. وهناك صيام ارتبط بذكريات ومحطات حصلت في الغالب بعد عهد موسى عليه السلام، وهناك أنواع من الصيام فرضها كهنتهم، وقد ورد شيئ منها في التلمود. والصوم عنده يكون غالباً في إطار التقشف، وإذلال النفس وترويضها. ففي سفر المزامير: «**إن ذلَّلتُ بالصوم نفسي**»(٢).

إن الصيام المفروض، كما يظهر من نصوص أسفار التوراة، ورد في سفر اللاويين أو الأحبار وهو **صيام يوم الغفران، وهو اليوم العاشر من شهر تشري** حسب التقويم العبري. ففي النص: «**هذه تكون لكم فريضة أبدية في اليوم العاشر من الشهر السابع، تذلِّلون أنفسكم (تصومون) ولا تعملون، عملاً لا ابن البلد ولا النزيل المقيم فيما بينكم**»(٣).

وهناك **صيام اليوم الثامن عشر من شهر تموز** (يوليه)، ويرتبط عندهم هذا الصيام بحوادث جرت أو مزعومة كتحطيم ألواح التوراة أو إحراقها، أو ذكرى مهاجمة تيتس الروماني ليهود أورشليم سنة ٧٠م.

ويصومون يوم التاسع من آب، وهو ذكرى تخريب معبدهم الأول والثاني.

---

(١) المغربي، السموأل بن يحيى، **إفحام يهود،** تقديم وتحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، القاهرة، دار الهداية، ط١، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٢) سفر المزامير الإصحاح ٦٩، الفقرة ١١.

(٣) سفر الأحبار أو اللاويين، الإصحاح ١٦، الفقرة ٢٩.

ففي «سفر إرميا» يقولون: «**وفي اليوم التاسع من الشهر الرابع، اشتد الجوع في المدينة، ولم يبقَ خبز لشعب تلك الأرض**»[١] ويكملون ما تعرَّض له صدقيا مع قومه من تشريد وقتل على يدي نبوخذنصر، ولذلك كان صيام هذا اليوم مناسبة ترتبط بهذه المصائب التي حلّت بهم.

ويصومون لذكر أستير التي أنقذتهم بتسليم نفسها للملك الفارسي يوم قرر وزيره تشريدهم في أنحاء البلاد، **وهذا الصيام يكون أوائل شهر آذار**، وفي النص «**فقالت أستير مجيبة مردكاي: إذهب، واجمع كل يهود الذين في شوشن، وصوموا لأجلي، ولا تأكلوا ولا تشربوا ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً، وأنا ووصيفاتي نصوم كذلك**». ومردكاي هو عم أستير، وكان حاخاماً، وهي يتيمة رباها، وكانت جميلة دفعها إلى الكسرى الفارسي ليكون بمقابل ذلك تعطيل قرار وزيره ضدهم، وكان لها ما أرادت. وبات في عباداتهم صوم أستير.

وعندهم أنواع من الصيام تكون قبل عيد الغفران لمدة عشرة أيام، وبعض أيام الخميس في السنة الكبيسة، وأيام في النصف الثاني من شهر تموز (يوليه) وأوائل آب/أغسطس. وهناك صيامات فردية كالعروسين قبل الزفاف، ولذكرى وفاة الوالدين، أو من باب اتقاء شرور متوقَّعة، والصيام اليهودي يكون على البالغين المقتدرين، ويُعفى منه الصغار والمرضى والعاجزون والمسنون.

وأثناء يوم الصوم يكون عندهم في الصلاة دعاء خاص هذا نصه: «**استجب لنا يا أبانا، استجب لنا في يوم صوم هذا الصيام لأننا في كرب عظيم، لا تلتفت إلى شرِّنا ولا تتوار يا ملكنا عن دعائنا. كن قريباً لصراخنا، بل استجب لنا قبل أن نصرخ إليك**»[٢].

نخلص من ذلك إلى القول: إن الصوم اليهودي ليس فريضة واضحة من حيث الزمن والأداء والطقوس، ولا وضوح لما يرافقه من ضوابط كما الحال في الإسلام وفي المسيحية وهو تذليل للنفس على المستوى الفردي، وجماعياً ارتبط عندهم بذكريات مؤلمة نالهم فيها أذى وظلم، كما زعموا في كتاباتهم.

---

(١) سفر إرميا، الإصحاح ٥٢، الفقرة ٦.

(٢) ظاظا، د. حسن، م.س، ص١٩٠.

الأعياد اليهودية

يدخل في طقوس يهود وعباداتهم موضوع الاحتفالات التي تكون بمناسبات يعطونها الطابع الديني، ومنها ما يكون بمناسبات سياسية، وعلى أي حال فإن هذه الاحتفالات مناسبات للتعبئة أو لإثارة بعض الخصائص الفئوية التي تعزِّز العنصرية.

ورد في قاموس الكتاب المقدس: «عيد، أعياد: هي احتفالات الفرح الخاصة بذكرى مناسبة من المناسبات. وكان العبرانيون يقدمون في الأعياد تقدمات خاصة للرب، ويتركون أشغالهم العادية ويجتمعون في المحافل... ونصت شريعة موسى على سبعة أعياد كبرى: السبت من كل أسبوع، اليوم الأول من كل شهر، السنة السابعة من كل سبع سنوات، سنة اليوبيل، أسبوع القمح (خاصة اليومين الأول والأخير منه)، عيد الخمسين (المعروف بعيد الأسابيع)، عيد المظال (أو عيد الجمع)، وبعد السبي في بابل أضيف إلى قائمة الأعياد عيدان: عيد الفوريم وعيد التجديد»[1].

أما في موقع على «شبكة المعلومات الدولية» عنوانه: «تعرَّف على اليهودية» جاءت فقرة تحت عنوان: «**الاحتفالات وأيام الذكرى**»: «اليوم السابع من الأسبوع هو يوم السبت، وهو يوم راحة توراتي مقدس، ولا يُسمح القيام بأي عمل يوم السبت باستثناء العبادة أو الحفاظ على الحياة والصحة. ومن الطقوس المركزية في مراعاة السبت القراءة الصباحية في الكنيس للفصل الأسبوعي من التوراة، الأيام المقدسة العالية (تراعى في أيلول/ سبتمبر - أكتوبر/ تشرين الأول) وهي وقت للصلاة والاستبطان. ويسجل يوم رأس السنة (روش هشناه) اليهودية الجديدة، أول الأيام العشرة المكرسة لمحاسبة النفس والمنتهية بصوم يوم الغفران (يوم كيبور).

والاحتفالات الرئيسية الثلاثة في السنة الدينية اليهودية مصدرها توراتي، وهي عيد الفصح (بيساح) الذي يحيي ذكرى النجاة والخروج من مصر، وعيد الأسابيع (شفوعوت) ويحيي ذكرى نزول القوانين على جبل سيناء، وعيد المظلة (سوكوت) إحياء لذكرى الإقامة في الصحراء.

---

(١) **قاموس الكتاب المقدس**، م.س، ص٦٤٧.

وفي أيامنا، كما كان في الأزمنة الغابرة، تعتبر هذه الأعياد الثلاثة مناسبات للحج إلى أورشليم القدس مع الصلاة عند حائط المبكى، وهو بقايا الجدار الاستنادي الخارجي لجبل الهيكل، ويعلن الحداد على خراب الهيكلين المقدسين يوم التاسع من آب حسب التقويم العبري.

وتضم الأعياد اليهودية الأخرى عيد الأنوار (مانوكاه)، إحياءً لذكرى انتصار المكابيين وإعادة تكريس الهيكل في أورشليم القدس، وعيد المسافر (بوريم)، إحياءً لذكرى إنقاذ الشعب اليهودي في أيام الملكة أستير، ويوم ذكرى ضحايا وأبطال (الهلوكوست) الكارثة، إحياءً لذكرى ٦ ملايين يهودي قتلهم النازيون، ويوم استقلال دولة إسرائيل، الذي يحتفل فيه باستعادة إسرائيل للسيادة القومية».

ملاحظة: لقد تمَّ عرض هذه المعلومات حول الاحتفالات، كما وردت عند يهود، علماً أن قسماً منها هو مزاعم سيتم تفنيدها، لكن عرضها كما يزعمون يطلع القارئ على عقيدتهم في هذه الأعياد والمناسبات.

يحتاج أمر هذه المناسبات الاحتفالية والأعياد إلى عرض ومناقشة نظراً لكونها تشكل عاملاً رئيساً في التكوين الاجتماعي اليهودي فالصهيوني. واقع التعامل مع هذه الأعياد أو المناسبات عندهم هو على الشكل التالي:

١ ـ **السبت:** هو العيد الأسبوعي عندهم، وهو يوم راحة يمتنعون فيه عن أي عمل، وهو اليوم السابع من الأسبوع، وحسب مزاعمهم كان الخلق في ستة أيام وكان اليوم السابع يوم راحة للرب، ولذلك اعتمدوه هم للراحة أيضاً. لقد قالوا: «**وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمله. وبارك الله اليوم السابع وقدَّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي خلقه الله ليصنعه**»[١].

واليوم عندهم يبدأ من غروب الشمس نهار الجمعة إلى غروبها نهار السبت، وهذا بناء للتقويم القمري، وأهم طقوس هذا اليوم الكف عن العمل والراحة التامة.

وقد جاء التصريح بالكف عن العمل في سفر الخروج حيث جاء فيه

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٢، الفقرتان ٢، ٣.

عندهم: «**اذكر يوم السبت لتقدسه. في ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك، اليوم السابع سبت للرب إلهك لا تصنع فيه عملاً لك أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي في داخل أبوابك. لأن الرب في ستة أيام خلق السموات والأرض والبحر وجميع ما فيها، وفي اليوم السابع استراح ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدَّسه**»(١).

ولقد قدَّم الدكتور حسن ظاظا عرضاً وافياً لما يكفون عن فعله يوم السبت، حيث قال: «تفنن فقهاء يهود في تفسير الكف عن العمل يوم السبت، فحرموا فيه كل ما من شأنه أن يشعر بالسعي في الرزق أو الانشغال بحرفة أو صناعة أو إنتاج أو بذل أي جهد في تحقيق هدف معين، لذلك حرموا إيقاد نار يوم السبت، وإن كان أكثرهم قد أباح بقاء النار التي أُشعلت قبل الدخول في السبت والانتفاع بها يوم السبت نفسه، كأن توقد الأنوار والشموع والقناديل والأفران ونيران المطابخ والمدافئ والمواقد بعد ظهر الجمعة لاستخدامها ليلة السبت. كذلك حرموا السفر في هذا اليوم، لتحريم ركوب الدواب قديماً، وتحريم إيقاد النار التي تنطبق الوصية بها على وسائل المواصلات الحديثة، كالقطار والسيارة والباخرة والطيارة، التي تعتمد كلها في سيرها على النار. وجعلوا من السفر عبور الجداول والأنهار أو الانتقال بحراً. كذلك يحرم في يوم السبت إنفاق النقود أو تسلُّمها، فهذا كله عمل أساسه البيع والشراء أو أنواع مشابهة من الاكتساب والأخذ والعطاء بين الناس. ومما يُحرم في يوم السبت الكتابة لأنها في عرفهم تكون لإبرام العقود وعقد الاتفاقات ونحوها مما يدخل في مفهوم الشغل، لذلك جرى العرف على ألا يخرج اليهودي المتمسك بتعاليم السبت من بيته إلا وقد تأكد أن جيوبه ليس فيها أقلام ولا أوراق ولا نقود ولا كبريت، وأكثرهم يخرج إلى المعبد وليس معه إلا التوراة أو كتاب الصلاة (السدور).

وبطبيعة الحال يحرم عقد الزواج يوم السبت، لاحتياج ذلك إلى الكتابة ودفع الأموال، وقبضها، والعمل في إعداد الزفاف ونحو ذلك»(٢).

ولا يتوقف الأمر عندهم عند هذا الحد بل كانوا قديماً يمتنعون عن القتال

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، الفقرات ٨ ـ ١١.

(٢) ظاظا، د. حسن، **الفكر الديني الإسرائيلي**، م.س، ص٢٠٠، ٢٠١.

والحرب حتى لو اعتُدي عليهم وتعرضوا للأذى والخطر. وقد ذكروا في سفر المكابيين ما يؤكد ذلك، وقد قالوا: «**فأدركوهم وجيَّشوا حولهم وناصبوهم القتال في يوم السبت. وقالوا لهم حسبكم ما فعلتم فاخرجوا وافعلوا كما أمر الملك فتحيوا. فقالوا: لا نخرج ولا نفعل كما أمر الملك لئلا ندنِّس يوم السبت. فأثاروا عليهم القتال. فلم يردوا عليهم ولا رموهم بحجر ولا سدُّوا مختبآتهم**»[(١)].

إنه التعامل الحرفي، وقد مارسه المتدينون منهم، لكنهم تراجعوا عن هذا المفهوم في التعامل مع الخطر العسكري، وأوجدوا مخرجاً هو أنه إذا أعلن حاخاماتهم وكهنتهم بأن شعبهم في خطر تتحول مهمتهم إلى الدفاع، وبرروا ذلك بأن المحرم يوم السبت هو الهجوم ولا مانع من استخدام الأساليب الدفاعية لصد هجوم أو منع خطر. هذا المفهوم استخدمه قادة العدو الإسرائيلي بعد اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨م حتى يومنا هذا، حيث أطلقوا على جيشهم اسم: «جيش الدفاع الإسرائيلي»، وبذلك برروا لجيشهم ممارسة عدوانه يوم السبت وغير يوم السبت من الأيام.

وتفيد المصادر التاريخية بأن البابليين كانوا يعتمدون شعائر معينة لليوم السابع من كل أسبوع على مدى الشهر؛ أي لأربعة أسابيع، وربما يكون يهود قد أخذوا ذلك عنهم. كانت شرائع البابليين تقضي «أن الملك لا يأكل اللحم المطبوخ على الفحم في هذه الأيام، ولا يغيِّر ثياباً نظيفة، ولا يقدم ذبيحته، ولا يركب في عربة، ولا يتكلم في قضية، ولا يجوز للرائي في هذه الأيام أن يقدم للناس ما يرى، ولا يجوز للطبيب أن يضع يده على جسد إنسان»[(٢)]. وبذلك تكون طقوس السبت اليهودية مقتبسة من شرائع وثنية، لذلك كان المسيح عليه السلام ينشط في دعوته وصلاته ومعجزاته يوم السبت ويبين بأن السبت كسائر أيام الأسبوع، يوم عمل ورحمة. وفي جواب للفريسيين، إحدى فرق اليهودية، قال المسيح عليه السلام: «**وقال لهم: إن السبت جُعِل للإنسان، وما جعل الإنسان للسبت. فابن الإنسان سيد السبت أيضاً**»[(٣)].

---

(١) سفر المكابيين الأول، الإصحاح ٢، الفقرة ٣٢ وما بعدها.

(٢) **قاموس الكتاب المقدس**، م.س، ص٤٥٣.

(٣) **إنجيل مرقس**، الإصحاح ٢، الفقرتان ٢٧، ٢٨.

ويأتي في «إنجيل مرقس»: «**ودخل ثانية بعض المجامع وكان فيه رجل يده شلّاء. وكانوا يراقبونه ليروا هل يشفيه في السبت ومرادهم أن يشكوه. فقال للرجل ذي اليد الشلّاء: قم وسط الجماعة. ثم قال لهم: أَعمل الخير يحلُّ في السبت أم عمل الشَّر؟ أتخليص نفس أم قتلها؟ فظلوا صامتين. فأجال طرفه فيهم مُغضباً مغتمّاً لقساوة قلوبهم. ثم قال للرجل: أمدد يدك. فمدَّها فعادت يده صحيحة**»[١].

هكذا رد المسيح عليه السلام على يهود بشأن السبت، حيث رفض تقديسهم له على حساب الإنسان وهناءته، ولذلك قام بإحدى معجزاته ليؤكد رفض طقوسهم في السبت.

كذلك رفض الإسلام ما عند يهود بشأن السبت، وهو بنظر الإسلام، قرآناً وسُنَّة، تعدياً وتجاوزاً ودخولاً في المعاصي، لذلك حلَّ بهم العذاب ومسخهم الله تعالى قردة خاسئين، وهذه المسوخ عاشت ثلاثة أيام وانقرضت. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة/ ٦٥].

أخرج النَّسائي في السنن: «عن صفوان بن عسّال قال: قال يهودي لصاحبه: إذهب بنا إلى هذا النبي... فأتيا رسول الله ﷺ وسألاه عن تسع آيات بينات، فقال لهم: (لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا ببريءٍ إلى سلطان ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة ولا تولّوا يوم الزحف **وعليكم خاصة يهود ألّا تعتدوا في السبت**)».

٢ ـ **أول الشهر**: يعتمد يهود عدة الشهور بناءً لهلال القمر، والمعلوم أن السنة القمرية هي ٣٥٤ يوماً وربع اليوم، وليتوافق عندهم الحساب مع السنة الشمسية كانوا يجمعون الأيام الزائدة في كل سنة إلى ثلاث سنوات وتكون السنة الثالثة سنة كبيسة تتكون من ثلاثة عشر شهراً، والشهر الزائد سموه: قيادار أو آذار الثاني.

عند هلال الشهر القمري يحتفلون، وهو عندهم يوم خاص وله طقوسه منها

---

(١) **إنجيل مرقس**، الإصحاح ٣، الفقرة ١، وما بعدها.

النفخ بالبوق (شوفار). «**انفخوا في البوق عند رأس الشهر وفي أوان البدر ليوم عيدنا**»(١) وأول الشهر أو هلاله يكون للعبادة وتقديم القرابين. «**ولإصعاد كل مُحرقات الرب في السبوت وفي رؤوس الشهور والأعياد المعدودة بحسب الترتيب المفروض عليهم دائماً قدام الرب**»(٢).

ويعرض الدكتور حسن ظاظا لهذا العيد الشهري قائلاً: «وله طقوس وصلوات خاصة تؤدَّى عند رؤية الهلال كل شهر، وهم لا يعتمدون على الرؤية البصرية، ويأخذون الآن بالحساب الفلكي. ويسمى عيد الهلال عندهم: رُوشْ حُودِشْ؛ أي رأس الشهر، والاحتفال به يكون أحياناً يوماً واحداً، وأحياناً يومين»(٣).

٣ ـ **رأس السنة: روش هشاناه:** رأس السنة يمارس فيها يهود محاسبة النفس من خلال وقفة مع الذات تستمر لأيام، وهي تقابل الأيام الأولى من شهر تشرين الأول/ أكتوبر، وفي اليوم الرابع يصومون صياماً اسمه «صوم جِدْليا»، وهو يوم مقتل جِدلْيا بن أحيفام الذي ولّاه بختنصر على يهود فلسطين يوم غزاها واستولى عليها. بعد الحداد والوقفة مع الذات التي تتواصل عشرة أيام يظهرون نوعاً من التفاؤل بالسنة الجديدة من خلال تقديم أنواع من الأطعمة توحي بذلك، وأغلبهم يعتمد طقس النفخ بالشوفار (بوق أصله قرن خروف أو كبش من الغنم) عند كل صلاة، وتكون منهم أدعية للرب طالبين مجيء المسيح ليبدأ عهد مملكة الرب.

يبدأ التاريخ والتقويم اليهودي ـ حسب زعمهم ـ مع بدء الخليقة، حسب خرافتهم التي لا صدقية لها، وحسب الدكتور حسن ظاظا أن تقويمهم هذا كان سنة ١٩٧٠م السنة ٥٧٣١، وبذلك تكون سنتهم في العام ٢٠٠٧م هي ٥٧٦٨ وفق التقويم العبري، وأسماء الشهور عندهم هي: «تِشْري ـ حشوان ـ كِسْلِوْ ـ طِبتِ ـ شباط ـ آذار ـ نيسان ـ أيار ـ سِيوان ـ تموز ـ آب ـ أيلول» والشهر الثالث عشر في السنة الكبيسة ـ كما ذكرنا سابقاً ـ هو آذار الثاني.

وردت نصوص حول هذا العيد منها: «**وكلَّم الرب موسى قائلاً: مُرْ بني**

(١) سفر المزامير، المزمور ٨٠، الفقرة ٤.
(٢) سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٢٣، الفقرة ٣١.
(٣) ظاظا، د. حسن، **الفكر الديني الإسرائيلي**، م.س، ص٢٠١.

إسرائيل قائلاً في اليوم الأول من الشهر السابع (يقصدون بعد آذار شهر السنة الكبيسة) **يكون لكم عطلة تذكار هتاف البوق محفلٌ مقدَّس، عمل خدمةٍ لا تعملوا وقرّبوا وقيدة للرب»**[١].

٤ ـ **يوم الغفران أو يوم الكفارة: «يوم كِبُّور»**: يتضح من الاسم أن هذا العيد هو مناسبة لإعلان التوبة ومحاسبة الذات، وطلب المغفرة، وهو عيد للتطهير والتكفير عن الآثام حسب المعتقد اليهودي، وهو في شهر تشرين الأول/ أكتوبر الذي يأتي ترتيبه السابع، حسب التقويم المعتمد، والمسمى: التقويم العبري.

ورد بشأنه نص في العهد القديم جاء فيه: «وكلَّم الرب موسى قائلاً: أما العاشر من الشهر السابع هذا، فهو يوم التكفير، يكون لكم محفلاً مقدساً تذلِّلون فيه أنفسكم وتقرِّبون ذبيحة بالنار للرب. وفي هذا اليوم عينه لا تعملوا عملاً، لأنه يوم تكفير، يكفَّر فيه عنكم أمام الرب إلهكم. **فكل إنسان لا يذلِّل نفسه في هذا اليوم عينه يفصل من شعبه.** وكل إنسان يصنع عملاً في هذا اليوم عينه أُبيد ذلك الإنسان من وسط شعبه. لا تعملوا أي عمل: فريضة أبدية مدى أجيالكم في جميع مساكنكم. **إنه سبت راحة لكم، فتذلِّلون فيه أنفسكم. في التاسع من الشهر عند المساء، من العِشاء، تستريحون سبتكم»**[٢].

هو عيد لتذليل النفس وإعلان خضوعها للرب، هذا مع تقديم القرابين والصلوات والصيام، وكأن هذه الساعات القليلة تحتشد فيها شعائر وطقوس عديدة طلباً للغفران، وطقوس هذا العيد تبدأ «قبيل غروب الشمس من اليوم التاسع من تِشرى، ويستمر إلى ما بعد غروب شمس اليوم التالي، فمدته حوالى ٢٧ ساعة، يجب فيها الصيام ليلاً ونهاراً وعدم الاشتغال بأي شيءٍ ما خلا العبادة»[٣].

عندما دخل بختنصر القدس ودمَّر الهيكل ـ حسب زعمهم ـ صادف ذلك هذا اليوم نفسه، لذلك ربطوا العيد بالذكرى، وهذه عادة يهود، فإنهم عملوا

(١) سفر الأحبار أو اللاويين، الإصحاح ٢٣، الفقرات ٢٣ ـ ٢٥.
(٢) سفر الأحبار (اللاويين) الإصحاح ٢٣، الفقرات ٢٦ ـ ٣٢.
(٣) ظاظا، د. حسن، م.س، ص٢٠٢.

على ربط كل طقس ومناسبة بذكرى زعموا أنها أليمة كالحالة هذه، والهدف دوماً التعبئة والتحريض، وليكون الألم عندهم طريقاً لأمل يرجونه، وبذلك يوحدون أتباع اليهودية حول أهداف سياسية لها جذور دينية، وبهذا كان الفكر الديني عندهم منطلقاً للمشروع السياسي الصِهيوني العنصري.

٥ ـ **عيد الفِصح**: **«بيساح»**: إنه أساسي عند يهود وله مناسبة خاصة حيث ارتبط عندهم بخروجهم مع موسى عليه السلام من مصر، والنجاة من فرعون وجنده، والتيه في الصحراء وما كان من شظف العيش، كما أنه مناسبة للحج عندهم إلى القدس حيث كان الهيكل، كما يزعمون.

جاء في العهد القديم: «في الشهر الأول في اليوم الرابع عشر منه، بين الغروبين، فِصح للرب. وفي اليوم الخامس عشر من هذا الشهر، عيد الفطير للرب: سبعة أيام تأكلون فطيراً. في اليوم الأول، يكون لكم محفل مقدس، فلا تعملوا فيه عمل خدمة. وسبعة أيام تقربون فيها ذبيحة بالنار للرب، وفي اليوم السابع محفل مقدس، فلا تعملوا فيه عمل خدمة»[١].

إن هذا العيد يحمل ذكريات ومحطات هي الخروج من مصر هرباً من عدوان فرعون، وعبور البحر مع موسى عليه السلام، وبالتالي النجاة وهلاك جيش فرعون، وبذلك نيل الحرية، وفيه تناول الفطير بدون خمير ولا ملح مع بعض الخضار العشبية الورقية كالخس وسواه، لاستعادة ذكرى معاناة يهود في التيه، والمناسبة كذلك تترافق مع أوائل فصل الربيع وما يتميز به، لكل هذا يكون الفصح عندهم في مكانة خاصة بين أعيادهم.

أهم أيام أسبوع عيد الفصح عندهم اليومان الأولان واليومان الأخيران، وما بينهما ليست في الأهمية نفسها. والطقوس الأساسية فيها البحث عن الخمير، ومن ثم صنع الفطير بلا خمير، ومائدة الفصح، وهي أهم طقوسه تكون فيها الأسرة مجتمعة برئاسة رب الأسرة الذي يضطجع متكئاً على جنبه الأيسر وأمامه مائدة عليها «ثلاثة أرغفة من خبز الفطير على طبق، وبجانبها قطعة من العظم الذي يحيط به اللحم مأخوذة من الغنم ومشوية، وحزمة من بعض النباتات المرَّة كالخس أو الشيكوريا أو الكِبر أو الكرفس، وبجانب ذلك

(١) سفر الأحبار (اللاويين) الإصحاح ٢٣، الفقرات ٥ ـ ٨.

شيء من الفاكهة المهروسة أو المدقوقة في الهاون والمنقوعة في النبيذ. وتوضع في نفس الطبق بيضة، وشيء من الخضار كالفجل أو الجزر، وكأس من الماء المالح أو المخلوط بالخل. **ويفسر علماؤهم كل هذا بأنه من أنواع المأكولات الكريهة على النفس التي كان أسلافهم يأكلونها أثناء فرارهم في الصحراء**. وتقتضي الطقوس أن يبدأ رئيس العائلة بتذوق طرف من كل صنف ثم يشترك معه بقية أفراد العائلة في ذلك. ويجب مع تلك الوجبة شرب أربعة أقداح من النبيذ... وعلى هذه المائدة يبدأ رئيس العائلة فيقصُّ حكاية الفصح، وهي أسطورة تحكي ما حدث لبني إسرائيل مع موسى إبّان خروجهم من مصر وهروبهم من عسف فرعون»(١).

وجاء بشأن هذا اليوم في سفر الخروج من العهد القديم: «سبعة أيام تأكلون فطيراً. في اليوم الأول ترفعون الخمير من منازلكم فإن كل من أكل خبزاً خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع، تفصل تلك النفس من إسرائيل»(٢).

وفيه كذلك: «فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم: اقتطعوا وخذوا لكم غنماً بحسب عشائركم واذبحوا الفصح. ثم تأخذون باقة زوفى(٣) وتغمسونها في الدم الذي في الطّست(٤) وتمسّون عارضة الباب وقائميته بالدم الذي في الطّست ولا يخرج أحد منكم من باب منزله إلى الصباح»(٥).

ومن أحكام عيد الفصح اليهودي: «قال الرب لموسى وهارون: هذه فريضة الفصح: كل أجنبي لا يأكل منه وكل عبد مُشترى بفضةٍ نختنه، ثم يأكل منه، والضيف والأجير لا يأكلان منه. في بيت واحد يؤكل ولا تُخرِج من البيت شيئاً من اللحم إلى الخارج وعظماً لا تكسروا منه»(٦).

وتكمل نصوص العهد القديم عارضة أحكام الفصح، وضرورة نقل

---

(١) ظاظا، د. حسن، م.س، ص٢٢٠، ٢٢١.
(٢) سفر الخروج، الإصحاح ١٢، الفقرة ١٥.
(٣) زوفى: نبات عطري.
(٤) وعاء كبير من النحاس أو خلافه مستدير الشكل.
(٥) سفر الخروج، الإصحاح ١٢، الفقرتان ٢١، ٢٢.
(٦) سفر الخروج، الإصحاح ١٢، الفقرات ٤٣ ـ ٤٥.

الروايات المرتبطة به من الآباء إلى الأبناء، ومما جاء بشأن الفصح: «فقال موسى للشعب: أذكر ذلك اليوم الذي خرجتم فيه من مصر، من دار العبودية، لأن الرب أخرجكم بيدٍ قوية من هناك فلا يؤكل خمير. اليوم الذي أنتم خارجون فيه هو في شهير أبيب... تقيم هذه العبادة في ذلك الشهر: سبعة أيام تأكل فطيراً وفي اليوم السابع عيد للرب.. وتخبر ابنك في ذلك اليوم قائلاً: هذا لسبب ما صنع الرب إلى حين خرجت من مصر.. لأن الرب بيدٍ قوية أخرجك من مصر»[1].

الفصح، إذن، ارتبط بالخروج من مصر وبالتحرر من عبودية فرعون وبالربيع (أبيب)، لذلك كانت له عندهم هذه الأهمية. ومما تتناقله الأقلام والوقائع يعرف المتابع أن الانتقام من الممارسات التي تترافق عندهم مع طقوس العيد والفطير حيث يُستحب ليهود أن يعجنوا فطير الفصح بدم إنسان غير يهودي، ومسيحي ـ بشكل خاص ـ إن تمكنوا من ذلك.

تأتي في هذا السياق قصة الأب اليسوعي الإيطالي توما اليسوعي الملقَّب توما البادري، وهو كاهن كاثوليكي لاتيني من سردينيا بإيطاليا ويحمل جنسية فرنسية، وكان يعيش في دمشق منذ العام ١٨١٠م، وكان مع مهمته الدينية يمارس معالجة المرضى مجاناً ويقصدهم إلى بيوتهم، وقد تربص به يهود حي باب توما في دمشق، وهم سليمان الحلاق، والثري داوود هراري، وهو تاجر، والحاخام موسى أبو العافية، الحاخام موسى سلانيكي وآخرون، وقد خطفوه مساء الأربعاء ٢ ذي الحجة ١٢٥٥هـ، الواقع في العام ١٨٤٠م، وبعد خطفه قاموا بتكميمه وتقييده وذبحه وجمع دمه في وعاء زجاجي لاستخدامه لعجين فطير الفصح، وقد اكتُشفت مؤامرتهم وجرت محاكمتهم[2].

٦ ـ **عيد المظلة أو المظال: «سوكوت»**: وهو عيد مهم عندهم لأنه يرتبط بالإقامة في الصحراء أثناء التيه، بين الخروج من مصر إلى حين الاستقرار.

وقد ورد في الترجمة العربية للعهد القديم من قبل المكتبة الشرقية بالاشتراك

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح ١٣، الفقرة ٣ وما بعدها.

(٢) للتفصيل يراجع: الكيلاني، نجيب، **دم لفطير صهيون**، بيروت، دار النفائس، ط٨، سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

مع جمعيات الكتاب المقدس الكاثوليكي بأنه عيد الأكواخ. ومما جاء بشأن أحكامه في سفر الأحبار «اللاويين»: «**أما اليوم الخامس عشر من الشهر السابع، فإذا جمعتم فيه غلة الأرض، تعيِّدون عيد الرب سبعة أيام: في اليوم الأول منها راحة وفي اليوم الثامن راحة. وخذوا لكم في اليوم الأول ثمر أشجار نضيرة وسُعف نخل وأغصان أشجار كثيفة وصفصاف نهري وافرحوا أمام الرب إلهكم سبعة أيام. وعيِّدوه عيداً للرب سبعة أيام في السنة فريضة أبدية مدى أجيالكم**.

في الشهر السابع تعيِّدون: **تقيمون في الأكواخ سبعة أيام. فَلْيَقُم في الأكواخ كل ابن البلد في إسرائيل. لكي تعلم أجيالكم أنِّي في الأكواخ أسكنت بني إسرائيل حين أخرجتهم من أرض مصر أنا الرب إلهكم**»[١].

الشهر السابع هو تشرين الأول/أكتوبر (تشري)، وسبب اختياره هو كونه الشهر الأول بعد فصل الصيف حيث يكون المزارعون قد جمعوا غلالهم لذلك. قال الدكتور حسن ظاظا: «**والأصل في هذا العيد أنه عيد زراعي، كان يُحتفل فيه بتخزين المحصولات الزراعية الغذائية للسَّنة كلها في هذا الفصل وهو فصل الخريف. فكانوا يكدسون مؤونتهم من التمر والتين الجاف والزيتون والزبيب والنبيذ، ولذلك يسمونه أيضاً بالعبرية: حج ها أسيف؛ أي عيد التخزين**»[٢].

ارتبط العيد بذكرى التيه في الصحراء بعد الخروج من مصر مع موسى عليه السلام حيث أقاموا في الخيم والأكواخ، ولهذا درجوا على إقامة الخيم والأكواخ أو الظلل في هذا العيد ليقيموا فيها مدة أيام العيد كي يستعيدوا ذكرى عذابات من خرجوا من مصر، وحين لا تساعدهم الظروف في المدن الكبيرة على نصب الأكواخ في الساحات، فإنهم يقيمونها داخل البيوت ويجلسون فيها لتناول موائد العيد، وقد يباتون ليلتهم داخلها، وكانوا يمارسون، في هذا العيد، أدعية استسقاء يطلبون فيها المطر حال انحباسه.

٧ ـ **عيد بوريم أو فوريم أو عيد المساخر**: أقرَّ القائمون بأمر اليهودية هذا

---

(١) سفر الأحبار (اللاويين) الإصحاح ٢٣، الفقرات من ٣٩ ـ ٤٣.

(٢) ظاظا، د. حسن، م.س، ص٢٠٣.

العيد في وقت متأخر نسبياً لأنه ارتبط بمحطة تاريخية عندهم حصلت في القرن الخامس قبل الميلاد، والمناسبة هي أن هامان، وزير ملك الفرس أحشويروش، كان قد اتخذ قراراً بضرب يهود وتشريدهم، وبعد قرعة (بور) كان القرار بتنفيذ ذلك يوم ١٣ آذار. وكما هو معلوم أن الحاخام مردخاي تدخل من خلال ابنة شقيقه اليتيمة التي رباها، وكانت جملة، حيث قدَّمت نفسها للملك مقابل تعطيل قرار وزيره هامان، فكان لها ذلك، ولم يكتفِ أحشويروش بتعطيل قرار وزيره بل أعدمه إرضاء لأستير.

تبدأ طقوس هذا العيد بصوم يوم ١٣ آذار يسمى: صيام أستير، يليه يوم البوريم؛ وهو يوم ١٤ آذار، وفي يوم ١٥ آذار يكون يوم المساخر؛ فيقومون بتصرفات ماجنة كالسكر والعربدة، ومعها وضع أقنعة على وجوههم تنكراً وإخفاءً لحقيقة الشخص، هذا مع المبالغة في الأكل والإنفاق، لذلك سمى العرب قديماً عيد يهود هذا عيد المساخر.

حكاية عيد الفوريم وردت في سفر أستير من العهد القديم في النص التالي: «**وكتب مردكاي هذه الأحداث وبعث برسائل إلى جميع يهود الذين في جميع أقاليم الملك أحشيروش من قريب وبعيد. فسنَّ عليهم أن يعيِّدوا في اليوم الرابع عشر من شهر آذار واليوم الخامس عشر منه في كل سنة... فاتخذ يهود ما ابتدأوا بإجرائه وما كتب به إليهم مردكاي سنَّة لهم، لأن هامان بن همدانا الأجاجيّ، مضطهد جميع يهود، قد دبَّر على يهود ليهلكهم وألقى فوراً أي قرعة لينفيهم ويبيدهم. ولما بلغ ذلك إلى مسامع الملك أمر برسالة أن يرتد على رأسه تدبيره الخبيث الذي دبَّره على يهود وأن يُعلَّق هو وبنوه على الخشبة. لذلك دعوا هذين اليومين فوريم أخذاً من كلمة فور**»[١].

إن سفر أستير وواقعة نجاة يهود من قرار الوزير هامان بالطريقة التي جرت بها تبيِّن كيف أنهم لا يتورعون عن استخدام وسائل هابطة، والهم عندهم تحقيق أهدافهم. فأستير يدفعها عمها مردكاي إلى أحشويروش (أرتحشتا) الملك الفارسي، ويكون هذا الفعل ثمناً لتعطيل قرار هامان، وبعد ذلك يباهون بهذا الفعل الشنيع فيسطرون سفراً في العهد القديم يعرض وقائع

(١) سفر أستير، الإصحاح ٩، الفقرة ٢٠ وما بعدها.

وماجريات الأمور، ويثبتون المناسبة عيداً سنوياً يقفون فيه مع أستير، ويصومون يوماً لأجلها، وبعد ذلك يظهرون الابتهاج بالمناسبة لكن بطريقة وإجراءات وشعائر غير أخلاقية ولا رصينة.

٨ ـ **عيد الأنوار «حانوكة»**: ترتبط مناسبة العيد بالاستعمار اليوناني على فلسطين وقسم كبير من المشرق العربي، وكان اليونانيون وثنيين، ولذلك عملوا، في القرن الثاني قبل الميلاد، على دعوة يهود كي يتركوا ما يؤمنون به، ويتبعوا ما عليه اليونان، وكان أن استولى اليونان على معبد يهود ووضعوا فيه أصنامهم، وحوَّلوا وجهة العبادة فيه، وكان الحاكم اليوناني أنطيوخس الرابع أبيفانيوس.

قاوم يهود ذلك بدءاً من العام ١٦٥ق.م، وقد قاد المقاومة الحاخام متاتيا يساعده ابنه يهوذا المكابي، واستطاعوا استعادة معبدهم وأخرجوا التماثيل والأصنام منه، وقد جرى ذلك يوم ٢٥ كسلو (ديسمبر/كانون الأول)، وأعيد افتتاح المعبد لمن يريد أداء الطقوس والعبادات اليهودية لذلك سمّوا هذا العيد: عيد التدشين.

حانوكة يوافق تاريخياً بعد المسيحية عيد الميلاد، كما توافقت عليه المجامع المسيحية. وهذا العيد عند يهود يحمل دلالات سياسية تؤسس مع مثيلاتها إلى تنمية الروح العنصرية الصهيونية التي تدعو إلى عدم اندماج يهود بسواهم، وتقوم ممارساتهم بتأثير على استخدام القوة والقسوة. وهذا العيد يعدُّ تخليداً لذكرى انتصار المكَّابيين.

وقد يسمى العيد: عيد التجديد أو عيد التدشين، وقد جاء الكلام عنه في سفر المكابيين الأول من العهد القديم: «**وبكَّروا في اليوم الخامس والعشرين من الشهر التاسع وهو كِسْلو في السنة المئة والثامنة والأربعين [ق.م]، وقدَّموا ذبيحة بحسب الشريعة على مذبح المحرقات الجديد الذي صنعوه. وفي مثل الوقت واليوم الذي فيه دنَّسته الأمم في ذلك اليوم دُشِّن بالأناشيد والعيدان والكِنّارات والصنوج.**

فجثا كل الشعب وسجد وبارك السماء التي وفقته. وأتموا تدشين المذبح في ثمانية أيام وقدَّموا المحرَّقات بفرح وذبحوا ذبيحة السلامة والحمد. وزيَّنوا واجهة الهيكل بأكاليل من الذهب وبشارات، وجددوا المداخل والغرف

وجعلوا لها أبواباً. ورسم يهوذا وإخوته وجماعة إسرائيل كلها أن يعيَّد لتدشين المذبح في وقته سنة فسنة مدة ثمانية أيام من اليوم الخامس والعشرين من شهر كِسْلو بسرور وابتهاج»[1].

هذا العيد الذي أقرَّه يهود في وقت متأخر جداً عن موسى عليه السلام يقارب ١٣ قرناً، مما يؤكد تلاعبهم بالشريعة والمواسم والأعياد، وأنهم يتعاملون مع نصوصهم وعباداتهم وفق ما تهوى أنفسهم. «قاموس الكتاب المقدس» ورد فيه حول هذا العيد: «**أحد الأعياد اليهودية السنوية، أنشأ الاحتفال به يهوذا المكّابي سنة ١٦٥ق.م. تذكاراً لتطهير الهيكل وتجديده. وبعد ثلاث سنوات دنَّسه اليونانيون بأمر أنطيوخوس أبيفانيوس سنة ١٦٣ق.م. ويسمى هذا العيد أيضاً عيد الأنوار... وكان الاحتفال بهذا العيد يشبه الاحتفال بعيد المظالّ ويدوم ثلاثة أيام ابتداءً من ٢٥ كانون الأول (ديسمبر)... وما زال يهود يحتفلون به للآن»**[2].

إن استمرار حضور هذا العيد عندهم يستدعيه طابعه السياسي والقتالي، وأنهم استطاعوا الانتصار وتطهير بيت عبادتهم، وهذا الأمر حاجة سياسية ـ نفسية يحتاجونها لشحذ همم الصهاينة لمقاتلة الآخرين تحت ستار تحرير هياكل ومعابد مزعومة.

٩ ـ **عيد الأسابيع «شفوعوت»**: ويسمى ـ أيضاً ـ عيد الحصاد، وحسب التقويم العبري موعده آخر أيار/مايو، أو أوائل يونيو/حزيران، وعندهم يوم السادس من سيوان، وهو إحياءً ليوم نزول الناموس أو ألواح الشريعة والوصايا على موسى في سيناء.

طقوس عيد الأسابيع منها تقديم الذبائح والقرابين وترك بعض الحبوب والسنابل عند الحصاد ليلتقطها الفقراء والمساكين، ويستفيدوا منها، مع قرابين كفارات عن الآثام. وقد جاءت أعمال هذا العيد في «العهد القديم»، وهي: **«واحسبوا لكم من غدِ السبت، من يوم إتيانكم بحُزمةِ التحريك سبعة أسابيع تامة. إلى غد السبت السابع تحسبون خمسين يوماً ثم تقربون تقدمة جديدة**

(١) سفر المكابيين الأول، الإصحاح ٤، الفقرات ٥٢ ـ ٥٩.

(٢) **قاموس الكتاب المقدس**، م.س، ص٢٥١.

للرب. تأتون من مساكنكم بخبز للتحريك برغيفين يكون عُشري سيمذ ويُخبزان خميراً باكورة للرب. وقرِّبوا مع الخبز سبعة حملان تامة حولية وعجلاً من البقر وكبشاً تكون محرقة للرب مع تقدمتها وسكيبها ذبيحة بالنار رائحة رضى للرب. واذبحوا تيساً من المعز ذبيحة خطيئة وحملين حوليين ذبيحة سلاميّة فيحركها الكاهن مع خبز البواكير تحريكاً أمام الرب مع الحملين هي قدس للرب وتكون للكاهن.

وتدعون في ذلك اليوم عينه إلى محفل يكون لكم مقدساً، فلا تعملوا فيه عمل خدمة فريضة أبدية في جميع مساكنكم مدى أجيالكم.

وإذا حصدتم حصيد أرضكم فلا تذهب في الحصاد إلى أطراف حقلك ولقاط حصيدك لا تلقط بل اترك ذلك للمسكين والنزيل أنا الرب إلهكم»[١].

هذا العيد بعد التقدمات من الذبائح يقومون فيه بإغلاق بيوت الغلال بعد تخزين الحبوب فيها، ويحتفلون فيه بالتوراة حيث يقرأون نصوصاً منها، ويقيمون زفة لها داخل المعابد كما زفة العروس ابتهاجاً بميعاد نزولها، وقد يسمونه: حج هتوراه؛ أي عيد التوراة.

١٠ ـ **سنة اليوبيل**: يوبيل كلمة عبرية معناها قرن، ويشيرون بها إلى قرن الخروف «الشوفا» أو البوق الذي ينفخون به في هذه المناسبة؛ عيد اليوبيل. وعيد اليوبيل يكون في السنة الخمسين بعد سبع مرات سبع سنوات أي ٤٩ عاماً والخمسين تكون سنة اليوبيل، وذلك انطلاقاً من المكانة التي يحتلها الرقم «٧» في طقوس يهود ومناسباتهم.

واليوبيل بات بفعل الاختراق الثقافي اليهودي في أوروبا وأمريكا مناسبة معتمدة، وتصنف اليوبيل الفضي بعد ٢٥ سنة، واليوبيل الذهبي بعد ٥٠ سنة، واليوبيل الماسي بعد ٧٥ سنة، كل ذلك منطلقه طقس سنة اليوبيل اليهودية. وقد ورد أمر تقديس سنة اليوبيل وأنها سنة راحة في النص التالي من العهد القديم: «**واحسب لك سبعة أسابيع من السنين أي سبع مرات سبع سنين، فتكون لك أيام أسابيع السنين السبعة تسعاً وأربعين سنة. وانفخ في بوق الهتاف في اليوم العاشر من الشهر السابع في يوم التكفير تنفخون في البوق في**

(١) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح ٢٣، الفقرة ١٥ وما بعدها.

أرضكم كلها. وقدِّسوا سنة الخمسين ونادوا بإعتاقٍ في الأرض لجميع أهلها فتكون لكم يوبيلاً فترجعوا كل واحد إلى ملكه وتعودوا كلٌّ واحد إلى عشيرته. سنة الخمسين تكون لكم يوبيلاً فلا تزرعوا فيها ولا تحصدوا خِلْفة زرعكم ولا تقطفوا ثمر كرمكم غير المقضوب. إنها يوبيل فتكون لكم مقدسة ومن غلال الحقول تأكلون»[١].

مسألة الراحة والتوقف عن العمل أساسية في كل أعياد يهود، كما أن معظم أعيادهم ترتبط بتقديم الذبائح وبالحصاد أو جمع الغلال وجني الثمار، ويكون معها دق النفير والنفخ بالبوق (الشوفار)، فالتشابه كبير بين طقوس يهود في مناسباتهم وأعيادهم، لكن واجب أتباع الديانات والرسالات السماوية أن يراجعوا مناسباتهم لينزهوها عن كل أثر يهودي، ومن ذلك الاحتفال باليوبيل الواجب إلغاؤه.

١١ ـ **المحرقة أو الهلوكوست**: نال يهود حقوقهم في النمسا عام ١٨٦٧، وفي بروسيا سنة ١٨٧١ بقرار من بسمارك عندما وحَّد ألمانيا، ولكنهم لم يلبثوا طويلاً حتى اصطدموا بالقادة الألمان ـ خاصة هتلر ـ وعملوا مع دول الحلف متآمرين على هتلر مما دفعه إلى وضع قسم منهم في السجون، وبشكل خاص في سجن أوشفيتز (مدينة بولونية)، وزعموا أنهم تعرضوا للإحراق بأفران الغاز، وقد أطلقوا على هذه الواقعة اسم: الهلوكوست أو المحرقة، وزعموا أن ملايين منهم قد ذهبوا ضحية المحرقة، وأن عدد الضحايا هو ٤ ملايين، أو ٦ ملايين، ولكن الواقع وعدد يهود في ألمانيا والنمسا، في ذلك التاريخ سنة ١٩٤٠م، لا يؤشر إلى وجود مثل هذا العدد من السكان من يهود، فمن أين سيكون هذا العدد من الضحايا، وقد كتب محققون، وباحثون كثر مبينين هذه الخرافة، إلا أن يهود صدقوا خرافتهم فحولوها عيداً سنوياً، وأقاموا لها التماثيل والنصب التذكارية، وابتزوا ألمانيا ولا يزالون تحت شعار التعويض، وآخر ذلك ما فعلته المستشارة الألمانية «ميركل»، أواخر صيف ٢٠٠٦م حين أتت القوات الدولية (يونيفيل) إلى لبنان بعد الحرب اللبنانية الإسرائيلية التي هُزم فيها العدو الإسرائيلي، حيث أعلنت بأن ألمانيا اشتركت في عداد قوات يونفيل من أجل حماية إسرائيل تعويضاً عن الهلوكوست.

---

(١) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح ٢٥، الفقرة ٨ وما بعدها.

Holocaust هلوكوست، مصطلح اخترعه الصهاينة ليكون حائط مبكى لهم، وقد دلَّلت الوثائق والدراسات أن عدداً من قاعدة الصهيونية اشتغلوا عملاء للمخابرات الألمانية في أربعينيات القرن العشرين وصولاً إلى المحرقة المزعومة عام ١٩٤٢م في غرف الغاز، كي يدفعوا بيهود أوروبا إلى فلسطين المحتلة. «وقد كان مسؤولون في (S.S)، وهي فرقة جهاز غستابو، مثل أدولف آيخمان وكورت بيخر وسواهما، على صلة بعملاء لهم من المنظمة الصهيونية، مثل فايغل بولكس وآخرين، أصبحوا مسؤولين في الكيان المغتصب، مثل موشي شاريت، وداڤيد بن غوريون، وإسحق شامير.. إلخ.

قال الصهيوني تيزشاك غيرينباوم في لقاء عام ١٩٤٣: «عندما يُطرح علينا مخططان ـ أحدهما إنقاذ جموع يهود في أوروبا، والآخر استعادة الأرض ـ فإني أصوت بدون تردد، لصالح استرداد الأرض»[١].

ويقول مؤرخ يهودي معاصر، هو نورمان فنكلستين: «الواقع أن ميدان دراسات الهولوكست يسطع بالهراء، إن لم يكن بالاحتيال البحت، وما يكشف بشكل خاص هذه المسألة هو الوسط الثقافي الذي يرعى أدبيات الهولوكوست هذه»[٢].

ولا يخفى على المتابع حجم المعاناة التي يتعرض لها كل من يحاول فضح مزاعم المحرقة. لقد كان من ضحايا ذلك المفكر الفرنسي روجيه غارودي حين نشر كتابه: «الأساطير المؤسسة للسياسة الصهيونية»، والذي فضح فيه مجموعة أساطير وخرافات ركَّبها الذهن والخيال اليهودي منها أسطورة الهولوكوست، ومن ضحاياهم كذلك المؤرخ البريطاني داڤيد إيرفينج (عام ١٩٩٢) الذي تعرَّض للاضطهاد لأنه شكك في حقيقة المحرقة وأفران الغاز في أوشيفيتز عام ١٩٤٢.

أما الكاتب النمساوي جيرو هونسيك فقد حُكم عليه بالسجن ١٨ شهراً لأنه

---

(١) المنظمة البريطانية المناهضة للصهيونية، **التعاون النازي الصهيوني**، بيروت، مؤسسة دار الكتاب الحديث، ومؤسسة المنابر للصحافة والطباعة، بدون تاريخ، ص٨٠.

(٢) فنكلستين، د. نورمان، **صناعة الهولوكوست**، ترجمة د. سماح إدريس، وأيمن حداد، بيروت، دار الآداب، ط١، سنة ٢٠٠١م، ص٦٢.

كتب عدة مقالات في مجلة Hult يفنِّد ويدحض فيها مزاعم الهولوكوست.

وكانت الفضيحة العلمية الأكبر التي تبيِّن خضوع السياسة والقضاء في معظم أوروبا للصهيونية التي ترفع سلاحاً مزعوماً هو: العداء للسامية أو اللاسامية، والفضيحة هي: سحب درجة الدكتوراه من الفرنسي هنري روك عام ١٩٧٧ حين تقدّم بأطروحته لجامعة نانت والتي فنَّد فيها، لا بل نفى وجود غرف الغاز التي عُذِّب فيها يهود في معتقل أوشيفيتز. وقرار سحب الدرجة وإلغاء مناقشة الأطروحة صدر من وزير التعليم العالي الفرنسي يومها آلان ديغاكيه، كما أُوقِف عن التدريس الأستاذ المشرف على الأطروحة بريغيير، وتبع ذلك حكم قضائي يدين المؤرخ روك ويفرض غرامات مالية عليه وعلى صحف نشرت له بعض المقالات حول الموضوع ذاته.

تأسيساً على ما تقدم، نسأل: كم من حالات إبادة حقيقية حصلت في التاريخ؟ لقد أباد المهاجرون الأنكلوساكسون ملايين الهنود الحمر في أمريكا، وقتلوا أو استرقوا ملايين الأفارقة، وأبادت واشنطن مدينتين يابانيتين (ناكازاكي وهيروشيما) عام ١٩٤٥، وأباد الصهاينة ولا يزالون مئات ألوف الفلسطينيين والعرب، وأباد الأميركي ملايين الڤيتناميين، والمحتل الفرنسي أباد من ١٩٥٤ إلى ١٩٦١ أكثر من مليون ونصف المليون مواطن جزائري، وأباد الأميركي من عام ٢٠٠٣ إلى عام ٢٠٠٧ أكثر من مليون عراقي، وحروب أوروبا ذهب ضحيتها عشرات الملايين، كل ذلك لا يرى فيه المنحازون للصهيونية في أوروبا وأميركا مشكلة، ويرفعون سيف أسطورة الهولوكوست في كل مناسبة. وقد كان آخر ضحايا الخرافة الهولوكوستية الحاخام النمساوي موشي فريدمان في العاصمة ڤيينا أواخر العام ٢٠٠٦، والذي اعترض على الجرائم الإسرائيلية ضد الفلسطينيين ولبنان صيف ٢٠٠٦، والذي رفض مزاعم الهولوكوست فكان الأمر بعزله وطرد أولاده الطلاب من مدرسة يهودية في ڤيينا، وتهديد كل من يتعاطى معه في أي نشاط.

هكذا يوظف الصهيوني الديني للسياسي، ويسخر المواسم والمناسبات لفكره الاستعماري العنصري علماً أنه يختلق المناسبات، كما هي حال الهولوكوست.

١٢ ـ **الاستقلال**: هو عيد سياسي ألبسوه طابعاً دينياً، ومناسبته كانت عام

١٩٤٨، يوم اغتصاب فلسطين، وإقامة دولة العدو الإسرائيلي بوصفها مشروعاً استعمارياً استيطانياً إحلالياً. إعلان وثيقة قيام دولة العدو الإسرائيلي كانت يوم الجمعة في ١٤/٥/١٩٤٨ الموافق فيه عندهم ٥ أيار/مايو من العام ٥٧٠٨ حسب التقويم العبري، وقد وقَّع هذه الوثيقة أعضاء الكنيست (البرلمان) يومها وهم ٣٧ عضواً برئاسة داڤيد بن غوريون، منذ ذلك التاريخ اعتمد يهود هذه المناسبة عيداً أضيف إلى أعيادهم.

الفصـل الرابـع

أحكام وطقوس يهودية

هناك أحكام وطقوس في الفقه اليهودي تختص بيهود، ومنها ما هو مشترك مع آخرين، يأتي بين ذلك الأمور التالية:

١ ـ الختان: «بريت ميلاه» أو عهد الختان

يتم ختان المولود الذكر في اليوم الثامن من ولادته إذا كان وضعه الصحي يسمح بذلك. والختان حسب مفهومهم ـ عهد عضوي بيولوجي مع الخالق، وقد بدأ تنفيذه مع إبراهيم عليه السلام.

كان الختان معروفاً ومعمولاً به عند قدامى المصريين وسكان وادي النيل وعند شعوب أخرى، إلا أنه عند يهود فرضٌ ديني، لذلك قالوا بأنهم أهل الختان بينما غيرهم أهل غرلة. فالختان قطع لحم الغرلة (القلفة) للذكر، قام به إبراهيم عليه السلام وهو ابن تسع وتسعين سنة. مع اليهودية أصبح الختان تكريساً للبدن من أجل الخالق. وفي سفر الأحبار (اللاويين): «**وفي اليوم الثامن تُختن قُلفة المولود**»[١].

لقد تشدد يهود بشأن الختان، وكانوا يمنعون غير المختونين من أن يأكلوا من الفصح. وفرضوا الختان على كل من أراد الانتماء لليهودية أو الزواج من يهودية، وفي سفر التكوين عندما طلب حمور لابنه شكيم فتاة من بني يعقوب قالوا له «**لا نستطيع أن نفعل هذا أن نعطي أختنا لرجل أقلف، لأنه عار عندنا. ولا نوافقكم على ذلك إلا إذا صرتم مثلنا بأن يختن كل ذكر منكم**»[٢].

---

(١) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح ١٢، الفقرة ٣.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح ٣٤، الفقرتان ١٤، ١٥.

إن الختان حكم متبع عندهم إلى يومنا هذا. «ولا يزال يهود المعاصرون يمارسون هذه السُّنّة بكامل طقوسها، فيأتون بالولد إلى المجمع فيأخذه رجل يدعى: سيد العهد، ثمَّ يأتي الخاتن ويجري عملية الختان مع بعض الطقوس والمراسيم»[١].

بعد اليهودية جاءت المسيحية، واستبدلت التكريس بالختان بطقس التعميد الذي كان يتم بعد البلوغ، ولكن المعتمد حالياً هو التعميد في الصغر في سن الطفولة ويكون بعد البلوغ سرُّ التثبيت.

لكن الفقه الإسلامي جاء الحكم فيه بالختان من دون التزام إتمام ذلك في اليوم الثامن، كما الحال في اليهودية. والختان في الإسلام «فرض على الرجال، لأن فيه إزالة للقلفة التي تغطي جزءاً يجب غسله في الطهارة، فقد قال عليه الصلاة والسلام لرجل أسلم: (أَلْقِ عنك شعر الكفر واختتن)[٢].. يبدأ وقت الختان من وقت إطاقة الصبي له إلى حين البلوغ، حيث تُفترض عليه الطهارة والصلاة.. من بلغ لم يختتن يعتبر فاسقاً، لتركه ما افترضه الله عليه، ويترتب عليه من الأحكام ما يترب على الفاسق»[٣].

وقد ذهب الراغب الأصفهاني إلى تصنيف القلفة أو الغرلة من النجاسات التي يولد الإنسان بها، والتي تجب إزالتها تحقيقاً للطهارة، فقال: «**كما أن في بدن الإنسان عوارض وأموراً موجودة عند الولادة، أو توجد حالاً فحالاً بحكمة تقتضي ذلك، وهي تعدُّ نجاسات لا بدَّ من إماطتها كلها، أو إماطة فصولاتها، وذلك كالسلى والسّرة والقلفة والعقيقة الموجودة في الصبي عند الولادة**»[٤]. (السلى: جلدة يكون الجنين ضمنها في بطن أمه. السُّرة: التجويف الصغير في وسط البطن. القُلْفة: جلدة عضو التناسل عند الذكر التي تقطع بالختان. العقيقة: شعر المولود الذي يُحلق أول مرة. وانتقل الاسم إلى

---

(١) **قاموس الكتاب المقدس**، م.س، ص٣٣٨.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن في كتاب الطهارة.

(٣) قلعه جي، د. محمد رواس، **الموسوعة الفقهية الميسرة**، م١، بيروت، دار النفائس، ط١، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٧٩٧.

(٤) الراغب الأصفهاني، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، تقديم وضبط د. أسعد السحمراني، بيروت، دار النفائس، ط١، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٤٦.

الذبيحة التي تذبح للمولود بعد اليوم السابع من ولادته، ويترافق مع الذبح عادة حلق شعر المولود لأول مرة).

الختان إذن فرض في الإسلام كما هو في اليهودية.

٢ ـ اللحوم والأطعمة

إن مسألة اللحوم، وما هو حلال أو حرام منها، لها موقع خاص في الشريعة اليهودية، وهذه سبب مشكلات لهم حيث يقيمون مع أتباع ديانات وعقائد أخرى، ويعرف من يسكن معهم في مدينة أو موقع جغرافي واحد لفظة: كشير؛ أي اللحم الحلال. وقد ورد في سفر اللاويين (الأحبار) أحكام تخص الذبائح واللحوم عندهم، سواء أكانت حيوانات أم طيوراً أم مائيات أم حشرات.

جاء بشأن الطاهر والنجس من اللحوم ما يلي: «**وكلَّم الرب موسى وهارون وقال لهما: خاطبا بني إسرائيل وقولا لهم: هذه هي الحيوانات التي تأكلونها من جميع البهائم التي على الأرض: كل ذي حافر مشقوق إلى ظفرين وهو يجتر من البهائم فإياه تأكلون. وأما هذه، وهي من المجترات أو من ذوات الحوافر المشقوقة، فلا تأكلونها: الجمل فإنه يجتر ولكنه غير مشقوق الحافر فهو نجس لكم.. والأرنب فإنها تجتر ولكنها غير مشقوقة الحافر فهي نجسة لكم....**

وهذا ما تأكلونه من كل ما في الماء: كل ما له زعانف وحراشف مما في الماء أي في البحار والأنهار فإياه تأكلون. وكل ما ليست له زعانف وحراشف مما في البحار والأنهار من كل ما تعج به المياه وجميع الحيوانات التي فيها فهو قبيحة لكم....

وهذا ما تستقبحونه من الطيور ولا تأكلونه لأنه قبيحة: العُقاب وكاسر العظام والصقر والحِدأة الحمراء والحِدأة السوداء بأصنافها، وجميع الغِربان بأصنافها والنعامة والخَبَل وزُمّج الماء والباشق بأصنافه والبومة والغاقة والبومة الصمعاء وأبو المنجل والبجعة والرخمة واللقلق ومالك الحزين بأصنافه والهدهد والخفاش.

وجميع الحشرات المجنَّحة السالكة على أربع فهي قبيحة لكم.. تأكلون

فقط: ما له قائمتان أعلى من رجليه يثب بهما على الأرض. هذا ما تأكلونه منها: الجراد بأصنافه والدّبى بأصنافه والحراجون بأصنافه والجندب بإصنافه»[(١)].

إن اللحوم الحلال هي تلك التي تذبح من نحرها بطريقة إنسانية كما الحال عند المسلمين، والحيوانات المحلل لحومها هي البقر والغنم والماعز والغزال والظبي، وأما الجمل والأرنب فهي محرمة لأنها غير مشقوقة الظلف أو الخف، وكذلك الأمر في الحصان.

والمائيات يحل منها ما له زعانف وحراشف وبذلك يكون كل مائي أملس وله حراشف محرماً، وكذلك ما يكون في الصدف، وهنا يدخل في المحرم الحنكليس وأنواع ملساء من السمك والقريدس أو الجمبري أو الروبيان وما يشاكلها.

والطيور يحل منها الدجاج والأوز والبط وما يشاكلها من الطيور كالعصافير آكلة العشب. «ويشترط في الحيوانات والطيور الأليفة التي تذبح للأكل أن تكون سليمة من العطب ومن الجروح والكسور والأمراض، وأن تذبح من منحرها بالطريقة الشرعية بعد تلاوة بركة تتضمن اسم الله بشكل يقارب القواعد الإسلامية»[(٢)].

المعلوم أن يهود يحرمون أكل اللحوم مع اللبن أو مشتقاته كالجبن، وكذلك يحرمون طبخ اللحوم بالسمن المأخوذ من اللبن والحليب، علماً أن نصاً ورد في سفر التكوين يفيد خلاف ذلك: **«وبادر إبراهيم إلى البقر فأخذ عجلاً رخصاً طيِّباً وسلَّمه إلى الخادم فأسرع في إعداده. ثمَّ أخذ لبناً وحليباً والعجل الذي أعدَّه وجعل ذلك بين أيديهم وهو واقف بالقرب منهم تحت الشجرة فأكلوه»**[(٣)].

ويصل بهم الأمر إلى حد تحريم وضع اللحوم في صحون وأوعية كانوا قد وضعوا فيها حليباً أو لبناً أو جبناً وما يشتق منها، وكذلك يحرمون قطع اللحوم بسكين عليها آثار من الزبدة أو الأجبان ومشتقاتها.

---

(١) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح ١١، الفقرات ١ ـ ٢٢.
(٢) ظاظا، د. حسن، م.س، ص٢٣٨.
(٣) سفر التكوين، الإصحاح ١٨، الفقرتان ٧ و٨.

وعندهم تشريعات بالنسبة للثروة الحيوانية تقضي بأن يقدّموا البكر منها قرباناً إن كانت خالية من العيوب، وبالنسبة لثمار الشجر فالواجب أن يتصدقوا بها في السنوات الثلاث الأولى من الإنتاج، وبعد ذلك يستفيد صاحبها من الإنتاج.

تلتقي الشريعة اليهودية مع الشريعة الإسلامية بتحريم لحم الخنزير وكل ذي ناب من السباع، وكواسر الطير التي تأكل لحوماً، وفي طريقة نحر وتذكية الحيوانات والطيور، وفي تحريم شرب أو تناول الدم الذي يكون عند الذبح، ولكن هناك اختلافات كثيرة منها أكل شحوم الحيوان فهي حلال في الإسلام محرمة في اليهودية، ولحم الجمل والحصان محلل عند المسلمين حرام عندهم، وهناك اختلاف كذلك في أمر المائيات.

إن ما يتعلق بالأطعمة فيه اختلاف بين المذاهب اليهودية، وتختلف حالات الالتزام بها بين المتدينين والأقل تديناً أو العلمانيين.

٣ ـ الرِّبا

المال الذي يؤخذ مقابل مال مُقترض، يسمى الفائدة. والشريعة اليهودية تحرم أن يأخذ يهودي من يهودي آخر ربا مقابل مال أقرضه له. جاء في سفر الخروج: «**إذا أقرضت فضة لأحد من شعبي لفقير عندك فلا تكن له كالمرابي ولا تفرضوا عليه ربا**»[1]. وجاء في سفر اللاويين (الأحبار): «**وإذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فاسنده وليعش معك كنزيل وضيف. لا تأخذ منه فائدة ولا ربا بل اتقِ إلهك فيعيش أخوك معك**»[2].

والشريعة اليهودية التي حرَّمت الربا بين يهودي وآخر أباحت لهم أخذ الربا من غير اليهودي، وليس ذلك مستغرباً انطلاقاً من فلسفتهم العنصرية القائمة على قاعدة فكرة الشعب المختار الذي ينطبق عليه ما لا ينطبق على غيره من الأمم والشعوب، وما كان بشأن الربا ـ وهو موضوع الحديث ـ يطبقونه في أمور أخرى.

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٢٢، الفقرة ٢٤.
(٢) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح ٢٥، الفقرتان ٣٥، ٣٦.

لقد أباحت الشريعة اليهودية ـ كما صاغوها ـ في العهد القديم لهم أخذ الربا من الغرباء أو الأغيار (غوييم). النص في سفر تثنية الاشتراع جاء فيه: **«لا تقرض أخاك بفائدة في فضة أو طعام أو شيءٍ آخر مما يُقرض بالفائدة بل تقرض الغريب بالفائدة، وأما أخوك فلا تقرضه بالفائدة»**[١].

إن إباحة الربا بهذه الطريقة كان وراء اشتغال يهود بالصيرفة تاريخياً للتحايل في الكسب من خلال الفائدة والربا، والمعلوم أن المرابي اليهودي الألماني الأصل روتشيلد كان مع أبنائه وراء إقامة البنوك الربوية التي باتت في أساس النظام العالمي، رغم أن المسيحية تحرم الربا في الأصل كما الحال في الشريعة الإسلامية. والتلاعب اليهودي بالتشريعات والأحكام كانت وراء تعديلات قانونية عندهم بشأن الربا، والأحكام الحديثة عندهم «تقيِّد تحريم الربا بما يعطيه يهودي من قرض لأخيه اليهودي ليواجه به ضرورات ملحة لا قِبل له باحتمالها. أما إذا اقترض اليهودي نقوداً من يهودي آخر بقصد الاستثمار، أو التوسع في التجارة، أو تنفيذ بعض المشروعات التي تدُّر ريعاً، فإن الذي يقرضه المال يمكنه أن يفرض عليه نصيباً في الأرباح يُتفق عليه»[٢]. ولا يخفى على أحد في أيامنا هذه الدور اليهودي وراء المؤسسات الربوية أو وراء الكثير من الألاعيب المالية، ويصل الأمر إلى حد تكوين عصابات لا تلتزم شريعة ولا قوانين أو قيماً أخلاقية، وقسم كبير من هذه العصابات يهودية.

أمشيل ماير وزوجته غوتا شنابير كانا في فرانكفورت بألمانيا وعندهما محل تجاري عليه علامة هي درع أحمر Rothschild ومنها الاسم: روتشيلد الأول، وقد وزع أولاده الخمسة في: ألمانيا والنمسا وبريطانيا وإيطاليا وفرنسا ليطلق حركة تأسيس البنوك الربوية[٣].

---

(١) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ٢٣، الفقرتان ٢٠، ٢١.

(٢) ظاظا، د. حسن، م.س، ص٢٣٧.

(٣) للتفصيل يراجع: سبيريدوفيتش، شيريب، **حكومة العالم الخفية**، ترجمة مأمون سعيد، تحرير وتقديم أحمد راتب عرموش، بيروت، دار النفائس، ط١٤، سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٤ ـ الأُسرة وأحكامها

إن الأُسرة هي الخلية المركزية في المجتمع لذلك أولتها كل الشرائع، سماوية كانت أم من صياغة بشرية، اهتماماً، وشمل الاهتمام عدة جوانب تتعلق بالمرأة والزواج والإنجاب والطلاق والبلوغ والميراث.. إلخ، ويتناول البحث من أحكام الأسرة في اليهودية ما يلي:

أ ـ المرأة: تصنف الشريعة اليهودية المرأة اجتماعياً والأنثى عموماً في مرتبة دونية، وتلحق بها سبب كل غواية، بدءاً من آدم وحواء، وأبرز موقع يبين ذلك نص يردِّده يهود في الصلاة حيث يقول الرجل: «مبارك أنت يا ربّ لأنك لم تجعلني لا وثنياً ولا امرأة لا جاهلاً». والمرأة تقول في صلاتها: «مبارك أنت يا ربّ الذي خلقتني بحسب مشيئتك».

آدم كان أولاً، وطلب من الخالق تعالى عوناً له فكانت مشيئة الله تعالى بخلق المرأة حواء، إنما خلقها كان حسب المفهوم التالي: «**وأما الإنسان فلم يجد لنفسه عوناً يناسبه. فأوقع الرب الإله سُباتاً عميقاً على الإنسان فنام. فأخذ إحدى أضلاعه وسدَّ مكانها بلحم. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من الإنسان امرأة فأتى بها الإنسان. فقال الإنسان: هذه المرأة عظم من عظامي ولحم من لحمي هذه تسمّى امرأة لأنها من امرئ أُخذت**»[1].

هذه الصورة الأولى عن المرأة، التي تجعلها دون الرجل، تتبعها صورة أخرى عندما كان آدم وحواء في الجنة، وتمثَّل الشيطان لحواء على شكل حيَّة، وأوقع بها لتأكل من الشجرة التي نهاهما الرب عن الأكل منها، ففعلت ما وسوس لها به الشيطان، ومن ثمَّ أطعمت آدم، فكان وقوعها بالغواية سبباً لغوايته، وأوقعت نفسها في غضب الخالق بسبب ذلك.

جاء في سفر التكوين: «**ورأت المرأة أن الشجرة طيبة للأكل ومتعة للعيون وأن الشجرة مُنية للتعقُّل. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت أيضاً زوجها الذي معها فأكل... هل أكلت من الشجرة التي أمرتك ألّا تأكل منها؟ فقال الإنسان: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت**»[2].

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٢، الفقرة ٢٠ وما بعدها.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح ٣، الفقرة ٦ وما بعدها.

وتكمل نصوص العهد القديم متوعِّدة المرأة بأنها ستُعاقب بالحمل والوضع، وستفرض عليها الطاعة لزوجها. وفي النص عندهم: «**وقال للمرأة لأكثرن مشقات حملك بالألم تلدين البنين وإلى بعلك تنقاد أشواقك وهو يسود عليك**»[(١)].

إن الرجل والمرأة، في المفهوم الإسلامي، نوعان لجنس واحد، وباستثناء الاختلاف في التكوين ليكون منها حفظ النسل والتكامل من الأُسرة إلى المجتمع. فإن العمل والخطأ والصواب وما سواهما متوقع من كلاهما. وقد جاء النص القرآني ليبين أن الخطأ كان من آدم وحواء. قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة/ ٣٥ ـ ٣٧].

«إن الخطيئة لم تكن من حوّاء وحدها بل من آدم وحواء، والأمر بترك الأكل من الشجرة كان لهما، ووسوسة إبليس كانت لهما وليس لحوّاء وحدها، هذا ما بيَّنه النص القرآني الذي أراد الله تعالى من خلاله أن يوضِّح لنا حقيقة المسألة، وأن يعلمنا بأن آدم وحواء نوعان لجنس واحد، واختلاف نوعيهما؛ ذكراً وأنثى، لا يلغي قانون الجنس البشري فيهما المعرَّض للخطأ والمعصية»[(٢)].

ب ـ **البلوغ**: إن سن البلوغ، كما تعتمدها القوانين المعاصرة، هي ١٨ سنة وهذه السن معتمدة في قوانين الأحوال الشخصية للطوائف الكاثوليكية، وذلك في «المادة ١٦» وعند الأرثوذكس في «المادة ٥» «الفقرة ٢»، وفي الإسلام البلوغ يكون بأن يحتلم الصبي، وأن تحيض البنت، وبعدها يكون الواحد منهما مكلفاً بالفروض الدينية (الصوم ـ الصلاة ـ الحج)، ويصبح مؤهلاً للزواج ولسائر شؤون الحياة.

أما في اليهودية فإن سن البلوغ للبنت هي ١٢ سنة وتدعى: بات متسفاه.

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٣، الفقرة ١٦.

(٢) السحمراني، أسعد، **المرأة في التاريخ والشريعة**، بيروت، دار النفائس، ط٢، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٩٧.

وسنُّ البلوغ للولد الذكر هي ١٣ سنة، ويدعى: بار متسفاه. والبلوغ يكون بداية التكليف بالواجبات الدينية وهو أدنى سن الزواج عندهم، وله طقوس تكون باجتماعات كبيرة وصلاة تشترك فيها المرأة، ويعطى أمر قراءة بعض أسفار التوراة أو أسفار الأنبياء من العهد القديم للولد البالغ أو البنت البالغة اللذين يكون الاحتفال بمناسبة بلوغهما.

إن قانون الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية في لبنان الخاصة بيهود، والذين ورد اسمهم في التشريع اللبناني على أنهم «الطائفة الإسرائيلية»؛ ينص في «المادة ٤٤»: «يجوز الزواج بعد بلوغ الثلاثة عشرة سنة بالنسبة للرجل، واثنتي عشرة سنة ونصفاً بالنسبة للزوجة وبحيث أن تنبت عانتها».

لكن هذا النص غير محترم عندهم ألا وهو البلوغ، فقد ورد في قانونهم المذكور آنفاً مواد أخرى تخالف سن البلوغ المعتمدة عندهم حتى في «المادة ٤٤»، لا يعلم أحد ما مبرر إضافة نصف سنة على سن المرأة عند الزواج. فقد جاء في «المادة ٤٥»: «تعتبر البنت صغيرة إذا لم تتجاوز الإثنتي عشرة سنة ويوماً. وصبيّة من الإثنتي عشرة سنة ويوم إلى النصف من الثالثة عشرة مع الإنبات. وبالغة إذا كانت أكثر من ذلك مع الإنبات».

وجاء في «المادة ٤٣»: «السّن اللائق لزواج الرجل هو ثمانية عشرة عاماً»، بينما في «المادة ٤٦»: «يجوز زواج الصغيرة بولاية أبيها متى أراد، أو متى أرادت أمها أو أحد إخوتها إذا كانت يتيمة ورضيت». ما داموا قد اعتمدوا سناً محددة لبلوغ كل من الصبي أو البنت فلا تفسير لهذا الإرباك عندهم، حيث يرفعون السن للصبي إلى ١٨ عاماً، ويبيحون تزويج الصغيرة بولاية أبيها أو من ينوب عنه حال وفاته كالأم أو الأخ.

كما أن اعتماد البلوغ بسن معينة قد لا يتوافق معه البلوغ العضوي؛ أي الاحتلام والحيض.

جـ ـ الزواج: إن اليهودية تصنف الزواج فرضاً، وعلى كل يهودي أن يتزوج، ولا تسمح بإتمام عقد الزواج إلا إذا كان الرجل والمرأة يهوديين؛ أي أن اليهودية لا تقبل الزواج المختلط الذي يكون الزوجان من انتمائين دينيين مختلفين. وفي قانون الأحوال الشخصية اللبناني الخاص بهم ينصون صراحة على ذلك. جاء في «المادة ٣٦»: «الزواج فرض على كل إسرائيلي». وفي

«المادة ٣٧»: «الدين والمذهب شرط لصحة العقد، فإذا كان أحد الإثنين من غير الدين أو مذهب آخر فلا يجوز العقد بينهما وإلا كان باطلاً». ويؤكدون ذلك بشكل أكثر وضوحاً في «المادة ٣٨» التي جاء فيها: «مرمى المادة السابقة هو أن يكون الزوجان كلاهما إسرائيليين وأن يحصل الزواج وفق الشرع الموسوي وإلا كان لغواً».

يتبيَّن من ذلك أنهم لا يقرون الزواج المختلط، كما أنهم يستخدمون كلمة الطائفة الإسرائيلية والشريعة الموسوية بدل اليهودية، وهذا ديدنهم، حيث يعمدون إلى اللبس والإشكالات في استخدام المصطلحات.

إن نصوص العهد القديم تبيِّن أنهم كانوا يتعاملون مع تزويج الفتاة وكأنه بيع لها بعوَض. ورد في سفر التكوين: «**فأجابت راحيل وليئة وقالتا له: هل بقي لنا نصيب وميراث في بيت أبينا؟ ألسنا عنده بمنزلة غرباء وقد باعنا وأكل ثمننا؟**»[1].

وجاء في سفر راعوت من العهد القديم: «**وأما راعوت الموآبية امرأة محْلون فأنتم شهودي على أني اشتريتها أيضاً امرأة لي**»[2].

لكن في قوانين الأحكام الشخصية عندهم، ومنها القانون اللبناني، فقد فرضوا مهراً للمرأة وهو حق لها تأخذه متى شاءت من الزوج عند الزواج، أو أثناء الحياة الزوجية أو عند الموت أو الطلاق، وربما بات المهر بديلاً عن الثمن والبيع الذي كان قائماً سابقاً. لقد جاء في «المادة ١٣٧»: «عقد الزواج يعرف بالعبرية بكلمة كتوبا، **ويجب أن يشتمل على ذكر المهر** وحقوق وواجبات الزواج الشرعية وما يشترطه الزوجان على بعضهما مما لا يخالف الأصول أو الشرع».

وعقد الزواج عندهم له أركان ثلاثة، بالإضافة إلى المهر والكتابة والشروط بين الزوجين، هذه الأركان حددتها «المادة ١٠٢» التالي نصها: «أركان العقد الثلاث:

الأول: تسمية المرأة على الرجل وتقديسها عليه بقبولها بخاتم يعطيه إليها

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٣١، الفقرة ١٤.

(٢) سفر راعوت، الإصحاح ٤، الفقرة ١٠.

يداً بيد بحضرة شاهدين شرعيين قائلاً لها بالعبرية: تقدَّست لي زوجة بهذا الخاتم أو بكذا، إن كان شيئاً آخر.

الثاني: العقد شرعياً مكتوباً.

الثالث: الصلاة الدينية صلاة البركة، بحضرة عشرة رجال على الأقل».

تجدر الإشارة بأن الكثير من الطقوس اليهودية تحتاج لعدد من الرجال أقله عشرة، من ذلك الصلاة الجماعية.

واليهودية لا تمنع الزواج على الكهنة ما دام ذلك فرضاً، وفي هذه المسألة يختلف تشريعهم مع المسيحية التي تمنع الزواج لمن سيتدرج في الكهنوت، وتزهَّد في الزواج عموماً، والرهبانية من نتائج ذلك.

وأركان عقد الزواج بالإيجاب والقبول وموافقة الولي والشاهدين والمهر وحضور جماعة من الرجال للإعلان، كلها تتوافق مع أركان عقد الزواج في الإسلام.

د ـ تعدد الزوجات: إن نصوص العهد القديم تبين أن الشريعة اليهودية ترخِّص للرجل باتخاذ زوجات عديدات لأنهم شجعوا الإنجاب وبناء الأُسرة الكبيرة وقد أشار إلى ذلك معجم اللاهوت الكتابي: «إن المطلب الأمثل للخصوبة، والاهتمام بضمان أُسرة قوية، لمما يجعلان الرجل يشتهي أن يكون له أولاد كثيرون.. الأمر الذي يدعوه بصورة عادية إلى طلب تعدد الزوجات»[1].

أما ما جاء في نصوص العهد القديم فمنه: «**وصار لجدعون سبعون ابناً خرجوا من صلبه لأنه تزوج نساءً كثيرات**»[2]. وفي نص آخر بشأن معاملة الزوجة الأولى عند التعدد يقولون في سفر الخروج: «**وإن تزوج بأخرى فلا ينقصها من طعامها وكسوتها وحق مساكنتها**»[3].

ويفيد أن يكون في سياق عرض موضوع التعدد ما ذكره الدكتور حسن ظاظا الذي قال: «تعدد الزوجات جائز شرعاً عند يهود، ولم يُرَ بتحريمه نصٌّ

---

(١) **معجم اللاهوت الكتابي**، م.س، ص٤٠٣.
(٢) سفر القضاة، الإصحاح ٨، الفقرة ٣٠.
(٣) سفر الخروج، الإصحاح ٢١، الفقرة ١٠.

واحد، لا في الكتاب المقدس ولا في التلمود، وكانت العادة جارية بين يهود على اتخاذ أكثر من زوجة. وليس في الدين أيضاً حد أقصى لتعدد الزوجات، فقد كان مباحاً لليهودي أن يتخذ من النساء ما طاب له بلا قيد أو شرط. ولكن ظهر في العصور الوسطى الحاخام الفقيه المفسر جرشوم بن يهودا، المولود في مدينة مقس بإقليم اللورين بشمال شرق فرنسا سنة ٩٦٠ ميلادية، والمتوفى في مدينةماينس بألمانيا سنة ١٠٤٠ ميلادية، فأفتى بوجوب تحريم تعدد الزوجات بين يهود.

وكانت هذه الفتوى مبنية في الأساس على ما كانت تلاقيه الجاليات اليهودية في أوروبا في العصور الوسطى من احتقار واضطهاد بسبب تعدد الزوجات فيها»[١].

إن هذه الواقعة في الفتوى التي أصدرها الحاخام جرشوم بن يهودا تظهر كيف أن يهود يقبلون التلاعب بالشريعة إلى حد إصدار فتاوى تناقض النصوص إذا اقتضى ذلك وضع سياسي أو اجتماعي، وبالتالي فالحاخام جرشوم بن يهودا الذي أراد أن يواكب ما هو قائم في القوانين الأوروبية لجهة الزواج بواحدة أفتى بذلك، بينما نجد أن مواد قانون الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية للطائفة الإسرائيلية في لبنان ـ لا يزال معمولاً به ـ ينص على التعدد مع أن مواده فيها تتناقض بهذا الشأن.

تنص «المادة ٩٧» من هذا القانون: «لا ينبغي للرجل أن يكون له أكثر من زوجة، وعليه أن يحلف يميناً على هذا حين العقد، **وإن كان لا حجر ولا حصر في متن التوراة**». إن هذه المادة تحوي ما يؤكد أن التعدد هو ما نصت عليه التوراة. وعند السؤال عن مبرر إلزام الرجل بعدم التعدد يأتي الجواب في «المادة ٩٨»: «من العُرف في أكثر الجهات، وهو مرعي شرعاً، أن لا يتزوج على امرأته». وهنا الإشكال، إذ كيف يكون العُرف أقوى من الشريعة؟ ثم حين يأخذون بالعرف ويخالفون التوراة يقولون «وهو مرعي شرعاً» بدل أن يقولوا بأنهم قد خالفوا شريعتهم.

ويكملون في تناقضاتهم في قانون الأحوال الشخصية الخاص بهم في

---

(١) ظاظا، د. حسن، م.س، ص٢٣٣.

لبنان، فيقولون في «المادة ١٠٠»: «من العرف أن بين السيفاراديم أن تأذن المرأة للرجل بالزواج عليها إذا وجد له مسوغ ما لم يكن خوّل الإذن في العقد للسلطة الشرعية فهي التي تأذن».

هـ ـ **الطلاق**: تبيح الشريعة اليهودية الطلاق، تعطي هذا الحق للرجل وتربطه برضاه أو عدم رضاه عن المرأة. يتضمن سفر تثنية الاشتراع نصاً صريحاً واضحاً في إباحة الطلاق فيه: «**إذا اتخذ رجل امرأة وتزوجها، ثمَّ لم تنلْ حُظوة في عينيه، لأمر غير لائق وجده فيها، فليكتب لها كتاب طلاق ويسلِّمها إياه ويصرفها من بيته**»[1].

ويأتي أمر فقدان البكارة عند البنت، أو الزنا، في رأس الأسباب التي تؤدي إلى الطلاق، كما أن الشريعة اليهودية تقضي بأن يتم وضع الحد على الزاني أو الزانية، ويكون ذلك بالرجم حتى الموت. هذا ما جاء في نص في سفر تثنية الاشتراع، والنص فيه: «**وإن كان الأمر صحيحاً ولم توجد الفتاة عذراء فليخرجوا الفتاة إلى باب بيت أبيها ويرجمها جميع أهل مدينتها بالحجارة حتى تموت لأنها صنعت قبيحة في إسرائيل بزناها في بيت أبيها واقلع الشر من وسطك. وإن أخذ رجل يضاجع امرأة متزوجة فليموتا كلاهما: الرجل المضاجع للمرأة والمرأة واقلع الشرّ من إسرائيل. وإذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فصادفها رجل في المدينة فضاجعها فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا**»[2].

إن قوانين الأحوال الشخصية المعتمدة عند يهود جاءت تؤكد على الترخيص بالطلاق، وأنه بيد الرجل ولا يعتدُّ بموقف المرأة من ذلك، ولا ينتظر الأمر تأمين حقوق المرأة المترتبة على الرجل. جاء في «قانون الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية للطائفة الإسرائيلية في لبنان» حول الطلاق النصوص التالية. تنص «المادة ٥٩١»: «الطلاق في يد الرجل»، و«المادة ٥٩٢»: «قبول المرأة الطلاق ليس شرطاً»، «والمادة ٥٩٣»: لا يعلَّق الطلاق على دفع الرجل حقوق المرأة إذا كان معسراً».

---

(١) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ٢٤، الفقرة ١.

(٢) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ٢٢، الفقرة ٢٠ وما بعدها.

لكن هذا القانون يراعي المقدسات اليهودية، ويثبت بأن هذا الطلاق الذي وضعوه في يد الرجل بأنه لا يتم إلا أمام سلطة قضائية دينية تسطِّر وثيقة خطية يوقعها شاهدان مع هيئة المحكمة. جاء في «المادة ٦٠٦»: «أيام السبت والأعياد الدينية لا يجوز الطلاق فيها». ونص «المادة ٦٠٧» هو: «لا يجوز الطلاق يوم الجمعة ضرورة دخول يوم السبت، ولا أن يحصل ليلاً إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك». وجاءت «المادة ٦٠٨» تربط الطلاق بالسلطة الدينية: «لا يصح الطلاق شرعاً إلا أمام السلطة الشرعية بوثيقة بحضرة شاهدين».

إن الرجل الذي قرر تطليق زوجته عليه انطلاقاً من نصوص العهد القديم، أن يسلمها كتاباً خطياً يبلغها بذلك، وله أن يوكل أمر تسليم الكتاب الخطي إلى شخص آخر بوكالة صريحة وصحيحة.

نص «المادة ٦٣٢» من قانونهم للأحوال الشخصية: «يسلِّم الرجل بيده وثيقة الطلاق إلى يد المطلقة قائلاً لها: استلمي وثيقة طلاقك فأنتِ طالق وصرت حلاً لغيري»، ونص «المادة ٦٣٣»: «يجوز للرجل، ولو كان غير غائب عن البلد، أن يوكل عنه في تسليم وثيقة الطلاق ومشافهة المطلقة ولا يتم الطلاق شرعاً إلا بعد التسليم إليها». إلا أن المشترع لقانون الأحوال الشخصي اليهودي في لبنان أعطى المرأة حق طلب الطلاق من زوجها إذا تردَّى خلقه ومارس الرذائل والمفاسد. وتنص «المادة ٥٩٨»: «للمرأة طلب طلاقها من الرجل إذا ساء سيره واتبع السكر وفسق ونوى الرحيل دونها».

أما الأمور التي تبرر الطلاق بالنسبة للرجل فهي: الزنا، أو مجرد خلوة الزوجة مع رجل يغار منه زوجها، أو إذا كانت عقيمة بعد مضي عشر سنوات من زواج البكر وخمس سنوات إذا كانت ثيباً، أو إذا أجهضت حملها ثلاث مرات، يضاف إلى ذلك إذا أصابها مس من جنون، أو إذا ظهرت عيوب منها لم تكن معلومة عند الزوج يوم طلبها وخطبها وأخفيت عنه، كل هذه الأمور حوتها نصوص مواد قانونهم الآنف الذكر.

و ـ أحكام عامة في شؤون الأُسرة: إذا مات رجل بعد زواجه من امرأة، ولم يكن قد أنجب ولداً بعد فإن الشريعة اليهودية تقضي أن يتزوج منها شقيقه، وأن يحمل الولد الأول اسم الأخ المتوفى، أي الزوج الأول، وإذا

أبى الشقيق أن يتزوج من أرملة أخيه يتعرض للقصاص والتعزير. جاء في نصوص العهد القديم: «**إذا أقام أخوان معاً ثمَّ مات أحدهما وليس له ابن فلا تصير امرأة الميِّت إلى خارج لرجل غريب بل أخو رجلها يدخل عليها ويتخذها امرأة له وهو يقوم نحوها بواجبه كأخي الرجل. ويكون البكر الذي تلده منه هو الذي يحمل اسم أخيه الميِّت فلا يمحى اسمه من إسرائيل. فإن لم يرضَ الرجل أن يتخذ امرأة أخيه فلتصعد امرأة أخيه إلى باب المدينة إلى الشيوخ وتقل: قد أبى أخو زوجي أن يقيم لأخيه اسماً في إسرائيل ولم يرضني زوجة. فيستدعيه شيوخ مدينته ويكلمونه في ذلك. فإن أصرَّ وقال: إنِّي لا أرضى أن أتخذها، تتقدم إليه امرأة أخيه بحضرة الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتجيبه قائلة: هكذا يصنع الرجل الذي لا يبني بيت أخيه. فيُدعى في إسرائيل بيت المخلوع النعل**»[1].

هذا الحكم بانتقال أرملة الأخ المتوفى إلى أخيه أكدته قوانين الأحوال الشخصية المعتمدة، وفي قانونهم اللبناني، تنص «المادة ٦٢»: «المتوفى زوجها إذا لم تترك أولاداً وكان له شقيق أو أخ لأبيه عُدَّت له زوجة شرعاً ولا تحلُّ لغيره ما دام حيّاً إلا إذا تبرأ منها. والتبرؤ يكون وفق الطريقة التي يحددها النص الذي ورد في سفر تثنية الاشتراع، وبعدها يصح لهذه الأرملة أن تتزوج من غير شقيق أو أخ زوجها المتوفى.

إن الأساس في **نسب الأولاد** يعود للأم حال اختلاف الدين بين الزوجين. لقد نصت «المادة ٥٤١» من قانون أحكامهم المعتمد عندهم في لبنان: «**ينسب الولد لأبيه، فإذا كان من غير الملّة فلأمِّه**». هذا الحكم أحدث ويحدث مشكلة ليهود الذين يتوزعون في دول وأمم الذين يطلقون عليهم: «الدياسبورا»: يهود الشتات. فعند الزواج المختلط، خاصة ذلك الذي يكون من الرجل الذي يختار زوجة من الأغيار فإنهم لا يوافقون على نسبة الابن لملتهم لأن الأساس عندهم هو للأم.

أما مسألة **العدَّة** فإن الشريعة اليهودية قد اعتنت بها ولكن أمرها ارتبط بموضوع الحمل وحضانة الطفل وإرضاعه. وعندهم العدة واحدة للمطلقة

---

(١) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ٢٥، الفقرة ٥ وما بعدها.

والأرملة. تنص «المادة ٩٠» على ما يلي: «**المطلقة أو الأرملة لا يجوز العقد عليها قبل انقضاء عدّتها اثنين وتسعين يوماً** يحسم منها يوم الطلاق أو الوفاة، صبية كانت أو مسنَّة، ومقيمة مع زوجها بمعزل عنه حتى ولو لم يدخل عليها». أما الحامل وأم الرضيع فالأمر عندهم مرتبط بالمولود، وفي «المادة ٩١»: «الحامل وأم الرضيع لا يجوز العقد عليها قبل الوضع، أو قبل بلوغ الرضيع أربعة وعشرين شهراً، فُطم أو لم يُفطم».

يلاحظ هنا حالات تباين تشريعية بين الإسلام وبين ما عندهم. فالعدة للمطلقة في الإسلام هي ثلاثة قروء وهي حيضات أو طهر منها ثلاث مرات، أما الأرملة فعدَّتها أربعة أشهر وعشراً، والحامل عدتها تنتهي مع وضع الحمل. وهناك إشارة عندهم بأن مدة الحضانة والرضاع هي حولين أو عامين كاملين (٢٤ شهراً) وهذا أمر مشترك بين الأحكام الإسلامية والأحكام الشرعية عند يهود.

والحضانة عند يهود حق للأم، وإذا توفيت أو كانت غير مؤهلة لذلك يعود حق الحضانة للأب. وتنص «المادة ٦٨٤»: «الأم أولى بحضانة الولد حتى يكمل ست سنين والبنت حتى تتزوج»، وهذا يختلف عن الإسلام في المدة. فالإسلام يعطي الأولوية بحق الحضانة للأم ولكن فقهاء السُنَّة أخذوا بما عليه الأحناف ومدة الحضانة هي سبع سنوات للذكر وتسع سنوات للأنثى، وعند الجعفرية المدة هي سنتان. أما في اليهودية فكما ورد سابقاً، فالحضانة للذكر تكون ست سنوات، وللأنثى تستمر حتى زواجها.

الفرق الدينية اليهودية

إن أتباع اليهودية، كسواهم من أتباع الديانات، انقسموا إلى فرق عديدة، وكان ذلك لاختلاف في الفهم والتفسير، أو لأسباب سياسية أو غير ذلك، وأبرز هذه الفرق هي:

١ ـ السامريون

فرقة صغيرة العدد تتكون حالياً من مئات الأتباع الذين يقيمون في نابلس، التي كانوا يسمونها «شكيم»، وحسب زعمهم هي جزء من مملكة صغيرة، السامرة الشمالية، والسامريون يقولون بأن الهيكل على جبل جرزِّيم الواقع على الحد الجنوبي للوادي الذي تقع فيه نابلس، وارتفاعه عن سطح البحر ٢٨٤٩ قدماً.

يأخذ السامريون بالأسفار الخمسة المسماة «التوراة» وهي: التكوين والخروج واللاويين (الأحبار) والعدد وتثنية الاشتراع، وقبلوا سفراً سادساً هو: سفر يشوع، لأن يشوع كان مكلفاً من موسى بمهمته، ولكنهم أنكروا غير هذه الأسفار الستة من أسفار «العهد القديم» المعتمدة عند يهود، وكذلك رفضوا التلمود وأية أدبيات أخرى.

السامريون يقولون: إن يهود قد ضلُّوا وإن جبل صهيون ليس مقدساً، لذلك لا يختلطون معهم، ولا يتزاوجون معهم.

يعتقد السامريون بوحدانية الله، وبنبوة موسى عليه السلام، ويؤمنون بالجزء الأخروي، ويزعمون بأنهم صفوة متبقية من سلالة يعقوب (إسرائيل). ذكرهم الشهرستاني وقال عنهم: «وقبلة السامرة جبل يقال له: غريزيم بين بيت المقدس ونابلس. قالوا: إن الله تعالى أمر داود أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس، وهو الطور الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام، فتحول داود إلى

إيلياء وبنى البيت فيها، وخالف الأمر فظلم. والسامرة توجهوا إلى تلك القبلة (عريزيم) دون سائر يهود، ولغتهم غير لغة يهود، وزعموا أن التوراة كانت بلسانهم»[١]. والسامريون هم أقدم الفرق اليهودية وجوداً، وأقلها عدداً.

٢ ـ الصدوقيون

هم صديقيم: العادلون الأبرار، أو صدوقيم: أهل العدل. الصدوقيون ينسبون أنفسهم إلى صادوق الذي شغل منصب رئيس الكهنة في عهدي داود وسليمان. وهم فئة من النخبة الكهنوتية الثرية.

قال الصدوقيون: إن إرادة الإنسان حرَّة وهو القادر على اختيار أفعاله، وأنكروا الجزاء الأخروي والبعث، وقالوا: إن النفس تموت بموت البدن، كما أنهم لم يؤمنوا بوجود مخلوقات من غير طبيعة البشر، كالملائكة والجن.

لقد دفعهم إنكارهم لحياة أخروية إلى الأخذ بفلسفات مادية. قال زكي شنودة عنهم: «اعتنقوا مذهب الأبيقوريين الذي يدعو إلى انتهاب كل ما في الإمكان من لذائذ جسدية ومتعات مادية، لأنه لا حياة في اعتقادهم إلا في هذه الدنيا، فلا آخرة ولا نعيم ولا جحيم ولا ثواب ولا عقاب، ومن ثَمَّ أنكر الصدوقيون القيامة بعد الموت، قائلين إن النفس تموت مع الجسد»[٢].

جاء في سفر الملوك الأول ما يؤكد مكانة صادوق عند داود، ويتضح ذلك في النص التالي: «**وقال الملك داود: ادعوا لي صادوق الكاهن وناتان النبي وبنايا بن يوياداع. فدخلوا إلى حضرة الملك. فقال الملك لهم: خذوا معكم خدم سيدكم وأركبوا سليمان ابني على بغلتي وانزلوا به إلى جيحون، وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناتان النبي ملكاً على إسرائيل وانفخوا بالبوق وقولوا: ليحيى الملك سليمان**»[٣].

طبقة الكهنة الصدوقيون كانوا يحتكرون إدارة المعابد والأماكن الدينية، وأدخلوا النفوذ الديني في النفوذ السياسي. وإذا كان الكثير من مفاهيمهم

(١) الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، تحقيق محمد سيّد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص٢١٩.
(٢) شنودة، زكي، **المجتمع اليهودي**، القاهرة، مكتبة الخانجي، بدون تاريخ، ص٣٠٥.
(٣) سفر الملوك الأول، الإصحاح ١، الفقرات ٣٢ ـ ٣٥.

حاضرة عند الكثير من الفرق والتيارات اليهودية إلا أن الفرقة الصدوقية غابت باسمها ومكوناتها منذ القرن الأول للميلاد.

٣ ـ الفريسيون

«الكلمة من الآرامية ومعناها: المنعزل، وهم إحدى فئات يهود الرئيسية الثلاث التي كانت تناهض الفئتين الأخريين، فئتي الصدوقيين والأسينيين... أما من حيث العقيدة فكانوا يقولون بالقدر ويجمعون بينه وبين إرادة الإنسان الحرة. وكانوا يؤمنون بخلود النفس وقيامة الجسد ووجود الأرواح... ومكافأة الإنسان ومعاقبته في الآخرة بحسب صلاح حياته الأرضية أو فسادها.. وقالوا بوجود تقليد سماعي من موسى تناقله الخلف من السلف. وزعموا أنه معادل لشريعته المكتوبة سلطة»[١].

فالفريسيون خالفوا الصدوقيين في كثير من الأمور ـ كما تبين ـ منها الالتزام بكل ما تناقله الحكماء في اليهودية، بينما الصدوقيون أخذوا بالتوراة بأسفارها الخمسة فقط على أنها هي الناموس الذي أنزل على موسى عليه السلام.

وإذا كان الصدوقيون هم الكهنة فإن الفريسيين هم علماء الشريعة، وهم الذين ينعزلون للدرس والتمحيص. كان الفريسيون «يلقبون أنفسهم، فيما بينهم بلقب حسيديم؛ أي الأتقياء، وكذلك حبرييم، أي الرفقاء والزملاء، ولعلها أصل استعمال العرب لكلمة الأحبار؛ أي علماء يهود، ومفردها في اللغة العربية: حبر»[٢].

لقد ورد الكلام عنهم في سفر المكابيين الأول من العهد القديم على أنهم لكونهم أتقياء وعلماء بالشريعة قاموا بمهمة محاربة الشريرين والمفسدين. النص هو التالي: «**حينئذٍ اجتمعت إليهم جماعة الحسيديين وهم ذوو البأس في إسرائيل وكل من تطوع في سبيل الشريعة**»[٣].

والحسيديون، أو أهل الورع والتقوى، قاوموا الوثنية وأصبحوا في موقع المجموعة العسكرية الأساسية مع يهوذا، وفي هذا النص التالي: «**إن**

---

(١) **قاموس الكتاب المقدس**، م.س، ص٦٧٤.

(٢) ظاظا، د. حسن، م.س، ص٢٠٣.

(٣) سفر المكابيين الأول، الإصحاح ٢، الفقرة ٤٢.

الحسيديين من يهود الذين يقودهم يهوذا المكابي يلقمون نار الحرب والفتنة ولا يدعون للمملكة راحة»[١].

إن المنافسة كانت على أشدها بين الصدوقيين الكهنة، والفريسيين الحكماء والعلماء مما دفعهم إلى انتقاء بعض الألقاب والأسماء التي تميِّزهم عن الآخرين. «وقد كانوا يعتقدن أنهم ممتازون بما لهم من دراية بأحكام الشريعة اليهودية وتفسير غوامضها.. وأضفوا على أنفسهم كثيراً من ألقاب الكرامة والتبجيل والعلم، فكانوا يسمون أنفسهم: السوفريم، أي الفقهاء، والشابمهيريم؛ أي المفكرين الأحرار، والتالميوي شكابيم؛ أي الحكماء»[٢].

لقد تشبع فكر الفريسيين بمزاعم الشعب المختار، وقد أسسوا للفكر الصهيوني العنصري تاريخياً الذي له فعله في خفايا النفس اليهودية المعاصرة حيث كانوا يعملون لفكرة الجيتو والانعزال، وينظرون إلى من سواهم باستعلاء، ويحتقرون كل من هو من غير انتمائهم. ففي التراث الفريسي ما دخل بشكل واسع في مكونات الفكر الصهيوني والممارسات العنصرية والإجرامية.

٤ ـ القراؤون

الاسم مشتق من «المقْرا»؛ أي المقروء ويقصد بها العهد القديم بكل مكوناته: التوراة والأنبياء والكتابات. يعود تأسيس هذه الفرقة إلى عنان بن داود. لقد رفضت هذه الفرقة التلمود وسائر المرويات الشفوية، لا بل عمل عنان بن داود على تفنيد نصوص التلمود وإظهار بطلانها.

إن هذه الفرقة «عرفت أن أولئك السلف الذين ألَّفوا المشْنا والتلمود، وهم فقهاء اليهودية، قوم كذّابون على الله تعالى وعلى موسى النبي عليه السلام، أصحاب حماقات ورفاعات هائلة.

فلما نظر يهود القراؤون، وهم أصحاب عنان بن داود بنيامين، إلى هذه المحاولات الشنيعة، إلى هذا الافتراء الفاحش، والكذب البارد، انفصلوا

---

(١) سفر المكابيين الثاني، الإصحاح ١٤، الفقرة ٦.

(٢) شنودة، زكي، م.س، ص ٢٩٨.

بأنفسهم عن الفقهاء، وعن كل من يقول بمقالتهم، وكذبوهم في كل ما افتروا على الله تعالى»[١].

أتباع القرائية عدّوا عانان بن داود قديساً، وصاغوا أدعية تحمل اسمه، وتوالى على القيادة بعده عدد من الحاخامين أولهم ابنه شاؤول، ولكن صراعاً عنيفاً قوياً جرى بينهم وبين فرقة الربانين. «**وجرت اليهودية الربانية على تسمية القرائين بالأسماء التي كانوا يطلقونها قديماً على الصدوقيين وغيرهم من الطوائف الخارجة، فسموهم: مينيم؛ أي الزنادقة أو الكفرة، وكذلك أبيقوريم أو أبيقورسيم؛ أي الأبيقور نسبة إلى هذه المدرسة الفلسفية اليونانية الوثنية التي شاع عنها عند عوام يهود الميل إلى الانحلال واللاأخلاقية، وأوصوا كل الأئمة أن ينددوا بهم من على المنابر في المعابد، وأن يهاجموهم ويثبتوا تكفيرهم**»[٢].

أما القراؤون فإنهم لم يقصِّروا في الرد على الربانيين، وقد اعتمدوا المحاجحات العقلية، وتبيان مفاهيم مغلوطة حول بعض النصوص عند الربانيين، مما دفع إلى القول: إن القرائين قد تأثروا بالفكر المعتزلي عند المسلمين. والقراؤون لم يعودوا تياراً كبيراً وسط يهود اليوم لأن المزاج اليهودي في أوروبا، وبدعم من دول الاستعمار، أخذ مع العهد القديم بالتلمودية وأسس للصهيونية مما قلَّص عدد القرائين. ويقول السموأل بن يحيى المغربي بأن عدداً لا بأس به من القرائين تحول إلى الإسلام في العصر العباسي وفي أرجاء دولة المسلمين في الأندلس، إسبانيا اليوم، ولعل هذا التفاعل، ومن ثمّ التحول، قد أسهم فيه استخدام اللغة العربية في فقههم وتفسيراتهم، وقد اعتمد عانان في أسس فقهه: العهد القديم والقياس والأعراف. ورفض التلمود وكل ما نسبه يهود لحكمائهم.

٥ ـ الرّبانيون

من ربانيم ومعناها الحبر أو الفقيه، وهم المتضلعون في ناموس موسى لذلك سموهم: الناموسيين. وسموهم أحياناً الكتبة، وكانوا يدرسون الناموس

---

(١) المغربي، السموأل بن يحيى، م.س، ص١٧٥.

(٢) ظاظا، د. حسن، م.س، ص٣٠٠.

ثم يتولون شرحه وتفسيره وتبيان أحكامه. وقد يقال: إنهم ربيُّون لأنهم يقومون بتلقين تعاليم الرب. والمعلم أو الفقيه منهم كان يُدعى حبراً Rabbi.

«وهذه الفئة تتميَّز بالتشدد، وبالتصرف باستعلاء على كل من سوى يهود؛ أي أن هذه الفرقة كانت أكثر فرق يهود عنصرية وتعصباً، لذلك كان يتبعها عدد غير قليل منهم عندما كانوا يمرون بظروف صعبة»[١].

شكلت فرقة الربانيين القيادة الدينية، وتولت الجلوس على كراسي القضاء، حيث «كان الناموسيون أصحاب القول الفصل في أمور الحياة، كالزواج والطلاق، وشؤون العبادة، كالصيام والصلاة وحفظ السبت، إلى أبسط الأمور التي تعرض لليهودي في حياته»[٢].

والربانيون تلموديون، ويأخذون بالشريعة الشفوية وبكل ما وصل من طريق حكماء اليهودية، وقد انتشروا على حساب القرائين حيث انكفأ الفريق الأخير. وفي حين قاوم القراؤون الصهيونية فإن الربانيين هم دعاتها والعاملون لتنفيذ مشروعها.

لقد «تقلص ظلُّ القرائين في العصر الحديث مع انتشار يهود الربانيين بعددهم الكبير في أوروبا وأميركا وكثير من البلاد التي استعمرها الغرب في إفريقيا وآسيا.. وتأكد ذلك مع ظهور الصهيونية، فالوطن اليهودي في فلسطين كان يخططه ويعدُّ العدَّة له يهود، كلهم ربانيون، ولم يكن في تفكيرهم الواعي ولا في عقلهم الباطن أي حساب للقرائين. وهكذا كانت الطائفة القرائية منذ البداية معادية للصهيونية نافرة منها»[٣].

إن الربانية هي المسيطرة، وقد ساعدهم ذلك على التسلط ونبذ القرائين ورميهم بتهمة الكفر، ولا يقرأ رباني في توراة نسخها أحد القرائين، كما أنهم يحظرون الزواج منهم.

---

(١) السحمراني، أسعد، **من اليهودية إلى الصهيونية**، بيروت، دار النفائس، ط٢، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٨١.

(٢) المغربي، السموأل بن يحيى، م.س، ص١٧١.

(٣) ظاظا، د. حسن، م.س، ص٣٠٤.

٦ ـ القبّالة

فرقة مالت إلى التأويلات والرموز والقول بالإلهام والفيض الإلهي، وهم فرقة باطنية بكل ما للكلمة من معنى، والقباليون ـ همقوبالاليم ـ: العارفون بالفيض النوراني الصادر عن الخالق، وهذه المعرفة لا تكون بالعلوم والمعارف العقلية المكتسبة، وإنما بالاستعداد الداخلي والسمو بالنفس كي تتلقى هذه الفيوضات النورانية.

صاغ القباليون كتاباً خاصاً بهم، ومن ثمَّ بات مقبولاً بين الأدبيات اليهودية عند كثيرين سموه: الزوهر، والكلمة زوهر آرامية الأصل معناها: النور والضياء. وردت إشارة إلى هذا ـ حسب القباليين ـ في سفر دانيال من العهد القديم، في النص التالي: «**وكثير من الراقدين في أرض التراب يستيقظون بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والرّذل الأبدي. ويضيء العقلاء كضياء الجلد والذين جعلوا كثيراً من الناس أبراراً كالكواكب أبد الدهور. . . فقال: إذهب يا دانيال فإن الأقوال مغلقة ومختومة إلى وقت النهاية. إن كثيرين يتنقون ويتبيضون ويمحصون والأشرار يرتكبون الشر ولا أحد من الأشرار يفهم. أما العقلاء فيفهمون**»[١].

يحوي سفر دانيال أكثر من رؤيا مع تفسيرها بواسطة الملاك جبريل، ومن ذلك المعرفة للعقلاء بالضياء، وهذا شكل من المعرفة الإشرافية التي تحدثت عنها الفلسفات، أو المعرفة بالمنح الإلهية إلهاماً، وهذا قول المسيحية في القديسين، والمسلمين في الأولياء والصوفية فيما يعرف بالعلم اللّدني (العلم من لدن الله تعالى الذي يتلقاه من تأهيل له). هذا هو كذلك مفهوم العلم من الفيوضات الربانية كما قال القبّاليون.

ينقسم مسار حركة القبالة إلى اتجاهين: عملي ونظري.

«تتخذ مدرسة الاتجاه العملي الصلوات والابتهالات والتأمل سبيلاً إلى التقرب إلى الذات العليّة، ومعرفتها وحبها حباً خالصاً منزهاً من كل غرض وأملاً في التجلي الإلهي. . كما تجلى للأنبياء، واعتقد المؤمنون بهذا الاتجاه

(١) سفر دانيال، الإصحاح ١٢، الفقرة ٢ وما بعدها.

أن الحروف والأعداد لها معانٍ خفية، وأنها تنطوي على قوى غريبة خفية»[١].

«أما الاتجاه النظري في حركة القبالة فقد ازدهر في إسبانيا وجنوب فرنسا، واتبع علماء هذا الاتجاه المناهج الفلسفية في الإقناع.. فهم لا يقصرون أنفسهم على العهد القديم بل يستعينون بتراث الأمم الأخرى ويحاولون أن يكشفوا أسراراً تخفيها كلمات وحروف العهد القديم. وكان من رواد القبالة النظرية يوسف اليعيزر (أوائل القرن الثاني عشر الميلاد) الذي يعتبر مؤلف مسيخت أصلوت: مقالة في الفيض الإلهي»[٢].

أما واضع الزوهر «فإنه موسى اللبوني (١٢٥٠م ـ ١٣٠٥م)، وقد دوَّنه بالآرامية في إسبانيا، غير أن المعروف أن ما احتواه الزوهر من الشعائر الصوفية وما إليها من حكم ترجع إلى زمن الحاخام سمعان بن يوشاي من القرن الثاني الميلادي. وتتصل أسرار الزوهر بالتوراة، وكل كلمة أو حرف من حروفها يحمل، باعتقاد القباليين، معنى باطنياً.. والحياة في عرف الزوهر صراع بين الخير والشر، وكلاهما يخدمان غاية مقدسة، فكل عمل خير وكل صلاة حارَّة تبعث قوة روحية تؤدي إلى انتصار الخير على الشر، وذلك الذي سوف يظهر بكل جلاء وبهاءِ مع ظهور المسيح المنتظر»[٣].

وفكرة المخلص المنتظر رافقت التفكير اليهودي في كل مراحله، وكان يشتد طرحها في الأزمات، وحين مجموعة منهم تقيم في بلد معين لهذه الأطروحة.

٧ ـ زيوي ويهود الدونمة

شبتاي زيوي يهودي من الذين نزحوا إلى تركيا بعد سقوط الأندلس. ولد في أزمير عام ١٦٢٦م، وكانت وفاته في ألبانيا عام ١٦٧٥م.

تعرض يهود بولونيا لأنواع من الاضطهاد عام ١٦٤٨م، وحسب معتقداتهم تكون العذابات غالباً مبشِّرات بظهور المسيح المخلص، ما دفع شبتاي زيوي الإزميري، ابن الـ٢٢ سنة، إلى ادعاء أنه هو المسيح المنتظر المخلص

---

(١) عبد المجيد، د. محمد بدر، م.س، ص١٧٩.

(٢) عبد المجيد، د. محمد بدر، م.س، ص١٨٠.

(٣) سوسة، د. أحمد، **العرب واليهود في التاريخ**، دمشق، العربي للإعلان والنشر، ط٧، بدون تاريخ، ص٤٠٤.

فحصلت فتنة وقلاقل، وتجمع كثير من يهود حول زيوي مما دفع السلطان العثماني محمد الرابع إلى التحرك لوضع حد للأمر، واستقر الرأي بأن يتوجه أحد النافذين من يهود تركيا إلى زيوي لإقناعه بإشهار إسلامه كي ينفذ نفسه وأتباعه من خطر محدق.

أشهر إسلامه شكلاً وادَّعى أنه يبشر بالإسلام بين أتباعه، ولكن الحقيقة لم تخفَ على أحد، حيث قاد ذلك إلى قرار يقضي أن يُنفى زيوي إلى مدينة دلسيكنو في ألبانيا، وفيها كانت وفاته عام ١٦٧٦م.

أتباع زيوي ممن أظهروا الإسلام شكلاً، وظلّوا على يهوديتهم عرفوا باسم: يهود الدونمة أو الدومنة.

«دو» رقم من الفارسية هو اثنان، ومنه أو نمه معناها: النوع. وبذلك تكون فرقة الدونمة هي الفرقة التي تقوم على انتمائين أو نوعين هما: اليهودية والإسلام.

وقد وصل الأمر بهم أن يتسموا بأسماء إسلامية زيادة في التمويه والتخفي.

لقد صادفت حركة زيوي حماساً وتأييداً بين كثيرين من يهود العالم، وأخذت بأفكارها بعض الحركات. «وقد كان للشبتائية في بولندا بعدان رئيسيان:

الأول: ظهور يهوشواع هيشل توريف، مؤسس طائفة الشبتائيم في بولندا، حيث اعتقد أنه المسيح بن يوسف، وشبتاي بن تسفي المسيح الحقيقي، وكذلك ظهور ملّاخ ويهوذا حسيد اللذين تنبآ بدقة بزمن مجيء المسيح وساهما بالكثير من أجل نشر الشبتائية.

والثاني: ظهور طائفة الفرانكية، نسبة إلى يعقوب فرانك (١٧٢٦ـ ١٧٩١م)، وكانت مبادئها عبارة عن مزيج غريب من الإيمان بتوراة موسى مع القبول ببعض المبادئ المسيحية، وانتهى أمرها باعتناق المسيحية مع إبداء احتجاجات ضد التلمود. وقد تعرضت هذه الطائفة للاضطهاد على يد حاخامات بولندا»[(١)].

---

(١) الشامي، د. رشاد عبد الله، **القوى الدينية في إسرائيل**، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٨٦، ذو الحجة ١٤١٤هـ/ حزيران ـ يونيو ١٩٩٤م، ص٣٤٥.

أتباع شبتاي زيوي، يهود الدونمة، لا يزالون موجودين، ويحافظون على ما تركهم عليه من تشريع وتقاليد، ومن «هذه التعاليم:

١ ـ الزواج سُنَّة واجبة، وهو غير ممكن إلا بين رجل وامرأة من أبناء الطائفة ذاتها.

٢ ـ تعدد الزوجات محرم عليهم.

٣ ـ يستحسن عقد الزواج يوم الإثنين أو الخميس.

٤ ـ ينعقد الزواج على يد رئيس الطائفة الذي يبارك العروسين سبع مرات، ثم تتم الزّفَّة باللغة العبرية بالموسيقى والغناء.

٥ ـ شريعة الختان قائمة عندهم ومفروضة كما عند يهود، وكان الختان يتمُّ في اليوم الثامن من مولد الطفل، في بداية ظهور الطائفة، ولكنهم تساهلوا في ذلك حتى لا يلفتوا إليهم أنظار المسلمين، فأصبحوا ينفذون الختان في موعد أقصاه العام الثالث من مولد الطفل، وأباحه بعضهم حتى العام الثامن.

٦ ـ لهم مدافن خاصة، وتختلف مراسم الحداد عندهم عنها لدى يهود»[١].

إن حالة الدونمة، أتباع زيوي، تبين كيف أن يهود لا يترددون في إعلان غير ما تضمر أنفسهم، أو أن يبدلوا أسماءهم وبعض طقوسهم إذا اقتضت مصالحهم ذلك، وهذه حالهم في كل العصور والأمصار.

٨ ـ الإصلاحيون أو حركة التنوير: «الهسكالاه»

جاء القرن الثامن عشر للميلاد وأوروبا تخطو بسرعة باتجاه التقدم التقني والكشف العلمي، ووجد عدد من يهود أوروبا بأنه لا يمكن أن يستمروا في حياة العزلة، والنظرة غير الودية، لا بل العدائية، لكل من هو غير يهودي، فكانت الهسكالاه حركة تنويرية إصلاحية تريد الخروج من التحجر والعزلة وسيطرة الحاخامات.

أبرز المؤسسين للحركة الإصلاحية اليهودية كان موسى مندلسون الألماني الجنسية (١٧٢٩م ـ ١٧٨٦م)، ومواقفه شكلت المنهج الذي سارت عليه هذه الحركة، ويمكن تلخيصها بما يلي:

---

(١) ظاظا، د. حسن، م.س، ص ٣١١، ٣١٢.

«١ ـ إن يهود يجب أن يندمجوا في إنسانية العصر، وأن يخرجوا من قوقعة العنصرية التي حبسوا أنفسهم فيها طيلة قرون طويلة.

٢ ـ إن اليهودية دين فقط، وليست جنسية، وأنه من الخطأ أن أقول: يهودي إنجليزي، أو يهودي روسي.. إلخ، والأصح أن يقال: إنجليزي متدين باليهودية، وروسي متدين بها، وهكذا.

٣ ـ إن المساواة في الحقوق المدنية بين يهود وغيرهم غير ممكنة إلا إذا اعتبر يهود أنفسهم مواطنين في البلاد التي يعيشون فيها.

٤ ـ لا يمكن ذلك إلا إذا تحدث يهود بلغات أوطانهم، وتعلموا في مدارسها، وحاربوا في جيوشها، ولبسوا من الملابس ما يشبه بقية المواطنين، وخرجوا من الجيتو (الحي المغلق) وأقاموا مع غيرهم من الناس»[١].

يظهر من هذا العرض أن الحركة الإصلاحية تعمل للاندماج الوطني، وأن يقدّم اليهودي انتماءه الوطني على الانتماء الديني، وهذا يصطدم بمكونات الفكر اليهودي الديني والاجتماعي الذي يقوم على نظرية أنهم الشعب المختار وأنهم أمة دون سائر الناس.

وتولدت مشكلة أضعفت تأثير هذه الحركة حين عمد أتباع مندلسون إلى طرح مواقف فيها تخفيف من العبادات، وتدعو إلى التخلي عن بعض الشعائر أو الأمور المسلكية، وقد جعلهم ذلك هدفاً لسهام يهود من المتدينين.

والمشكلة الأخرى هي في الانخراط في مجتمعاتهم كي ينالوا حظوظاً كسائر المواطنين، وقد اصطدم ذلك بالأفكار والمشاعر التي تربّوا عليها، وهي أنانية وانعزالية، ويصعب عليهم الخروج منها، لذلك تقلص مع الوقت، أتباع «الهسكالاه»، وكانت لادينية هذه الحركة مع الاصطدام بالواقع عاملاً مساعداً إلى حد كبير بالهجرة اليهودية باتجاه فلسطين لممارسة الاستعمار الصهيوني الاستيطاني الإحلالي.

وإذا كانت حركة الإصلاح قد تراجعت في مواجهة المتشددين فإنها كانت إرثاً للصهاينة، «وعندما ورثت الصهيونية الهسكالاه بفعل عوامل وظروف

---

(١) ظاظا، د. حسن، م.س، ص٣١٤.

تاريخية وفكرية متعددة، أصبح هذا الجدل بين اليهودية والأرثوذكسية والصهيونيين العلمانيين جدلاً متهافتاً تجاوزه الزمن»[١].

هذه الخلاصة لا تعني أنه لم يعد هناك يهود إصلاحيون ينادون بالاندماج الوطني والقومي، ويعادون الصهيونية ويصنفونها بأنها معادية لليهودية لكن هؤلاء باتوا أفراداً، ولم يعودوا تياراً فاعلاً مؤثراً في القرار والمواقف.

٩ ـ يهودية أرثوذكسية

تشكل الطائفة الأوسع انتشاراً بين يهود، سواء في فلسطين المحتلة، أو خارجها، بحيث بات متداولاً أنه عندما يقال: يهود متدينون فإنه يعني بذلك يهود أرثوذكس.

معلوم أن لفظة أرثوذوكس يونانية الأصل وهي للمسيحية الشرقية مقابل المسيحية الغربية الكاثوليكية. فالكاثوليكية يُعنى بها: الكنيسة الجامعة. والأرثوذوكسية يُعنى بها: الكنيسة القوية والمستقيمة الرأي. وفي الوسط اليهودي تقال: يهودية أرثوذوكسية لمن يتمسكون بكل الشريعة المكتوبة أو الشفوية، خاصة التلمود، وبذلك تكون اليهودية الأرثوذوكسية هي اليهودية الأصولية المتزمتة والمتطرفة. وما يميز هذه الطائفة دينياً هو:

١ ـ التمسك الشديد بالقسم التشريعي من التلمود. «الهالافاة».

٢ ـ قبول بعض منجزات الحضارة الحديثة، ورفض كل ما هو غير أخلاقي.

٣ ـ الإيمان بأن الأساليب الحديثة في دراسة الكتب المقدسة خاطئة وقد تقود إلى الكفر.

٤ ـ تلتزم مناهج التعليم التقليدي المتوارثة عن القدماء، وتلتزم كل أركان اليهودية.

واجهت الأرثوذوكسية اليهودية حركات التحرر والإصلاح والتنوير اليهودية ودعت للانفصال الثقافي والاجتماعي الكامل في مقابل دعوات الاندماج الوطني. وكانت الأرثوذوكسية تتخذ إجراءات متشددة مقابل كل إغراء حديث، وإذا كان بعضهم قد قبل المسايرة لمجتمعاته بالشكل، كأزياء اللباس أو اللغة،

---

(١) الشامي، د. رشاد عبد الله، **القوى الدينية في إسرائيل**، م.س، ص١٣٠.

ولكنهم جميعاً قاوموا ورفضوا أي تغيير في الفكر والممارسات الدينية.

لم تعد اليهودية الأرثوذوكسية واحدة بل انقسمت إلى مجموعتين:

١ ـ **اليهودية الأرثوذوكسية**: وهي تشكل المجموعة الكبرى بين يهود اليوم وتعترف بدولة إسرائيل، وبما تدعو له الصهيونية، ومن نماذج مؤسسات اليهودية الأرثوذوكسية جامعة يشيفا (Yashiva) في نيويورك التي أنشئت عام ١٩٢٨، وهدفها تنشئة نوع من الحاخامات يستطيع التوفيق بين اليهودية الأرثوذوكسية التي تلتزم بالشريعة اليهودية كما هي وكما كانت، وبين موجبات الحياة في المجتمع الأميركي مدنياً.

ويعد حزب المفدال «مِفْلَغا داتيت لِئوميت»؛ «الحزب الديني القومي»[1] أحد أكبر الأحزاب الحالية التي تلتزم باليهودية الأرثوذوكسية، وهو حزب صهيوني متطرف تمَّ تأسيسه عام ١٩٥٦ من مجموعتين هما: همزرامي، وهبوعيل همزرامي.

التزم الحزب بالتحالف مع حزب العمل منذ تأسيسه حتى العام ١٩٧٧م حينما برز الليكود فانتقل للتحالف معه، واتخذ خياراً يمينياً متطرفاً. وكان يحرص على استلام وزارتي الأديان والداخلية ليتمكن من السهر على الطابع الديني الداخلي لدولة العدو الإسرائيلي، ولكنه بعد ذلك تحول إلى الاهتمام بكل الشؤون، وبات حزباً متطرفاً يضع مسألة اغتصاب فلسطين، المسماة عندهم: «أرض إسرائيل» في أولى الاهتمامات، لا بل قال بأن لها قداسة تعادل قداسة التوراة والشعب.

وقد تفرعت بعض الأحزاب الصغيرة لاحقاً منها: «حركة تراث إسرائيل» عام ١٩٨١، و«الحزب الصهيوني الديني» عام ١٩٨٣، و«حزب المستوطِنين» «تكوما» عام ١٩٩٩، وأسباب الانشقاق كانت التطرف والأصولية، أو بروز التيارات الشرقية في اليهودية.

---

(١) للتفصيل يراجع كتاب: ـ **إسرائيل: دليل عام ٢٠٠٤م**، تحرير كميل منصور وفوزي عبد الهادي، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، سنة ٢٠٠٤م، ص١٧٣ وما بعدها.

وكتاب: د. رشاد عبد الله الشامي، **القوى الدينية في إسرائيل**، م.س، ص٩٥ وما بعدها.

والمفدال يتمسك بالهوية الدينية اليهودية لكيان العدو الإسرائيلي، والقدس عنده عاصمة أبدية لا تنازل عنها، وهضبة الجولان السورية جزء لا يجوز التنازل عنه، كما أنهم ينادون بإبطال اتفاقية «أوسلو» التي تنص على قيام دولة فلسطينية. واليهودي عندهم هو من ولد من أُمٍّ يهودية أو من تهوَّد، وفقاً لما تنص عليه الشريعة اليهودية.

٢ ـ **اليهودية الأرثوذوكسية المتشددة: «حريديم»**: هذه المجموعة لا تعترف بالصهيونية، وتعدّها حركة علمانية. **الحريديم** متشددون يدعون إلى الانعزال والانسحاب من المجتمع، ولا يعترفون بكيان العدو الإسرائيلي رغم أن قسماً كبيراً منهم يعيش داخله، ولا يشاركون بأية نشاطات اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية.

تقول هذه الفرقة بأن المسيح المخلص هو الذي سيقود الشعب إلى أرض الميعاد فلسطين وليس الحركة الصهيونية التي تتناقض مع العقائد والشريعة اليهودية.

أبرز مكونات هذه الفرقة حزبا: أغودات إسرائيل، وديغل هتوراه اللذان اتحدا في كتلة انتخابية باسم: يهدوت هتوراه سنة ١٩٩٢، وباتت لهم منذ ذلك التاريخ كتلة برلمانية ومشاركة في الدولة الإسرائيلية مما شكل حالة من التراجع عندهم، قال عنها الدكتور رشاد عبد الله الشامي:

«ينتمي معظم الحريديم في إسرائيل اليوم إلى التيار الحريدي المعتدل المتمثل في حزب (أغودات إسرائيل). وإذا كان هؤلاء الحريديم لا يعتبرون أن دولة إسرائيل هي علامة على بداية الخلاص، ويعتقدون أن عليهم انتظار قدوم المسيح، الذي سيأتي بالخلاص، إلا أنهم يعترفون بحقيقة الوجود السياسي لإسرائيل ويمتثلون لقوانينها، ويشتركون في الانتخابات للكنيست، ويشاركون في الائتلافات الحكومية للاستفادة فقط من الامتيازات التي تقدمها الدولة، ولكن غالبيتهم لا يخدمون في جيش الدفاع الإسرائيلي، ولديهم شبكة تعليم خاصة (بيت يعقوب)، ويقيمون في أحياء خاصة بعيداً عن الجمهور العلماني»[١].

---

(١) الشامي، د. رشاد عبد الله، **القوى الدينية في إسرائيل**، م.س، ص١٢٩.

لقد باتت اليهودية الأرثوذوكسية بمدرستيها: الحسيدم أو الحريديم، وهم الورعون كما يسمون أنفسهم، عاملاً فاعلاً في مكونات الحركة الصهيونية مهما اعتمدوا من تبريرات أو أظهروا من تباينات تفصيلية، إلا أنهم يسهمون مع كل الصهاينة بالاستعمار الاستيطاني الإحلالي، ويحتلون ممتلكات الفلسطينيين، ويتركونهم في الشتات والمخيمات، لذلك ينطبق عليهم ما ينطبق على سواهم من الأعداء.

وتصرفات هؤلاء تؤكد من جديد كيف أن اليهودي مستعد للتنازل عن معتقده وشريعته إذا اقتضت مصلحته ذلك، والحريديم الذين قبلوا أن يكونوا في برلمان العدو وحكومته، رغم تكفير الصهيونية ومشروعها، أوضح مثال على ذلك.

وحزب شاس، الذي انشق عن «أغودات إسرائيل» عام ١٩٨٣، ويضم السفارديم ممن كانوا في الحزب، وشاس مكون جديد لكنه التزم بما عليه الحزب الأم، من اشتراك في الحياة السياسية للصهيونية ولكيان العدو الغاصب، لذلك لا يمكن تصنيفه على أنه صاحب موقف جديد.

١٠ ـ ناطوري كارتا

«ناطوري كارتا» من اللغة الآرمية، ومعناها بالعربية: «حراس المدينة»، أو «حراس الأسوار». كانت «ناطوري كارتا» من جماعة الحريديم، أي الورعين الأتقياء من يهود، الذين قاوموا الحركة الصهيونية، لأن العودة إلى أرض الميعاد لا تكون ـ برأيهم ـ على يد البشر، وإنما تأذن العناية الربانية بظهور المخلص المسيح المنتظر ليقود الشعب إلى أرض الميعاد، ولذلك صنفوا الصهيونية بأنها حركة تجعل من يهود حالة إثنية (عرقية) علمانية، وذلك يتنافى مع اليهودية.

والحركة الصهيونية حركة زائفة، وسلطتها وثنية لا يجوز الانخراط فيها، ولا الخدمة في جيشها، ولا احترام علمها ونشيدها، ودفع الضرائب والرسوم لها، ولا يرسلون أولادهم إلى مدارسها ومعاهدها بل لهم تعليمهم الخاص.

كان أتباع ناطوري كارتا في صفوف حزب «أغودات إسرائيل» حتى العام ١٩٣٥، وعندما اتجه قادة الحزب للحوار مع قادة الصهيونية، ولتشكيل هيئات

دينية مع بعض مكوناتها خرجوا مع أتباع اليهودية الأرثوذوكسية «الحريدية» التي كانت ضد الاستيطان وإقامة دولة إسرائيل في أرض فلسطين.

إن «ناطوري كارتا» اليوم تتوزع في أكثر من خمس مجموعات تعتمد الاسم نفسه، ويشتهر بين العرب منهم الحاخام موشيه هيرش سكرتير الطائفة التي يتزعمها الحاخام يرحميئيل يسرائيل دومب، البولندي الأصل الذي يعيش في لندن، وهذه المجموعة هي امتداد لجماعة «ناطوري كارتا» التي أسسها الحاخامان: عميرام بلوي (ت ١٩٧٤)، وأهارون كتسنلبويجن (ت ١٩٧٨)، وكان ذلك سنة ١٩٦٥ حيث انفصلا عن الأرثوذوكسية المتشددة «الحريدية»، وكان من أسباب الانفصال زواج عميرام بلوي من امرأة مطلقة فرنسية مسيحية الأصل هي جيورت روث، والسبب أن الكاهن، وفق الشريعة اليهودية، لا يجوز أن يتزوج إلا من فتاة عذراء، ويبدو أن تحول الموقف السياسي، حيث انخرط الحريديم في كيان العدو الإسرائيلي وسلطته ـ كما مر سابقاً ـ كان السبب الأساسي.

هناك خلاف حول حجم أتباع هذه الحركة، فسلطة العدو تقلل العدد، وهم يقولون بأنهم يصلون إلى حدود ٥٠٠ ألف. يعيش مجموعة من أتباع ناطوري كارتا في حي خاص بالقدس اسمه: «مئة بوابة» «رمي شيريم». ويمارسون من حيهم الذبائح والأطعمة لأتباعهم، والتزام حرمة السبت واللباس والمسلك وسائر الأمور؛ أي كأن هذه الحي يشكل موقع المرجعية الدينية لهم.

يتفق كل المنتسبين إلى مسمّى ناطوري كارتا على ما يلي: «**هؤلاء الأتباع يتفقون على فكرة واحدة هي معاداة الحركة الصهيونية، والانعزال عن دولة إسرائيل، باعتبارها ثمرة الغطرسة الآثمة، لأنها قامت على يد نفر من الكفرة الذين تحدّوا مشيئة الله وإرادته بإعلانهم إقامة دولة إسرائيل بدلاً من انتظار المسيح المنتظر المخوَّل وحده إقامة مملكة إسرائيل**»، «**إن إعلان استقلال إسرائيل نقض أسس قوانين الشريعة، لذا رفضت الاعتراف بالدولة وقوانينها**»[1].

وكان من مظاهر هذا الرفض أن الحاخام لويس فتكلشنان، رئيس مدرسة

---

(١) الشامي، د. رشاد عبد الله، **القوى الدينية في إسرائيل**، م.س، ص٣١٧.

اللاهوت لناطوري كارتا في القدس، منع طلابه أن يرددوا النشيد الوطني لكيان العدو الإسرائيل، فاتهموه بالكفر والخروج عن اليهودية.

جماعة ناطوري كارتا يحافظون على ارتداء الملابس السوداء الطويلة لأنها من تراث السلف، كما أن المدينة التي يحرسونها هي الدين، وليست مدينة في موقع جغرافي محدد.

يقود هذه الجماعة في الولايات المتحدة الأمريكية «المجلس اليهودي الأمريكي»، وفي رأس اهتماماته إظهار مساوئ ومخاطر إقامة الكيان الغاصب في فلسطين على الشعب اليهودي، وأن ذلك سيؤدي إلى دماره، وكان أن تعرض أتباع الحركة لمضايقات وحملات تصل إلى حد التخوين. ومن الأسماء التي نالها نصيب من هذا: نعوم تشومسكي، وأرفين ليهمان، ويعقوب تشيف، ويوليوس روزنوالد، وفليكس أرنبرغ وغيرهم كثير، وهؤلاء إما أدباء أو أعلاميون أو رجال أعمال.



الفصل السادس

مصطلحات يهودية

هناك مجموعة من المصطلحات اليهودية المتداولة تتعلق بمكونات أتباع اليهودية اليوم من الناحية العرقية، أو تتعلق ببعض الطقوس وأنواع الممارسات يحتاج موضوع البحث الوقوف عندها، والتعريف بها بالقدر اللازم.

١ ـ الأشكناز

طائفة يهودية كبيرة تنحدر من أصول ألمانية وفرنسية، وقد كانوا في العصور الوسطى في بلدان تتكلم الألمانية، وبعدها انتشروا في مناطق عدة من أوروبا، من شمال وشرق فرنسا إلى ألمانيا والنمسا وبولونيا وروسيا وعموم دول أوروبا الشرقية.

يستخدم الأشكناز لهجة تجمع بين ألمانية قديمة وبقايا عبارات عبرية عُرفت بعد العام ١٢٥٠م باسم اللغة أو اللهجة اليديشية، ومن مكونات اليديشية بعض المفردات من السلاقية، ولا تزال اليديشية (Viadish) لغة التدريس في المدارس التلمودية في الكيان الإسرائيلي الغاصب لفلسطين، وتصدر بها صحف، كما أن هناك أدباء يكتبون شعرهم ونثرهم باليديشية. قد يكون السبب في بقاء هذه اللهجة حيَّة ذلك النفوذ الذي يتمتع به الأشكناز في القيادة الإسرائيلية حيث كفتهم لا تزال راجحة. وتجدر الإشارة إلى أن يهود أميركا، وقد هاجروا من أوروبا الشرقية غالباً فإنهم ينتمون في أكثريتهم الساحقة إلى طائفة الأشكنار.

٢ ـ السفارديم

«سفارد» كانت في الفكر اليهودي ترمز إلى شبه جزيرة أيبيريا التي تضم البرتغال وإسبانيا، ومن ثم كانت تدل على إسبانيا فقط. ويهود السفرد أو

السفارديم هم يهود حوض المتوسط الذين انتشروا بعد دخول المسلمين إلى الأندلس (إسبانيا اليوم)، حيث كانت لهم حرية دينية تامة. وقد انتشروا، بالإضافة إلى الأندلس، في دول الشمال الإفريقي الموزعة اليوم على الشكل التالي: المغرب والجزائر وتونس وليبيا، وانتشروا كذلك في البرتغال واليونان وتركيا وإيران.

كان السفارديم يهود حوض المتوسط، أو الشرقيون، يتكلمون العربية ثم مالوا إلى إسبانية من العصور الوسطى تدعى اللادينو Ladino، وهي تسمية ملحونة من لاتيني، واللاتينية لغة أوروبا العصور الوسطى كما هو معلوم. والسفارديم هم الطائفة الثانية في الحجم والنفوذ في كيان العدو الإسرائيلي بعد الأشكناز، ولهجتهم اللادينو لها حضور في الأدب وبعض الإعلام كما شأن اليديشية، مع العلم أن الألمانية المعاصرة بعيدة من اليديشية، والإسبانية المعاصرة لا ارتباط لها مع اللادينو اليهودية السفردية.

٣ ـ الخزر

هو اسم بحر قزوين قديماً الذي كان يسمى بحر الخزر، والاسم يطلق تاريخياً على مملكة كانت تنتشر حوله على مساحة كبيرة، وتسمى مملكة الخزر.

قامت المملكة في النصف الأول من القرن الثامن للميلاد، ونترك المؤرخ اليهودي آرثر كيستلر للحديث عنها: «حوالي الوقت الذي توّج فيه شارلمان[١] امبراطوراً للغرب، كانت تحكم تخوم أوروبا الشرقية، الممتدة من القوقاز ونهر الفولجا، دولة يهودية عُرفت بامبراطورية الخزر، وقد لعبت، وهي في أوج سلطانها، من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي، دوراً هاماً في تشكيل أقدار أوروبا في العصور الوسطى، وبالتالي في العصور الحديثة.

. . . وقد شغلت بلاد الخزر ـ وهم شعب من أصل تركي ـ موقعاً استراتيجياً رئيسياً في المدخل الحيوي بين البحر الأسود وبحر قزوين، حيث وقفت القوات الشرقية العظمى، في ذلك العصر، وجهاً لوجه، وكانت بلاد الخزر

---

(١) شارلمان أو شارل الكبير (٧٤٢م ـ ٨١٢م).

بمثابة حاجز حمى بيزنطة ضد غارات قبائل البرابرة الأشداء، أهل السهوب الشمالية من بلغار ومجريين وبشنج.. ثم الڤايكنج والروس»[١].

إن مملكة الخزر التي كانت تطمع بدور ما وفق موازين ذلك العصر، لا يمكنها ذلك «إن هي اعتنقت المسيحية، فستكون عندها ملحقة بالامبراطورية البيزنطية، وإن اعتنقت الإسلام فستكون تحت حكم الخلافة الإسلامية - العربية، إذن لا بد من تمييز نفسها عقدياً ليكون ذلك مقدمة للتمييز في الموقع السياسي القيادي العالمي، انطلاقاً من هذا الواقع اعتنقت مملكة الخزر اليهودية»[٢].

يعدُّ تهوُّد مملكة الخزر، مع تهوُّد ملكها بولان Bulan، أكبر حركة تهود في التاريخ، وقد أكدت الدراسات المعاصرة اليهودية بأن ٩٢ بالمئة من يهود اليوم يعودون في أصولهم السكانية إلى الخزر.

قال بنيامين فريدمان «إن من يزعمون أنفسهم يهوداً، المتحدرين تاريخياً من سلالة الخزر، يشكلون أكثر من ٩٢ بالمئة من جميع من يسمون أنفسهم يهوداً في كل مكان من العالم اليوم. والخزر الآسيويون الذين أنشأوا مملكة الخزر في أوروبا الشرقية، أصبحوا يسمون أنفسهم يهوداً بالتحول والاعتناق سنة ٧٢٠م[٣]، وهؤلاء لم تطأ أقدام أجدادهم قط الأرض المقدسة في تاريخ العهد القديم. هذه حقيقة لا تقبل جدلاً»[٤].

ويقول المؤرخ آرثر كيستلر: «على الأرجح، في سنة ٧٤٠م، اعتنق ملك الخزر وحاشيته والطبقة العسكرية الحاكمة الديانة اليهودية، وأصبحت اليهودية الدين الرسمي لدولة الخزر»[٥].

---

(١) كيستلر، آرثر، **القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم**، ترجمة أحمد نجيب هاشم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩١م، ص ٢١.

(٢) السحمراني، أسعد، **من اليهودية إلى الصهيونية**، م.س، ص٣٤.

(٣) قد يكون تاريخ اليهود بعد هذا التاريخ، لأنه إذا كان في عهد شارلمان، كما قال كيستلر، فمعناه أنه كان في العصر العباسي؛ أي بعد ٧٥٠م.

(٤) فريدمان، بنيامين، **يهود اليوم ليسوا يهوداً**، إعداد زهدي الفاتح، بيروت، دار النفائس، ط٢، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٤٤، ٤٥.

(٥) كيستلر، آرثر، م.س، ص ٢٣.

سقطت مملكة الخزر وتفككت مع إطلالة القرن الحادي عشر للميلاد، وتوزع سكانها من يهود في أوروبا الشرقية، ومن هناك كانت الهجرات اليهودية إلى القارة الأميركية بعد اكتشافها.

إن هذه الحقيقة الساطعة التي أقرت بها الموسوعة اليهودية، الصادرة بالإنكليزية أواخر ستينات القرن العشرين، تدحض مزاعم السامية التي يتذرع بها الصهاينة ومن يناصرهم في عنصريتهم وعدوانيتهم.

٤ ـ الفلاشا

مجموعة سكانية من أثيوبيا (الحبشة) لا تختلف عن مواطنيها من المسلمين والمسيحيين جسداً أو لون بشرة أو لغة أو في أغلب العادات والأعراق.

لا يعرف أحد من الفلاشا العبرية، ولا يؤمنون بالتلمود (مِشْنا وجمارا) ولا بأية أدبيات يهودية متداولة، لكن الفلاشا يؤمنون بالعهد القديم، ويحفظون حرمة السبت، ويلتزمون الطقوس اليهودية في الختان والزواج والجنائز وما شابه ذلك.

يهود الفلاشا «بيتا إسرائيل» اسم فيه نظرة دونية لهم، فكلمة الفلاشا، باللغة الأمهرية المحلية في أثيوبيا، معناها: المنفيون أو الغرباء.

اهتم قادة كيان العدو الإسرائيلي باستقدام الفلاشا إلى فلسطين المحتلة وهم يزيدون قليلاً عن ١٠٠ ألف نسمة، واستخدموا لهذه الغاية ما يسمونه: قانون العودة الصادر سنة ١٩٥٠. وقد نجح العدو الإسرائيلي، بمساعدة أميركية، في مطلبه هذا، وجرت ثلاث عمليات نقل هي عملية موسى عام ١٩٨٤، وعملية سبأ عام ١٩٨٥، وعملية سليمان عام ١٩٩١، وقد تمَّ، في هذه العمليات، نقل ٩٠ ألف يهودي، ولم يبقَ في أثيوبيا سوى قرابة ٢٠ ألف يهودي لا يزالون ينتظرون الهجرة، والعدو وعدهم بإتمام ذلك مع نهاية العام ٢٠٠٧.

أما هدف العدو الإسرائيلي من استقدامهم فهو تخفيف المشكلة الديموغرافية بفعل النمو السكاني وارتفاع نسبة الولادات عند العرب في أرض فلسطين، رغم الاختلاف الكبير حول أصول الفلاشا، وهل هم من سبط دان والأسباط المفقودة العشرة الذين قد يكونون رحلوا إلى أثيوبيا حوالي القرن العاشر قبل الميلاد؟ أم أنهم يهود من أصل يمني يرجعون لعهد الملك اليمني

ذي النواس؟ أم أنهم يهود مصريون أو من أطراف الجزيرة العربية؟

إيّاً يكن أصلهم فإن الفلاشا يعيشون في محيط بحيرة تانا في شمال غرب أثيوبيا، وإقامتهم في قرى فقيرة وأعمالهم في الرعي والزراعة وصناعة الفخار والحدادة وما أشبه ذلك.

إن انتقال الفلاشا لم يسهم بتحسين وضعهم حيث نظر إليهم الصهاينة الغاصبون باستعلاء، وأسكنوهم في أحياء خاصة وفي مساكن وضيعة ولا خدمات. كما أنهم لم يعترفوا بكهنتهم، ما وضعهم في حالات نفسيّة وأزمات، والتمييز العنصري واضح تجاههم. أما الأعمال التي أُسندت إليهم فهي تلك الأعمال الوضيعة مثل كنس الطرقات وجمع النفايات، وتنظيف دورات المياه (بيوت الخلاء)، وما يماثل ذلك من الأعمال.

بعد هجرة الفلاشا حصلت حادثة لافتة هي إتلاف كميات من الدم أُخذت من أشخاص من الفلاشا، وحجة الصهاينة أن بعضهم قد يكون مصاباً بمرض فقدان المناعة (AIDS).

إن التعامل مع الفلاشا وتصنيفهم مواطنين من الدرجة الرابعة أو الخامسة بعد الأشكناز والسفارديم والشرقيين يبيِّن كيف أن العنصرية سيدة الموقف داخل المجتمع الإسرائيلي نفسه.

٥ ـ السنهدريم

كلمة يونانية معناها: «المجمع العظيم»، وهذا المجمع هو القيادة الدينية، ويتكون من سبعين عضواً هو عدد الشيوخ الذين ساعدوا موسى، يضاف إليهم العضو الحادي والسبعين وهو رئيس الكهنة أو الحاخام الأكبر. ورد ذكر السنهدريم في سفر العدد. «**فقال الرب لموسى: اجمع لي سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وكتبتهم وخذهم إلى خيمة الموعد فيقفوا معك... فيحملون معك عبء الشعب ولا تحمله أنت وحدك**»[١].

هذا المجتمع كان «هو الذي يسيطر على حياة يهود الدينية والمدنية على

(١) سفر العدد، الإصحاح ١١، الفقرتان ١٦، ١٧.

حد السواء، وكان يحكم في كل الشؤون المتعلقة بالشريعة الطقسية والشريعة الجنائية والشريعة المدنية، كما كان هو المحكمة الاستئنائية العليا للقضايا الهامة... وهو الممثل للشعب اليهودي، فكان هو حكومة يهود التي تملك كل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية»[١].

ورد ذكر السنهدريم في الفقرة الرابعة من الفصل الرابع من التلمود في القسم الأصلي التشريعي المعروف باسم: مِشْنا:

هذا الفصل عنوانه: نزيقين؛ أي الجنايات أو الأضرار. أما الفقرة الرابعة فنصها هو: «سنهدريم، أي المحاكم، ويختص بقواعد تكوينها وإجراءاتها والعقوبات التي تصدرها في الجرائم الكبرى»[٢].

٦ ـ المدراشيم

مفردها: مدراش، وتعني: الدراسة والبحث تمهيداً للتفسير، وتتجه التفسيرات إلى مضامين أسفار العهد القديم، وهناك اتجاه لتحديد أحكام لما يستجد من مسائل ومواقف وأحداث، والمدراش قد يتناول الأساطير والتاريخ بمحطاته من قراءة يهودية، وقد يتناول والتشريعات الدينية ويسمى: مدراش هالافاه؛ مدراش التشريعات.

ويذكر الدكتور محمد بحر عبد المجيد سبعة أقسام من المدراش هي:

«١ ـ **همّخلتا**: القياس، ويُنسب إلى إسماعيل التنائي ومدرسته في القرن الأول الميلادي، ويتضمن أخلاقيات مستنبطة من بعض إصحاحات سفر الخروج وأساطير متعلقة بهذا السفر.

٢ ـ **سِفرا**: الكتاب، ويسمى أيضاً تورت كوهانيم (توراة الكهنة) شرح لسفر اللاويين، ويتضمن تعليقاً على ما ورد في قسمي المشنا الخاصين بالقدسيات والطهارات.

٣ ـ **سِفرِي**: بإمالة الراء للكسرة؛ أي الكتب، وهو تفسير لسفر العدد والتثنية.

---

(١) شنودة، زكي، م.س، ص ٢٥٤.

(٢) ظاظا، د. حسن، م.س، ص٨٤.

٤ ـ **مدراش تخوما**: ويسمى أحياناً تورت بلمدينو وينسب إلى تخوما، ويتضمن حوالي ١٦١ موعظة تبدأ كل موعظة بعبارة بلمدينو ربنيو، أي يعلمنا سيدنا، وكل موعظة سؤال إجابته تبدأ بنُبذة هلاخية (تشريعية) ثم استطراد هجادي.

٥ ـ **مدراش رياربوت**: ساهم في مادته عدد من المفسرين ينتمون إلى عصور مختلفة، يفسر أسفار التوراة الخمسة، وكل قسم منه يحمل اسم السفر الذي يفسره مضافاً إليه كلمة رباه، ويشتمل هذا المدراش على مواعظ وأمثال. والقسم الخاص بتفسير سفر التثنية لا يقتصر على هذا السفر فقط، بل هناك شروح لأسفار أخرى مثل أسفار نشيد الإنشاد، والجامعة، وأستير، وميخا.

٦ ـ **مدراش ربا**: أي المدراش الكبير، وهو يشمل شروح الأحبار لأسفار التوراة وراعوت، وأستير، ونشيد الإنشاد، والمراثي، والجامعة.

٧ ـ **يلقوط شمعوني**: عبارة عن مختارات من الهجادة والهالافاه، ثم قام بجمعها الحاخام شمعون، ورتبها حسب كتب التوراة. ويعتقد أن هذا الحاخام عاش في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي»[١].

يتضح مما سبق أن المدراشيم إنما هي تفسيرات وشروحات وضعها في مراحل متعاقبة علماء وفقهاء يهود، ومنها ما كان مواعظ وتوجيهات أخلاقية، أو فتاوى وإجابات حول أمور تشريعية، وقد تمَّ جمعها، وكانت محل قبول عند فرق يهودية كالربانيين، وغير مقبولة عند فرق لم تعترف إلا بأسفار التوراة الخمسة أو بالكتاب المقدس.

٧ ـ المنارة: «منوراه»[٢]

المنارة أو الشمعدان من لوازم المعبد أو الهيكل عند يهود، وقد جاء ذلك من خلال نص في العهد القديم، وقد كانت مصنوعة من الذهب الخالص. والمنارة تتكون من قاعدة ينبثق منها ساق، وست شعب تتوزع مناصفة أي كل

---

(١) عبد المجيد، محمد، م.س، ص١٤١، ١٤٢.

(٢) للتفصيل يراجع: **قاموس الكتاب المقدس**، م.س، ص٩٨٤، ٩٨٥.

ـ الشامي، د. رشاد عبد الله، **الرموز الدينية في اليهودية**، القاهرة، مركز الدراسات الشرقية في جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠٠م، ص١٣ وما بعدها.

ثلاثة على أحد جانبي الساق، وبذلك تكون البارزة، إلى أعلى مع الساق سبعة تعلوها كؤوس على شكل أزهار، وتكون مزينة من أسفل بملاقط وبعض الأشكال الأخرى.

وكانوا يضعون على الرؤوس السبعة سُرُجاً لتتم إنارتها عند أداء عباداتهم. في سفر الخروج: «**واصنع منارة من ذهب خالص، من ذهب مطرّق تصنعها هي وقاعدتها وساقها وتكون أكمامها وبراعمها وأزهارها جزءاً منها. ولتكن ست شعب متفرعة من جانبها: ثلاث شعب المنارة من جانبها الأول وثلاث شعب المنارة من جانبها الآخر وثلاثة أكمام لوزية في الشعبة الأولى برعم وزهرة وثلاثة أكمام لوزية في الشعبة الأخرى برعم وزهرة وكذلك يكون للست الشعب المتفرعة من المنارة. وتكون في المنارة أربعة أكمام لوزية ببرعمها وزهرها: برعم تحت الشعبتين الأوليين يكون جزءاً منها كذا للشعب المتفرعة من المنارة. وتكون براعمها وشعبها جزءاً منها كلها قطعة واحدة مطرقة من ذهب خالص. واصنع سرجها سبعة واجعلها عالية وتضاء على جهة وجهها. يكون مقاصُّها ومنافضها من ذهب خالص**»[١].

أما الزيت المستخدم في إنارة سُرج المنارة السبعة فيجب أن يكون من زيت الزيتون الصافي، والمستخرج منه بالطرق البدائية القديمة لا بواسطة التقنيات المعاصرة، لأن هذا الزيت النقي لا يخرج منه أدخنة تلوث المعبد، جاء الحكم من خلال النص التالي: «**وأنت فمُرْ بني إسرائيل أن يأتوك بزيت زيتون مدقوق صافٍ يوقد به سراج دائماً في خيمة الموعد.. ليكون من المساء إلى الصباح أمام الرب**»[٢].

عند اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨ عمل قادة العدو الإسرائيلي على السعي لاختيار رمز أو شعار لدولتهم، وبعد مداولات، واستعراض لعدد من الأفكار والاقتراحات استقر الرأي على اتخاذ المنارة «منوراه» رمزاً وقد علل يتسحاق بن تسفي ثاني رئيس لدولة إسرائيل اختيار المنوراه ذات الأفرع السبعة كرمز لدولة إسرائيل، وتفضيلها ـ دون سواها ـ من بين الرموز والأشكال التي عرضت أمام مجلس الوزراء المؤقت، بأنها ترتبط بتاريخ يهود القديم، ولأنها

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٢٥، الفقرة ٣١ وما بعدها.
(٢) سفر الخروج، الإصحاح ٢٧، الفقرة ٢٠.

وجدت على النقوش القديمة في المعابد، وعلى قبور بني إسرائيل، وعلى الآثار اليهودية، وأنه يكفيهم فقط نحت كلمة إسرائيل تحت صورة المنوراه.

ويضيف الوزير مائير جراوفسكي، الذي انحاز لرأي بن تسفي، بأنه أولى بهم أن يتخذوا المنوراه ذات الأفرع السبعة رمزاً لدولتهم، لأن أعداءهم نقشوها على آثارهم، حيث أنه شاهدها ـ لأول مرة ـ على العامود الأيسر من بوابة تيتوس في روما، ولذا فأولى بهم اتخاذها رمزاً محلياً ودولياً»[١].

وهناك منارة أخرى مستخدمة عند يهود لكنها ذات استعمال محدود ترتبط بمناسبة هي عيد الأنوار «الحانوكة»، وهو عيد أقروه حوالي العام ١٦٥م، يوم ثار المكّابيون على اليونان، وموعد هذا العيد هو ٢٥ ديسمبر/كانون الأول، ويستمر ثمانية أيام، ويستخدمون أثناءه منارة (شمعدان) يتألف من ساق وثماني شعب، وبذلك تكون فروعه تسعة، ويضعون على الشعب الثمان ثماني شمعات بعدد أيام الاحتفال بالعيد، ويشعلون في كل يوم واحدة منها. لكن هذه المنارة، منارة الحانوكة، ليس لها موقع غير مناسبة الاحتفال بهذا العيد، الذي تمّ اعتماده في القرن الثاني للميلاد، ويحمل دلالات سياسية، بينما المنارة السباعية الرؤوس لها رمزية دينية، وعليها نصوص في العهد القديم، ورافقتهم منذ بدء دعوتهم، لذلك اتخذوها رمزاً.

٨ ـ مزوزاه: عضادة الباب

يضع يهود المزوزاه فوق أبواب البيوت في مكان ظاهر وكأنها رُقية للبركة وطلب الحفظ، وتكون من رقٍّ من الجلد تكتب عليه نصوص من العهد القديم، ويتم تشكيل الرقّ على شكل لفافة توضع في زجاج أو في غمد مصنوع من مادة بلاستيكية أو من مواد أخرى. وتوضع المزوزاه على عضادة الباب الرئيسي أو على أبواب الغرف واحدة واحدة، ما عدا الحمامات، من الجهة اليمنى، ويكتب على الرق من الجهة الظاهرة كلمة «شدّاي»، وهي الحروف الثلاثة الأولى من الكلمات التالية: «شومير دلاتوت يسرائيل»، ومعناها بالعربية: «حامي أبواب إسرائيل».

توضع المزوزاه في شق خاص ظاهر في عضادة الباب، وقد درج كل

(١) الشامي، د. رشاد عبد الله، **الرموز الدينية في اليهودية**، م.س، ص٣٤، ٣٥.

يهودي على تقبيل المزوزاه عند الدخول والخروج من المنزل، أو أن يلمسها بأصابعه ويقبل أصابعه بعد لمسها، ويقول بعدها دعاءً هو: «اللّهم احرس خروجي وعودتي من الآن وإلى الأبد».

أما النصوص التي تكتب على المزوزاه فهي: «**اسمع يا إسرائيل إن الرب إلهنا هو ربّ واحد. فأحبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل قوتك. ولتكن هذه الكلمات التي أنا آمرك بها اليوم في قلبك. وردّدها على بنيك وكلمهم بها إذا جلست في بيتك وإذا مشيت في الطريق وإذا نمت وقمت. واعقدها على يدك ولتكن عصائب بين عينيك. واكتبها على دعائم أبواب بيتك**»[١].

وهذا النص يسمى الشماع؛ شهادة التوحيد، لذلك يكون على رقّ المزوزاه، وفي الصلاة، وفي مواقع عديدة، وحاجات متنوعة، وفي السفر نفسه ورد: «**فإن سمعتم لوصاياي التي أنا آمركم بها اليوم محبّين الرب إلهكم وعابدينه بكل قلوبكم وبكل نفوسكم. أعطيت أرضكم مطرها في أوانه مطر الخريف ومطر الربيع فتجمع قمحك ونبيذك وزيتك. وأعطي بهائمك عشباً في حقلك فتأكل أنت وتشبع. احذروا أن تنخدع قلوبكم فتبتعدوا وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها، فيغضب الرب عليكم فيحبس السماء فلا يكون مطر ولا تعطي الأرض غلتها فتهلكون بسرعة على الأرض الطيِّبة التي يعطيكم الرب إياها. فاجعلوا كلماتي هذه في قلوبكم وفي نفوسكم واعقدوها علامة على أيديكم ولتكن عصائب بين عيونكم. وعلموها بنيكم مكلمين إيّاهم بها، إذا جلست في بيتك وإذا مشيت في الطريق وإذا نمت وإذا قمت. واكتبها على دعائم أبواب بيتك**»[٢].

إن هذا النص جاء يحدِّد السبيل إلى الظفر بأنعم الخالق، وكيف أن ممارسة ما يغضبه يذهب ذلك، وبذلك تكون النصوص الموجودة على المزوزاه في مسألة التوحيد، وبعدها في تحصيل الرزق الذي يؤمن للإنسان حياة كريمة لأن ذهاب النعمة بعد النقمة يقضي على الاستقرار والهناء. فالمزوزاه تجلب البركة.

---

(١) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ٦، الفقرة ٤ وما بعدها.

(٢) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ١١، الفقرة ١٣ وما بعدها.

٩ ـ التفيلين

يتكون التفيلين من علبتين من الجلد لكل منهما قاعدة، وتركز على اليد اليسرى وعلى الجبهة في مقدمة الرأس، وتتصل العلبتان بخيوط جلدية سوداء كذلك، وهذه الخيوط تلف حول الرأس لتثبيت علبة مقدمة الرأس، وتلفّ حول الأصابع والذراع لتثبيت علبة اليد. وذلك واجب حدّده نص في العهد القديم. «**واعقدها على يدك ولتكن عصائب بين عينيك**»[١].

يبدأ اليهودي باستخدام التفيلين عندما يبلغ سن الثالثة عشرة من العمر، وهي سن البلوغ «بارمتسفاه» حيث يصبح مكلفاً، والأنثى ليس مطلوباً منها وضع التفيلين.

علبة التفيلين تحوي رقاً من الجلد عليه نصوص من العهد القديم أولها نص الشماع «شهادة التوحيد»، وهو الذي يُتلى مع كل صلاة، والنص الثاني هو نص طلب النعم الذي يكون في المزوزاه مع الشماع، وقد سبق ذكره، والنصان من سفر تثنية الاشتراع. وفي التفيلين نصان آخران من سفر الخروج هما:

«**وكلم الرب موسى قائلاً: قدّس لي كل بكر كل فاتح رحم من بني إسرائيل من الناس والبهائم إنه لي. فقال موسى للشعب: اذكر ذلك اليوم الذي خرجتم فيه من مصر من دار العبودية لأن الرب أخرجكم بيد قوية من هناك**»[٢].

«**وإذا أدخلك الرب أرض الكنعانيين كما أقسم لك ولآبائك وأعطاك إياها. تعزل للرب كل فاتح رحم وكل أول نتاج من البهائم التي لك الذكور للرب. وأما بكر الحمار فتفديه بشاة وإن لم تفديه فتكسر قفا عنقه وكل بكر من بنيك تفديه**»[٣].

إن التفيلين الذي يحوي نصوصاً تحوي معظم ما يلتزمه يهود من التوحيد وطلب الأرزاق والقرابين والتخلص من العبودية، ودخول أرض غيرهم، له مكانة وقداسة، لذلك يوصون بعدم وضعه في مكان غير طاهر، ولا أن يدخل

---

(١) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ٦، الفقرة ٨.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح ١٣، الفقرات ١ ـ ٣.

(٣) سفر الخروج، الإصحاح ١٣، الفقرات ١١ ـ ١٣.

به من لبسه أمكنة نجسة، كما أن واجبه أن يتفقده كل مدة لصيانته وتجديده.

ويتم وضع التفيلين في صلاة الصباح (شحاريت) كل يوم، ويستخدم في بعض الصلوات الأخرى، ويبدو من الوثائق التاريخية أن استخدام التفيلين طقس قديم عند يهود، واستخدامه بدأ قبيل الميلاد بقليل، ويدل على ذلك وجود نماذج منه في مكتشفات قمران المعروفة باسم لفائف البحر الميت، وسيرد ذكرها لاحقاً. أما في أيامنا هذه فقد أصبح التفيلين ضرورة للصلاة عندهم ويستخدمونه جميعاً، وحيث تكون الصلاة.

١٠ ـ الطليت وتصيتصيت: العباءة والشال والأهداب والطاقية[١]

لقد أمرت الشريعة اليهودية من خلال العهد القديم باستخدام أهداب أو جدائل على الثوب، خاصة أثناء الصلاة، وذلك ليتميز اليهودي عن غيره، وهذه المسألة ورد ذكرها في النص التالي: «**وخاطب الرب موسى قائلاً: كلِّم بني إسرائيل ومرهم أن يصنعوا لهم أهداباً على أذيال ثيابهم مدى أجيالهم ويجعلوا على هدب الذيل من البرفير البنفسجي**»[٢].

وفي ترجمات، غير الترجمة الكاثوليكية، يستخدمون بدل البنفسجي: أسمنجوني ومعناها بالعربية اللون السماوي، أي اللون الأزرق، وهو المستخدم مع الأبيض في علم العدو الإسرائيلي وسائر رموزه.

هذه الأهداب «تصيتصيت» تكون على نوعين من الشال. الشال الصغير الذي تخرج من طرفيه ثمانية أهداب: أربعة زرقاء، وأربعة بيضاء، وترمز إلى تمييز بزوغ الفجر بعد العتمة، وهذا الشال الصغير يستخدمه اليهودي تحت العباءة أو يضعه على كتفيه عند أداء الصلاة الفردية، وهذا «الطليت» الشال الصغير يسمحون به للصغار من سن ثلاث أو أربع سنوات.

أما الطليت الكبير فهو عباءة أو رداء يكون فوق الثياب على الكتفين،

---

(١) للتفصيل يراجع:

أ ـ ظاظا، د. حسن، م.س، ص ١٨١ وما بعدها.

ب ـ الشامي، د. رشاد عبد الله، **الرموز الدينية اليهودية**، م.س، ص٥٧ وما بعدها.

جـ ـ موقع وزارة خارجية العدو الإسرائيلي على شبكة المعلومات الدولية.

(٢) سفر العدد، الإصحاح ١٥، العدد ٣٧.

ويغطي معظم الجسم، وهو كالعباءة العربية المعروفة، وهذا الطليت يكون له «تصيتصيت» جدائل وأهداب من الزوايا الأربعة، وعند منطقة الياقة يكون البرفير مع أهداب، وهذه قد تكون ذهبية أو من لون آخر. أما العباءة فهي من القطن أو الصوف أو الحرير، ويكون مخططاً بين الأبيض والأزرق أو الأسود أحياناً، وقد يكون الطليت الكبير؛ العباءة مزخرفاً عند أطرافه أو في قسمه الأعلى في البطانة.

الطليت الكبير، أي العباءة، أساس عند اليهودي في المنيان، أي الصلاة الجماعية، وأقل المنيان عشرة أشخاص، ولا تصح إذا كان العدد أقل من ذلك، والعدد عشرة مطلوب لكل العبادات الجماعية.

وقد يكتبون على الأهداب في الطليت أول عبارات الشماع؛ شهادة التوحيد وهي: «إسمع يا إسرائيل إن الله إلهنا واحد».

هذا الشال بنوعيه له شروط طهارة، لذلك هو عندهم مخصوص بالرجال ولا تلمسه النساء، وتحقيقاً لغرض الطهارة هذا يوضع في مكان خاص في المنزل، ويبقى ملازماً لصاحبه في كل عباداته خاصة الصلاة، وعند الوفاة يُلف به ولا ينتقل إلى غيره.

وما دمنا عند لباس الصلاة، العباءة والشال، يفيد أن نذكر الطاقية «كيبا»، وهي عندهم غير مقدسة كالطليت مع الأهداب، ولكنها ترمز إلى تدين من يرتديها، لهذا لا يؤدي اليهودي صلاة إلا إذا وضع الطاقية على رأسه ويفعل ذلك غير المتدينين كذلك.

وربما قصدوا بذلك احترام الله حين يتوجهون إليه بالصلاة والأدعية. وهناك عادة يلاحظها الإنسان عند بعض المسلمين هي وضع اليد على الرأس حين سماع الأذان أو كلمات التوحيد، وليس هناك دليل حاسم إذا كانت هذه العادة قد تسربت إلى المسلمين أو بعضهم من هذا التقليد.

فالطاقية عند يهود ترمز إلى التوقير والاحترام لذلك نجدهم يرتدونها عند الصلاة، أو حين يقرأون نصوصاً مقدسة، أو حين يقابلون كبير حاخاماتهم أو شخصاً ذا تقدير ومكانة كبيرة.

١١ ـ نجمة داود: «ماجين دافيد»

«ماجين دافيد» معناها بالعربية: درع داود. لكن شاع الاستخدام على أن «ماجين دافيد»، نجمة داود التي تتشكل من مثلثين متساويـي الأضلاع، ويتقاطعان بشكل معكوس مما يجعل للنجمة ستة رؤوس، فتكون نجمة سداسية باتت تسمى: نجمة داود.

أما اعتماد النجوم والكواكب للحماية من الأذى والحسد، أو ربط النصيب بها، وإعطاؤها مكانة خاصة في العبادات وصلت عند بعضهم إلى حد القول بأنها واسطة بين الخالق والمخلوقات، ولذلك قدَّسوها.

والعودة إلى طقوس شعوب كثيرة قديمة وإلى رموز وُضعت على أبواب البيوت وعلى المقابر وأمور أخرى، وكلها كانت تستخدم النجوم. لذلك يكون اتخاذ النجمة في دار داود عليه السلام رمزاً لدرع بقصد الحماية عملاً يتماشى مع السائد في المحيط.

يبدو أن النجمة تأصل استخدامها حوالي القرن الثالث الميلادي ولكنه بات أمراً محسوماً بعد القرن السابع عشر، وفي ١٨٩٧، عند انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال السويسرية، حيث تم اتخاذ النجمة السداسية «ماجين دافيد» رمزاً للحركة الصهيونية إلى أن تمَّ اغتصاب فلسطين، وكانت رمزاً ينافس «المنوراه» ولم يكتفوا بوضعها على العلم، وإنما هي رمز جيش الدفاع الإسرائيلي وزادوا عليها في وسطها خنجراً محاطاً بغصن زيتون، وهي رمز سلاح الطيران، ولها موقع على جميع الآليات العسكرية الجوية والبرية والبحرية، وعلى سائر المعدات الحربية، وهي شعار للشرطة الإسرائيلية، وهي رمز المؤسسات الصحية للعدو الإسرائيلي، فهي بمقابل الهلال الأحمر الإسلامي، أو الصليب الأحمر المسيحي.

وعند مراجعة رموز وشعارات النقابات والشركات عند العدو الإسرائيلي فإننا نجدها موجودة فيها جميعاً، ولعل السبب أن الصهاينة المعاصرين يزعمون بأن المسيح المخلص، الذي ينتظرونه، سيكون من سلالة داود، وسيجدد استخدام درع داود «ماجين دافيد» وهو النجمة السداسية، لذلك بالغ الصهاينة المعاصرون في تداولها كأهم رمز عندهم، وقد تجاوزت في موقعها

وانتشارها رمزية «المنوراه» السباعية، رغم أن المنوراه يعود استخدامها إلى خيمة الاجتماع الأولى زمن موسى.

١٢ ـ لفائف الشريعة؛ أو لفائف التوراة

لفائف التوراة تتمتع بمكانة سامية عند يهود، وهي أهم محتويات معابدهم. هذه اللفائف تُخطُّ عليها التوراة بالأسفار الخمسة: التكوين والخروج واللاويين (الأحبار) والعدد وتثنية الاشتراع، وتكون اللفائف من إعداد أحد المعلمين الذي يقضي وقتاً طويلاً نسبياً في نسخها، وبعد ذلك تثبت على عصاوين ليسهل نقلها وحملها ورفعها وفتحها، وتُلفّ بقماش ثمين من الحرير، والعصاوان تلبس أطرافهما بمعدن ثمين، ثم توضع اللفائف في صندوق من الخشب يكون منحوتاً بإتقان ومزركشاً بحيث يكون شكله لافتاً.

ومكانة اللفائف عندهم تفرض على من ينسخها أن يصرِّح بنيته فيقول: «أنوي كتابة التوراة على بركة الله». وبعد إنجازها توضع اللفائف في مكان خاص في المعبد في الجهة المقابلة لمدينة القدس. والتعامل معها كمثل التعامل مع التفيلين لجهة حفظها في أماكن طاهرة، وعند القراءة فيها في الأوقات المحددة في المعابد، يستخدم القارئ قطعة من الفضة أو العاج حتى لا يلمس الرقَّ الذي كتبت عليه اللفائف. وقد درج يهود في معابدهم أن يضعوا (همنوراه) مصباحاً مصنوعاً بشكل فني أمام خزانة اللفائف، وذلك على سبيل الرمز إلى النور الذي تنشره أسفار التوراة.

قد يضيف بعض القائمين على المعابد أسفاراً أخرى إلى لفائف الشريعة، مثل سفر نشيد الإنشاد، وسفر أستير وغيرهما. وقد يحمل جنود العدو الإسرائيلي «لفائف التوراة» ويجعلونها في مقدمة الحملة العسكرية، ويرفقون ذلك مع دعاء يقولون فيه: «إنهض بالله ودع أعداءك يتشتتون واجعل من يكرهك يهرب من أمامك». وفي الحروب العربية ـ الإسرائيلية عثر الجنود العرب على مثل هذه اللفائف مع بعض من أسروهم واستولوا على عتادهم.

١٣ ـ تابوت العهد

أو تابوت الشهادة، وقد جاء أمر الرب لموسى بأن يصنعه من خشب السنط، وأن يضع فيه الألواح التي تحوي الوصايا العشر ومعهما العصا والوعاء.

جاء وصف التابوت في سفر الخروج على الشكل التالي: «ويصنعون تابوتاً من خشب السنط، يكون طوله ذراعين ونصفاً وعرضه ذراعاً ونصفاً وعلوّه ذراعاً ونصفاً ولبّسه بذهب خالص من داخل ومن خارج تلبّسه وتصنع عليه إكليلاً من ذهب محيطاً به. وصُبّ له أربع حلقات من ذهب واجعلها على أربع قوائمه حلقتين من جانبه الأول وحلقتين من جانبه الآخر. واصنع قضيبين من خشب السنط ولبّسهما بالذهب وأدخل القضيبين في الحلقات على جانبي التابوت ليُحمل بهما. ويبقى القضيبان في الحلقات لا يُرفعان عنه. **وضع في التابوت الشهادة التي أعطيك إياها**»[1].

ثم أصبح يهود يضعون في «تابوت العهد» الصندوق مع الوصايا لفائف التوراة بأسفارها الخمسة، وكانوا يحرصون على نقلها معهم، ويتقدمهم من يحملها، ثم باتوا يحفظونها في المعابد، ولا يسمحون لكل من أراد أن يلمسها حرصاً على طهارتها، وبالتالي أن يكون تابوت العهد هذه الأيام عندهم هو ذلك الصندوق الذي تحفظ فيه لفائف الشريعة في المعابد، وتكون في الجهة المقابلة للقدس.

وحرص يهود، من زمن موسى، أن يحرس تابوت العهد أشخاص من سلالة سبط اللاويين (الأحبار) ممتثلين بذلك لنص من العهد القديم: «ولما انتهى موسى من كتابة كلمات هذه الشريعة حتى آخرها في سفر. أمر اللاويين حاملي تابوت عهد الرب وقال لهم: خذوا سفر هذه الشريعة وضعوه إلى جانب تابوت عهد الرب إلهكم فيكون هناك شاهداً عليك»[2].

أما العبارة التي يستخدمها جنود العدو فإن أصلها وافد من زمن التيه في الصحراء حيث كان يهود ينتقلون يتقدمهم من يحمل تابوت العهد، ويقولون: «قم يا رب فلتبدد أعداءك ويهرب مبغضوك من أمامك».

١٤ ـ لفائف البحر الميت؛ طوامير مغاور وادي قمران[3]

الحدث جرى أواخر صيف العام ١٩٤٧ بالقرب من «عين فشخة»، وهي من

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٢٥، الفقرة ١٠ وما بعدها.

(٢) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ٣١، الفقرتان ٢٥، ٢٦.

(٣) للتفصيل يراجع: =

منطقة «أريحا» على الجهة الغربية للبحر الميت، فقد كان أحد الرعاة، واسمه محمد الدِّيب، يرعى خرافه، وهناك غاب عن نظره أحدها، وأخذ يبحث عنه في المغاور والشقوق المنتشرة في ذلك الموقع لكنه بدل أن يجد خروفه عثر على مجموعة من الطوامير التي تحوي لفائف قديمة، وهو لا يعلم قيمة ما عثر عليه مصادفة، لكن فيما بعد اشتهر هذا الاكتشاف باسم «طوامير وادي قمران» أو «لفائف البحر الميت»، ولم يكن أحد يتوقع أن يدخل هذا الراعي، محمد الدِّيب من قبيلة التعامرة الفلسطينية، التاريخ المعاصر بوصفه صاحب أكبر اكتشاف وأهم كشف أثري ديني فيما يتعلق باليهودية.

لكن هذه اللفائف التي عرضها محمد الدِّيب على أحد المهتمين بتجارة المقتنيات، السياحية، هو خليل إسكندر شاهين وهو من بيت لحم، لم يتم اكتشاف قيمتها إلا في ١٨/١/١٩٤٨ حين وصلت من خلال شاهين إلى يد المستشرق الأمريكي جون تريفر في المدرسة الأميركية للدراسات الشرقية بالقدس.

توالت بعدها الاكتشافات للفائف في هذه المنطقة من قبل الرعاة في الأعوام ١٩٥٢ و١٩٥٥ و١٩٥٦، وكان عدد المغاور أو الأدراج التي تمَّ العثور فيها على لفائف أحد عشر موقعاً.

هذه اللفائف التي تعود إلى قبيل الميلاد بقليل، هي أقدم ما تمَّ العثور عليه من مخطوطات العهد القديم، وكانت هذه اللفائف باللغات الآرامية والعبرية واليونانية والنبطية.

لقد تنوعت الآراء حول تحديد الفرقة التي كانت تقيم في المنطقة، ولكن المؤكد أن فرقة كانت تعيش مختلفة في مفاهيمها عن سواها خاصة لجهة انتظار المسيح المخلص. أما محتويات اللفائف فهي، بالإضافة إلى أسفار العهد القديم، بعض التفاسير حول نصوص العهد القديم، ونصوص الصلوات مع أدعية، وعدد من اللوائح الخاصة بنظام الحياة، ونصوص حول نهاية

= أ ـ ديب، سهيل، م.س، ص٨٣ وما بعدها.
ب ـ ظاظا، د. حسن، م.س، ص٢٧٣.
جـ ـ **قاموس الكتاب المقدس**، م.س، ص١٦٥، ١٦٦.

العالم وظهور المسيح المخلص المنتظر. واللافت أن اللفائف قد تمَّ إعدادها بشكل متقن، فهي على قطع من الرق الجيد وملفوفة بالكتان المدهون بالقار لمنع الرطوبة والتلف.

١٥ ـ غوييم (Goyim)

مفردها «غوي»، وهو اسم أطلقه يهود على كل من هو غير يهودي، والغويم هم الأغيار أو الأمم في مصطلحهم. وسبب هذا التمييز اعتقاد يهود بأنهم الشعب المختار، وأنهم من تكوين ومن طبيعة يختلفان عما هو في سائر البشر.

ولفظة غوييم، عند التعريف، يعطيها يهود كل ما يحويه قاموسهم من نعوت التحقير للآخرين، وتمثل اللفظة وفق مفهومهم ذروة العنصرية. «واقترنت كلمة غوي في عقولهم بالزراية والاحتقار، فإذا قال اليهودي عن شخص أو شيء: إنه غوي، فهو يعني بذلك أنه همجي بربري يجمع القذارة والنجاسة والحقارة»[1].

«وحسب الظروف أو النصوص المستعملة بها، تعني كلمة غوييم، بالنسبة لليهودي، تارة العدو العالمي المكروه وطوراً السعادين الحليقة المحتقرة، . . أو قطيع الغوييم الغبي»[2].

وتصل العنصرية بهم إلى حدِّ الدعوة إلى إبادة الغوييم أو الأغيار. على يهود أن لا يكفوا عن إبادة الغوييم وأن لا يدعوهم في أمان ولا يخضعوا لهم.

وتظهر عنصرية يهود تجاه غيرهم، أيّاً كان معتقدهم، من خلال نصوص التلمود، ومنها نص يقولون فيه: «الخارج عن دين يهود حيوان على العموم، فسمِّه كلباً أو حماراً أو خنزيراً. والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان. وقال الحاخام أباربانيل: المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات، وخلق الله الأجنبي

(١) ظاظا، د. حسن، **أبحاث في الفكر اليهودي**، دمشق، دار القلم، وبيروت، دار العلوم والثقافة، ط١، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١٠٩.

(٢) **التوراة: تاريخها وغاياتها**، ترجمة وتعليق سهيل ديب، بيروت، دار النفائس، ط٤، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٤.

(الغوي) على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة يهود الذين خُلقت الدنيا لأجلهم لأنه لا يناسب لأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية»[١].

جاء في التلمود: «اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على يهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم (الغوييم) من هلاك ويخرجه من حفرة يقع فيها لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين»[٢].

١٦ ـ الغيتو Ghetto

شكل من أشكال الانعزال الذي مارسه يهود في أكثر من مدينة وموقع في العالم، وفي أوروبا خاصة. والغيتو حيّ مغلق ترتفع حوله الأسوار، وفي هذا الحيّ الذي ينعزل فيه يهود بدعوى ممارسة حياتهم وفق شريعتهم مثل الطعام الحلال، وطقوس الزواج والعزاء وغير ذلك تحولت مع الوقت إلى بؤر للربا والعصابات والفساد، مما دفع الأوروبيين إلى استشعار المخاطر من هذه الغيتوات، لذلك شكل ذلك عند بعضهم دافعاً لدعم مشروع الحركة الصهيونية باغتصاب فلسطين.

أما الكلمة فبعضهم قال إنها مشتقة من كلمة «جت» العبرية التي تعني: الانفصال، أو الطلاق، أو الانعزال. ومنهم من قال: إن الكلمة مشتقة مما كان، وهو قيام حيّ يهودي خالص قرب معمل لسبك المعادن أو لصناعة المدافع «Villgetto» في مدينة البندقية الإيطالية، وهناك رأي ثالث يعيد التسمية إلى الألمانية Geheckter ort ومعناها: المكان المحاط بالأسوار. كما أنه كان هناك أحياء يهودية في مدن كثيرة كانت تسمى: الحي اليهودي.

هذه الأحياء قامت بشكل اختياري، وقد عمد إليها زعماء يهود والذي أسسوا الحركة الصهيونية فيما بعد كي يحافظوا لأتباعهم على خصوصيات قد تتصدع حال الاختلاط مع الأغيار.

لكن العزلة الاختيارية زاد منها، بحيث باتت تتشكل الغيتوات بشكل

---

(١) روهلنج، د. أغسطس، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ترجمة د. يوسف نصر الله، مصر، مطبعة المعارف، ط١، سنة ١٨٩٩م، ص٥٣.

(٢) روهلنج، د. أغسطس، م.س، ص٦٦.

أوسع، قرار البابا بولس الرابع (١٥٥٠ـ ١٥٥٩)، وكان ذلك في نشرة بابوية صدرت عام ١٥٥٥، وقد بدأ تنفيذ هذه الإرادة البابوية، وعام ١٥٦٢ قام الحي اليهودي في البندقية كما سبق الذكر، وأخذ اسم: غيتو.

هذه الغيتوات أضافت جديداً إلى روح العداء ضد يهود في كل المجتمعات الأوروبية، كما أن ما انتشر فيها من فقر وبؤس زاد في تمرد يهود ونقمتهم، فتمت ترجمة ذلك بما زعموا أنه «عداء للسامية»، وهي أكذوبة، لأن موضوع سام بن نوح وسائر ما يحاك في هذا الأمر إنما هو أساطير نسجها الذهن اليهودي الذي صاغ خرافة أبناء نوح عليه السلام: سام وحام ويافث.

ثم إن يهود اليوم هم من أصل خزري بنسبة ٩٢ بالمئة ـ كما مر سابقاً ـ فمن أين يكون ارتباطهم مع فلسطين وموسى بن ميمون، الفيلسوف اليهودي الأندلسي (١١٣٥م ـ ١٢٠٤م)، عندما زار القدس لم يجد فيها سوى يهوديين؟

إن الغيتو طبيعي الظهور ليقيم فيه جماعات ظنوا أن الخالق خصهم باسم له تعالى «يهوه»، وأنهم الشعب المختار. كما أن ممارسة قوانينهم الاجتماعية وطقوسهم الدينية، وهي متمايزة لا تقبل الآخر وتسميه: غوي، قادت حكماً إلى الانعزال فكان الغيتو، والذي يمارسونه اليوم بواسطة جدران الفصل العنصري في فلسطين المحتلة، وكأنهم يريدون تحويل الأرض المحتلة المغتصبة كلها إلى غيتو.

١٧ ـ الحاخام: «Rabbi»

الحاخام أو الرابي هو الرئيس الروحي، ومعلِّم الشريعة، ومفسِّر القوانين عند يهود.

كان الكهنة عندهم سابقاً من نسل لاوي بن يعقوب، وبات الأمر وراثياً، وفي زمن النبي داود، كما تنقل بعض مصادرهم بأن اللاويين (الأحبار) كانوا يتولون المهام التالية: خدمة الطقوس العبادية، والقضاء والكتابة، والبوابين، والموسيقيين.

ليس عند المعاصرين من يهود تراتبية كهنوتية، والحاخام هو معلم الشريعة، والمصطلح ليس قديماً، ولقد عملوا على تأسيس معاهد دينية، لإعداد رجال الدين منذ القرن التاسع عشر، وكانت معاهد أولى في ألمانيا والولايات

المتحدة الأميركية والنمسا، وكان ذلك بدءاً من العام ١٨٥٤م.

أما بعد اغتصاب فلسطين فقد أسست وزارة الأديان الإسرائيلية، بعد اغتصاب فلسطين من قبل العدو عام ١٩٤٨، معاهد رسمية لإعداد وتأهيل رجال الدين، ولا يكون رجل الدين اليهودي إلا بقرار حكومي من خلال وزارة الأديان.

يقوم الحاخامات في كيان العدو الإسرائيلي بمهمة تعليم الشريعة وتفسيرها، ولهم أمر تأسيس الفرق الدينية، والمدارس غير الحكومية للتعليم العام، كما أنهم أصحاب سلطان في تأسيس العديد من الأحزاب السياسية.

وعند العدو، مع وزارة الأديان، مؤسسة دينية هي: دار الحاخامية وتتكون من عشرة أعضاء ينقسمون بالتساوي بين شرقيين وغربيين، هذا المجلس الديني اليهودي الأعلى يجري انتخابه كل خمس سنوات. ودار الحاخامية لها القرار الفصل في كل الشؤون الدينية كقوانين الأطعمة الحلال «كاشير»، وإعداد القضاة للمحاكم الدينية، وتفسير القوانين بما يتماشى مع الظروف والمستجدات.

وتجدر الإشارة إلى أن كل ذلك لم يمنع الاختلاف بين الحاخامات حول الكثير من القضايا، ومن ذلك ما وصل إلى حد التناقض أو العداء.

لقد كانت تصريحات لحاخام اسمه شموئيل شولزيخر، يقول فيها: «إن الحاخام عوفاديا يوسف مصاب بمرضين: حب المال، وكراهية كبيرة ليهود الغربيين».

وهناك اختلافات حول العمل يوم السبت، ومن ذلك مثلاً عملية أخذ الحليب من الأبقار وسائر المواشي في المزارع، أو زراعة الأرض في السنة السابعة، سنة الراحة حسب شريعتهم.

أما في الميدان العسكري فإن الحاخامات يتمتعون بنفوذ كبير مكَّنهم من استصدار قرار بإعفاء طلبة العلوم الدينية من الخدمة العسكرية، وفصل المجندين عن المجندات، ونشر ثقافة مفادها أن الاستيطان الإحلالي في فلسطين واجب ديني، والمقدس بناء لذلك هم: التوراة والشعب وأرض إسرائيل التي يزعمون بأنها أرض الميعاد.

١٨ ـ هرمجدون

هر: جبل أو تل، ومجيدو أو مجدّون: هو تل المتسلم في الطرف الجنوبي من سلسلة الجبال التي تنتهي بجبل الكرمل في الشمال من فلسطين المحتلة. ومجدّون، أو تل المتسلم، تبعد ٩٠كلم عن القدس شمالاً، و٣٠ كلم جنوب غرب حيفا.

جاء في «قاموس الكتاب المقدس» إن التنقيب بيَّن أن تل المتسلم كان مأهولاً بالسكان منذ الألف الرابع قبل الميلاد، «وقد اكتُشف أيضاً نقوش على قطع من العاج ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وتظهر من هذه النقوش ثقافة الكنعانيين ومدينتهم».

هرمجدون، حسب المعتقد اليهودي الذي يشترك معهم فيه كل الصهاينة غير اليهود في العالم، ومنهم رؤساء أميركيون كرونالد ريغان، وبوش الأب والابن، وقساوسة متصهينين، ستكون ساحة لمعركة كبرى تتقابل فيها جحافل من الجيوش، وبعدها ستكون حالة حسم يأتي بعدها ظهور المسيح المخلص المنتظر، ويفنى في معركة هرمجدون ثلثا من ينتمون إلى اليهودية. وبعد هرمجدون تنتهي أزمنة الأمم والحروب والصراعات ـ حسب زعمهم ـ ويكون بعدها العهد الألفي السعيد؛ أي الألف سنة من السعادة التي سيعيشها من يبقون. ويشترك مع الصهاينة بِدع وفرق في هذا المعتقد أبرزها بدعة «شهود يهوه».

الفصل السابع

الصِهيونية[1]

١ ـ التعريف

الكلمة نسبة إلى صِهْيَون. والمفردة من الكنعانية القديمة، وهي اسم لربوة تطل على القدس. وصِهْيَون: الجبل الجاف، أو الجبل المشمس، وقد تقال بمعنى الحصن.

وقد تكون من الصِهوة، وصِهوة الشيء: أعلاه. ومنها صِهْوة الجواد. إن ربوة صِهيون اتخذت موقعاً منذ حوالي العام ٢٥٠٠ق.م حين أقام اليبوسيون،

---

(١) للتفصيل يراجع:

ـ الحسن، د. يوسف، **البعد الديني في السياسة الأميركية تجاه الصراع العربي ـ الإسرائيلي**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، سنة ١٩٩٠م.

ـ هالسل، غريس، **الفكر التوراتي والحرب النووية**، ترجمة عبد الهادي عبلة، دمشق، ط٣، سنة ١٩٨٨م.

ـ السماك، محمد، **الصهيونية المسيحية**، بيروت، دار النفائس، ط٣، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ـ ظاظا، د. حسن، **أبحاث في الفكر اليهودي**، م.س، ص٩٧ وما بعدها.

ـ الشريف، د.ريجينا، **الصهيونية غير اليهودية**، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ربيع الأول ١٤٠٦هـ ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥م.

ـ السحمراني، د. أسعد، **من اليهودية إلى الصهيونية** ص١٨٩ وما بعدها.

ـ غارودي، روجيه، **قضية إسرائيل والصهيونية السياسية**، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، سنة ١٩٨٤م.

ـ مجلس كنائس الشرق الأوسط، **ما هي الصهيونية المسيحية الأصولية**، ترجمة حسني زينة، سنة ١٩٩١م.

ـ لمعي، القس إكرام، **الاختراق الصهيوني للمسيحية**، القاهرة ـ بيروت، دار الشروق، ط١، سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

وأحد شيوخهم سالم اليبوسي، دولة، وجعلوا قصر الحاكم وحصنه على صِهيون. ولا علاقة ليهود بصهيون من قريب أو بعيد، فالقدس مدينة أسسها الكنعانيون منذ الألف الرابع قبل الميلاد.

والصِهيونية بوصفها حركة سياسية ذات أبعاد دينية، أو أن مشروعها يقوم على مزاعم دينية، منها أن عودة المسيح ستكون بعد معركة هرمجدون، ويجب أن يسبق ذلك وجود يهود في فلسطين المحتلة التي يقولون بأنها أرض المعاد، أو أرض إسرائيل.

والصِهيونية ـ اليوم ـ باتت صهيونيتين هما:

١ ـ صهيونية يهودية أطلق مسارها، للمرة الأولى، تيودور هرتزل يوم دعا إلى مؤتمر يهودي عالمي، أو إلى المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقِد في مدينة بال في سويسرا (٢٩ـ ٣١ آب/ أغسطس) من العام ١٨٩٧. وإذا كان هناك من سبق إلى طرح موضوع إقامة وطن قومي يهودي، مثل موسى هس الذي نشر كتابه «روما والقدس» عام ١٨٦٢، وهناك آخرون غيره، لكن هرتزل هو أول من أسهم في قيام صيغة منظمة لخدمة هذه الأهداف.

٢ ـ صِهيونية غير يهودية، وهي التي كانت بذرتها الأولى مع حركة البروتستانتية، وبشكل خاص مع ظهور تيار متشدد خرج من رحم البروتستانت هو تيار البيوريتانيين؛ التطهريين (Puritaines - Puritans)، وقد شكل البيوريتان طلائع المهاجرين الأولى إلى أرض القارة الأميركية بعد اكتشافها، وكان أكثرهم قد استوطن في القسم الشمالي (نيو إينجلند)، وهؤلاء من دعوا لالتزام العهد القديم مع العهد الجديد في الوسط المسيحي، وكانوا أول من تسموا، بسبب غلوهم وتطرفهم، بالأصوليين، ومن خلال بروزهم دخلت مفردة Fondamentalism لأول مرة إلى المعاجم الأوروبية.

٢ ـ الصهيونية غير اليهودية ودورها في اغتصاب فلسطين

«الصهيونية غير اليهودية» اسم نقترحه بدل تعبير «الصهيونية المسيحية» لأن الفكر الصهيوني النابع من جذور عنصرية صاغتها الأقلام اليهودية في العهد القديم»، كما في التلمود، ترى في المسيحية والمسيحيين العدو الأول. وفي المقلب الآخر فإن كل مسيحي التزم فلسفة المحبة وهي مرتكز في الدعوة

المسيحية لا يمكنه أن يوافق على أي شكل من أشكال العنصرية الصهيونية أو جرائمها، وبهذا يكون الربط بين الصهيونية والمسيحية ربطاً في غير مكانة، لا بل يحمل في طياته إساءة كبرى للمسيحية وللمسيحيين، لهذا كان الإلحاح من قبل صاحب هذا العمل في الكثير من المؤتمرات والملتقيات كي يستخدم أهل الأقلام والمنابر تعبير «الصهيونية غير اليهودية».

لقد سبقت «الصهيونية غير اليهودية» «الصهيونية اليهودية» في النشأة والحضور الديني والسياسي. ظهرت البروتستانتية ومعها كان الإلحاح على اعتماد «العهد القديم»، وعزَّز ذلك انتقال ملك بريطانيا هنري الثامن إلى البروتستانتية من الكاثوليكية بعد نزاع مع البابوية في الڤاتيكان، وفي العام ١٥٣٨ أمر هنري الثامن بنقل «العهد القديم» إلى الإنكليزية، وطباعته ونشره مما جعل النص اليهودي أحد مكونات الثقافة البريطانية. وشجع على الاهتمام بالنصوص اليهودية، وباللغة العبرية، الملك البريطاني جيمس الأول (١٦٠٣-١٦٢٥)، وبدأ، بَعْدُ، قبيلٌ من الأوروبيين يقبل المفاهيم اليهودية للكتاب المقدس، وكان من أوائل من تبنى فكرة اغتصاب فلسطين وتوطين يهود فيها المستشار البريطاني في القصر الملكي هنري فنش (Henry Finch) الذي كتب بحثاً عنوانه: «الاستعادة العظمى العالمية»، ويعد هذا البحث أول إعلان بريطاني، وأوروبي في إطار الصهيونية غير اليهودية، التي تلتزم مزاعم تجميع يهود في فلسطين تمهيداً لظهور المسيح المخلص.

توالت بعد ذلك دعوات تتبنى مزاعم الحق اليهودي بفلسطين، ولا أحد يعلم كيف يكون ذلك، ونسبة ٩٢ بالمئة من يهود العالم هم من يهود الخزر الذين دخلوا في اليهودية في القرن الثامن الميلادي. وبدأت بعض الكتابات الداعية إلى استيطان يهودي في فلسطين منها: «رحلتان إلى القدس» لمؤلفه ناتانيال كروش (١٧٠٤)، وكتاب إميل Emile لجان جاك روسو الصادر سنة ١٧٦٢. أما جريدة التايمز البريطانية فقد نشرت في ١٨٤٠/٨/١٧ مقالاًيحوي مشروعاً للاستعمار اليهودي الاستيطاني الإحلالي، وصاحب المقال هو اللورد شافتسبري، وهو اللورد آشلي، أشد البريطانيين حماساً للصهيونية فكراً ومشروعاً.

ولأن الصهيونية اليهودية نشأت في أوروبا، وليس في أي بلد آخر فيه

يهود، وفي أوروبا الغربية من دون سواها، فإن البروتستانت كانوا المساهمين الأساسيين بفعل العامل الديني، ولأن بريطانيا قامت فيها أبرز تيارات البروتستانت خاصة البيوريتان، فإنها كانت السباقة لدعم مشروع الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي لفلسطين، ويبرز في هذا المجال القس وليام هشلر (١٨٤٠ـ ١٩٣١) الذي أيد المشروع وجمع الأموال، ومن ثمّ أوفدته حكومة بريطانيا إلى السلطان عبد الحميد الثاني العثماني عام ١٨٨٢ لإقناعه بالمشروع، وهذا القس حضر المؤتمر التأسيسي الصهيوني اليهودي في بال بسويسرا مع هرتزل زاعماً أنه، أي هشلر، سكرتير المسيح المخلص المنتظر.

وكان في هذا الصدد تأسيس «صندوق استكشاف فلسطين» في لندن عام ١٨٦٥ برعاية الملكة ڤيكتوريا، ورئاسة رئيس أساقفة كنيسة كانتربري الأنغليكانية، وصولاً إلى وعد بلفور (Balfour) وزير خارجية بريطانيا بتاريخ ٢/ ١١/ ١٩١٧، وتوالت الجهود البريطانية إلى أن سلمت بريطانيا فلسطين للعدو الإسرائيلي أوائل أيار/مايو عام ١٩٤٨، حيث كانوا يستعمرونها باسم الانتداب.

أما في القسم الشمالي من القارة الأميركية بعد اكتشافها فقد كانت الاتجاهات الصهيونية بارزة من خلال طلائع الأنكلو ساكسون المهاجرين وهم من البيوريتانيين المشبعين بالمفاهيم اليهودية والعبرية، وقد ظهر ذلك من خلال أسماء أولادهم ومنها: سارة وأليعازار وإبراهام وداود، وموسى، ومن خلال أسماء القرى ومنها: حبرون وشارون وكنعان وصهيون، وكان أول كتاب طُبع هو سفر المزامير من العهد القديم.

ويؤكد أثر الاتجاه الصهيوني أن جامعة هارفارد التي تأسست عام ١٦٣٦ تمت فيها مناقشة أول رسالة جامعية عام ١٦٤٢، وكان عنوانها: «العبرية هي اللسان الأم».

وكان للقساوسة من البيوريتان وبعض السياسيين الأميركيين دور لا يختلف عن دور الإنكليز في الدعوة للصهيونية، وما زعموا أنه حق العودة أي اغتصاب فلسطين باستعمار يهودي استيطاني. ومن نماذج هؤلاء ووردر غريسون الذي تحول من البروتستانتية إلى اليهودية، وشغل منصب قنصل

الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٥٢، وقام بإنشاء مستوطنة في فلسطين بتمويل منه.

يضاف إلى ذلك المورمون، وهم كنيسة أسسها جوزف سميث البروتستانتي الأصل، الذي زعم أنهم استقروا في ولاية يوتاه بعد تيه، وأن واجبهم أن يعملوا ليتجمع يهود في فلسطين، ولهذا الغاية أوفد جوزف سميث أحد أعوانه أورسون هايد عام ١٨٤٠ إلى القدس ليقوم بدور على طريق تسليم فلسطين والقدس للصهيونية واليهودية.

وفي قائمة الرؤساء يرد الرئيس جون أدامز (١٧٦٧ـ ١٨٤٨) الذي كان أول رئيس للولايات المتحدة الأميركية يعلن دعمه المباشر للاستيطان اليهودي في فلسطين لتقوم إسرائيل المزعومة.

أما النموذج الأكثر خدمة للصهيونية فهو القس وليام بلاكستون (١٨٤١ ـ ١٩٣٥) الذي ألّف كتاباً ونشره عنوانه: عيسى قادم Jesus is Coming عام ١٨٧٨، وقد نُقل إلى لغات عديدة، ومن ثمّ قام بتأسيس منظمة سماها «البعثة العبرية نيابة عن إسرائيل» في شيكاغو عام ١٨٨٧، وهي لا تزال موجودة لكن باسم «الزمالة اليسوعية الأميركية».

وتوالت بعدها حركة تأسيس مؤسسات تعليمية جامعية وما قبل الجامعية، ومؤسسات إعلامية، ومؤسسات شكلت كتل ضغط لصالح العدو الإسرائيلي، وجمعت له الأموال، وقد بات في الولايات المتحدة الأميركية مزاج عام متصهين نما تياره بسرعة، ووصل إلى قرابة ٦٠ مليون في هذه الأيام.

٣ ـ العهد الألفي السعيد

معركة هرمجدون ستكون الفاصلة بين أزمنة الأمم وحكمها، وبين ظهور المسيح المخلص الذي سيكون بعد ظهوره ألف سنة من السعادة ينتشر فيها العدل وينتفي الظلم، ولا تحصل حروب ولا نزاعات، لكن العهد الألفي السعيد يحتاج لمقدمات هي:

١ ـ تجميع يهود العالم في فلسطين وما يحيط بها.

٢ ـ تهويد القدس.

٣ ـ هدم الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه.

٤ ـ معركة هرمجدون.

٥ ـ ظهور المسيح المخلص المنتظر.

لقد برَّر أصحاب هذه العقيدة مواقفهم بالاستناد إلى بعض النصوص في العهد القديم التي صاغتها أقلام كتاب هذه النصوص، منها هذا النص:

«وكنت أنظر في رؤياي ليلاً
فإذا بمثل ابن الإنسان
آتٍ على غمام السماء
فبلغ إلى قديم الأيام
وقرّب إلى أمامه
وأوتي سلطاً ومجداً وملكاً
فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه
وسلطانه سلطان أبدي لا يزول
وملكه لا ينقرض»[1].

هذا الملك الأبدي الذي يبدأ بعد معركة هرمجدون، حسب مزاعمهم، تحمَّس له اليمين الأمريكي المحافظ، أو الصهاينة من صفوف البروتستانت، ومعهم «المورمون» و«الزمالة اليسوعية الأميركية» وغيرها من المنظمات والقساوسة وهم: بيلي غراهام، وفرانكلين غراهام، وبات روبرتسون، وجيري فالويل، وجيري فاينز.. إلخ.

وكان هذا الحماس بعد العام ١٩٦٧، حين استطاع العدو الإسرائيلي احتلال القدس بكاملها، ومع هذه السيطرة على المدينة المقدسة توهموا أن موعد ظهور المسيح المخلص قد اقترب، وأنه عليهم بذل جهود خاصة لجذب يهود العالم إلى فلسطين تمهيداً لمعركة هرمجدون المزعومة.

لم تنجح الصهيونية في هذا الاستقطاب رغم أنهم استخدموا كل وسيلة ممكنة، كالاستمالة والترغيب، أو الإكراه والترهيب، وحتى العام ١٩٩١، تاريخ تفكك الاتحاد السوفياتي السابق، كان يهود في فلسطين المحتلة أكثر

---

(١) سفر دانيال، الإصحاح ٧، الفقرتان ١٣، ١٤.

بقليل من ٤ ملايين غاصباً، وارتفع العدد بفعل هجرة يهودية من دول الاتحاد السوفياتي السابق حيث وصل العدد عشية انطلاق انتفاضة الأقصى المباركة إلى ٦,١٠٠,٠٠٠ غاصباً، وبعد الانتفاضة انخفض العدد إلى ٥,٣٠٠,٠٠٠ غاصباً، وانخفض عدد الآتين إلى الأرض المحتلة، بينما هناك مئات الألوف ينتظرون السماح بالهجرة ليخرجوا من أرض فلسطين، هذا ما دفع غارودي إلى القول: «إن ١٨٪ فقط من يهود العالم استجابوا لنداء العودة، ثمَّ إن التيار انعكس، فقد فاق عدد يهود الذين يغادرون إسرائيل عدد المرشحين للعودة. إذاً نستطيع ـ اليوم ـ أن نسجل إخفاق الصهيونية السياسية ومشروعها الرامي إلى سوق يهود العالم إلى إسرائيل في شكل إحياء يهودية عالمية»(١).

إن كيان العدو الإسرائيلي الغاصب قام، وهو في أساسه، ضد مقتضى طبيعة قيام الدول. لقد أسَّسوا عصابات مسلحة تبناها الغرب فقتلت وهجَّرت بمساندة غربية أهل البلد فلسطين كما فعل الأوروبيون سابقاً في أمريكا، واغتصبوا الأرض والممتلكات ثم استقدموا مواطنين من يهود العالم، وبعدها أقاموا دولة.

هذه الدولة الغاصبة لم ولن تتمكن من تأمين مقومات تؤهلها من الاستمرار. ونترك لغارودي ثانية الذي قال: «لم تُخلق هذه الدولة التي وُلدت من تلك الأيديولوجية (الصهيونية) المخاتلة، ومن مجموعة أعمال العنف والإرهاب، إلا بقرار غير شرعي في منظمة الأمم المتحدة التي سيطرت عليها يومئذٍ الدول الغربية الاستعمارية، وبالضغوط والفساد الوقح. لم تعشْ إسرائيل بعملها الخاص وقواها الذاتية بل.. بفضل تدفق المال والسلاح من الغرب، وعلى الأخص، بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية غير المشروطة وغير المحدودة التي جعلت من إسرائيل قطعة رئيسة في استراتيجيتها العالمية، وإسفيناً مغروزاً في الشرق الأدنى»(٢).

لم تنتسب دولة إلى الأمم المتحدة إلا وفق خريطة وحدود معترف بها، ومعالم وشخصية واضحة إلا كيان العدو الإسرائيلي حيث قُبلت عضويته من

---

(١) غارودي، د. روجيه، م.س، ص ١٩٥.

(٢) المرجع السابق، ص١٩٢.

دون أن تكون للأرض التي يغتصبها حدود، وما ذلك إلا لأن أطماعه غير محدودة، وأنه يعمل لإسرائيل كبرى ويوافقه على ذلك النافذون في هيئة الأمم المتحدة. وكيان العدو كان ولا يزال يعيش على الأمصال والمقويات الغربية والأميركية بشكل خاص، سواء منها المساعدات الرسمية من الخزانة الأميركية، أو ما تقوم بجمعه وتأمينه مؤسسات ومنظمات أهلية يهودية وأميركية متصهينة، ولا أدل على ذلك مما تمَّ إقراره من قبل الإدارة الأميركية بزعامة الرئيس جورج بوش الصهيوني العقيدة والسياسة، خلال شهر آب/أغسطس من العام ٢٠٠٧، وهو إمداد العدو الإسرائيلي بكميات من الأسلحة تبلغ قيمتها ٣٠ مليار دولار.

إن من مؤشرات الحماس عند أتباع الصهيونية غير اليهودية لدعم العدو، تعجيلاً بتوفير ما تستلزمه هرمجدون إيذاناً بالعهد الألفي السعيد، أنه كان قد كتب «ل. نيلسون بِلْ»، حمو بيلي غراهام، في كبرى الصحف الإنجيلية (كريتشانيتي توداي): إن وقوع القدس اليوم[١]، وللمرة الأولى منذ ألفي سنة ونيف، في أيدي يهود ليهزّ دارس الكتاب المقدس، ويمنحه إيماناً متجدداً في دقة الكتاب المقدس وصحته»[٢].

لقد شهد العام ١٩٨٠ تصاعد مد الصهيونية والعقيدة الألفية في الولايات المتحدة الأميركية، وذلك مع بداية عهد الرئيس رونالد ريغان ومن تلاه في الرئاسة الأميركية حيث ترافق مع ذلك ازدياد نفوذ القساوسة المتصهينين، وأصبحوا نجوم شاشات التلفزة من أمثال بيلي غراهام وفرانكلين، ابنه، وجيري فالويل (ت ٢٠٠٧)، وبات روبرتسون وغيرهم.

وذهب الصهاينة أبعد من الصهاينة من يهود في التطلعات التوسعية «ففي ٦/ ١٢/ ١٩٨٣ قال جيري فالويل، في مقابلة أجرتها معه صحيفة «كورير تايمز ـ تلغراف»، الصادرة في تايلر ـ تكساس، بأنه يحبذ استيلاء الإسرائيليين على أجزاء من سورية والعراق وتركيا والعربية السعودية ومصر والسودان وكل لبنان والأردن والكويت. قال فالويل: إن فلسطين الانتدابية كلها ملك يهود

---

(١) التاريخ هو عام ١٩٦٧م بعد أن احتل العدو القدس.

(٢) **مجلس كنائس الشرق الأوسط**، م.س، ص٢٢.

وأضاف: لقد بارك الله أميركا لأنها تعاونت مع الرب في حماية إسرائيل العزيزة عليه»[١].

وتقول غريس هالسل (ت ٢٠٠١): «تدلنا كلمات الزعماء اليهود واليمين المسيحي أنهم شكلوا تحالفاً، لأن كليهما يريدان ويجريان وراء أهداف واحدة... وكل من الزعماء الإسرائيليين اليمينيين والمسيحيين اليمينيين شوفينيون ومحاربون ويؤمن كل منهم بعقيدة لها الأولوية المطلقة في حياتهم، عقيدة ترتكز حول إسرائيل وعبادة الأرض»[٢] وهي التي تنتهي بهرمجدون وبداية الألفية السعيدة.

ويفيد أن نذكر في ختام هذا المبحث إجراءً أميركياً تمّ في ١٦/٨/٢٠٠٧، وقد حملته صحف يوم ١٧/٦/٢٠٠٧ تحت عنوان: «صهيونية متحمسة مديرة لأكاديمية جبران في نيويورك».

تمَّ اختيار معلمة يهودية صهيونية متحمسة لا تستطيع نطق جملة عربية واحدة مديرة لأكاديمية جبران خليل جبران العالمية العربية، التي تمَّ افتتاحها في الرابع من أيلول (٢٠٠٧) في نيويورك. والمديرة الصهيونية هي دانييل سالزبيرغ، وقد حلت محل ديبي المنتصر الأميركية من أصل يمني.

وأكاديمية جبران مدرسة حكومية جديدة في بروكلين، وهي الأولى من نوعها في نيويورك، والهدف من إنشائها ـ كما قالوا ـ إيجاد مناخ أفضل للتعايش الثقافي، وكما عرفت الصحافة الأميركية فإن دانييل سالزبيرغ (٣٥ عاماً) تهوى أمرين: إسرائيل وتعليم الفتيان[٣].

هذا نموذج من التطابق بين الصهيونيتين اليهودية وغير اليهودية، أو اليمين المحافظ الأميركي على طريق العقيدة الألفية التي يؤمنون بها.

وهناك فعل آخر يشير إلى انتظارهم هرمجدون والعهد الألفي، هو ما تناقلته وسائل الإعلام أواخر آب/أغسطس ٢٠٠٧، ومفاده أن قيادة كيان العدو الإسرائيلي قررت إنشاء ملجأ في القدس اسمه: «ملجأ يوم الحساب» لتحل فيه هذه القيادة من المعركة النووية القادمة.

---

(١) هالسل، غريس، م.س، ص١٨٤.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٧.
(٣) جريدة **السفير**، بيروت، العدد ١٠٧٧٦، الجمعة ١٧/٨/٢٠٠٧م.

٤ ـ الصهيونية عنصرية

لقد ألح يهود من مؤسسي الصهيونية، وعبر الأجيال، على استخدام عبارة: «العام القادم في أورشليم» أو: «لا أنساك يا أورشليم»، ورددوها ليوجدوا مناخاً استعمارياً استيطانياً بينهم باتجاه فلسطين، وهم بنسبة ٩٢٪ من الخزر.

وقد مارس يهود أوروبا العنصرية ضد أبناء انتمائهم ليدفعوهم إلى قبول ترك بلدانهم الأصلية والهجرة إلى فلسطين، وكان من ذلك دور لهم فيما لاقاه يهود ألمانيا وسواهم ممن هم تحت النفوذ الألماني أبَّان الحرب العالمية الثانية. وقد صدرت دراسات وأبحاث تؤكد ذلك بالأسماء والوقائع، منها كتاب: «التعاون النازي الصهيوني» الذي أعدته المنظمة البريطانية المناهضة للصهيونية، وهو معرب ونشرته في بيروت كل من مؤسسة دار الكتاب الحديث، ومؤسسة المنابر.

إن الصهيونية التي قامت على أسس عنصرية، وتبع ذلك ممارسات عنصرية، وجرائم لم تشهد لها البشرية مثيلاً دفعت إلى أن تقرر الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٠/ ١١/ ١٩٧٥، وبقرار رقمه ٢٢٧٩ ما يلي: «إن الصهيونية شكل من أشكال العرقية والتمييز العنصري».

إن الفكر اليهودي الديني والسياسي، وكل أدبياتهم تنضح بالعنصرية، ونذكر على سبيل المثال مقاطع من قصيدة للشاعر اليهودي الصهيوني شاؤول تشرنحوفسكي[(١)]، يقول فيها:

«يا سيفي أين سيفي، سيفي المنتقم؟
أعطني سيفي لأنتصر على أعدائي
أين أعدائي؟ فسوف أصرعهم
وأحطمهم وأقطعهم إرباً
وسوف أوقف من الناس الذكرى،
سوف أقطع كالحاصد وأجتز جذورهم

---

(١) **شاؤول تشرنحوفسكي**: (١٨٧٥ـ ١٩٤٣م) من أصل روسي، درس الطب في ألمانيا وسويسرا وتخرج من الجامعة عام ١٩٠٥م، وعمل بعدها في الجيش الروسي خلال الحرب العالمية الأولى، وهاجر بعدها للاستيطان في فلسطين عام ١٩٣١م.

سوف أشهر يدي اليمنى القوية، وأوبخ أعدائي
وأجعل سيفي يشرب فخوراً من دمهم
وستستحم خطواتي في دماء الصرعى
وتدوس قدماي على شعر رؤوسهم
سأقطع من يمين وأحصد من شمال»[١].

هذا النص يترجم دفائن الذات اليهودية/الصهيونية المؤسسة على مفاهيم مبثوثة في العهد القديم، وفي التلمود، وهي تدفع بهذا الاتجاه مما جعل هذه الثقافة الدينية والأدبية تنشر روحاً عدوانية جعلت شخصية اليهودي ذات منحى انعزالي، ويرى كل واحد منهم بأنهم يتمتعون بخصوصيات لا تجعل عندهم القدرة على الاندماج في المجتمع الوطني والقومي الذي يعيشون فيه.

لقد عملت الصهيونية على منع اندماج يهود في مجتمعاتهم بأوروبا، وأحجمت عن مساعدتهم والدفاع عنهم في أوروبا، وذلك لدفعهم إلى الهجرة إلى فلسطين من أجل استعمار استيطاني إحلالي. أحد غلاة الصهاينة يتزشاك غيرينباوم أعلن «في لقاء في تل أبيب عام ١٩٤٣: عندما يطرح علينا مخططان: أحدهما إنقاذ جموع يهود في أوروبا، والآخر استعادة الأرض، فإنّي أصوّت دون أي تردد لصالح استرداد الأرض»[٢].

«كما يعلق الحاخام شونفلد: إن أفكار مسؤوليها الصهاينة وخاصة رئيسها غرينباوم كانت غارقة في مخططات وطرق استغلال الإبادة (المحرقة ـ الهولوكوست المزعومة) ونتائجها لإنشاء الوطن القومي ولتحقيق المتطلبات الضرورية لإقامة الدولة اليهودية»[٣].

لكن الدولة اليهودية التي أرادوها على أرض فلسطين لا حدّ لأطماعها، والدعوة لها واجب ديني وإرادة إلهية كما يزعمون، لذلك عمد تيودور

---

(١) الشامي، د. رشاد عبد الله، **الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية**، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، رقم ١٠٢، يونيو/حزيران ١٩٨٦م، ص٦٣.

(٢) **التعاون النازي الصهيوني**، إعداد المنظمة البريطانية المناهضة للصهيونية، بيروت، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بدون تاريخ، ص٨٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٨١.

هرتزل[1] إلى رسم دور للحاخامات في نشر فكرته حول الدولة اليهودية بين يهود أوروبا حيث يقول: «إن حاخاماتنا الذين نوجه إليهم دعوة خاصة سيكرسون طاقاتهم في خدمة فكرتنا، وسيحفزون رعاياهم بالوعظ من فوق منابرهم، فلن يحتاجوا إلى التحدث في اجتماعات خاصة من أجل هذا الغرض. فدعوة لهذه جديرة بأن يتردد صداها بين جدران المعابد. وهكذا ينبغي أن تكون. إننا نستشعر صلاتنا التاريخية فحسب من خلال عقيدة آبائنا، كما أننا ـ منذ زمن طويل ـ قد تشرّبنا لغات الأمم المختلفة لدرجة لا يمكن اقتلاعها.

سوف يتلقى الحاخامات أخباراً منتظمة كل من الجمعية والشركة، وسوف يعلنون عنها ويشرحونها لرعاياهم، إن إسرائيل سوف تصلي لنا ولنفسها»[2].

إن هرتزل الذي زعم أنه انطلق من موقع علماني سمّى مشروعه المقدم والمنشور في كتاب: «الدولة اليهودية»، وهدد بأنه إذا تمكن مع الصهاينة من الاستيلاء على القدس فإنه سيزيل كل مقدس غير يهودي فيها، وهنا يقول بأنه سيعتمد على الحاخامات في نشر فكره الصهيوني الاستعماري، كل هذا يؤكد بأن الصهيونية استمدت فكرها ومشروعها من النصوص الدينية اليهودية وهي كثيرة.

يأتي بين نصوصهم الذاخرة بالعنصرية، والداعية إلى العدوان والإجرام والقتل هذا النص من العهد القديم: «ولما فرغ بنو إسرائيل من قتل جميع سكان العيّ في الصحراء وفي البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعهم بحدّ السيف عن آخرهم، رجع جميع إسرائيل إلى العيّ وضربوها بحدّ السّيف، وكان جملة من قتل في ذلك اليوم من رجل وامرأة اثني عشر ألفاً جميع أهل العيّ. ولم يردد يشوع يده التي مدّها بالحربة حتى أبسل جميع سكان العيّ. فأما البهائم وسلب تلك المدينة فغنمها إسرائيل لأنفسهم على حساب أمر

---

(١) **تيودور هرتزل:** (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤م) ولد في بودابست ودرس في فيينا وعمل في الصحافة، وهو من دعا لأول مؤتمر صهيوني في بال بسويسرا (٢٩ ـ ٣١/٨/١٨٩٧م) وتلته خمسة مؤتمرات خلال خمس سنوات. توفي في ٣/٧/١٩٠٤م ودفن في فيينا ثم تمّ نقل رفاته إلى قبر في منطقة مجاورة للقدس عام ١٩٤٩م.

(٢) هرتزل، تيودور، **الدولة اليهودية**، ترجمة محمد يوسف عدس، مراجعة د. عادل حسن غنيم، القاهرة، دار الزهراء، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٩٧، ٩٨.

الرب الذي أمر به يشوع. وأحرق يشوع العيّ وجعلها تل رَدْمٍ إلى الأبد خراباً إلى هذا اليوم»[(١)].

ومن نصوص التلمود: «اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ويحرم على اليهودي أن ينجّي أحداً من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين»[(٢)].

إذا كانت هذه مضامين النصوص المقدسة اليهودية في «العهد القديم» والتلمود وكلها دعوة للقتل والذبح وتحريم مد يد العون لأي إنسان، فكيف سيكون الفكر السياسي الذي ينتج عن مثل هذه العقيدة. وإذا كان مضمون النصوص المقدسة كما ورد فإنه لا يكون غريباً أن يكون شعر تشرنحوفسكي بمثل المضامين التي وردت، والتي تدعو إلى الدم والذبح والإجرام.

يرد في هذا السياق سجال بين جندي إسرائيلي اسمه موشى وحاخامه شيمون ويسير لجهة قتل العرب في فلسطين المحتلة، وكان ذلك في أوائل السبعينيات من القرن العشرين. قال موشى للحاخام شيمون ويسير ما يلي:

«وأما فيما يتعلق بالخطاب نفسه فقد فهمته على النحو التالي:

في زمن الحرب ليس جائزاً فقط بل ومفروض عليّ أن أقتل أي عربي رجلاً كان أم امرأة أُلاقيه بمحض الصدفة إن كان هنالك سبب يدعو للخوف من أنه يساهم في الحرب ضدنا بشكل مباشر أو غير مباشر، بمقدار ما يتعلق الأمر بي شخصياً فعليَّ أن أقتله حتى لو أدى ذلك إلى تورطي في محكمة عسكرية. وإنني أعتقد بأن هذا الأمر المتعلق بطهارة الأسلحة تجب نقله إلى المؤسسات الثقافية الدينية منها على الأقل كي يتخذ المسؤولون موقفاً من هذا الموضوع وكي لا يهيموا على غير هدى في ميادين المنطق العريضة... والسبب لدعوتي هذه هو أنني لاحظت وأنا آسف على هذا القول وجود نماذج متباينة لهذا المنطق حتى في صفوف الرفاق المتدينين»[(٣)].

وينقل شاحاك عن موسى بن ميمون فيلسوف اليهودية الأندلسي وصية

---

(١) سفر يشوع، الإصحاح ٨، الفقرات ٢٤ وما بعدها.

(٢) **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، م.س، ص٦٦.

(٣) شاحاك، إسرائيل، **التاريخ اليهودي المكشوف والمستور**، ترجمة عبد الكريم محفوض، دمشق، دار البعث، ط١، سنة ١٩٩٦م، ص١٢٨.

للطبيب اليهودي يقول فيها: «واعلم من هذا أن معالجة إنسان غير يهودي أمر حرام حتى لو نقدك أجرك»(١).

ويعرض شاحاك من شريعة يهود العنصرية الحكم التالي فيما يتعلق بالزنا: «إن الاتصال الجنسي بين امرأة يهودية متزوجة وبين رجل آخر غير زوجها لهو إثم كبير بالنسبة لكلا الفريقين، وواحد من أكبر الكبائر الثلاث، ولكن الوضع فيما يتعلق بالنساء غير اليهوديات فمختلف جداً. فالشرع يسلم جدلاً أن كل الناس من غير يهود عاهرون بشكل مطلق ولذلك تنطبق عليهم الآية القائلة: الذين لحمهم كلحم الحمير، والذين ثمرة مناهم كثمرة الخيول. وسواء أكانت المرأة غير اليهودية متزوجة أو عزباء فليس هنالك أي فرق باعتبار أن مفهوم الزواج بمقدار ما يتعلق الأمر باليهود، لا ينطبق على الناس من غير يهود»(٢).

إن هذا قليل من كثير الفكر الديني اليهودي، والمواقف العنصرية التعصبية القائمة على مزاعم الشعب المختار وعقد الاستعلاء التي تحكم اليهودية/ الصهيونية. وسبب اعتماد هذه الخاتمة في هذه الكتاب المعنون: «**اليهودية: عقيدة وشريعة**»، كي يكون كل عربي وكل مسلم ومسيحي، وكل إنسان حرّ على بيّنة، وعلى معرفة بعقيدة الصهاينة وفكرهم الذي تظهر نتائجه الخطيرة كل يوم من قبل العدو الإسرائيلي وقيادة واشنطن المتصهينة، ومن أراد التدقيق فليتابع ما يقوم به جيش العدو الإسرائيلي والغاصبون من يهود في فلسطين وضد العرب منذ عشرات السنين. ولننظر من يجب الاطلاع كذلك في التاريخ الإجرامي لقيادة الولايات المتحدة الأميركية منذ غزا الأنكلو ساكسون البيض شمال القارة الأميركية وأبادوا سكانها بعشرات الملايين، واسترقوا الأفارقة ونهبوا ثروات الشعوب، أضف إلى ذلك في القرن الماضي العشرين وبدايات هذا القرن الحادي والعشرين قصف المدن اليابانية عام ١٩٤٥ بالسلاح الذّري، وبعد حرب ڤيتنام والقواعد والتدخلات والأحلاف، والشراكة الكاملة مع العدو الإسرائيلي، واحتلال أفغانستان والعراق ونشر الرعب عالمياً، مع التطلعات الامبراطورية التي تريد استباحة سيادات الدول والأمم. بعد كل هذا نخلص إلى القول بأنه لن يكون استقرار ولا أمن ولا أمان إلا عندما تعاد الحقوق إلى أهلها، وتعاد الأرض إلى أصحابها، وتتوقف هذه الأطماع، والنزعات الاستعمارية.

---

(١) شاحاك، ص١٢٨.

(٢) شاحاك، ص١٢٨.

الفصل الثامن

المسيحية

المسيح والجدل حول طبيعته

في العام الرابع قبل التأريخ الميلادي المعتمد كانت ولادة يسوع، أو عيسى أو المسيح عليه السلام، من مريم العذراء عليها السلام، وكان الحمل وكانت الولادة معجزة.

النصوص في العهد الجديد استخدمت الاسم الأول «يسوع»، وفي النص القرآني ورد الثاني «عيسى» والثالث المسيح، وفي العهد الجديد، خاصة الرسائل، أصبحت كلمة المسيح اسم علم بعد أن كانت اسم جنس، وبات الاسم مخصوصاً بالمسيح عليه السلام.

والمسيح، أو الممسوح، جاءت من الطقس المستخدم قبل عيسى عليه السلام، حيث كان المسح بالزيت لعموم البدن شأناً دينياً يعبِّر عن الفرح والتبجيل. بعد المسح بالزيت كان المسح بالقدرة الرسولية من الله تعالى، وقد ورد ذلك في سفر «أعمال الرسل» من العهد الجديد كما يلي: «وأنتم تعلمون الأمر الذي جرى في اليهودية كلها، وكان بدؤه في الجليل بعد المعمودية، التي نادى بها يوحنا، وفي شأن يسوع الناصري كيف أن الله مسحه بالروح القدس والقدرة. فمضى من مكان إلى آخر يعمل الخير ويبرئ جميع الذين استولى عليهم إبليس»[1].

إن هذه المسحة الإلهية للمسيح أعطته قدرة رسولية متميزة من أجل مقاومة الشيطان (إبليس)، وتعطيل فتنته في الناس، ويتحقق ذلك من خلال دعوتهم إلى الإيمان وطاعة الخالق سبحانه.

---

(١) أعمال الرسل، الإصحاح ١٠، الفقرتان ٣٧، ٣٨.

إن المسيح، حسب العقيدة المسيحية، هو الثاني في الأقانيم الثلاثة التي آمنت بها، وهي: الآب والابن والروح القدس.

والأقنوم ليس عنصراً ولا جزءاً بل هو ظهور، «وهكذا نلنا أعظم وأكمل إعلان عن الله لأن «لا أحد يعرف الآب إلا الابن»، والابن نفسه حدَّثنا عن الآب وعن نفسه وعن الروح»، كما جاء في كتاب: مدخل إلى العقيدة المسيحية[١]، لمؤلفة كوستي بندلي وآخرين.

وإذا كانت مسألة طبيعة السيِّد المسيح قد أثارت نقاشاً طويلاً لم تكتمل فصوله حتى الآن، ومن أجل ذلك توالى انعقاد المجامع المسكونية، وحصلت الانشقاقات المذهبية، فإن هذا الأمر أخَّر القول بألوهية المسيح وأنه الابن، وكان له إشكاليته كذلك بين المسيحيين والمسلمين، حيث تناول النص القرآني بعض هذه المواقف منكراً على أصحابها ما يقولون.

لقد بدا التنوع في المواقف منذ أواخر القرن الأول للميلاد، يوم انفرد يوحنا، من خلال إنجيله، متحدثاً عن طبيعة لاهوتية للمسيح بخلاف ما كان في الأناجيل الثلاثة الأخرى: متى ولوقا ومرقس.

لقد قام أول جدال حادٍ حول طبيعة السيد المسيح في الإسكندرية مع مطلع القرن الرابع للميلاد بين اثنين من الأساقفة هما: آريوس وأثناسيوس، وكان آريوس (ت ٣٣٦م) يقول: «إن كلمة الله ليست أزلية بل مخلوقة في الزمن، خلقها الله قبل خلق العالم»، وقال: «إن المتسجد في يسوع ليس الكلمة الأزلية غير المخلوقة، بل مخلوق من المخلوقات». وقال ابن حزم عن هذا الموضوع: «والنصارى فرق؛ منهم أصحاب آريوس، وكان قسيساً بالإسكندرية، ومن قوله: التوحيد المجدد، وإن عيسى عليه السلام عبد مخلوق، وإنه كلمة الله تعالى بها خلق السموات والأرض».

أما أثناسيوس (ت ٣٧٣م) فيقول: إن كلمة الله تجسدت واستقرت في الإنسان يسوع، ولكنه اختلف مع آريوس في أمر طبيعة الكلمة، فقد اعتبر

---

(١) بندلي، كوستي، وآخرون: **مدخل إلى العقيدة المسيحية**، بيروت، منشورات النور، ط٤، سنة ١٩٨٨.

أثناسيوس أن الكلمة التي تجسدت في يسوع هي أزلية، وغير مخلوقة، وكائنة مع الله منذ البدء.

هذه الاختلافات دفعت قسطنطين الثاني، الامبراطور الذي تنصر، وبتشجيع من الأساقفة، إلى الدعوة لمجمع مسكوني هو مجمع نيقية، وهي «إزْنك» في تركيا حالياً، لحسم هذا الأمر.

ولنأخذ موقفين من الكنائس المعاصرة لنعرف ما آل إليه أمر هذا الموضوع. الموقف الأول كاثوليكي، ورد في كتاب: «المسيحية في عقائدها»[1]، وسأترك النص بحرفيته كما ورد على الشكل التالي: «إن كرازة يسوع المليئة بالقدرة والجذّابة والجديدة في الكثير منها، وسيرته المثيرة للإعجاب، ولا سيما صنعه العجائب، كل ذلك قاد الناس قديماً ويقودنا اليوم إلى السؤال: من هو هذا؟ . . . يسوع هو إنسان، إنسان حقيقي على غرارنا جميعاً. وتصفه الأناجيل في كل إنسانيته: فقد ولد من أم بشرية، ونما وكبر، وتعلَّم صنعة، ونراه يجوع ويعطش، ويُجرِّب، ويتعبُ، ويطرح أسئلة، ويشعر بالأسى فيشارك سائر الناس أحزانهم وأفراحهم، ويُسرُّ بنوع خاص بالأطفال، ولكنه أيضاً يغضب لقساوة قلوب الناس. . . إنه إنسان بجسد ونفس. . . أن يكون يسوع إنساناً حقيقياً يساوي في الأهمية، في نظر إيمان العهد الجديد والكنيسة، الإيمان بأن المسيح إله حقيقي. . . أن يكون يسوع، ابن الله، في الوقت عينه إنساناً حقيقياً تاماً، ليس إذن حقيقة واقعية وحسب، بل حقيقة خلاصية، فلأن الله دخل جسدياً في لحمنا ودمنا البشريين افتدانا أيضاً في بشريتنا. . . ومن ثمَّ فالخلاص والفداء ليسا خلاصاً روحياً للنفس وحسب، ولكنهما يهدفان إلى خلاص الإنسان في كل كيانه». وفي إنجيل يوحنا: «ولكلمة صار جسداً، وسكن في ما بيننا».

إن المسيح ـ وفق العقيدة المسيحية ـ جاء فادياً ومخلصاً للبشرية، لأن الخطيئة التي وقع فيها الإنسان، مع آدم وحواء في الجنة، كانت ماضية في بني البشر حتى كان الفداء مع المسيح. وهذا الفداء في المسيحية بات يرتبط

(١) **المسيحية في عقائدها**، نقله عن الإلمانية المطران كيرلس سليم بسترس، بيروت، المكتبة البوليسية، ط١، سنة ١٩٨٨.

بالصليب بعد المسيح. جاء في معجم اللاهوت الكتابي: «لقد مات يسوع مصلوباً، فأصبح الصليب، الذي كان أداة للفداء مع الموت، والألم، والدم، أحد الأركان الأساسية التي تساعد على تذكيرنا بخلاصنا... وفي رواية يوحنا للآلام، يبدو يسوع وكأنه يتقدم لملاقاة آلامه بعظمة وعزة، إنه يصعد على الصليب منتصراً، لأنه بالآلام يؤسس كنيسته لافظاً الروح»(١).

عند هذه المسألة تبدأ إشكالية بين العقيدة المسيحية بالصلب وما جاء في النص القرآني وفيه أن من صلبوه قد شُبِّه لهم أنه المسيح. قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء/ ١٥٧، ١٥٨].

إن النص القرآني جاء في إطار الرد على مزاعم يهود وعدوانيتهم ضد الأنبياء والرسل جميعاً، ومن أجل التأكيد بأن الله تعالى قد رفع المسيح عليه السلام إليه، ولم ينل منه أعداء الله وأعداء الرسل.

أما حمل مريم بالمسيح عليهما السلام فإنه بقدرة الله تعالى وبأمره وهو إعجاز فيه خرق لسنة الحمل عند النساء، جاء في النص القرآني: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم/ ١٢].

والمسيح مؤيد من الله تعالى، كما جاء في الآية القرآنية: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة/ ٨٧]. وقد قال القرطبي في تفسيره حول هذه الآية: «أي الحجج والدلالات... وأيدناه؛ أي قويناه... قال النحاس: وسمِّي جبريل روحاً وأضيف إلى القدس؛ لأنه كان بتكوين الله عزَّ وجلَّ له روحاً من غير ولادة والد ولده؛ وكذلك سمِّي عيسى روحاً لهذا... وروى أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس: «بروح القدس» قال: هو الاسم الذي كان يحيي به عيسى الموتى؛ وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير، وهو اسم الله الأعظم»(٢).

---

(١) **معجم اللاهوت الكتابي**، بيروت، دار المشرق، ط٢، سنة ١٩٨٨، ص ٤٨٢، ٤٨٤.

(٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: م. س، ج٢، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

وجاء في النص القرآني ما يبيّن بأن القول بأن المسيح هو الله، أو أنه واحد من ثلاثة معبودين كفر، ففي سورة المائدة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة/ ٧٢، ٧٣].

يرد مؤلفو كتاب «مدخل إلى العقيدة المسيحية» قائلين: «إذا قلنا إن الله مثلث الأقانيم، وإذا قلنا إنه واحد في الجوهر فهذا ليس معناه، على الإطلاق، أنه هو ثلاثة أو أنه هو واحد، ليس هو ثلاثة بمعنى العدد، العدد لا علاقة له بالله، لا يستطيع الإنسان إلا أن يعدَّ المحسوسات، الله لا يُعد لأن من عدَّه فقد مدَّه... عندما يقولون عنا إن عندنا ثلاثة آلهة، لأننا نقول: واحد وثانٍ وثالث... فالجواب على ذلك إننا لا نعد الله ثلاثة»[1].

ويكملون القول: «الإله الواحد الأحد لا يُحدُّ. الواحد، تعني في العربية، واحداً بالعدد، والأحد تعني الذي ليس بعده ثانٍ، هذا في العربية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص/١ ـ ٤]، هذه آية من سورة الإخلاص وليست هي، في الحقيقة، موجهة ضد المسيحيين، ليس معناها أنها تنكر الابن والروح القدس. إذا أخذناها نصاً فقط وليس بمدلولها القرآني، يمكننا القول، من حيث النص، إن الإله الأحد أي المنغلق على نفسه، المحدود بأحديته، هذا الإله لا يلد ولا يولد... هذا الإله هو الآب، وهو مصدر الوجود الإلهي، أي مصدر اللاهوت، مصدر الألوهية... الابن صدر عن الآب، والروح القدس صدر عن الآب، الابن بالولادة والروح القدس بالانبثاق، وما يجمعهم هو الجوهر الواحد»[2].

ويكمل مؤلفو كتاب: «مدخل إلى العقيدة المسيحية» مبيّنين أن ما تعرَّض له القرآن الكريم هو حالات قليلة، والمسيحية لا تقول بها حيث يقولون: «إن

---

(١) بندلي، كوستي، وآخرون: م. س، ص ٢٠٧.

(٢) بندلي، كوستي، وآخرون: م. س، ص ٢٠٩ وما بعدها.

الآيات القرآنية التي تبدو في ظاهرها ضد الثالوث هي بلا غرض... إنها ضد التثليث العربي الذي شاع في شوارع الحجاز واليمن حيث نُسب للمسيحيين القول إن المسيح ثالث ثلاثة، أي أن هناك ثلاثة آلهة والمسيح ثالثهم، ولهذا جا في القرآن: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة/ ٧٣]. هذا الكلام ليس ضد التثليث الأرثوذكسي. وجاء أيضاً في القرآن: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام/ ١٠١]، في حين أن المسيحيين لم يقولوا قط إن الله الآب اتصل جنسياً بمريم حتى استولدها المسيح... وجاء ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء/ ١١١]. هذه نظرية التبني... نحن لم نقل هذا، قلنا إن المسيح كان ابن الله، وبعدئذ جعله الله إنساناً، أي إننا قلنا بعكس نظرية التبني، وهذا يعني أنه في شوارع مكة والمدينة واليمن، كانت تسري آراء عن الثالوث الأقدس ليست لها أية علاقة بالأرثوذكسية ويدحضها القرآن وندحضها معه ودحضها الآباء معه قبل ظهوره»[1].

بهذه الطريقة الحوارية عمل معاصرون أرثوذكسيون على توضيح المسألة بالنسبة لطبيعة المسيح والثالوث، خاصة في إطار الموقف مما ورد في النصوص القرآنية.

ويقول المطران جورج خضر في الباب عينه ما يلي: «وإذا قالت سورة الإخلاص عن الله إنه لم يلد ولم يولد، فالمسيحية تقول إن الله، من حيث هو جوهر إلهي، لا يتجزأ ولا يلد ولا يولد من سواه... فيكون أن الثالوث الذي يرفضه القرآن هو غير الثالوث الذي تقول به الكنيسة، ونرى أنفسنا بالتالي في حرب لا مسوغ لها».

العقيدة في المسيحية

إن العقيدة المسيحية في الألوهية والتوحيد أخذت مساحات من الجدل والخلاف، وعاش هذا الخلاف قروناً، وحصلت الانقسامات في الكنيسة، غالباً، بتأثير تنوع الأفهام حول التوحيد والأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس، وكان السبب الذي ولَّد اللبس والتشويش هو كيفية التوفيق والربط بين الوحدانية وبين الظهورات في الأقانيم.

---

(١) بندلي، كوستي، وآخرون: م.س، ص ٢٠٠.

بعد دراسات، توصل كتاب «قاموس الكتاب المقدس» إلى القول بأن كلمة تثليث لم تكن معروفة في السنوات الأولى من عمر المسيحية. جاء في «قاموس الكتاب المقدس»: «والكلمة نفسها، التثليث أو الثالوث، لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد». ترتليان (١٦٠م ـ ٢٤٠م) اعتنق المسيحية في روما في العام ١٩٠م، وقد «سمِّي بحق أبا الفكر اللاهوتي اللاتيني لأنه كان المفكر الرئيسي الذي صاغ المصطلحات والتعبيرات التي سادت في الكنيسة الغربية... وخير مثال على ذلك مصطلحات (سر Sacrumentum) ـ (الثالوث Trinitaire) ـ (الجوهر Substantia)».

وتوالت بعدها المواقف والآراء، وأخذت حالة التنازع وتبادل التهم بالرواج، وقاموس الكتاب المقدس جاء يسقط أحكام ما بعد مجمع نيقية على ما قبله حيث يقول: «ثم ظهر سبيليوس ببدعته في منتصف القرن الثالث، وحاول أن يفسر العقيدة بالقول: إن التثليث ليس أمراً حقيقياً في الله لكنه مجرد إعلان خارجي، فهو حادث»، ويكمل قائلاً: «ثمَّ ظهرت بدعة آريوس الذي نادى بأن الآب وحده هو الأزلي بينما الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخليقة»[1].

و«دائرة المعارف الكتابية» تذهب في بيان ذلك المذهب نفسه فتقول، تحت مادة ثالوث، ما يلي: «لم ترد كلمة الثالوث في الكتاب المقدس، حيث لا يذكر الكتاب المقدس هذا اللفظ بالذات، تعبيراً عن مفهوم أنه ليس هناك سوى الله الواحد الحقيقي، وأن في وحدانية الله ثلاثة أقانيم هم واحد في الجوهر، متساوون في الأزلية والقدرة والمجد، لكنهم متمايزون في الشخصية... لا يمكن إثبات عقيدة الثالوث بالعقل لأنها تسمو عن إدراك العقل... فالثالوث الأقدس فريد لا مثيل له في الكون كله، وعليه فليس ثمة ما يعيننا على فهمه... ويكفينا أن نلاحظ أنه في العهد الجديد لا يوجد سوى الله الحي الحقيقي الواحد الوحيد... وأن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم متميزون». وفي نصوص العهد الجديد ورد، عند متى في إنجيله، نص

---

(١) **قاموس الكتاب المقدس**، د. بطرس عبد الملك وآخرون، القاهرة، دار الثقافة، ط٩، سنة ١٩٩٤، ص ٢٣٢.

يربط التثليث بالمعمودية، وعليه كان مبنى ما أقر على أساسه المجمع المسكوني في نيقية دستور الإيمان. صيغة هذا النص هي: «إذهبوا وتلمذوا الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس». (متّى ٢٨: ١٩).

إذا عدنا إلى واحد من علماء المسيحية في القرن الثامن الميلادي، هو منصور بن سرجون الذي اشتهر باسم يوحنا الدمشقي، فإنه يذهب باتجاه الحديث عن الله تعالى الواحد المنزه عن المثل وعن الكثرة، وفي فقرة عنوانها: «إيضاح منطقي بأن الله واحد»، يقول: «إن الإله كامل، وهو ليس ناقصاً البتة في صلاحه وفي حكمته وفي قوته، وهو لا بدء له ولا نهاية، أزليٌّ، غير محدود. وبالاختصار، هو كامل في كل صفاته. وعليه إذا قلنا بآلهة كثيرين، فوجب أن نرى تبايناً في كثرتهم، لأننا إذا لم نر تبايناً فيهم، فهم بالأحرى واحد لا كثرة. فمن كان ناقص الكمال في صلاحه أو في قوته أو في حكمته أو في الزمان أو في المكان، فلا يكون إلهاً. ووحدة الهوية في كل الصفات إنما تشير بالأحرى إلى واحد، لا إلى كثرة»[١].

ويقول يوحنا الدمشقي في فقرة عنوانها: «إيضاح منطقي في الكلمة ابن الله»: «مقابلة بين كلمة الله والكلمة البشرية: ومن ثمَّ إن الله الواحد الأحد ليس بخالٍ من كلمة، وبما أن الله له كلمته فهي ليست بخاليةٍ من أقنوم. أما وجود الكلمة فهو لا بدء له ولا نهاية، فلم يكن زمن إذاً حيث لم يكن الله الكلمة. وأن الله له كلمته مولودة منه دائماً، فهي ليست لا أقنومية على مثال كلمتنا التي تتبدد في الهواء»[٢].

ويقول يوحنا الدمشقي في فقرة عنوانها: «إيضاح منطقي في الروح القدس»: «مقابلة بين الروح الإلهي والروح البشري: ويجب أيضاً أن يكون للكلمة روح، فإن كلمتنا أيضاً لا تخلو من الروح. لكن الروح عندنا غريب عن جوهرنا. . . وينبغي الاعتراف اعترافاً تقياً بوجود روح الله أيضاً في طبيعته الإلهية البسيطة وغير المركبة»[٣].

---

(١) الدمشقي، القديس يوحنا: **المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي**، عربه الأرشمندريت أدريانوس شكور، ط٢، سنة ١٩٩١، ص ٦١.

(٢) الدمشقي، القديس يوحنا: م.س، ص ٦٢.

(٣) الدمشقي، القديس يوحنا: م.س، ص ٦٣.

ويختم قائلاً: «وعلى هذا النحو، فبالوحدة في الطبيعة الإلهية يزول ضلال كثرة الآلهة»؛ «أما الكيفية في الولادة والانبثاق فتظل غير مدركة»، «ونقول أيضاً إن كلاً من الأقانيم الثلاثة هو في الآخر، لئلا نصير إلى كثرة وجمهرة من الآلهة». بهذه الطريقة فسَّر يوحنا الدمشقي دستور الإيمان النيقاوي.

إن دستور الإيمان النيقاوي هو المحطة الأساسية فيما عليه العقيدة المسيحية في أمر التثليث والأقانيم الثلاثة.

كان مجمع نيقية المنعقد في ٢٠ مايو/أيار من العام ٣٢٥م أول مجمع مسكوني مهم بشموليته في التمثيل وبموضوعه، وكان انعقاده بدعوة من الامبراطور قسطنطين الثاني الذي تنصَّر ومال إلى رفض ما قاله آريوس من أن المسيح غير مساوٍ للآب في الجوهر، وأن ذلك بدعة تجب مواجهتها، وقد حضره ٣١٨ أسقفاً وعدد من القساوسة والشمامسة، وبعد مداولات صدر ما عُرِف باسم دستور الإيمان النيقاوي، وصيغته هي:

«نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل الدهور: إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسَّد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وصار إنساناً، وصُلب عنّا على عهد بيلاطس البنطي، وتألم وقبر، وقام في اليوم الثالث، كما في الكتب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الرب، وأيضاً يأتي بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه، ونؤمن بالروح القدس، الرب المحيي، المنبثق من الآب والابن، الذي هو مع الآب والابن، مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدسة، جامعة، رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونترجى قيامة الموتى، والحياة في الدهر الآتي، آمين» (عند الأرثوذكس الروح القدس المنبثق من الآب فقط).

أما آريوس فقد طرح فكرته العقدية التي ترفض ألوهة المسيح، ودافعه «هو الحفاظ على كمال الله الآب وسرمديته وألوهيته، وفي الوقت نفسه نسب دور هام للمسيح الابن، يفرزه عن الآخرين. على أن آريوس لم يستطع أن يقبل

وجود تغيير أو انقسام في الله الآب الذي كان الجوهر النهائي... ولذلك فطبقاً لرأي آريوس فإن: الكلمة Logos (المسيح)، مهما سما فوق باقي الخليقة فهو كائن مخلوق أوجده الله ولذلك له بداية، وفي وقت ما لم يكن له وجود. ولذلك أيضاً كان الابن من جوهر آخر غير جوهر الأب. إن وجود اللوغوس الكلمة (المسيح) ليس وجوداً حتمياً، لكنه نتيجة لفعل اختياري حرٍّ من الآب خالق الكلمة اللوغوس. وكمخلوق زمني كان الكلمة اللوغوس خاضعاً للتغير»[1].

ومجمع نيقية لم يحسم الجدل حول طبيعة السيد المسيح، بل كان بعده، عام ٤٣١م، مجمع أفسس لشجب تعاليم نسطوريوس (ت ٤٥١م) الذي قال: إن يسوع كان في الواقع شخصين، شخصاً إلهياً وشخصاً بشرياً، فالثاني ولدته مريم والأول هو كلمة الله الأزلية، ولا يزال الكلدان الكاثوليك على هذه العقيدة.

وبعده كان مجمع خلقيدونيا في العام ٤٥١م، وخلقيدونيا هي اليوم «قاضي كوي» في تركيا، وانعقد المجمع لنبذ تعاليم أوطيخا القائل بأن المسيح أقنوم واحد وليس له طبيعة بشرية بل طبيعة إلهية، وعُرف أتباعه بالمونوفيزيين، وقد رفض مجمع خلقيدونيا ما قاله أوطيخا، وأقرَّ ما جاء في دستور الإيمان النيقاوي، واعتير مقولاته بدعة، ولا يزال السّريان الأرثوذكس من المؤمنين بما جاء به أوطيخا.

إذن، رغم إقرار دستور الإيمان النيقاوي بقيت حية مفاهيم عقدية أخرى مسيحية حتى يومنا هذا حيث لها كنائسها وأتباعها وحضورها.

الإيمان باليوم الآخر

تؤكد المسيحية في نصوصها على الدينونة والحساب في اليوم الآخر، وأن التائبين المتحدين بكنيسة المسيح ستكون لهم الفردوس (paradis) الجنة حيث السعادة.

---

(١) لوريمر، جون: **تاريخ الكنيسة، ج٣**، القاهرة، دار الثقافة، ط١، سنة ١٩٨٨، ص٤٠، ٤١.

وعد المسيح أحد التائبين بالجنة من خلال النص الإنجيلي، «فقال له: الحقّ أقول لك: ستكون اليوم معي في الفردوس»[١].

والحساب والدينونة الأخروية لها موعد، وفي نص آخر: «فلا تدينوا أحداً قبل الأوان، قبل أن يأتي الرب، فهو الذي ينير خفايا الظلمات ويكشف عن نيات القلوب، وعندئذ ينال كل واحد من الله ما يعود عليه من الثناء»[٢].

القيامة للحساب تكون بالروح والجسد بعد أن انفصلا بالموت. قال القديس يوحنا الدمشقي: «إن القيامة تكون حتماً جمع النفس والجسد مجدداً وقياماً ثانياً للحي المحلول والساقط. إذاً إن الجسد نفسه المنفسد والمحلول يقوم بلا فساد. والذي في البدء جبلة من تراب الأرض لا يعجز الآن ـ بعد أن انحل وعاد إلى الأرض التي أُخِذ منها ـ أن يعود صانعه هذا فيقيمه مجدداً»[٣].

هذا الموقف المسيحي الذي يبعث الأنفس مع الأجساد هو نفسه الموقف الإسلامي، وهذا الموقف يرد على الفلاسفة الذين يقولون ببعث الأنفس بدون الأبدان في اليوم الآخر، وعلى الدهريين الذين ينكرون البعث والقيامة والجزاء الآخروي.

بعد البعث والقيامة سيكون الجزاء حيث يلقى إبليس وأتباعه في النار (جهنم ـ جحيم enfers et enfer)، ويكون مقام الصالحين والتائبين في الفردوس (الجنة). قال القديس يوحنا الدمشقي: «بعد القيامة الدينونة والمكافأة على الأعمال: بناءً عليه، إننا سنقوم عندما تتحد نفوسنا بأجسادنا التي أضحت غير بالية بانتزاع الفساد عنها. وسنمثل لدى منبر المسيح الرهيب. ويدفع بإبليس وشياطينه وبإنسانه المدعو المسيح الدجّال والكفرة والخطأة إلى النار الأبدية. أما الذين عملوا الصالحات فسيتلألؤون كالشمس مع الملائكة في الحياة الأبدية»[٤].

---

(١) انجيل لوقا، الأصحاح ٢٣، الفقرة ٤٣.

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل فورنتس، الإصحاح ٤، الفقرة ٥.

(٣) الدمشقي، القديس يوحنا: م.س، ص ٢٧٥.

(٤) الدمشقي، القديس يوحنا: م.س، ص ٢٧٨.

هذا الإيمان باليوم الآخر هو أساس جامع بين المسلمين المسيحيين كما أمر الإيمان بالله تعالى. والآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة/ ٦٢].

الفصل التاسع

العهد الجديد

هو القسم من الكتاب المقدس المعتمد مسيحياً، ويتكون من الأناجيل الأربعة القانونية، كما تسمى، مضافاً إليها الرسائل، وعددها ٢٣ رسالة، وبذلك يكون العهد الجديد مكوناً من ٢٧ سفراً.

وكلمة إنجيل تعني «البشرى السارة»، والكنيسة مع القرن الثاني الميلادي قبلت أربعة أناجيل على أنها قانونية هي:

١ ـ **إنجيل متى**: متى هو أحد الإثني عشر، وكتب إنجيله مرتباً حسب الموضوعات، وتختلف المواقف في تاريخ تدوينه، فمنها ما يقول إنه دُوِّن في أربعينات القرن الأول للميلاد؛ والغالبية أنه قد تم تدوينه ما بين سنة ٦٠م و٧٠م، ومثله إنجيل مرقس وإنجيل لوقا، وهو من ٢٨ إصحاحاً.

٢ ـ **إنجيل مرقس**: الثاني في ترتيب الأناجيل بعد متى، وهو أقصر الأناجيل الأربعة، ومرقس تعرَّف إلى المسيح بواسطة بطرس في آخر حياته، وقد مارس التبشير مع بولس وبرنابا نسيبه، وهو من ١٦ إصحاحاً.

٣ ـ **إنجيل لوقا**: لوقا صديق بولس، وقد رافقه في رحلته إلى فيليبي، ولوقا من أنطاكية وليس من أصل يهودي، وإنجيله الثالث، ويبدو أو لوقا كان ملماً بالثقافة اليونانية ويظهر ذلك من صياغته، وهو من ٢٤ إصحاحاً.

٤ ـ **إنجيل يوحنا**: يوحنا بن زيدي، من بيت صيدا في الجليل، من التلامذة الإثني عشر، وقد نادى بإنجيله في آسيا الصغرى، وهو الإنجيل الذي تحدث صاحبه عن لاهوت المسيح، وسر المسيح الإلهي. وهو من ٢١ إصحاحاً، وقد تمت كتابته في أواخر القرن الأول للميلاد.

أما الرسائل فهي:

٥ ـ **أعمال الرسل:** ٢٨ إصحاحاً.

٦ ـ **رسالة بولس إلى أهل رومية:** ١٦ إصحاحاً.

٧ ـ **رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس:** ١٦ إصحاحاً.

٨ ـ **رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس:** ١٣ إصحاحاً.

٩ ـ **رسالة بولس إلى أهل غلاطية:** ٦ إصحاحات.

١٠ ـ **رسالة بولس إلى أهل أفسس:** ٦ إصحاحات.

١١ ـ **رسالة بولس إلى أهل فيليبي:** ٤ إصحاحات.

١٢ ـ **رسالة بولس إلى أهل كولوسي:** ٤ إصحاحات.

١٣ ـ **رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي:** ٥ إصحاحات.

١٤ ـ **رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي:** ٣ إصحاحات.

١٥ ـ **رسالة بولس الأولى إلى إهل تيموثاوس:** ٦ إصحاحات.

١٦ ـ **رسالة بولس الثانية إلى أهل تيموثاوس:** ٤ إصحاحات.

١٧ ـ **رسالة بولس إلى أهل تيطس:** ٣ إصحاحات.

١٨ ـ **رسالة بولس إلى أهل فليمون:** ١ إصحاح واحد.

١٩ ـ **رسالة بولس إلى العبرانيين:** ١٣ إصحاحاً.

٢٠ ـ **رسالة يعقوب:** ٥ إصحاحات.

٢١ ـ **رسالة بطرس الأولى:** ٥ إصحاحات.

٢٢ ـ **رسالة بطرس الثانية:** ٣ إصحاحات.

٢٣ ـ **رسالة يوحنا الأولى:** ٥ إصحاحات.

٢٤ ـ **رسالة يوحنا الثانية:** ١ إصحاح واحد.

٢٥ ـ **رسالة يوحنا الثالثة:** ١ أصحاح واحد.

٢٦ ـ **رسالة يهوذا:** ١ إصحاح واحد.

٢٧ ـ **رؤيا يوحنا:** ٢٢ إصحاحاً.

لقد كانت الأسفار الموجودة في القرنين الأول والثاني أكثر من ذلك بكثير، ولكن الكنيسة بلورت موقفها مع الوقت، واستقرت على هذه الأسفار فقط، وجمعت باسم العهد الجديد.

وإنجيل برنابا، الذي لا يزال سفر موجود يحمل اسمه حتى يومنا هذا، لا تعترف به الكنيسة، وتشير الدراسات إلى أن هذا السفر فُقِد مع القرن الخامس للميلاد، إلى أن تمَّ العثور على نسخة منه سنة ١٧٠٩م، عندما عثر كريمر، مستشار ملك بروسيا، على نسخة من هذا الإنجيل مكتوبة بالإيطالية وبهامشها تعليقات باللغة العربية.

وقد ذهب العلماء المسيحيون إلى ان ثمة فارقاً بين القرآن الكريم والكتاب المقدس وفيه العهد الجديد، وقد تحدث عن ذلك الأب توماس ميشال اليسوعي في كتابه: «مدخل إلى العقيدة المسيحية». وقد قال: «فالقرآن كتاب واحد، نقله بلغة واحد رجل خلال حقبة من الزمن استمرت ٢٢ عاماً، وعلى عكس ذلك فالكتاب المقدس مجموعة من ٧٣ (٦٥) كتاباً أُلِّفت أو جُمعت بلغات مختلفة طوال فترة زمنية دامت ١٥٠٠ سنة»[١]. ويكمل الأب توماس: «يعتقد المسيحيون أن أسفار الكتاب المقدس كتبها الله بواسطة مؤلفين من البشر، وعليه فإنهم يقولون بأن للأسفار المقدسة مؤلفاً إلهياً ومؤلفاً بشرياً... والمسيحيون على وجه الإجمال، لا يقولون بأن الله أملى الكتب المقدسة على المؤلف البشري، بل أنه أتاح له أن يعبِّر عن الرسالة الإلهية بطرقه الخاصة وفنونه الأدبية الخاصة وأسلوبه الشخصي»[٢].

فالإسلام يقوم الأمر فيه على وجود رسالة هي القرآن الكريم موحى به من الله تعالى، ورسول هو محمد ﷺ، «أما نظرة المسيحيين إلى الكتاب المقدس، فهي على خلاف ذلك. وهم يرون أنه لم يتمَّ وحي الله الأكمل في كتاب، بل في إنسان... وعليه فهم يرون أن الكتاب المقدس يشير دوماً إلى ما هو أبعد منه، وأنه يبغي دوماً تنشئة إيماننا بالمسيح وبما يقوله الله للبشرية

---

(١) اليسوعي، الأب توماس ميشال: **مدخل إلى العقيدة المسيحية**، عرَّبه كميل حشيمة اليسوعي، بيروت، دار المشرق، سنة ١٩٩٢، ص ١٥، ١٦.

(٢) اليسوعي، الأب توماس ميشال: م.س، ص ١٨.

بواسطته وفيه، والذين كتبوا العهد الجديد كانوا أناساً حاولوا أن يبلغوا معنى اختبارهم ليسوع». وبمعنى آخر ففي المسيحية المسيح عليه السلام هو الرسالة والرسول، والأناجيل وأسفار العهد الجديد هي ما استطاع أن يعرفه كل كاتب من المسيح عليه السلام، وبهذا يبرِّر علماء المسيحية اختلاف الأناجيل والرسائل في بعض مضامينها، وإذا أردنا مقارنة المفهوم بين المسيحية والإسلام يكون العهد الجديد في موقع التفاسير للقرآن عند المسلمين.

نختم الحديث حول الموضوع بقول للأب توماس يقول فيه: «إن المسيحيين لا يدَّعون البتة أن يسوع حمل كتاباً هو الإنجيل. فيسوع في رأيهم لم ينقل وحياً على نحو ما نقل محمد القرآن في رأي المسلمين، بل يعتقد المسيحيون بأن يسوع نفسه هو تجسُّد وحي الله للبشرية، ولا يحمل رسالة، بل إنه هو الرسالة، ونتيجة لذلك لا نبتغي إنجيلاً خطَّه يسوع بيده أو أملاه على أحد تلاميذه»[١].

الكنائس والمذاهب المسيحية

سيلتزم البحث الحديث عن أبرز الكنائس والمذاهب المعاصرة، ولن يعود إلى الكنائس القديمة لأنها لم تعد حيَّة، وليس لها أتباع الآن على الأقل بشكل كبير وواسع الانتشار. وقبل الحديث عن هذه الكنائس تجدر الإشارة إلى أن الانشقاق الأكبر في تاريخ الكنيسة هو الذي حصل سنة ١٠٤٥م، حيث قامت الكنيسة الكاثوليكية ومركزها روما بمقابل الكنيسة الأرثوذكسية وعاصمتها، أو مركزها، القسطنطينية (أسطمبول اليوم).

ومن عوامل الانشقاق أمر عقدي يتعلق بانبثاق الروح القدس، ففي الأرثوذكسية الروح القدس ينبثق من الآب، بينما في الكاثوليكية ينبثق من الآب والابن.

وأبرز الكنائس هي:

١ ـ **الكنيسة الكاثوليكية:** أي الكنيسة الجامعة أو الكنيسة الغربية، مركزها الرئيسي الفاتيكان في روما بإيطاليا، ويعود تأسيسها إلى بطرس، أحد الحواريين الإثني عشر، ويلقب الصخرة.

---

(١) اليسوعي، الأب توماس ميشال: م.س، ص ٣٩.

لهذه الكنيسة رأس هو البابا المنتخب من قبل الكرادلة، وهو بمفهوم الكاثوليكية خليفة المسيح، وقراراته حاسمة في مختلف الشؤون، وإرادته لا تقبل المناقشة، وأتباع هذه الكنيسة معظمهم في الغرب اللاتيني، ومن أبرز مواقع انتشارهم: إيطاليا، إسبانيا، فرنسا، بلجيكا، البرتغال وتنتشر في سائر القارات، ويقارب عدد أتباعها في العالم المليار نسمة.

٢ ـ **الكنيسة الأرثوذكسية**: أي كنيسة «المستقيم الرأي»، أو الكنيسة الشرقية. بعد الانشقاق عام ١٠٥٤م باتت عاصمتها القسطنطينية (أسطمبول اليوم)، ولا يزال بطريرك أسطمبول يسمى البطريرك المسكوني. وأتباع الكنيسة الأرثوذكسية في البلاد الغربية واليونان والبلقان وأوروبا الشرقية، وقبل الشيوعية لعبت روسيا القيصرية دوراً مهماً في مسار هذه الكنيسة، وضمن الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية بشكل أساسي الكنيسة القبطية والأرمنية والسريانية.

٣ ـ **الكنيسة القبطية**: كنيسة يعود تأسيسها إلى مرقس الذي تقوم كنيسة في القاهرة تحمل اسمه وقبره فيها، كما أن الكنيسة القبطية تسمى: الكرازة المرقسية، وتسمى كنيسة الإسكندرية حيث مركز كرسي الكنيسة. وتعد كنيسة شرقية أرثوذكسية، وإن كان بعض الأقباط، وبعد التواصل مع أوروبا، قد تحول إلى الكاثوليكية أو البروتستانتية. وقد تأسست بعد مجمع خلقيدونيا في العام ٤٥١م، لذلك تعد أقدم الكنائس الأرثوذكسية، ويترأسها «بابا».

٤ ـ **الكنيسة السريانية**: تلتقي مع الكنيسة القبطية بالقول بالطبيعة الواحدة للمسيح، ونشأتها كانت كذلك بعد مجمع خلقيدونيا عام ٤٥١م، وهي تعد كنيسة شرقية، وأتباعها في المشرق العربي والهند وتركيا، وبعد التواصل مع أوروبا اتبع قسم من أتباعها الكاثوليكية، وهم اليوم يتبعون البابا في روما، أما الأصل فهم سريان أرثوذكس لهم كرسي في دمشق وآخر في الهند على كل منها بطريرك.

٥ ـ **الكنيسة الأرمنية**: أعلن الملك ورطان الثاني في عام ٣٠١م المسيحية ديناً رسمياً لأرمينية، وانتخب غريغوريوس بطريركاً لهذه الكنيسة، وهي كنيسة شرقية أرثوذكسية تلتقي مع الكنيستين القبطية والسريانية بالقول بالطبيعة الواحدة للمسيح، وقد دخلت إليها الكاثوليكية، وتوجد كنيسة الأرمن الكاثوليك، وإن

كان غالبية الأرمن من الأرثوذكس، وتسمى أحياناً الكنيسة الغريغورية نسبة لأول بطريرك لها. بعد الذي أصاب الأرمن في الحرب العالمية الأولى في أوائل القرن العشرين، اضطر قسم كبير من الأرمن إلى الهجرة خصوصاً إلى لبنان حيث يقوم الآن مركز كنيسة الأرمن بفرعيها الأرثوذكسي والكاثوليكي.

٦ ـ **الكنيسة البروتستانتية**: حصل انشقاق كبير في الكاثوليكية في القرن السادس عشر في أوروبا قاده حنا كالفن (١٥٠٩م ـ ١٥٦٤م) ومارتن لوثر (١٤٨٣م ـ ١٥٤٦م). والبروتستانتية قامت على قاعدة رفض السلطة الإكليريكية أو الكهنوتية لرجال الدين، وقاومت محاكم التفتيش ومسألة بيع صكوك الغفران، ونادت بالعودة إلى أهل الناموس، ولذلك أخذت بالعهد القديم مع العهد الجديد، والفريق المتشدد منهم يجب أن يدعى إنجيلي، هو منهم الأنغليكانية التي أساسها في بريطانيا. والمجالس التي تدير عمل هذا المذهب هي علمانية وإكليريكية، وينكرون الرتب الدينية المعتمدة في سائر الكنائس، ويعتمدون فقط لقب «قس» للمعني بالشأن الديني. تنتشر في أوروبا وسط الكاثوليك وفي أمريكا عموماً والشمالية خصوصاً.

الفصل العاشر

طقوس ومصطلحات

إن الدارس للمسيحية لا بدَّ له من أن يعرف العبارات وطقوسها، ومن ثمَّ أن يقف عند بعض المصطلحات التي تشكل الأساسيات فيها، ولهذه الغاية سنتوقف عند الأمور التالية:

١ ـ الصلاة

فُطر الإنسان على الاتجاه إلى الله تعالى والتقرب إليه سبحانه، وبهذا المفهوم تحدث عن الصلاة في المسيحية «قاموس الكتاب المقدس»، فالصلاة وليدة وجدان المؤمن، وهي من أجل طلب بركاته ونعمته وعونه.

والصلاة في المسيحية تؤدى جماعية أو يؤديها الفرد لوحده، وقد تقدم في الكنيسة أو البيت أو أي مكان، وتكون لأجل الآخرين كما تكون لأجل المصلي نفسه.

ويجوز في الصلاة أن يطلب المصلي ما يحتاج إليه نفسياً وجسدياً، وله أن يطلب الخبز اليومي على أن يبدأ الدعاء بأن يطلب ملكوت الله أولاً. والصلاة تكون في أوقات متعددة من النهار، وتكون للشكر عند تناول الطعام مثلاً، كما تكون الصلاة من أجل الأموات هي صلاة الجناز، وهكذا فلكل مناسبة، مفرحة أو محزنة، صلاة.

والصلاة الربانية المسيحية، وهي الأبرز، تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ الدعاء: وله نصوص مخصوصة هي: «أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك، ليأتِ ملكوتك، لتكن مشيئتك، كما في السماء، كذلك على الأرض، أعطنا خبزنا كفاف يومنا، واغفر لنا ذنوبنا، كما نحن نغفر لمن أخطأ إلينا. ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشَّر».

ب ـ الطلبات: والمعتمد أن تنقسم إلى نوعين وبتوازن، فتكون نصفها

مختصة بملكوت الله ومشيئته، ونصفها الآخر طلبات تتعلق بحاجات الإنسان المادية والمعنوية، ولا يصح أن تكون كثيرة، والمعتدلة منها تكون في ستة طلبات.

جـ ـ التمجيد: خاتمة هذه الصلاة، ويقال فيها: لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين.

والصلوات ترتبط بالسنة الطقسية والتي تبدأ في الأحد الأول من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر، وتتواصل أسبوعاً أسبوعاً حتى نهاية العام. وأبرز هذه الصلوات[١]؛ صلاتا الصباح والمساء:

أ ـ صلاة الصباح ونصها:

«المجد للآب والابن والروح القدس من الآن إلى الأبد. آمين.

ـ مبارك أنت أيها الرب الإله، يا من بك طلع النهار وزالت ظلمة الليل، يا من أيقظتنا في هذا الصباح، ووهبتنا نهاراً جديداً نفرح به، نسألك، أن تنير عقولنا وقلوبنا، بنور محبتك، ولا تسمح للخطيئة بأن تستعبدنا، بل أضئ علينا بنورك، في مقاصدنا وتصرفاتنا، اليوم وفي كل أيام حياتنا، فنرتل مبتهجين، لك أيها المسيح، ولأبيك وروحك القدوس، الآن وإلى الأبد.. آمين».

أما ختام صلاة الصباح فيكون بالنص التالي:

«المجد لله في العلى، وعلى الأرض السلام، والرجاء الصالح لبني البشر، إياك نسبِّح. إياك نبارك. لك نسجد. إياك نشكر. أيها الرب الخالق، أيها الملك السماوي. الله الآب.

أيها الرب الإله. الابن الوحيد يسوع المسيح.

ويا أيها الروح القدس.

لك المجد. ولك التسبيح. ولك الإكرام. يا إله الكل. يا أبا الحق. مع الابن الوحيد. والروح الحي القدوس. الآن وكل آنٍ وإلى الأبد. آمين».

---

(١) يراجع: **الليتورجيا الحيَّة**، ترتيب وتنسيق الخوري بطرس الجميل، بيروت، لا دار نشر، سنة ١٩٦٩ ص ٧ وما بعدها.

ب ـ صلاة المساء ونصها:

«المجد للآب والابن والروح القدس، من الآن إلى الأبد. آمين.

أبانا يا خالق العالم أجمع، يا من صنعت المساء والصباح، والليل والنهار، لراحة البشر ومحبَّة بهم، إمنح الآن نفوسنا، وأجسادنا الراحة. وفي غياب شمس هذا النهار، كن لنا الشمس التي لا تغيب. وعند رقادنا في هذا الليل، لا تردَّ عنا عينك التي لا تنام، ولا تحسب علينا، يا رب، هفواتنا التي صدرت منا، في هذا النهار، بل ثبّتنا في محبتك، فنعمل ما يرضيك، ونسبحك إلى الأبد. آمين».

أمّا ختام صلاة المساء فيكون بالنص التالي:

«أبانا الذي في السماوات. ليتقدس اسمك. ليأتِ ملكوتك. لتكن مشيئتك. كما في السماء كذلك على الأرض. أعطنا خبزنا كفاة يومنا. واغفر لنا ذنونا وخطايانا. كما نحن نغفر لمن أساء إلينا. ولا تدخلنا في التجربة. لكن نجنا من الشرور. لأن لك الملك والقوة والمجد. إلى الأبد. آمين».

٢ ـ الصوم

فريضة موجودة عند كل المؤمنين،وهي تعبير عن الطاعة لله، ويكون ذلك بالامتناع عن الطعام والشراب وسائر اللذائذ، وقد يرافق ذلك امتناع عن لون من الطعام، وكل ذلك يكون محللاً في غير الصوم. فالصوم في المسيحية يكون فيه الامتناع عن أكل اللحوم وسائر المشتقات الحيوانية.

الصوم الكبير في المسيحية هو الذي يسبق الفصح ومدته سبعة أسابيع، وفي كل يوم يمتنع الصائم عن الأكل والشرب من منتصف الليل إلى الساعة الثانية عشرة ظهراً. والكنائس الشرقية تشدد على الامتناع عن اللحوم والمشتقات الحيوانية، أما الكنائس التي تعتمد الطقس الغربي فإنها تطلب ذلك ليومين في الأسبوع أو بصيغ مختلفة. وهناك، إضافة إلى الصوم الكبير، مواسم صوم تطوعية هي صوم الميلاد ومدته ٤٠ يوماً.

يبدأ صوم الميلاد في ١٥ تشرين الثاني/ نوفمبر، وتكون نهايته مع عيد الميلاد في ٢٥ كانون الأول/ ديسمبر.

أما أنواع الصوم الأخرى كما حددها أحد لاهوتيي الكنيسة الأرثوذكسية فهي:

«١ ـ صوم الرسل: ويبدأ يوم الإثنين بعد العنصرة[١] بثمانية أيام، وينتهي في ٢٨ حزيران/ يونيو، عشية عيد القديسين بطرس وبولس، وتتراوح مدَّته بين أسبوع واحد وستة أسابيع.

٢ ـ صوم رقاد السّيدة، ومدّته أسبوعان من أول آب/ أغسطس حتى ١٤ منه.

٣ ـ الصوم كل أربعاء وجمعة، وكل إثنين في بعض الأديرة»[٢].

والصوم في المسيحية حالة طاعة للخالق، ولا يصبح الصوم مع إبراز الصائم مظاهر ليرائي بها الآخرين، وإنما عليه الظهور بوضع طبيعي. وفي النص الإنجيلي:

«وإذا صمتم فلا تعبسوا كالمرائين، فإنهم يكحلون وجوههم، ليظهر للناس أنهم صائمون. الحق أقول لكم إنهم أخذوا أجرهم. أما أنت، فإذا صمت، فادهن رأسك واغسل وجهك، لكي لا يظهر للناس أنك صائم، بل لأبيك الذي في الخفية، وأبوك الذي يرى في الخفية يجازيك»[٣].

هذا المظهر للصائم الذي يكون معه في صوم يقربه من الله تعالى، جاء في الإسلام حديث قدسي يعطي للصوم معنى يماثله ونص الحديث: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم لي وأنا أجازي به».

---

(١) العنصرة: يوم العنصرة أو عيد العنصرة في المسيحية، يأتي بعد خمسين يوماً من الفصح حيث كان هذا اليوم هو موعد حلول الروح القدس على تلامذة المسيح ليخرجوا مبلغين بالرسالة. جاء البلاغ عن ذلك في العهد الجديد. والنص هو: «ولما أتى اليوم الخمسون، كانوا مجتمعين كلهم في مكان واحد، فانطلق من السماء دوي كريح عاصفة، فملأ جوانب البيت الذي كانوا فيه، وظهرت لهم ألسنة كأنها من نار قد انقسمت، فوقف على كل منهم لسان، فامتلأوا جميعاً من الروح القدس، وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم على ما وهب لهم الروح القدس أن يتكلموا».

أعمال الرسل، الإصحاح ٢، الفقرة ١ وما بعدها.

(٢) وير، تيموثي: م.س، ص ١٣٢.

(٣) إنجيل متى، الإصحاح ٦، الفقرة ١٦، وما بعدها.

والصوم المسيحي يجب أن ترافقه حالات من التراحم والتحابب وتقديم الصدقات إلى المحتاجين، وقد بين ذلك البابا بنديكتوس السادس لمناسبة الصوم عام ٢٠٠٨، حيث قال: «الصوم زمن نتعمق فيه بمعنى وقيمة كياننا المسيحي، ونكتشف مرة أخرى رحمة الله، فنصير بدورنا رحيمين مع إخواننا. الخطوات الملموسة الواجب اتخاذها هي الصلاة والصوم والصدقة...

فالصدقة تحملنا على الابتعاد عن التعلُّق بالخيارات المادية، لئلا تتحول إلى أصنام، وهكذا تتسنّى لنا مقاسمة الطّيبة التي يهبنا إياها الله مع الآخرين.... زمن الصوم يدعو الجميع إلى النمو في المحبة».

٣ ـ الصليب

رمز الخلاص والفداء، ويعدُّ الصليب في أساس المسيحية ووجه من وجوه خصائصها، إنه يرمز إلى الآلام وبها كان التكفير عن الخطايا البشرية، فالمسيح به كان الفادي للبشر.

وهناك نشيد يعبِّر عن موقع الصليب وارتباطه بفعل التضحية ينص:

«لقد حمل هو آلامنا واحتمل أوجاعنا.

طعن بسبب معاصينا وسُحِق بسبب آثامنا.

نزل به العقاب من أجل سلامنا، وبجرحه شُفينا.

وهو حمل خطايا الكثيرين، وشفع في العصاة».

وكما في إنجيل يوحنا: «ليس حب أعظم من هذا، أن يبذل إنسان نفسه لأجل أحبائه».

وبات في العقيدة المسيحية واجب كل مسيحي صادق أن يكون جاهزاً للفداء على درب الجلجلة، وهذا يكون بأن يستعد لحمل صليبه، أي أن يستعد لتلقي الموت والعذاب قدوته المسيح، «لذا أصبحت علامة الصليب هي علامة المسيحية».

٤ ـ العشاء الرباني أو الفصح السنوي

هو المناسبة الأبرز والمحطة الرئيسة في المسيحية لأنه مناسبة الفداء، فمع الفصح تمَّ تقديم الجسد لحماً ودماً من أجل التكفير عن خطايا البشر. في

العشاء الرباني يُستعمل قليل من الخبز والنبيذ. فالخبز يشير إلى الجسد المكسور، والنبيذ إلى الدم المسفوك، والعشاء نفسه يشير إلى المجيء الثاني للمسيح، والفصح يشير كذلك إلى المائدة السماوية التي يسير نحوها الإنسان بعد الحياة الدنيا.

وكلمة فصح تعني العبور، وكأنها تشير إلى عبور من آمن بما جاء به المسيح، يعبر بواسطته إلى الآخرة السعيدة. وفي العشاء أبلغ المسيح تلاميذه بأنه قد جاءت لحظة الرحيل من الدنيا. ورد في إنجيل يوحنا: «قبل عيد الفصح كان يسوع يعلم بأنه قد أتت ساعة انتقاله عن هذا العالم إلى أبيه»[١]. وفي إنجيل مرقس: «وبينما هم يأكلون، أخذ خبزاً وباركه، ثم كسره وناولهم وقال: خذوا، هذا هو جسدي، ثم أخذ كأساً وشكر وناولهم فشربوا منها كلهم وقال لهم: هذا هو دمي، دم العهد، يُراق من أجل جماعة الناس»[٢].

إن الأسبوع الذي يسبق الفصح يسمى أسبوع الآلام، يبدأ مع أحد الشعانين ثم يكون خميس الأسرار، فالجمعة الحزينة وفيها طقس هو رتبة دفن المسيح، وفي منتصف ليل السبت/ الأحد تدق أجراس الكنائس إشارة إلى قيامة المسيح من القبر.

الفصح مسيحياً «هو عيد الانتقال من الموت إلى الحياة، كما يرد في كثير من صلوات العيد، وهو عيد قيامة المسيح من الموت الذي به حصل العبور من العبودية الحتمية للعدو للإنسان، الموت، إلى الحرية التي هي الحياة التي لا تعرف نهاية بالإيمان بالمسيح».

(١) إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٣، الفقرة ١.
(٢) إنجيل مرقس، الإصحاح ١٤، الفقرتان ٢٢، ٢٣.

الفصل الحادي عشر

الأسرار

السر (Mystère)، بالمفهوم المسيحي، حقيقة مقدسة، وهو فعل النعمة التي يهبها الله للإنسان، وترافقه طقوس معينة. والأسرار مقياس جوهري للانضمام إلى الكنيسة وفيها معنى الخلاص، والأسرار عند الكنيسة الأرثوذكسية لم تحدَّد، بينما جعلتها الكنيسة الغربية سبعة هي:

١ ـ **سر التوبة: (pénitence)** ويقوم على طلب المغفرة والعودة إلى تعاليم الكنيسة بعد أخطاء ارتكبها التائب، والتوبة تكون على الشكل التالي: «إدراك الذنب، الندامة عما ارتكب أو أهمل، الإقرار بالذنب، الاستعداد لتغيير الحياة».

بعد التعميد ودخول الطفل في الكنيسة، وبعد أن يبلغ سن التمييز، بحدود السابعة، يتمكن الطفل من تمييز الخير من الشر، ويعي ما هي الخطيئة ويحظى بالمناولة التي يقرُّ له الكاهن من خلالها بنصرانيته (مسيحية). ولأنه معرض للوقوع في أخطاء، ولأنه قد يرتكب معاصي وآثاماً، فلا بد أن «يبدأ في ممارسة سر جديد آخر هو سر التوبة أو الاعتراف. بهذا السر، تغفر الخطايا التي اقترفها بعد المعمودية، ويتصالح الخاطئ مع الكنيسة، لذلك يسمى هذا السر بالمعمودية الثانية... ولكن الاعتراف أصبح منذ قرون طويلة، سواء في الشرق أم في الغرب، بمثابة محادثة خاصة بين الكاهن والمؤمن، والكاهن ملزم بالمحافظة على سر الاعتراف محافظة مطلقة.

وليس في الكنيسة الأرثوذكسية كرسي اعتراف على الطراز الكاثوليكي، فالتائب والمعرف على العموم يقفان معاً أمام الأيقونسطاس[1]، وأحياناً وراء

---

(١) الأيقونسطاس: Iconostase: هو العنصر الهندسي الأكثر بهاء في كثير من الكنائس الأرثوذكسية. إنه حاجز يحمل الأيقونات، ويفصل الهيكل الذي تقام عليه الذبيحة الإلهية =

ستارة، أو داخل غرفة مخصصة لهذا الأمر. يقف التائب أمام الصليب أو أيقونة السيد أو كتاب الأناجيل، ويقف الكاهن إلى جانبه. ووضع الشخصين على هذا النحو يؤكد بأن الله هو الحاكم في الاعتراف، وبأن الكاهن ليس سوى شاهد وخادم الله»(١).

إن التوبة تقترن بندم من التائب الذي أقرَّ بخطيئته، وذلك لأن التأديب الدنيوي يمكِّن من تاب واعترف أن يكون له الخلاص الأخروي. لقد «كان في الكنيسة منذ نشأتها نظام تأديب إلهي. ففي بدء الصوم الكبير كانت التوبة العلنية تفرض على كلٍّ من أدين بخطيئة كبرى، ويجري عليهم القصاص، وهم بعد في هذا العالم لينالوا خلاص نفوسهم عند مجيء الرب، ويصيروا أمثلة يستفيد منها الآخرون فيخشون عواقب الخطيئة»(٢).

وإذا ما قصد تائب الأسقف أو الكاهن معترفاً نادماً فإن واجب الأسقف قبول عودة هذا الشخص، لأن رفضه يخالف نصوص العهد الجديد. ففي النص الإنجيلي: «فإني ماجئت لأدعو الأبرار، بل الخاطئين»(٣). وفي نص آخر: «أقول لكم: هكذا يكون الفرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر منه بتسعةٍ وتسعين من الأبرار لا يحتاجون إلى التوبة»(٤).

إن الآثام والخطايا تفصل المؤمن عن الكنيسة، وبواسطة الاعتراف، وهو في سبيل التوبة، يعود المؤمن المسيحي إلى الاتحاد بالكنيسة، ودور الكاهن أن يأخذ بيد التائب الذي جاء إليه، وعند الاعتراف يقول له: «تشجَّع فأنت قد جئت إلى الطبيب، فاحذر لئلا تذهب غير معافى»(٥).

= عن صحن الكنيسة حيث يقف المؤمنون.

معجم اللاهوت الأرثوذكسي، إعداد يوريس يوبرينسكوي، عرَّبه الأب إبراهيم سروج، طرابلس ـ لبنان، مكتبة السائح، سنة ١٩٩٩، ص٢٤.

(١) وير، تيموثي: م.س، ص١٢٠.

(٢) **مجموعة الشرع الكنسي**، جمع وترجمة وتنسيق الأرشمندريت حنانيا إلياس كساب، بيروت، منشورات النور، سنة ١٩٨٥، ص٧٢.

(٣) إنجيل متى، الإصحاح ٩، الفقرة ١٣.

(٤) إنجيل لوقا، الإصحاح ١٥، الفقرتان ٦، ٧.

(٥) **معجم اللاهوت الأرثوذكسي**، م.س، ص٧.

وعملية الاعتراف هذه التي تليها التوبة وترافقها الندامة، تكون قبلها حالة المطانية (Métanie)، وهي كلمة يونانية تعني «اهتداء النفس، والندامة، والعودة، أو بالأحرى تغيير الاتجاه أو الانقلاب. فتغيير الشعور والاتجاه وقلب المقاييس والتجديد هي التي تحقق الندامة. . . فالندامة والحياة ـ أي العودة إلى الله في الكنيسة وبها ـ يتحققان في سرِّ الاعتراف»[١].

فالاهتداء يتبعه تغيير وتحوُّل من الخطأ إلى الفضيلة، وهكذا تكون التوبة التي يولد معها الإنسان التائب من جديد بشخصية جديدة وعليه عدم العودة إلى الخطيئة بعدها.

هذه التوبة يوجد ما هو مطلوب في الإسلام مثلها بشأن التوبة ألا وهي التوبة النصوح التي يندم معها المؤمن ويعاهد الله بعدم العودة إلى الخطأ.

إن التوبة المقرونة مع الاعتراف وما يعقبهما من صلاة يؤديها التائب أو من يريد أن يخلِّصه مما هو فيه تحقق التبرؤ من عواقب الخطايا. جاء في العهد الجديد: «اعترفوا بعضكم لبعض بزلاتكم وصلّوا بعضكم من أجل بعض لكي تبرأوا، ما أعظم قوة صلاة البارِّ الفعّالة»[٢].

٢ ـ **التعميد أو المعمودية (Baptême)**: فريضة مسيحية بها يصبح المرء مسيحياً، لذلك يطلق عليها اسم التنصير. وكانت الكنائس قديماً لا تعمِّد الشخص قبل البلوغ، لكن حالياً في الكنائس الغربية والشرقية يعمَّد الصغير مع شرط وجود عرّاب له يتعهد بتنشئته على المسيحية. عند الشرقيين يغطَّس المعمَّد بالماء ثلاث مرات، أما عند سواهم فيُكتفى برش الماء على الجبهة. والعماد يقوم به الكاهن، التزاماً بما جاء في إنجيل متّى ويأمر بذلك. ورد في إنجيل متى: «فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به»[٣].

في النص الإنجيلي: «أُمضوا وتلمذوا كلَّ الشعوب، وعمدوهم باسم

---

(١) **معجم اللاهوت الأرثوذكسي**: م.س، ص١٣.

(٢) رسالة القديس يعقوب، الإصحاح ٥، الفقرة ١٦.

(٣) إنجيل متى، الإصحاح ٢٨، الفقرة ١٨ وما بعدها.

الآب، والابن، والروح القدس. علِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء العالم»[١].

والتعميد يكون بالتغطيس بالماء، فالماء كان مع نوح عليه السلام طوفاناً لتطهير العالم من آثام البشر حينها، واستخدمه يوحنا (يحيى عند المسلمين) ومريم عليها السلام كانت قد عمدت المسيح عليه السلام في نهر الأردن.

التعميد أو المعمودية فريضة مسيحية بها يصبح المرء مسيحياً، لذلك يقال له: التنصير. وقد كانت الكنائس قديماً لا تعمِّد الشخص قبل البلوغ، أما في هذه الأيام فإن الكنائس الشرقية كما الغربية، تعمِّد الأطفال في سنٍّ مبكرة مع اشتراط وجود عرّاب للطفل المُعمَّد يتعهد بتنشئة الطفل على المسيحية. عند الكنائس الشرقية يغطّس المُعمَّد بالماء ثلاث مرات، أما عند سواهم من الكنائس فيكتفى برش الماء على الجبهة.

والمعمودية سرٌّ كما الزواج سرٌّ، وفي الطقوس الأرثوذكسية «هناك عنصران أساسيان في المعمودية: توسُّل الثالوث، والتغطيس المثلث في الماء. يقول الكاهن: «يعمَّد عبد الله (فلان) باسم الآب، آمين، والابن، آمين، والروح القدس، آمين. وفي كل مرة يذكر فيها، أحد أقانيم الثالوث القدوس، يغطس الكاهن الطفل في جرن المعمودية، يغطسه كلَّه، وفي حالات خاصة يصبُّ الماء على جسده كلِّه. وإذا كان الشخص طالب المعمودية مريضاً بحيث تتعرض حياته للخطر من جرّاء التغطيس فيُكتفى بصبِّ الماء على جبينه، فيما عدا ذلك فإن التغطيس ليس بالشيء الذي يمكن إلغاؤه.

«والأرثوذكسيون يتطلعون بأسف إلى تخلي الكنيسة الغربية عن طقس التغطيس القديم واكتفائها بصب قليل من الماء على جبين طالب المعمودية. والتغطيس أساسي في نظر الأرثوذكسية ـ إلا في حالات استثنائية ـ لأن بدونه تنقطع الصلة بين الإشارة الخارجية والمعنى الداخلي، وتفقد رمزية السّرّ»[٢].

التعميد سر لا يكون المسيحي مسيحياً بدونه، لكن طقوسه تختلف نوعاً ما

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح ٢٨، الفقرتان ١٩، ٢٠.

(٢) وير، تيموثي: **الكنيسة الأرثوذكسية ـ إيمان وعقيدة**، بيروت، منشورات النور، سنة ١٩٨٢، ص١٠.

بين كنيسة وأخرى من دون الاختلاف بأن الماء أساسي، ووجود العرّاب المرشد للمعمد كذلك.

والتعميد يؤهل المعمد إلى استقبال أقنوم الروح القدس، وهذا الأمر يكون سبيلاً ليتحصن الإنسان من الخطايا، وتتكون بينه وبين الروح القدس حالة من السرِّ الذي يسهم في التزامه وانضباطه بواسطة تعليم الروح القدس.

لقد بيَّن هذا الأمر يوحنا الذهبي الفم الذي قال: «وبعد هذه المسحة، ينزلكم إلى المياه المقدسة، دافناً الإنسان القديم ومُنهضاً الإنسان الجديد الذي جدَّده على صورةِ خالقه. آنئذٍ يتمُّ، بواسطة يد الكاهن وكلماته، حلول الروح القدس، وإذا بنا أمام إنسان جديد يخرج من المياه مطهراً بجملته من دنس خطاياه وتاركاً ثوب الخطيئة القديم ومرتدياً اللباس الملكي (نسبة للملاك وجمعها ملائكة، وذلك بمواجهة الثوب الشيطاني)... عندما يهتف الكاهن: يُعمد (فلان) باسم الآب والابن والروح القدس، يغطس رأس المعمَّد ثلاث مرات في الماء ثمّ يرفعه مؤهلاً إياه بواسطة هذه الرتبة السّرية لاقتبال الروح القدس»[١].

انطلاقاً مما تقدَّم، يكون التعميد سراً أساسياً من أسرار ارتباط المسيحي بالمسيحية وبالمسيح، ويؤكد علماء المسيحية بأن العمودية باب لانضمام المعمد إلى سرِّ المسيح الفصحي وإلى موته وقيامته، والمعمودية معناها موت عن الخطيئة وأن يحيا الإنسان لله. وبكلمة المعمودية أساس الحياة المسيحية كلها.

سر مسحة الميرون: المسحة بزيت الميرون تلي التعميد مباشرة. وزيت الميرون أو الميرون المقدس Saint Chrême يحضره الأساقفة، وهو مؤلف: «من زيت الزيتون، ومن عطور ثمينة متنوعة، وبالصلوات واستدعاء الروح القدس، ومن ثمّ يوزعون منه على مختلف الكنائس التابعة لهم»[٢].

أما استخدام الميرون أو مسحة زيت الميرون فيكون بعد إتمام التعميد

---

(١) يوحنا الذهبي الفم: **ثماني عظات في المعمودية**، بيروت، المكتبة البوليسية، ط١، سنة ١٩٩٣، ص٥٩.

(٢) **معجم اللاهوت الأرثوذكسي**، م.س، ص١٣٤.

بالماء حيث يقوم الكاهن بهذه المهمة. وعند الكنيسة الأرثوذكسية يكون ذلك على أساس أن «مسحة الميرون تلي المعمودية مباشرة. يتناول الكاهن الميرون، ويمسح به أماكن مختلفة من جسم الطفل مع رسم إشارة الصليب: يبدأ أولاً بالجبين، ثم العينين، ثمّ الأنف، ثم الفم والأذنين، ثمّ الصدر، ثمّ اليدين والرجلين. وعند كل مسحة يقول: ختم موهبة الروح القدس، آمين.

والطفل الذي أصبح عضواً في جسد المسيح بالمعمودية، يتلقى بمسحة الميرون موهبة الروح القدس ويصبح علمانياً (Laikos) أي عضواً كاملاً في شعب الله»[١].

واستخدام الزيت للبركة، لأن شجرة الزيتون لها رمزية معينة بدأت مع نوح عليه السلام عندما نزل من السفينة وبيده غصن من الزيتون.

الذي يكرِّس زيت الميرون هو الأسقف، ولكن مسحة الميرون قد يقوم بها الأسقف، ويمكن أن يقوم بها الكاهن نيابة عنه. «ويستخدم سر مسحة الميرون أيضاً في حالات المصالحة مع الكنيسة، أو الارتداد إليها. إذا جحد أحد الأرثوذكسيين ثمّ عاد إلى أحضان الكنيسة، عندها يمسح بمسحة الميرون من جديد»[٢].

والتعميد بدأ مسيرته مع تعميد المسيح من نهر الأردن في بداية رحلته التبشيرية الرسولية، وأصبحت المناسبة هي يوم الغطاس، وللمناسبة صلاة نصها: «بعمادك أيها المسيح في نهر الأردن قدست المعمودية، التي نصير بها إخوة لك وأبناء للآب ومسكناً للروح القدس، أضئ قلوبنا دائماً بأنوارك الإلهية فنكون أبناء النور ليراك العالم ويمجد الآب الذي في السماء، بالروح القدس المحيي، الآن وإلى الأبد».

٣ ـ سر مسحة المرضى (Extrême Onction): تنطلق من واجب عيادة المرضى والاعتناء بهم، والكهنة «هم الذين يدعون إلى جانب المريض للقيام بالصلاة ووضع اليد والمسحة فيدل على أن المريض لا يُعزل عن الجماعة، بل يرتبط بالكنيسة ارتباطاً شديداً».

---

(١) وير، تيموثي: م.س، ص١٠٧.

(٢) وير، تيموثي: م،س، ص١٠٨.

إنَّ المريض يُمسح بالزيت وهذا فيه تطييب لنفس المرض، ويولِّد له حالة اطمئنان نفسي لكنه لا يرد قضاء بالموت، ولا يعالج داء، لذلك قال تيموثي وير: «الأرثوذكسية لا تؤمن بأن الزيت، أو مسحة المرضى، يجلب الصحة للمريض بصورة آلية. إنه يجلب أحياناً الشفاء، وإلا فإنه يؤثر على المريض في العمق ويمنحه القوى الروحية التي يحتاجها لاستقبال الموت... في الكنيسة الأرثوذكسية يعطى هذا السر لكل مريض كائنة ما كانت خطورة مرضه»(١).

ولا تبعد من هذا المفهوم الكنيسة الكاثوليكية، وقد جاء في نصوص مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني ما يلي: «المسحة الأخيرة التي يمكن ويفضَّل أن تُسمى: مسحة المرضى، ليست سراً مقصوراً على من بلغوا الغاية القصوى من الحياة، ومن ثم فالميقات المناسب لقبولها هو في الحقيقة عندما يبدأ تعرُّض المؤمن لخطر الموت من جرّاء المرض أو الشيخوخة»(٢).

والزيت أساس في مسحة المرضى انطلاقاً من بركة شجرة الزيتون التي من ثمرها يكون الزيت، واستخدامه يكون بهدف شفاء المريض أو أن المسحة تكون بركة تزيل ما اقترفه من خطايا ليلقى الموت وهو مبرأ، فتكون له الفردوس (الجنة) في الدينونية. ورد في معجم اللاهوت الكتابي: «إن هذه الدهنات التي مارسها الرسل، طبقاً على الأرجح لتعليمات يسوع، هي الأصل المستمدة عنه رتبة مسحة المرضى الطقسية في الكنيسة. وتأمر رسالة يعقوب بأن يجري الكهنة باسم الرب مسحة بالزيت على المريض: (فإن الصلاة مع الإيمان تخلص المريض، والرب يعافيه، وإذا كان قد اقترف بعض الخطايا غفرت له).

ولما كان المرض هو إحدى نتائج الخطيئة، فإن المسحة التي تُجرى باسم الرب تحقق الخلاص للمريض: فهي تشركه في انتصار المسيح على الخطيئة والموت، سواء أكان بالشفاء، أم بمضاعفة قواه لمواجهة الموت»(٣).

هذا السر بدأ مع تلامذة المسيح عليه السلام عندما أرسلهم ليبشروا،

---

(١) وير، تيموثي: م.س، ص١٢٨.

(٢) **المجمع الفاتيكاني الثاني**، أشرف على الترجمة الأب حنا الفاخوري، بيروت، المكتبة البوليسية، ط١، سنة ١٩٩٢، ص١٧٢.

(٣) **معجم اللاهوت الكتابي**، م.س، ص٧٣٥.

وأعطاهم توجيهاً بأن يقوموا بمسحة المرضى، وقد دونت ذلك نصوص في العهد الجديد منها: «هل فيكم مريض فليدع كهنة الكنيسة وليصلوا عليه ويمسحوه بالزيت باسم الرَّبّ. فإن صلاة الإيمان تُخلِّص المريض والرب ينهضه وإن كا قد ارتكب خطايا تُغفر له»[1].

٤ ـ سر الزواج (Mariage): وهو تقديس الحب الزوجي، وإن اتمام العلاقة بين الزوجين إنما هي إنفاذ لإرادة إلهية، والزواج أثمن خيرات البشرية لأن الأسرة نواة المجتمع البشري. ويوصف العهد بين الرجل والمرأة على أنه صورة العهد بين المسيح والكنيسة. وفي رتبة الزواج الكنسي يطلب ثلاث مرات الإعلان عن الموافقة والرضى من قبل العروسين، وفي ذلك أن الزواج الصحيح يقوم على الرضى بالوحدة وبالخصب (الإنجاب) وبالأمانة الزوجية.

إن الإنسان وفق سُنَّة الله تعالى في خلقه يولد مفطوراً على الميل إلى الحفاظ على جنسه الآدمي، وينتج عن ذلك الميل للحفاظ على الحياة بإشباع الحاجات، والميل إلى استمرار الجنس الآدمي في الوجود، ويكون ذلك بالزواج والتناسل. وإذا كانت المسيحية قد رغبت بالرهبانية لعدد من الناس ليتفرغوا لخدمة الكنيسة وتالياً الرعايا والناس، فإنها لم تخرج عن هذه السنة الكونية في الحضِّ على الزواج وإنجاب الأولاد ورعايتهم الرعاية الكافية.

فالزواج عند الكنيسة الأرثوزكسية، نعمة ولها خطوتان هما: الخطبة والإكليل. لذلك قال أحد علماء الأرثوذكسية: «الزواج ليس وضعاً تفرضه الطبيعة فقط، بل هو حالة من النعمة. والحياة الزوجية، كما الحياة الرهبانية، رسالة خاصة تتطلب نعمة خاصة من الروح القدس، وهذه النعمة تعطى من طريق سرِّ الزواج.

وتشتمل خدمة الزواج على قسمين:

إنهما خدمة الخطبة وخدمة الإكليل، وأثناء الأخيرة يقام السِّرُّ المقدس. والجزء الأساسي من خدمة الخطبة هو تبريك المحابس، وتبادلها عربوناً للرضى المتبادل الذي يعرب عنه الخطيبان بملء حريتهما، لأن سرَّ الزواج المسيحي لا يمكن أن يتم إلا بموافقة الطرفين.

---

(١) رسالة القديس يعقوب، الإصحاح ٥، الفقرتان ١٤، ١٥.

وقمة خدمة الإكليل هي في وضع إكليل من قبل الكاهن على رأس كل من العروسين. . . في نهاية الخدمة. . . يشرب الزوجان النبيذ من كأس واحدة، إشارة إلى أنهما من الآن وصاعداً سيتقاسمان حياة واحدة»[١].

الزواج سنَّة كونية، ونعمة تضمن من خلال النسل استمرار الجنس البشري وبذلك يكون ضرورة للحياة نفسها، وهو في المسيحية بكل كنائسها ومذاهبها سرٌّ يرتبط أمره بالمشيئة الإلهية. وكما كان موقف الكنيسة الأرثوذكسية كان كذلك موقف الكنيسة الكاثوليكية، وقد ورد من نصوصها في هذا الموضوع من مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني (عام ١٩٦٥) ما يلي: «إن الشراكة الحميمة في الحياة والحب الزوجي قد أسَّسها الخالق ووضع لها نواميسها، على أن تكون اتحاد أزواج قائماً على رضى شخصي غير قابلٍ النقض والتراجع. وهكذا فالعمل الإنساني الذي يتبادل به الأزواج العطاءً والتقبُّل هو توافق ترابطي ثبتته الإرادة الإلهية. . . وهذا الرباط المقدس الذي يخدم الأزواج والأبناء والمجتمع لا يخضع لمزاج الهوى البشري»[٢].

وقد حددت مقررات المجمع الفاتيكاني مقاصد الزواج، ومن بينها مقصد رئيسي هو النسل والإنجاب من أجل حفظ النوع واستمراريته، وهذا المقصد هو استجابة لإرادة الله تعالى خالق الحياة، وهو دافع أصيل في فطرة الإنسان، ولذلك حرَّمت الكنيسة الكاثوليكية الإجهاض أو قتل الأجنَّة لأنهما جريمة، وصاغت الموقف على الشكل التالي:

«الزواج والحب الزوجي موجهان بطبيعتهما إلى إنجاب النسل وتربيته. والأبناء أطيب مواهب الزواج، وبهم أعظم الخير للوالدين أنفسهم»[٣].

ويكمل نص مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني: «فإن الله، سيد الحياة، قد عهد إلى البشر في مهمة الحفاظ على الحياة، وهي مهمة شريفة يجدر بالإنسان أن يقوم بها قياماً يليق به. فالحياة، منذ وجودها بالحبل، يجب الحفاظ عليها بكل عناية، والإجهاض وقتل الأجنة هما جريمتان»[٤].

---

(١) وير، تيموثي: م.س، ص ١٢٦.
(٢) **المجمع الفاتيكاني الثاني**، م.س، ص ٢٥٦.
(٣) م.س، ص ٢٥٧.
(٤) م.س، ص ٢٦١.

هذا الموقف المسيحي هو نفسه الموقف الإسلامي. وفي الإسلام الزواج يؤمن السكن والاستقرار، ومنه يكون الأبناء والأحفاد والنسل، والمعلوم أن حفظ النسل من مقاصد الشريعة الإسلامية، وهي: حفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ الدين، وحفظ النسل، وحفظ المال. كما أن التكاثر البشري ركن في حياة البشر، وبالتالي كل تقصير في هذا الباب يعدُّ ذنباً، وفي أحكام الإسلام ديَّة على من يجهض امرأة حاملاً.

ولأن الزواج بهذه الأهمية وبه يتعلق حال الإنسان فرداً ومجتمعاً، يحتاج الأمر إلى بيان موقف الكنيسة من أركان عقد الزواج وضوابطه ومستلزماته.

ولو تمَّ اعتماد قوانين الأحوال الشخصية المعتمدة في كنيسة الروم الأرثوذكس في إنطاكية وسائر المشرق، وذلك كنموذج، فإن في نص القوانين ما يلي:

أ ـ الخطوة الأولى باتجاه الزواج هي الخطبة، وهي خطوة تمهيدية تكون بعلم المرجعية الكنسية، ووفق تحديد زمني لمدتها.

«المادة (٤): الخطبة عقد كنسي يرتبط به الخطيبان متوافقين على زواج مستقبل ويتمُّ بإقامة الكاهن المأذون الصلاة القانونية.

المادة (٥): شروط الخطبة هي:

١ ـ الرضى المتبادل المصرح به من الخطيبين أو وكلائهما.

٢ ـ أن يكون كل من الخطيبين أهلاً للعقد بالغاً سنَّ الرشد وهي الثامنة عشرة.

٣ ـ أن يسجل مضمون العقد في سجل الخطبة في المطرانية في مدة أسبوع، على أنه يجوز عقد الخطبة لهما في سنّ التمييز، وهو في الأنثى إتمام الثالثة عشرة من عمرها، وفي الذكر إتمام الخامسة عشرة، مع مراعاة حال البنية والصحة، وبموافقة الولي وبإجازته، وذلك بقرار معلل يصدره مطران الأبرشية»[١].

---

(١) **أنظمة الأحوال الشخصية ـ أصول المحاكمات للطوائف المسيحية في لبنان**، بيروت، دار صادر، سنة ١٩٩٢، ص١٦٤.

أما عقد الزواج فإن أركانه وشروطه عند الكنيسة الأرثوذكسية هي:

«المادة (١٧): الزواج سر من أسرار الكنيسة به يتم اتحاد رجل وامرأة ليتعاونا على الحياة الزوجية وحمل أعباء العائلة وتربية الأولاد.

المادة (١٨): يشترط لعقد الزواج ما يأتي:

١ ـ رضى الزوجين إذا كانا راشدين أو رضى الأولياء فيما عدا ذلك.

٢ ـ بلوغ سن الزواج، أي سن الرشد، على أنه يجوز الزواج بعد إكمال البنت الخامسة عشرة والشاب السابعة عشرة عند الضرورة إذا كانت الصحة والبنية تؤهلانهما للزواج.

٣ ـ عدم وجود مانع من موانع الزواج.

٤ ـ إقامة الصلاة الأرثوذكسية المفروضة من كاهن أرثوذكسي مأذون بها.

٥ ـ أن يكون الزوجان أو أحدهما أرثوذكسياً على أن يكون الثاني من دين آخر.

٦ ـ رخصة من رئيس كهنة الأبرشية تُمنح بناء على استئذان كاهن طالبي الزواج، وتسجل في السجل الخاص بالمطرانية، ويعتبر الكاهن مسؤولاً عن كل مخالفة تظهر في طلب الإذن بالإكليل.

المادة (١٩): إذا كان طالب الزواج من أبرشية أخرى أو بلاد غريبةٍ أو من مذهب آخر، فعليه أن يقدم شهادة من مرجعه الروحي، وعند التعذُّر فمن مرجع مدني صالح تثبت عدم وجود مانع لهذا الزواج.

المادة (٢٠): يبارك عقد الزواج الكاهن المأذون بحضور اثنين على الأقل عدا الشاهدين (الإشبينين)، وينظم صك الزواج مبيناً فيه تاريخ وقوعه، وتاريخ الإذن به ورقمه، ومحل صدوره وأسماء العروسين، ويوقعه معهم لتقديم صورة عنه مصدقة من رئيس الأبرشية لدائرة الأحوال المدنية»[١].

هذه المواد تبيِّن أهمية الرابطة الزوجية بحيث ترتقي العلاقات بين الزوجين، وهما أساس الأسرة، إلى المستوى اللائق بالجنس الآدمي، ويقوم

---

(١) **أنظمة الأحوال الشخصية ـ أصول المحاكمات للطوائف المسيحية في لبنان**، بيروت، دار صادر، سنة ١٩٩٢، ص ١٦٥.

على ذلك أمر الأبوة والبنوة. وإذا كان الأولاد ثمرة الزواج فإن الوالدين عليهما توفير الحياة الكريمة لأولادهم ضمن الممكن، وأن يؤمّنا مناخاً تربوياً صحياً لأولادهم، وبالمقابل واجب الأولاد أن يبروا والديهم وأن يكرمونهم كما ورد في الوصايا العشر: «أكرم أباك وأمك». وقد ورد في مقررات المجمع الفاتيكاني: «وإذا كان الأولاد أعضاء فاعلين في العيلة فإنهم يعملون بطريقتهم الخاصة على تقديس والديهم. وهم بروح عرفان الجميل، والبّر البنوي، والثقة المخلصة يكافئونهم، وبأخلاق البنوة يرعونهم في شدائدهم وفي عزلة شيخوختهم»[1].

ما تطالب به المسيحية الأبناء تجاه الوالدين من التكريم والبر هو نفسه أمر به الإسلام، ففي النص القرآني: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء/ ٢٣]».

٥ ـ **سر الأفخارستيا (Eucharistie)**: الاحتفال بالذبيحة التي تمت في العشاءالأخير، وهي صلاة الشكر والتسبيح على ما وهب الله المؤمنين في الخلق والخلاص، ومما تعنيه أنها الخلاص والحياة في عبادة الله وتمجيده.

إن مصطلح «أفخارستيا يعني العرفان بالجميل ومعه الامتنان، وبعده تقديم الشكر، والشكر يكون على النعم، وما جرى من معجزات وعجائب، وعلى ما كان من تضحية قدمها المسيح عليه السلام بعد العشاء الأخير مع التلامذة، وهو عشاء الفصح». قال كتّاب «معجم اللاهوت الكتابي»: «وفي الواقع هي كلمة أفخارستيا التي سادت في الاستخدام المسيحي للدلالة على العمل الذي أسسه يسوع عشية موته. ولكن يلاحظ أن هذه الكلمة تعبِّر عن حمد لعجائب الله بقدر ما تعبِّر، بل أكثر، عن شكر على الخير الذي يحصل عليه البشر من العجائب. بهذا العمل الحاسم أضفى يسوع على أطعمة بسيطة القيمة الأدبية القائمة على موته الفدائي، وبذلك أكمل يسوع وحدَّد، لمدى الأجيال، تقدمة ذاته وجميع المخلوقات لله، وهو عمل يعدُّ قوام الدين وجوهر تدبيره الخلاصي»[2].

الأفخارستيا إذاً ترمز إلى الفداء وإلى الاستعداد للتضحية في سبيل الله

---

(١) **المجمع الفاتيكاني الثاني**: م.س، ص ٢٥٧.

(٢) **معجم اللاهوت الكتابي**: م.س، ص ٨٥.

وليست فقط شكراً وامتناناً وإلا لما ارتبطت بالعشاء الأخير في المصطلح المسيحي، ولما كانت بين الأسرار، بل هي سر أساسي في الانتماء إلى الكنيسة.

قال مؤلف «معجم اللاهوت الأرثوذكسي» فيها: «تعني باليونانية شكراً، أو تقديم الشكر. في العشاء السري شكر يسوع وبارك الخبز والخمر. لذا اتخذ هذا الفعل اسم الأفخارستيا. وجماعة المؤمنين المتحلقة حول الأسقف أو الكاهن الذي يمثله، تتذكر ذبيحة المسيح الفريدة وتجعلها حاضرة وتشكر باسم الثالوث القدوس... ويتناول المؤمنون القرابين المقدسة لتطهير النفس ومغفرة الخطايا ومشتركة بالروح القدس وملء ملكوت السماوات. ليست الأفخارستيا، إذاً، تذكاراً لذبيحة المسيح الفريدة وحسب، بل هي أيضاً عبور من هذا العالم إلى العالم الآتي. إنها مجيء ملكوت الله وحضوره الذي لا يكتمل إلا عند المجيء الثاني... في الأفخارستيا يصبح تدبير المسيح الخلاصي حاضراً أو فاعلاً. وبالمناسبة تدخل إلى حياة الثالوث القدوس. وهي إذاً أساس الكنيسة نفسه والسر بدرجة الامتياز الذي يصيِّر المؤمنين جسد المسيح»[١].

وقد بيّن ذلك بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس حيث قال:

«الأفخارستيا تتجاوز الشكر والخلاص إلى انتظار المجيء الثاني الذي يكون معه مجيء ملكوت الله».

ولا يبعد المفهوم الكاثوليكي عن المفهوم الأرثوذكسي بشأن الأفخارستيا، وعندهم: «وإذن فالجسد والدم القربانيان ليسا التذكار الرمزي لحدث وقع وانتهى فحسب، وإنما هي الحقيقة الكاملة لعالم آخر الأزمنة، حيث يحيا المسيح، وتزود الأفخارستيا المؤمن، الذي ما زال مستغرقاً في العالم القديم بالاتصال الحسي مع المسيح، في كل واقعية كيان المسيح الجديد، القائم من بين الأموات»[٢].

وحول الحياة الأبدية من خلال تناول الخبز والخمر اللذين يرمزان إلى جسد المسيح ودمه جاء في إنجيل يوحنا: «فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول

(١) **معجم اللاهوت الأرثوذكسي**: م.س، ص ١٣، ١٤.
(٢) **معجم اللاهوت الكتابي**: م.س، ص ٨٩.

لكم إن لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في أنفسكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الأبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي هو مأكل حقيقي ودمي هو مشرب حقيقي. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه»(١).

لذلك كان احتفال الفصح وتناول الخبز والخمر هو المشاركة المشابهة للعشاء الأخير مع المسيح عليه السلام، وإذا كان هذا الأمر دليلاً على سر الأفخارستيا فإنه كذلك أساسي من أجل سر التثبيت.

٦ ـ **سر الكهنوت (Sacerdoce)**: ويمنح لمن تأهل بالعلم والسلوك، وفي المسيحيية: إن سر الكهنوت يهب اشتراكاً خاصاً في وظيفة يسوع المسيح، فيسوع هو الكاهن الأعظم الوحيد الأوحد، والوسيط الوحيد بين الله والناس.. بذلك يؤهل من ينال سر الكهنوت لأن يتمم رسالته».

لكن هذا المفهوم متأخر نوعاً ما لأن المسيح عليه السلام لم يستخدمه، ولا المسيحيون الأول استخدموه، واللقب الذي عُرِف في مراحل الكنيسة الأولى هو: شيخ. و«معجم اللاهوت الكتابي» قد أكد ذلك في النص التالي: «لا ينسب يسوع إلى نفسه، ولو مرة واحدة، لقب الكاهن. السبب في ذلك هو أن هذا اللقب يعني، في بيئته، وظيفة محدودة بذاتها، مقصورة على سبط لاوي(٢). والواقع أن يسوع يدرك أن عمله يختلف كل الاختلاف عن عمل كهنة زمنه، لما فيه من الاتساع والابتكار. فيفضل أن يسمي نفسه الابن وابن الإنسان»(٣).

ويكمل «معجم اللاهوت الكتابي»: لا ينسب أي نص من نصوص العهد الجديد تسمية الكاهن إلى أحد من المسؤولين في الكنيسة. ولكن تحفُّظ يسوع في استعمال هذه التسمية كبير، إلى حد أن صمته ليس له تفسير قاطع»(٤).

وإذا كانت خدمة الدعوة الدينية محتاجة لخدّام وكذلك الكنيسة، فإن

---

(١) إنجيل يوحنا، الإصحاح ٦، الفقرة ٥٤ وما بعدها.

(٢) سبط لاوي: أحد أسباط بني إسرائيل الإثني عشر، ومن سلالته كان أحبارهم أو كهنتهم، لذلك حمل السفر الثالث من التوراة اسمهم وهو: سفر اللاويين أو الأحبار. وهذا السفر أساسي في العبادات وتنصيب الكهنة وسائر الطقوس المتعلقة بذلك عند يهود.

(٣) **معجم اللاهوت الكتابي**: م.س، ص ٦٨٢.

(٤) م.س، ص ٦٨٤.

الكنيسة الأولى لم تعرف مثل هذه الوظائف الكهنوتية، وفي مراحل لاحقة كانت رتبة الأسقفية، ومع الأسقف وبإذنه يكون الكاهن نائباً عنه وإلى جانبهما خدام الطقوس في الكنيسة المعروفون بالشمامسة.

قال مؤلف «معجم اللاهوت الأرثوذكسي»: «ليس في الكنيسة وظيفة كهنوتية بالمعنى الإكليركي الضيِّق لأنها لا توجد إلا بالتصاق حميم مع الجماعة. لقد سمّى الرسل، في الجماعات المسيحية الأولى، بعضاً من المسؤولين: شيوخاً، ولو لم يكونوا من المعمرين.

يوجد في الكنيسة خدم مشرطنون مثل الأساقفة خلفاء الرسل، والكهنة والشمامسة، ولكل مسؤوليته الخاصة به. بإمكان الأسقف أن ينتدب الكهنة ليرأسوا الاجتماعات الأفخارستية. ولقد وجد الأساقفة والكهنة معاً منذ الأيام الرسولية. والأسقف هو الإنسان الذي أقامه الله في مكان معيَّن ليرعى القطيع الذي أوكل إليه. فهو الذي يسهر على الكنيسة، يعلن البشارة السارة ويرأس القداس الإلهي كشاهد أمين للإنجيل المقدس والتقليد الشريف. وظيفته إذاً ثلاثية: أن يوجِّه ويعلم ويرأس إقامة الأسرار المقدسة.

باختصار، الأسقف ـ أو من ينتدبه ـ هو الذي يمارس كهنوته داخل الكنيسة باتحاد من جميع المؤمنين متضرعاً بلا انقطاع في خدمة الله والهيكل كخادم أمين للرب الذي منه يأخذ الدعوة الخاصة ليؤدي عمله»(١).

والكاهن يُرسم وكذلك الأسقف، ومن يرأس خدمة الرسامة، يقول مخاطباً المسيح عليه السلام: «إجعل هذا أيضاً مدبّراً لنعمتك الكهنوتية. إجعله مقتدياً بك أنت الراعي الحقيقي، واضعاً نفسه من أجل خرافه. ليكون قائداً للعميان ونوراً للذين في الظلمة ومربياً للأيتام ومعلماً للأطفال وكوكباً في العالم»(٢).

إن رسامة الكاهن تكون خلال قداس إلهي، وتكون حالة فردية إذ أن الكنائس لا تعتمد الرسامة الجماعية.

أما رتبة الشماس، وهو خادم الكنيسة ومعاون الكاهن في مهمته، فهي رتبة

---

(١) **معجم اللاهوت الأرثوذكسي**: م.س، ص ١١٦.

(٢) آلفيزوبولوس، الأب أنطونيوس: **زاد الأرثوذكسية**، نقله إلى العربية الأب قسطنطين ينّي، أعاد صياغته جورج إسبر، بيروت، منشورات النور، سنة ١٩٩٧، ص ٢٠٢.

تمهيدية باتجاه رتبة الكاهن فالأسقف عند الطقس الكاثوليكي، أما في الأرثوذكسية فقد يبقى الشمامسة في مهمتهم طوال حياتهم.

والكهنة فئتان: فئة المتزوجين ويبقون كهنة لرعية ولا يرقون إلى الأسقفية ليكونوا في موقع المطران أو البطريرك أو الكاردينال والبابا عند الكاثوليك، فكل هذه الرتب مخصصة للرهبان غير المتزوجين، لكن الفئة المتزوجة عليها أن تفعل ذلك قبل الرسامة، وإذا حصل وتوفيت زوجة الكاهن فإنه لا يحق له الزواج ثانية.

والأسقف محور ينقل كهنوت المسيحيين إلى جميع رجال الإكليروس، وإذا أقام الكهنة خدمة إلهية فعليهم أن يذكروا اسمه. قال أحد المعاصرين: «إن الأسقف لا يقيم الخدمة الإلهية الآن في الرعايا كلها، وإنما يقيمها الكهنة بمعاونة الشمامسة، ولكن هؤلاء الكهنة ينتمون إلى أبرشية الأسقف، لذلك يذكرونه حتماً في كل خدمة إلهية يقيمونها»[1].

٧ ـ **سر التثبيت**: هو سرّ تابع لسر المعمودية، فالمعمودية هي التي تدخل الشخص في الكنيسة، والتعميد يكون للأطفال في سن مبكرة، أما سر التثبيت فيرافقه طقس المسح بالزيت ثانية، وهو دليل على متابعة الشخص لرسالة المسيحية ويكون في سن البلوغ. قال الأب توماس ميشال اليسوعي: «وإذا كان الداخلون في الكنيسة من البالغين، فإنهم يتقبلون سرَّي العماد والتثبيت معاً على أنهما قسمان من طقس واحد. أما إذا كان المعمدون أطفالاً، فيتمُّ تثبيتهم في وقت لاحق، وهم على عتبة البلوغ، بين الثالثة عشرة والسادسة عشرة»[2].

(١) آلفيزوبولوس، الأب أنطونيوس: م.س، ص ٢١٠.

(٢) اليسوعي، الأب توماس ميشال: م.س، ص ٨٣.

الفصل الثاني عشر

من منظومة القيم الأخلاقية في المسيحية

إن الاجتماع البشري لا تستقر أحواله من دون قيم ناظمة لشبكة نسيجه الاجتماعي، خاصة وأن المسيحيين يعيشون مع غير المسلمين في أوطانهم. وإذا كان الحديث كثيراً، هذه الأيام، عن الحوار، والمواطنة، والتعددية، والتنوع، فإن الوقوف عند بعض القيم في المسيحية يكون مفيداً من أجل إبراز المشترك الإنساني المستفاد من النص الديني الذي يؤسس لعلاقات مجتمعية سليمة.

جاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس:

«أما تعلمون أن الفجار لا يرثون ملكوت الله؟ فلا تضلوا، فإنه لا الفاسقون ولا عباد الأوثان، ولا الزناة، ولا المخنثون، ولا اللوطيون، ولا السراقون، ولا الجشعون، ولا السكيرون، ولا الشتامون، ولا السالبون يرثون ملكوت الله».

إنها مجموعة من الرذائل والمفاسد لو اتُّبعت لعمَّ الفساد وانحل المجتمع وتفككت الأسرة، وإذا تمت مواجهتها سيؤدي ذلك إلى إصلاح الفرد والمجتمع. هذه الرذائل المذكورة هي نفسها التي يصنفها الإسلام على أنها كبائر، ويقابلها في الإسلام: الشِّرك، والزنا، والسكر، والسرقة، وغير ذلك من الكبائر الأخرى كعقوق الوالدين والفرار يوم الزحف.

السكر مذهب للعقل، ومعطل للفكر بحيث يكون الشخص السِّكير أثناءه معرضاً لشتّى أشكال الزلّات، وتكون أبوابه مشرعة أمام أي نوع من الفساد، وقد نبَّه إلى مخاطره يوحنا الذهبي الفم في قوله: «فالإنسان السكير لا يُحسن اختيار كلامه، بل كالبيت المشرع إلى الهواء والمعرَّض لما ينتابه من نوايا معادية، يصطدم فكره، وأبوابه قد شرِّعت على مصراعيها، بهجمات الأهواء المميتة. فالسكِّير خائن لأفكاره الخاصة. إنه ذاك البائس الذي نهزأ به، ذاك المريض الذي نسخر منه.

إنه ممسوس باختياره، روح مظلم، عقل غائب عن ذاته وجذوة تلهب الأهواء الجسدية، وغالباً ما نشفق على من يعذِّبه الشيطان، أما السكير، فيغضبنا ويسخطنا»[(١)].

وإذا كان في الحديث النبوي عند المسلمين: «الخمر أم الخبائث»، فإن يوحنا الذهبي الفم قد أكد المعنى نفسه حيث أكمل في نصه قائلاً: «أرأيت كيف أن السكارى هم أحقر بكثير من الممسوسين؟ أتريد أن تعلم بعد هذا كلِّه ما هو رأس كل الشرور؟»[(٢)].

لقد جدد مؤلفو معجم اللاهوت الكتابي، وهو مصدر كاثوليكي ـ وهم معاصرون ـ الموقف نفسه، وفي هذا المعجم: «سكر Ivresse: تظهر مخاطر السكر في روايات كثيرة: فهو يدفع بالإنسان إلى شهواته أو إلى أعدائه، ...السكر يعرض للسخرية، فالكتاب المقدَّس رأى دائماً في الشقاء وجهه المخجل: الإنسان السكران. والإنسان المضروب بالشقاء. فهذان التعيسان يضطربان ويفقدان مكانتيهما وكل ما يحمي من الأنظار. ...العهد الجديد يرى في هذا السياق، في السكر، التخلِّي عن اليقظة التي بها يثبت المسيحي في الخلاص الذي يحصل وسيحصل على الأرض. لا يسكر إلا من ملَّ من انتظار المسيح»[(٣)].

أما الزنا فإن المسيح يتشدد به لدرجة أنه يصنف مجرد النظر أو الاشتهاء زنا، ففي إنجيل متى: «سمعتم أنه قيل: لا تزنِ. أما أنا فأقول لكم: من نظر إلى امرأة بشهوة زنى بها في قلبه»[(٤)].

وفي قاموس الكتاب المقدس: «زنا: خطيئة تلوِّث حياة الإنسان ونفسه وتنجسه وتستحق عقاب الله الصارم»[(٥)]. وفي نصوص العهد الجديد: «اجتناب ذبائح الأصنام والدم والميتة والزِّنا. فإن احترستم منها تحسنون عملاً»[(٦)].

(١) يوحنا الذهبي الفم: **ثماني عظات في المعمودية**، م.س، ص١٠١

(٢) يوحنا الذهبي الفم: م.س، ص ١٠٢.

(٣) **معجم اللاهوت الكتابي**، م.س، ص ٤٢١، ٤٢٢.

(٤) إنجيل متى، الإصحاح ٥، الفقرتان ٢٧، ٢٨.

(٥) **قاموس الكتاب المقدس**: م.س، ص ٤٣٧.

(٦) أعمال الرسل، الإصحاح ١٥، الفقرة ٢٩.

الزواج سر مقدس وإليه تدعو المسيحية وفقِ قواعد وأصول بإشراف الكنيسة، ومن مقاصده الإنجاب واتحاد الرجل والمرأة، أمّا الزنا فإنه علاقة فاسدة تفسد العلاقات وتخرج عن قاعدة سر الزواج، وعلة الزنا تبيح الطلاق، وبديهي أن يكون التشدُّد نفسه بشأن الشاذين الذين يخالفون الطبيعة والفطرة والشريعة.

إن الشذوذ عُرِفَ في السابق عند أهل سدوم وعمورة، وهما مدينتان بائدتان في منطقة البحر الميت، وقد عاصر هؤلاء الشاذون النبي لوط عليه السلام، وأصروا على شذوذهم فحلَّ عليهم غضب الله تعالى. جاء في سفر التكوين: «ولما أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط صوعر. وأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من السموات، وقلب تلك المدن وكل السهل وجميع سكان المدن ونبات الأرض»(١).

فالشذوذ أو ما يسمى اليوم: المِثّلية (Homosexualité) من أخطر الآفات والرذائل التي تحط من قدر الإنسان والتي تذهب بممارسي هذه الرذيلة إلى أدنى من مستوى الحيوانات. فالحيوانات يتعاطون بالأمر وفق الطبيعة غريزياً وهؤلاء ينحطون إلى ما يخالف الطبيعة ويخرج بهم عن الإنسانية.

هذا الموقف المسيحي المتشدِّد من الشذوذ نجد في الإسلام ما يوافقه، وقد نُسب ذلك إلى قوم لوط، أهل سدوم، الذين حلَّ عليهم غضب الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل/ ٥٤، ٥٥].

وإذا انتقلنا إلى مفسدة أخرى هي «الربا» أو ما يسمى اليوم «فوائد» وهي: أموال بنسب مئوية تعطيها البنوك الربوية للمودع أو تفرضها بنسب أكبر على المستدين ومن يأخذ سلفة أو قرضاً، فإن المسيحية، كما تبيَّن من النص الذي انطلقنا منه، تحرم الربا وتحظِّر التعامل به. وفي مجموعة الشرع الكنيسي: «إذا كان تقاضي الربا محرماً على العاميِّ فبالأولى يكون محرماً على الإكليركي»(٢). أي على رجل الدين وخادم الكنيسة، أيّاً كانت رتبته.

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ١٩، الفقرة ٢٣، وما بعدها.

(٢) **مجموعة الشرع الكنيسي**: م.س، ص٦٦٣.

لا بل يحكم قانون الكنيسة بإسقاط الصفة عن رجل الدين الذي يتعاطى بالأعمال الربوية. وفي النص: «فليسقط أي أسقف أو قس أو شماس يأخذ رِباً، أو ما يقال له فائدة مئوية ولا يمتنع عن ذلك»[١].

والنص الإنجيلي يرغِّب بإقراض إصحاب الحاجات من دون بدل مالي، ويكون لمن فعل ذلك أجر من الخالق تعالى. في العهد الجديد: «وإن أقرضتم من ترجون أن تستوفوا منه، فأي فضل لكم؟ فهناك خاطئون يقرضون خاطئين ليستوفوا مثل قرضهم. ولكن أحبّوا أعداءكم، وأحسنوا وأقرضوا غير راجين عوضاً فيكون أجركم عظيماً وتكونوا أبناء العليّ»[٢].

والربا ممنوع شرعاً وطبيعة في الكنيسة كما السرقة ممنوعة، ولعل جمعه مع السرقة للإشارة بأن من استوفى مالاً مقابل قرض كأنما سرق من المقترض. والحكم من مجموعة الشرع الكنيسي: «إن الربا ممنوع في الشريعة الطبيعية وفي الشريعة الإلهية وفي الشريعة البشرية. والدليل على المنع في الشريعة الطبيعية، حسب مبادئها الأولية، نجِده في الوصايا العشر، فإن الربا ممنوع فيها كما أن السرقة ممنوعة، حسب رأي أشهر الثقات في أن السرقة هي كل ما يؤخذ من مال الغير بصورة غير جائزة»[٣].

والوصايا حسب النص الإنجيلي وردت كما يلي: «فمن القلب تنبعث المقاصد السيئة والقتل والزنا والفحش والسرقة وشهادة الزور والشتائم»[٤].

وفي نص إنجيلي آخر: «لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تظلم، أكرم أباك وأمك»[٥].

هذه القيم الأخلاقية التي تأمر بها المسيحية وتصنِّفها على أنها وصايا جاءت في النص القرآني في قوله الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ

---

(١) **مجموعة الشرع الكنيسي**: م.س، ص٥٤٩.
(٢) انجل لوفا، الإصحاح ٦، الفقرتان ٣٤، ٣٥.
(٣) **مجموعة الشرع الكنيسي**: م.س، ص ٨٨.
(٤) انجيل متى، الإصحاح ١٥، الفقرتان ١٩، ٢٠.
(٥) انجيل مرقس، الإصحاح ١٠، الفقرة ١٩.

نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام/ ١٥٠، ١٥١].

وبالانتقال في باب القيم الأخلاقية إلى عالم النساء فإننا نجد المسيحية توجه إلى العفَّة والحشمة والابتعاد عن كل ما يثير الفتنة ويحرك الغرائز، فعندها يكون العقاب على المرأة التي فعلت ذلك. كما أن الالتفات إلى الشكل، زينة وتلويناً، إنما هو ضعف واعتراض على ما صنع الله تعالى. وقد وجه يوحنا الذهبي الفم عظة إلى النساء قال فيها:

«وبما أنني أتوجه الآن إلى النساء بنوع خاص، أودُّ أن أسوق إليهن بعض التوصيات الخاصة. فليمتنعن، إلى جانب أشياء عدَّة، عن تلك العادات المشوهة، عادة تخضيب الوجه، كما لو كنَّ بصدد إكمال عمل ناقص. فلا تهيننَّ المبدع. ما الذي تفعلينه يا امرأة؟ أتتصورين أنّك بهذا الخضاب، وهذا التبرُّج تضيفين شيئاً على جمالك الطبيعي، أو تحدثين تغيُّراً في بشاعتك الطبيعية؟ لا. لن تضيفي شيئاً على جمالك بهذه الوسيلة، بل تفسدين بذلك جمال نفسك لأن هذه الاهتمامات الطائشة لدليل رخاوة داخلية. فبإثارتك نظر الشبان وانتباه الطائشين تصبِّين عليك جمرة محرقة، دافعة بهم إلى السقوط في الحمأة ومتحملة بذلك مسؤوليةَ وقوعهم»[1].

إن يوحنا الذهبي الفم يبيِّن للنساء سلبيات الزينة الظاهرة التي لن تضيف إلى جمال الخلقة كما أرادها الله تعالى، وهي مع ذلك (الزينة) تلفت الرجال إلى المرأة المتزينة وتغريهم وتكون المسؤولية عليها لأنها بما فعلته قادتهم إلى هذا الموقف.

وتأتي في هذا السياق نصوص من «العهد الجديد» تطالب المرأة بعدم كشف رأسها، وإلا تكون كمن حلقت شعرها كلياً، وبذلك تكون قبيحة ومذمومة في الاجتماع البشري الذي تعيش فيه. النص هو: «كل امرأة تصلي

---

(١) يوحنا الذهبي الفم: **ثماني عظات في المعمودية**، م.س، ص ٤٠، ٤١.

أو تتنبأ وهي مكشوفة الرأس تشين رأسها كما لو كانت محلوقة الشعر. وإذا كانت المرأة لا تغطي رأسها فلتقصَّ شعرها، ولكن إذا كان من العار على المرأة أن تكون مقصوصة الشعر أو محلوقته فعليها أن تغطي رأسها»[١].

وينبه يوحنا الذهبي الفم إلى موضوع السحر والعرافة لأنهما من الأفعال التي لا أصل لها في الدين، وإنما هي من أصول وثنية يحاول أصحابها أن يتلاعبوا بالوقائع أو بالعقول والمشاعر، ويقول في هذا: «أسأل أخيراً الرجال والنساء أن يتجنبوا تنبؤات السحرة وتخمينات المنجمين. فتلك هي عادات اليونانيين وتيهان أولئك الذين هم تحت سلطة الضلال»[٢].

أما في سفر أعمال الرسل فقد جاء النص يؤكد كيف أن بولس (شاؤول) أنكر على الساحر فعله، ووصفه بأنه بفعله يعمل ليحرف الناس عن الطريق القويم. «فلقيا ساحراً نبياً كذاباً... فقاومهما عليم الساحر محاولاً أن يصرف الحاكم عن الإيمان. وكان شاول (ويدعى أيضاً بولس) ممتلئاً من الروح القدس فحدَّق إليه وقال: أيّها الممتلئ من كل غش وخداع، يا ابن ابليس، ويا عدوَّ كل برٍّ، أما تكفُّ عن تعويج طرق الرب القويمة؟ ها هي ذي يد الرب عليك فتصير أعمى لا تبصر نور الشمس إلى حين»[٣].

إن موقف المسيحية في المسائل القيمية الأخلاقية والاجتماعية لو قارناه مع موقف الإسلام لوجدنا منظومة القيم واحدة، وهذا الموضوع القيمي تحتاجه المجتمعات كلها من أجل ضبط مسار المجتمع وتحصينه من المفاسد والرذائل التي تتنافى مع الدين ومع فطرة الإنسان السليمة، كما تأباها الطباع الحسنة التربية.

---

(١) رسال بولس الأولى إلى أهل فورنتس، الإصحاح ١١، الفقرتان ٥، ٦.
(٢) يوحنا الذهبي الفم: **ثماني عظات في المعمودية**، م.س، ص ٤١، ٤٢.
(٣) أعمال الرسل، الإصحاح ١٣، الفقرة ٦، وما بعدها.

الفصل الثالث عشر

المسيحية والإسلام

إن الضرورة الدينية والمجتمعية تفرض أن يكون هناك حوار على مختلف الصعد، يتخذ الحكمة والسماحة منهاجاً من أجل التأسيس لعيش كريم، وأن يكون التلاقي على قاعدة القيم التي دعت لها رسالات السماء، وقاية لإنسان هذه الأيام من مفاسد ورذائل وتحديات وظلم وتعديات.

وإذا كان النص القرآني قد عرَّف المؤمنين إلى العداوة التي يكنُّها يهود لسواهم في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾ [المائدة/ ٨٢]، فإننا نجد التوجيه نفسه في المسيحية التي عانت من عدوانية وأذى هؤلاء العنصريين. ومن هذا الباب نذكر من نص رسالة بعثها قسطنطين بعد مجمع نيقية عام ٣٢٥م لمن لم يحضروه، وموضوعها عيد الفصح، وقد ورد فيها ما يلي: «إنه لا يناسب على الإطلاق، وخاصة في هذا العيد الأقدس من كل الأعياد، أن نتبع تقليد أو حساب اليهود الذين عميت قلوبهم وعقولهم وغمسوا أيديهم بأعظم الجرائم فظاعة... لذلك يجب أن لا يكون لنا ما نشارك به اليهود، فإن عبادتنا قائمة على أسلوب أقوم وأشد انطباقاً على الشريعة، وهكذا إذ نتفق كلنا على اتخاذ هذا الأسلوب ننفصل أيها الإخوة الأحباء عن أي اشتراك ممقوت مع اليهود».

أما العلاقة بين المسيحيين والمسلمين فأساسها عند المسلمين ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة/ ٨٢]، وأساسها ذلك الشعور بوحدة جبهة المؤمنين في مواجهة الوثنيين والمشركين، وقد برز ذلك يوم تغلَّب الفرس على الروم، فحزن المسلمون إلى أن جاءهم البلاغ الإلهي بأن الغلبة ستكون من جديد للروم ففرحوا بذلك، لقد قال الله تعالى في سورة الروم: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ

﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم/ ٢ ـ ٤].

والهجرة الأولى للصحابة في عهد النبوة كانت إلى الحبشة حيث الحاكم مسيحي هو النجاشي، وقال لهم رسول الله ﷺ: **(لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد)**. وكان يمكن أن يفر الصحابة من أذى مشركي قريش ألى منطقة نائية، ولكن هذا الإجراء جاء يؤكد المودة التي نصَّ عليها القرآن الكريم.

وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة تؤسس لعلاقات بين المسيحيين والمسلمين تحقيقاً للعيش الكريم منها الحديث الشريف: **(إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً)**، وفي رواية: **(وكانت أم إسماعيل منهم)** والعلاقة تقوم على أساس الآية الكريمة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [آل عمران/ ٦٤].

وإذا راجع المتابع التاريخ ومسار العلاقات يجد أن مناخاً من التسامح الذي يقوم على قاعدة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة/ ٢٥٦] هو الذي ساد أغلب المراحل، وقد أقر بذلك مؤرخون مسيحيون كثيرون. ومن هذا القبيل نذكر ما قاله تيموثي وير عن هذه العلاقة بعد فتح القسطنطينية. فقد جاء في كتاب «الكنيسة الأرثوذوكسية»: «إن الأتراك سهَّلوا الأمور حيث عاملوا المسيحيين الخاضعين لسلتطهم معاملة شبه حسنة، وكان مسلمو القرن الخامس عشر أكثر تسامحاً تجاه المسيحية مما كان المسيحيون الغربيون فيما بينهم في عصر الإصلاح وفي القرن السابع عشر، وبالنسبة للإسلام يعتبر الكتاب المقدس كتاباً مقدساً ويسوع المسيح نبياً».

أما بالنسبة للمسيحيين فإن مواقف صدرت عبر مسار العلاقات، وكانت تستجيب كذلك للانفتاح والحوار تأسيساً للعيش الكريم، وإذا كان من لزوم المسيحية أن الخلاص يكون بالمسيح عليه السلام، وأنه لا ضرورة لرسل بعده، إلا أن هذا لم يمنع من صدور مواقف تتسم بالموضوعية والإيجابية ولا تتناقض من وجهة نظر مسيحية مع المسيحية، من ذلك النص الذي حققه ونشره الأب سمير خليل، والنص صاغه طيموثاوس الجاثليق، جواباً على

سؤال للخليفة العباسي المهدي، ومما جاء في هذا النص: «وملكنا الحليم، المملوء حكمة، قال لي: «ماذا تقول عن محمد؟ فجاوبته قائلاً: إن محمداً يستحق المدح من جميع الناطقين، وذلك لأجل سلوكه في طريق الأنبياء ومحبِّي الله.

لأن سائر الأنبياء قد علَّموا عن وحدانية الله ومحمد علم عن ذلك.

فإذاً، هو أيضاً سلك في طريق الأنبياء.

ثم كما أن جميع الأنبياء أبعدوا الناس عن الشر والسيئات.

وجذبوهم إلى الصلاح والفضيلة، هكذا محمد أبعد بني ملته عن الشر.

وجذبهم إلى الصلاح والفضائل، فإذاً، هو أيضاً قد سلك في طريق الأنبياء».

ويكمل النص في ذكر فضائل محمد ﷺ، ويختم طيموثاوس قائلاً:

«فذلك ومثل ذلك، أنا وجميع محبي الله ما نقوله عن محمد، أيها الملك المظفر».

وننتقل إلى موقف قريب عهد، إنه موقف المجمع الفاتيكاني الثاني الذي صدر في العام ١٩٦٥م، ويتضمن ما يلي:

«وتنظر الكنيسة ـ أيضاً ـ بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد، الحيَّ القيوم، الرحمن القدير الذي خلق السماء والأرض، وكلَّم الناس. إنهم يسعون بكل نفوسهم إلى التسليم بأحكام الله وإن خفيت مقاصده، كما سلَّم لله إبراهيم الذي يفخر الدين الإسلامي بالانتساب إليه. وإنهم، على كونهم لا يعترفون بيسوع إلهاً، يكرمونه نبياً، ويكرمون أمه العذراء مريم، مبتهلين إليه أحياناً بإيمان، ثم إنهم ينتظرون يوم الدين الذي يُجازي الله فيه جميع الناس بعد ما يبعثون أحياء، من أجل هذا يقدِّرون الحياة الأدبية، ويعبدون الله بالصلاة والصدقة والصوم، خصوصاً.

ولئن كان قد وقع، في غضون الزمن، كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يحرضهم جميعاً على نسيان الماضي، والعمل باجتهاد صادقٍ في سبيل التفاهم في ما بينهم، وأن يحموا ويعززوا

كلهم معاً، من أجل جميع الناس، العدالة الاجتماعية، والقيم الروحية، والسلام والحرية»[١].

إن هذا الطرح يؤسس لعلاقات ضرورية من أجل وحدة وطنية وعيش كريم في مناطق يكون فيها مسلمون ومسيحيون، والإشارة إلى أن الالتقاء على القيم التي تحقق العدل وإنسانية الإنسان إشارة مهمة.

وقد جاء في السياق نفسه نصوص ودعوات حواها الإرشاد الرسولي الذي أعلنه البابا يوحنا بولس الثاني، يوم زار لبنان في العام ١٩٩٧م، وعنوانه: «رجاء جديد للبنان»؛ من هذه النصوص ما يلي:

«لا بدَّ خاصة من تكثيف التعاون بين المسيحيين والمسلمين في كل المجالات الممكنة، بروح التجرد، أي من أجل الصالح العام، وليس من أجل مصلحة أشخاص معيَّنين، أو من أجل مصلحة طائفة خاصة، أو أملاً بالحصول على مزيد من النفوذ والسلطة في المجتمع... ليس الحوار الإسلامي ـ المسيحي حواراً بين مثقفين فقط، فهو يهدف، أولاً، إلى تشجيع العيش معاً بين مسيحيين ومسلمين، في روح من الانفتاح والتعاون لا بدَّ منه»[٢].

وفي نص آخر: «بودِّي أن أشدد، بالنسبة إلى مسيحي لبنان، على ضرورة المحافظة على علاقاتهم التضامنية مع العالم العربي وتوطيدها، وأدعوهم إلى اعتبار انضوائهم إلى الثقافة العربية، التي أسهموا فيها إسهاماً كبيراً، موقعاً مميزاً، لكي يقيموا، هم وسائر مسيحيي البلدان العربية حواراً صادقاً وعميقاً مع المسلمين»[٣].

إن مثل هذا الفهم للحوار والانتماء الوطني وحده يهيِّء المناخ لعلاقات سليمة، ويعالج الطائفية التي يؤدي التعصب لها واعتمادها إلى الفرقة والانقسام، وليس ذلك في مصلحة أحد.

---

(١) **المجمع الفاتيكاني الثاني**: م.س، ص ٦٢٩.

(٢) **رجاء جديد للبنان**: وجهه الباب يوحنا بولس الثاني، بيروت منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام، سنة ١٩٩٧، ص١٤٨، ١٤٩.

(٣) **رجاء جديد للبنان**: م.س، ص ١٥٠.

أترك الخاتمة في هذا الباب للدكتور جان كوربون الذي قال في كتابه «كنيسة المشرق العربي»، حول معالجة الطائفية ما يلي: «والعلاج ممكن ومتنوع، شرط أن تتعاون العناصر الثلاثة المعنية، أعني الكنائس والجماعات الإسلامية والدول. ففي محور الاختيار القومي يجب إنماء سياسة بكاملها، وتربية ترمي إلى الانفتاح الإنساني، والتربية المختلطة، وتعدد تيارات الفكر وطرد الخوف، وهو المعقل الأخير للذهنية الطائفية، وذلك ببناء الأمة التي يسعى إليها كل المواطنين، وأخيراً، وفي داخل الكنائس خاصة، يجب العودة إلى الجوهر لإنعاشه وتبديل القشرة الخارجية، وفي كلا الإنعاش والتبديل مجال بين العرب المسيحيين، والعرب المسلمين»[1].

(١) كوربون، الدكتور جان: **كنيسة المشرق العربي**، بيروت، منشورات النور، بدون تاريخ، ص ٧٩.



الفصل الرابع عشر

اليزيدية

حركة خرجت من صفوف المسلمين، وبعدت بها خطواتها، عقيدة وشريعة، والوقوف على حقيقتها مفيد من أجل التعرف على نمط التفكير عند مكوّن اجتماعي قائم، وذلك للتصويب والتصحيح، أو لأخذ العبرة من أجل التحصين حتى لا يقع أناس مؤمنون من جديد في حبائل مثل هذه الأفكار الغريبة، والمنافية للفطرة والمنطق، ويتضمن هذا الفصل العناوين التالية:

١ ـ أصل النشأة

٢ ـ مصدر الاسم

٣ ـ مواطن اليزيديين

٤ ـ الشيطان في عقيدتهم

٥ ـ شعائر وعبادات

٦ ـ فئاتهم

٧ ـ من شريعتهم

١ ـ أصل النشأة

تجمع المصادر والدراسات، ويقرُّ اليزيديون، بأن أصل نشأة اليزيدية يعود إلى **الشيخ عدي بن مسافر**، المولود في (خربة قنافار) في البقاع اللبناني سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م، وعلى عادة أبناء عصره، انتقل عدي هذا إلى بغداد، طلباً للعلم، والتقى فيها الشيخ عبد القادر الجيلاني، أحد أبرز مؤسسي الطرق الصوفية، وتأثر به، وسلك عدي بن مسافر طريق الزهد والرياضة الروحية، ولم يشك أحد بصلاحه.

ويفيد أن نورد ما كتبه ابن خلكان عن الشيخ عدي، حيث يقول: «الشيخ

عدي بن مسافر.. الهكاري[١] مسكناً العبد الصالح المشهور الذي تنسب إليه الطائفة العدوية، سار ذكره في الآفاق، وتبعه خلق كثير، وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد، حتى جعلوه قبلتهم التي يصلُّون إليها، وذخيرتهم في الآخرة التي يعوِّلون عليها، وكان قد صحب جماعة كثيرة من أعيان المشايخ والصلحاء المشاهير [مثل عقيل المنبجي، وحماد الدباس، وأبي النجيب عبد القادر السهروردي، وعبد القادر الجيلي، وأبي الوفاء الحلواني] ثم انقطع إلى جبل الهكارية من أعمال الموصل، وبنى له زاوية، ومال إليه أهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يُسمع لأرباب الزوايا مثله.

وكان مولده في قرية يُقال لها بيت فار من أعمال بعلبك... وتوفي سنة سبع وقيل: خمس وخمسين وخمسمائة، في بلدة الهكارية، ودفن بزاويته، رحمه الله تعالى، وقبره عندهم من المزارات المعدودة، والمشاهد المقصودة، وَحَفَدته إلى الآن بموضعه يقيمون شعاره ويقتفون آثاره، والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد وتعظيم الحرمة»[٢].

عدي بن مسافر، شيخ العدوية، يرفع بعضهم نسبه إلى مروان بن الحكم الأموي، لذلك عُرف أتباعه بالانتساب إلى الأمويين، وأسسوا بهذا الاسم جمعية في بغداد في الستينات من هذا القرن.

والقوم الذين عاش بينهم عدي هم في الغالب من الأكراد عرقاً، كانت تنتشر بينهم الزرادشتية، ديانة بلاد فارس القديمة، وفيهم مسيحيون، وأتباع عقائد أخرى، ويبدو أن الشيخ عدي بن مسافر ترك فيهم أثراً لجهة استمالتهم إلى الإسلام.

وإقامة الشيخ عدي بين الأكراد الهكارية كانت في قرية ليلش التي تعد اليوم من أهم المواطن عند اليزيدية. وليلش حسب ياقوت الحموي في معجم البلدان: «قرية في اللحف من أعمال شرقي الموصل، منها[٣] «الشيخ عدي بن

---

(١) الهكارية: كما جاء في **معجم البلدان** لياقوت الحموي: بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلد جزيرة ابن عمر يسكنها أكراد يقال لهم: الهكارية.

(٢) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، م ٣، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار صادر، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٢٥٤.

(٣) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م ٥، م. س، ص ٢٨.

مسافر الشافعي شيخ الأكراد وإمامهم وولده».

ويقول ابن الأثير عن الشيخ عدي في أحداث سنة ٥٥٧هـ: «وفيها، وفي المحرم، توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد المقيم ببلدة الهكارية من أعمال الموصل، وهو من الشام، من بلد بعلبك، فانتقل إلى الموصل، وتبعه أهل السواد والجبال بتلك النواحي وأطاعوه، وحسَّنوا الظن فيه، وهو مشهور جداً»[١].

فعدي إذن لم يختلف الناس في صلاحه، وقد مات عازباً وخلف على أتباعه ابن أخيه أبا البركات صخر بن صخر بن مسافر، وبعد وفاته خلفه ابنه عدي، وفي زمانه كانت الطريقة العدوية كما تركها المؤسس عدي بن مسافر، «ثم انتقلت إلى الشيخ حسن بن عدي بن أبـي البركات بن صخر بن مسافر الملقب بتاج العارفين شمس الدين أبو محمد شيخ الأكراد، وكانت ولادته سنة (٥٩١هـ) ووفاته سنة (٦٤٤هـ) وهو ابن ٥٣ سنة. وفي زمن هذا الشيخ بدأ الزيغ في العقيدة العدوية وظهر الضلال بين معتنقيها، وخاف منه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فقبض عليه وحبسه ثم خنقه بوتر في قلعة الموصل سنة ٦٤٤هـ»[٢].

وحسن هذا كان يتمتع بفصاحة وحنكة ساعدته على التغرير بأتباعه، وقد بالغوا في وصفه، وإليه يرجعون وضع مصحف «رش» وهو مع كتاب «الجلوة» يشكل النصوص المقدسة عندهم، وقد أقاموا له قبة بين القباب المقامة عند قبر الشيخ عدي.

تأسيساً على ما تقدم يمكن القول: إن نشأة اليزيدية فعلياً تعود إلى حسن بن عدي بن أبـي البركات بن صخر بن مسافر وليس إلى الشيخ عدي، وما الانتساب إلى عدي إلا بسبب ما كان يتمتع به من مكانة عند الأكراد الهكارية مما يسهل لحسن هذا قبول مزاعمه، ومن يُعنى بالشؤون الدينية للطائفة اليزيدية حتى يومنا هذا ينسبون أنفسهم إلى حسن بن عدي المذكور. وعندهم «القبيلة

---

(١) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، **الكامل في التاريخ**، م ١١، م. س، ص ٢٨٩.

(٢) الحسني، السيد عبد الرزاق، **اليزيديون ماضيهم وحاضرهم**، صيدا (لبنان)، مطبعة العرفان، ط٣، ١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م، ص ٣٠.

التي يرجع أصلها ـ اليوم ـ إلى الشيخ حسن تعني بتنظيم المجتمع اليزيدي، والحفاظ على نقاء ديانته، وتدريب القوالين. وبعض هذه الأسر يحيا في قرية بحزاني»[١] وهي قرب بعشيقا في شمال العراق.

بعد الشيخ حسن استمر منهج الغلو عند اليزيدية وبدأ الانجراف يزداد طوراً فطوراً، ووصل الأمر عندهم أن أعطوا صفات تأله لبعض شيوخهم على طريقة الزرادشتية في فكرة الإنسان المتأله.

ونذكر على سبيل المثال شيخهم عز الدين بن يوسف الكردي المتوفى سنة ٩٤٨هـ، وفي سيرته أورد محمد راغب الطباخ الحنبلي، ما يكفي لإعطائنا فكرة عن نظرة اليزيدية لشيوخهم، يقول في أعلام النبلاء عن عز الدين المذكور:

«عز الدين بن يوسف الكردي العدوي أمير لواء أكراد حلب في آخر الدولة الجركسية وأوائل الدولة العثمانية.

كان من طائفة ينتسبون إلى الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه ويعرفون ببيت الشيخ مند الذي يأتيه مَنْ لدغته الحية فيطعمه من خبز رقى عليه ونفث فيه فيأكله فيبرأ بإذن الله تعالى. وكان الأمير عز الدين شهيراً بهذه الخاصية بين الأكراد مع إدمانه على شرب الخمر وقتل النفوس سياسة.

وكان لهم غلو زائد فيه حتى كانوا يلقبونه بالشيخ عز الدين وربما قيل للواحد منهم: أنت من أكراد ربنا أو من أكراد عز الدين؟ فيقول: بل من أكراد عز الدين»[٢].

٢ ـ مصدر الاسم (يزيدية)

إن مصدر التسمية لهذه الطائفة باليزيدية تلفه ضبابية، وتتنوع فيه مواقف الباحثين وهي على الوجه التالي:

---

(١) التونجي، د. محمد، **اليزيديون: واقعهم ـ تاريخهم ـ معتقداتهم**، الكويت، الدار السلفية، ط١، سنة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م، ص ٢٧.

(٢) الطباخ الحلبي، محمد راغب، **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، ج ٥، صححه وعلق عليه محمد كمال، حلب، دار القلم العربي، ط٢، سنة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م، ص ٤٨٧.

١ ـ من الباحثين من حاول ربط الاسم بالأصل الفارسي الزرادشتي لأن الزرادشتية كانت تنتشر بين الأكراد الهكارية حيث أقام الشيخ عدي بن مسافر، خاصة وأن أصولاً لغوية تساعد على ذلك.

في تحقيق أجراه نزار آغري وأوميد فتّاح نشرته جريدة النهار اللبنانية[١] في ملحق لها يقولان: «ويتم التأكيد على أن كلمة يزيدي مشتقة من «يزدان» التي تعني بالكردية والفارسية الإله، وهي مشتقة من الأصل السنسكريتي يازادا (Yazada) بمعنى الخالق أو المبتكر، ثم خففت في البهلوية[٢] إلى يازد وجمعها يازدان أو يزدان».

وفي المعتقد الزرادشتي بعض أصول لهذا الاسم، فالإله عندهم ثنائي: أهورامزدا ـ أهريمن. والأول هو إله النور والخلق والخير وربما من شطر «مزدا» كانت الكلمة. ويضيف الدكتور محمد التونجي في هذا الباب فيقول: «وقد تعود تسميتهم (ضمن الإطار الفارسي) إلى اسم مدينة تقع بين أصفهان وشيراز وكرمان، تدعى (يَزْد)، وهي مدينة مقدسة لدى الزرادشتيين، وما زال فيها معبد نار يدعى: معبد النيران السبع»[٣].

٢ ـ أما الشهرستاني فقد صنَّف اليزيدية بين الخوارج وقال فيهم: «اليزيدية أصحاب يزيد بن أنيسة الذي قال بتولي المحكمة قبل الأزارقة، وتبرأ من بعدهم إلا الأباضية فإنه يتولاهم. وزعم أن الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً قد كتب في السماء، وينزل عليه جملة واحدة، ويترك شريعة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام، ويكون على ملة الصابئة المذكورة في القرآن، وليست الصابئة الموجودة بحرّان، وواسط.

وتولى يزيد من شهد لمحمد المصطفى عليه الصلاة والسلام من أهل الكتاب بالنبوة وإن لم يدخل في دينه وقال: إن أصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون. وكل ذنب صغير أو كبير، فهو شرك»[٤].

---

(١) ملحق جريدة النهار، (بيروت)، السبت ٢٥ آذار ١٩٩٥.
(٢) البهلوية: لغة الفرس القديمة قبل الإسلام واستخدام الحرف العربي.
(٣) التونجي، د. محمد، م. س، ص ٤١.
(٤) الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج ١، م. س، ص ١٣٦.

وفي استعراض عقيدة اليزيدية وطقوسها نجد الخيط الذي يربطها بيزيد بن أنيسة المذكور واهياً إلى حد كبير.

٣ ـ اليزيديون المعاصرون يصرحون بأن أصل طائفتهم وما تلتزمه يعود إلى يزيد بن معاوية الأموي. وبعد إشكالات وصراعات دموية في العهد العثماني، تبدل الحال في العراق لجهة التعامل مع اليزيدية حيث «اعترفت ثورتا ١٤ تموز ١٩٥٨ وحكومة ثورة ١٧ تموز ١٩٦٧ بحقوق اليزيديين كاملة. . وقد فتح الأمير بايزيد إسماعيل بك چول مكتباً في بغداد أطلق عليه اسم المكتب الأموي، وأصدر، حول غاياته، بياناً في السابع من آذار ١٩٦٩، . . جاء فيه:

افتتح في بغداد مكتب لإدارة شؤون الأمويين في العراق. وأعلن بيان أصدره بهذه المناسبة الأمير بايزيد الأموي أمير الأمويين في العراق: أن المكتب يعمل لإدارة الدعوة العربية وإظهار عروبة الأمويين في شتى المجالات الرسمية منها والشعبية.

وقال البيان: إن المكتب يتقبل كل الاستفسارات عن الأمويين والإجابة عنها بكل صراحة للتعريف بحقيقتهم بعد أن شوهت. وأضاف: إن رسالتنا هي استمرار للرسالة العربية التي ضحّى من أجلها أجدادنا وسنحملها إلى أجيالنا المتعاقبة.

وشرح البيان عروبة اليزيدية ونسبهم إلى قريش وبيّن أنهم **قد سمُّوا باليزيدية نسبة إلى يزيد بن معاوية بن أبـي سفيان ثاني خلفاء بنـي أمية**»[١].

نخلص إلى القول: بما أن اليزيديين أنفسهم يصرحون بأن الاسم يعود إلى يزيد بن معاوية، فلا داعي لتحميل المسألة أكثر مما تحتمل.

ومع أن الأصول العرقية لليزيديين كردية في الغالب إلا أنهم يحاولون ربط أنفسهم بقبائل عربية ليست كلها أموية.

«فبينما يدَّعون أنهم أمويون، إذ بهم يرجعون أسرهم إلى ثلاثة فروع:

---

(١) الأحمد، د. سامي سعيد، **اليزيدية: أحوالهم ومعتقداتهم**، ج ١، بغداد، سنة ١٩٧١ م، ص ٩٨، ٩٩.

١ ـ أداني: أي العدناني.

٢ ـ شمساني: أي أبناء عبد شمس.

٣ ـ قاتاني: أي قحطاني.

ونحن نعلم أن الأمويين منهم هم الذين من فرع عبد شمس، وأما العدناني، والقحطاني فهما ليسا بالأمويين»[١].

وإذا كان عدي بن مسافر الذي ينسبون أنفسهم إليه يعود نسبه إلى مروان بن الحكم الأموي ـ كما مر سابقاً ـ فلا حقيقة لعدناني وقحطاني في أصول اليزيديين، وربما كان ذلك الزعم زمن الصراعات مع العثمانيين في إطار ردة فعل، وكي يحصلوا على عطف أو دعم ما، في القرن التاسع عشر، حيث تعرضوا لهجمات فتاكة من قبل الدولة العثمانية.

٣ ـ مواطن اليزيديين اليوم

إن ضفتي دجلة هما الموطن الرئيسي لليزيدية، فمعظم أبناء هذه الطائفة «ينحصرون في العراق في نواحي الموصل على يمين دجلة في سنجار[٢] وعلى يساره في الشيخان عند محجهم الأكبر، مرقد الشيخ عدي، وفي القرى المنعزلة في القضائين: دهوك وزاخو.

وأما في خارج العراق فهم منتشرون في المناطق الآتية:

١ ـ منطقة ديار بكر، وماردين، وجبل الطور.

٢ ـ منطقة حلب حول كلّس وعينتاب.

٣ ـ البلاد الأرمنية الواقعة على الحدود بين تركية وروسية، ولا سيما في المنطقتين قارص وأروان (يريفان) وحول تفليس وباطوم.

---

(١) الديوه جي، سعيد، **اليزيدية**، بغداد سنة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م، ص ١٩٦.

(٢) سِنْجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام، وهي في لحف جبل عالٍ، ويقولون: إن سفينة نوح عليه السلام لما مرَّت به نطحته فقال نوح: هذا سن جبل جار علينا، فسميت سنجار، ولست أحقق هذا والله أعلم به، إلا أن أهل هذه المدينة يعرفون هذا، صغيرهم وكبيرهم، ويتداولونه. **معجم البلدان**، م ٣، م. س، ص ٢٦٢.

ويقال: إن في الهند، وفي إيران بعض طوائف من اليزيدية، ولكنهم يعرفون بأسماء أخرى»[(١)].

والراجح أن اليزيدية من الأكراد، وينتشرون في مناطق وجود الأكراد، وقد تراجع عددهم نسبياً بعد الذي تعرضوا له على يد العثمانيين، إضافة إلى أنهم لا يتزاوجون مع سواهم، ولا يعدّ يزيدياً إلا من كان من أبوين يزيديين.

يقول سعيد الديوه جي: «بلغ عددهم في إحصاء نفوس العراق لسنة ١٩٦٥؛ ٦٥٧١٥ نسمة». هذا في العراق فقط.

وأوردت عنهم الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: «يبلغ تعدادهم حوالي ١٢٠ ألف نسمة، منهم سبعون ألفاً في العراق والباقي في الأقطار الأخرى، وهم مرتبطون جميعاً برئاسة البيت الأموي.. هم من الأكراد إلا أن بعضهم من أصل عربي... لغتهم هي اللغة الكردية وبها كتبهم وأدعيتهم وتواشيحهم الدينية، ولهم مكتب رسمي مصرح به وهو المكتب الأموي للدعوة العربية في شارع الرشيد ببغداد»[(٢)].

ويبدو أن تعداد السكان الوارد في هذه الموسوعة اعتمد مراجع قديمة نسبياً، أما المحققان اللذان ورد ذكرهما آنفاً ونشر تحقيقهما في ملحق لجريدة النهار اللبنانية عام ١٩٩٥، فيقولان ما يلي: «ينتشر اليزيديون في معظم المناطق التي يتواجد فيها الأكراد عموماً، ومن النادر العثور عليهم خارج كردستان.

كان تعدادهم في القرن الثامن عشر الميلادي يبلغ ٢٥٠ ألف نسمة، ولكن إثر المجازر، تناقص هذا العدد باستمرار، وهم لا يزيدون اليوم عن ٢٠٠ ألف منهم حوالي ٧٥ ألفاً في العراق و١٥ ألفاً في سوريا و٢٠ ألفاً في تركيا وأكثر من ٦٠ ألفاً في أرمينيا، وتعد منطقة جبل سنجار المعقل الرئيسي لليزيديين»[(٣)].

---

(١) الحسني، السيد عبد الرزاق، م. س، ص ١٤١.

(٢) **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، أصدرتها الندوة العالمية للشباب الإسلامي، السعودية، ط٢، سنة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م، ص ٥٥٥.

(٣) ملحق جريدة النهار (بيروت)، السبت ٢٥ آذار ١٩٩٥ م.

وقد أورد الدكتور محمد التونجي عرضاً مفيداً لمواطن انتشار اليزيديين نجمله بما يلي[١]:

ينتشر اليزيديون إضافة إلى إقليمي سنجار وشيخان في مدن وقرى: بعشيقا ـ باعِذْري ـ شيخ عادي ـ تجزاني ـ عَنْسِفِن ـ شيخدري ـ كابار ـ تَلْخش ـ بامِصْري ـ بوزان ـ خانكوقياخ ـ ختار ـ دوغاتا ـ مقلُب ـ جكانا ـ وكلها، أو معظمها، متجاورة تقع عند حضيض جبل سنجار وتحيط به إحاطة الهالة بالقمر.

هذا في العراق، أما خارج العراق فهم في يريفان بأرمينية ومناطق أخرى، وفي تركية في المنطقة الكردية الواقعة بين العراق وسوريا من جهة، وتركية من جهة أخرى.

وفي سورية يتوزعون بين أكراد الجزيرة على الحدود التركية في عامودة والحسكة والقامشلي، وفي منطقة حلب حول عفرين وأعزاز هناك عدد من القرى سكانها يزيدية هي: عاشق كبار ـ فيران ـ باصوفان ـ قسطل جندو ـ بافلون، وقرى اختلط فيها المسلمون مع اليزيديين منها: باسوطة ـ برج عبدالو ـ قطمة ـ غزاوية ـ ترندة ـ قره باش (الفقيرة)، وهناك قرى تبعد عشرين كيلومتراً عن حلب سكانها يزيدية هي: برج الفاس ـ تبراد ـ زوق الكبير.

نصل بعد هذا العرض إلى التقرير بأن عدد اليزيدية اليوم قرابة ٢٠٠ ألف نسمة معظمهم من الأكراد، ولغتهم الدينية هي الكردية كذلك ويتوزعون في مناطق الأكراد الموزعة بين سوريا والعراق وتركيا مع انتشار محدود في أرمينيا ومناطق أخرى انتقلوا إليها من مناطقهم الأصلية، ولا تخلو إيران من بعض اليزيدية وكذلك الهند وإن كانوا بأسماء أخرى.

٤ ـ الشيطان أو طاووس ملك في عقيدة اليزيدية

يتمتع الشيطان بمكانة خاصة في معتقدات اليزيدية، حتى إن الناس قد تناقلوا أن اليزيدية يعبدون الشيطان. وفي مراجعة أدبياتهم، نلحظ أنهم يقدسونه ويعلون مكانته ويصنفونه مع المخلوقات الملائكية، ولا يعبدونه.

وفكرة الشيطان عندهم ترتبط بفكرة الخير والشر، فهم يرونه مسبباً للشر،

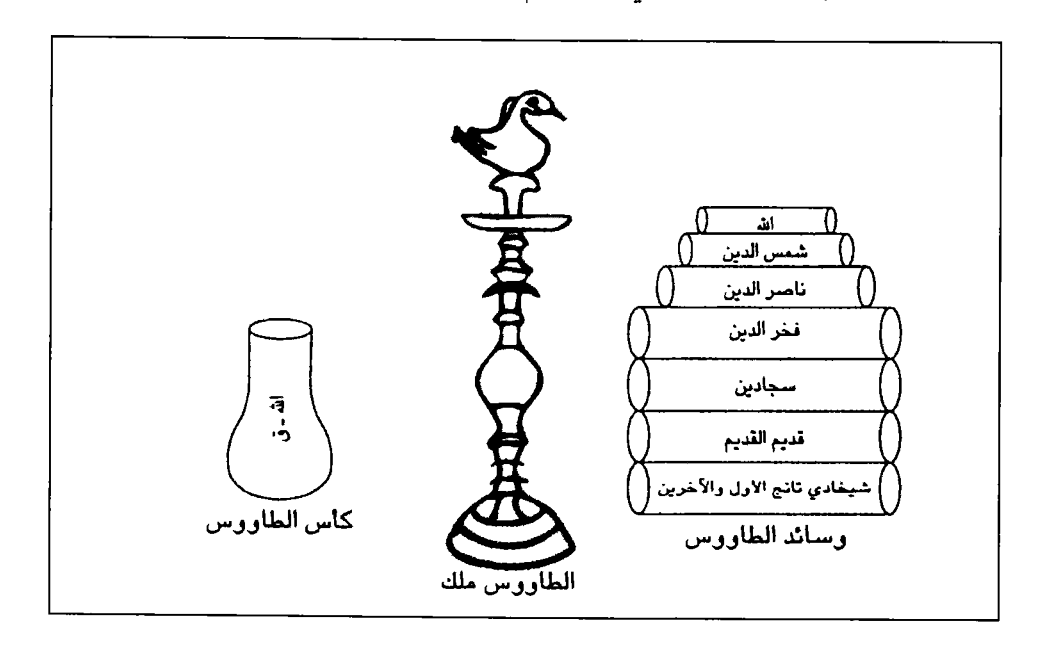
---

(١) للتفصيل يراجع: التونجي، د. محمد، م. س، ص ٥٤ وما بعدها.

وطرد بسبب ذلك من الجنة، ولذلك فإنهم يتجنبونه ويخشون شره، وفي الوقت نفسه يشفقون عليه. وفي معتقدهم أنه في آخر الزمان سيصلح علاقته مع الخالق، وبعدها يستعيد مكانته التي كان فيها قبل الطرد من الجنّة.

والشيطان عند اليزيدية يسمّى: طاووس ملك. وفي طقوسهم يستخدمون طاووساً من المعدن يطلقون عليه أحياناً اسم «سنجق»، ويكون على شمعدان معدني ومعه وسائد سبع، كتبت عليها أسماء مقدسة في معتقدهم هي: الله - شمس الدين - ناصر الدين - فخر الدين - سجّادين - قديم القديم - شيخادي تانج الأول والآخرين. ومعه كأس يستخدم لسقاية من يزورون الطاووس ملك.

وهذا الشكل يبيِّن الهيئة التي يستخدم فيها طاووس ملك:



إن تقديس طاووس ملك (الشيطان) بهذه الطريقة ووضعه في موضع المعاندة للخالق، حيث إرادة الخالق (الله) هي الخير، وطاووس ملك رمز للشر ومسبب له، هذا الموقف العقدي يفيدنا لجهة الحكم بالأصل الزرادشتي لليزيديين، لأن الزرادشتيين يتحدثون عن إلهين: إله للخير هو «أهورامزدا» وإله الشر هو «آهرمان».

أجد من المفيد أن نتعرف على موقع طاووس ملك من كتابات مقدسة عند

اليزيديين، من ذلك ما يسمونه: «مصحف رش»؛ أي الكتاب الأسود. وفيه يتحدثون عن أن الله خلق الملائكة على تتابع ويصلون إلى القول:

«وجعل رئيساً على الجميع، طاووس ملك... وقال الرب العظيم يا ملائكة أنا أخلق آدم وحواء وأجعلهم بشراً ويكون من سر آدم شهر بن جبر وأيضاً منه يكون ملة على الأرض تسمّى ملة عزرائيل أعني طاووس ملك، وهي ملة يزيدية. ثم أرسل شيخ عدي بن مسافر من أرض الشام فأتى إلى لالش ثم نزل الرب إلى جبل الأسود، وصاح وخلق ثلاثين ألف ملك، وفرقهم ثلاث فرق، وبدأوا يعبدون أربعين ألف سنة، ثم سلمهم إلى طاووس ملك فصعد بهم إلى السموات، ثمّ نزل الرب إلى أرض القدس، وأمر جبرائيل فجلب تراباً من أربع زوايا الأرض: تراب وهواء ونار وماء فخلقه وجعل فيه روحاً من قدرته وسمّاه آدم.

وأمر جبرائيل أن يدخل آدم إلى الفردوس، ويأمره أن يأكل من كل الشجر، فقط حنطة لا يأكل.

ثم بقيماية سنة فقال طاووس ملك للّه: كيف يكثر آدم؟ وأين نسله إن لم يأكل من شجرة الحنطة؟ قال له الله: الأمر والتدبير سلمته بيدك، فجاء طاووس ملك وقال لآدم: أكلت حنطة؟ فقال آدم: لا، لأن الله نهاني. فقال طاووس ملك: كُلْ حنطة حتى يصير لك أحسن. فأكل آدم من الحنطة، وحالاً انتفخت بطنه، فأخرجه طاووس ملك من الجنّة، وتركه وصعد إلى السماء فتضايق آدم من نفخ بطنه لأنه ليس له مخرج... الخ».

ويكملون الأسطورة حتى قولهم: إن حواء خُلقت من تحت إبط آدم، ومن ثم تزوجا وأنجبا توأمين ذكراً وأنثى، وهكذا بدأ التناسل. ويصلون بعد ذلك إلى طاووس ملك من جديد وعنه جاء في «مصحف رش»: «...ثم نزل طاووس ملك إلى الأرض لأجل طائفتنا المخلوقة، وأقام لنا عدة ملوك ما عدا ملوك الآشوريين القدماء، وهم نسروخ، وهو ناصر دين، وكاموش وهو ملك فخردين، وأرطيموس وهو ملك شمس دين، وبعد ذلك صار لنا ملكان شابور أول وثاني، ودام ملكهم ماية وخمسون سنة ومن نسلهم أقاموا أمرائنا».

إن هذه النصوص التي أوردناها يُظهر فيها المفاهيم والأطروحة مرتبكة، ونجد فيها ما هو من ديانة الزرادشتية وتاريخ ملوك الفرس، وفيها ما ورد في

فلسفة اليونان كفكرة العناصر الأربعة: ماء وهواء ونار وتراب، وفيها ما هو من أصول دينية صحيحة تمازجت معها أفكار أسطورية، وفي جميع الأفكار جعلوا موقعاً مميزاً للشيطان ـ طاووس ملك.

ومن جملة احترامهم وتقديسهم له أنهم فرضوا على أبناء ملتهم عدم ترديد اسمه أو أية لفظة فيها حروف من اسمه أو من اللعن. فقد جاء في «مصحف رش»: «ونحن نعرف صورة شخصه وتمثاله، وهي صورة الديك الذي عندنا، ولا يجوز لأحد منّا أن يلفظ اسمه، أو يشابه اسمه، كالشيطان وقيطان، وشر وشط وما يشابه ذلك، ولا لفظة ملعون، أو لعنة، أو نعل، وما يشابه ذلك جميعها حرام علينا أولاً، ثم احتراماً له».

ويؤكد هذا الكلام الذي في «مصحف رش» عن تقدير اليزيدية للشيطان «طاووس ملك»، السيد عبد الرزاق الحسني الذي تسنّى له أن يختلط باليزيديين ويقف، إلى حد كبير، على حقيقة معتقداتهم.

واليزيديون الذين يهملون عبادة الخالق سبحانه ويركزون على تقديس «طاووس ملك»، يبررون فعلهم بأن الله رحيم بالعباد ولكن الشيطان الذي يرمز إلى فعل الشر لا بد من إظهار الولاء له اتقاءً لأذاه، وتخلصاً من شره.

هذا التقديس للشيطان لا يكتفي اليزيديون باعتماده من قبلهم، بل يريدونه من كل من يعيش معهم ويشترك معهم في عمل ما.

«وكما أنهم يكرمون طاووس ملك ويجلُّونه، فهم يريدون أن يكرمه ويجلّه غيرهم، وعلى هذا أصبحت كلمة شيطان عندهم احتقاراً أو إذلالاً وكفراناً، ولذا فهم يتجنبون النطق بلفظه أو بأية كلمة فيها حرف من حروفه (شط، بط، نط... الخ) كما أنهم يتجنبون كلمة اللعن وما اشتق منها لهذا الغرض فلا يقولون: (نعل، نعلبند، لعنة... الخ)، وإذا قال أحدهم: شيطان، حلّ قتله عندهم بل وعلى يدهم. فإن أراد إنسان ما أن يتكلم عن هذه الأشياء المحرم ذكرها فيستعمل الاشتمام؛ أي يذكر المعنى بطرائق متشعبة أو بعبارات مستطيلة كقوله الماء الكبير إذا أراد الشط، أو ذلك الرجل إذا أراد الشيطان، ونحو ذلك من الرموز التي تؤدي المعنى المطلوب»[١].

(١) الحسني، السيد عبد الرزاق، م. س، ص ٤٦.

وقد جاء تأكيد من قبلهم على هذا الموقف في العريضة التي رفعوها إلى السلطات العثمانية كي تعفيهم من الخدمة العسكرية، وذلك في ٢٨ شباط ١٨٧٢ م، ومما جاء فيها عن هذا الموضوع:

«**البند الخامس**: شيء ما يمكن احتماله، بحسب ديانتنا، عند الصباح لما يبدون المسلمين في الصلاة يقولون كلام حاشا، أعوذ بالله إلى آخره، وإذا سمعها واحد منا يلزم أن يقتل نفسه القايل، ويقتل نفسه وإلا يصير كافر».

يلاحظ أولاً أن النص كتب بلغة محكية غير سليمة، وقد تركه الكتاب على ما أوردوه هم، وفعلت ذلك أيضاً. والنص يستفاد منه، كما يتضح، أنه إذا قال أحد المسلمين: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فواجب اليزيدي الذي سمعه أن يقتل القائل، وإن لم يتمكن منه فعليه أن يقتل نفسه تعبيراً عن رفضه لما سمع، وإن لم يفعل لا الأولى ولا الثانية وسكت عن الأمر، صُنّف عندهم كافراً.

٥ ـ شعائر اليزيدية وعباداتهم

يعتمد اليزيدون شعائر وطقوساً عبادية خاصة، وكأنهم نسيج وحدهم، وإن كانت لها جذور في الزرادشتية الفارسية، وبعض أصول من مفاهيم جاءت في الكتب السماوية، هذا مع ادعائهم أن المسلمين والمسيحيين وكذلك اليهود بدَّلوا وغيَّروا الحقائق.

ويزعمون أنه كان لهم ما لم يكن لسواهم من الحقائق، فقد جاء في الفصل الرابع من كتاب «الجلوة»، وهو كتابهم الثاني إضافة إلى «مصحف رش»، ما يلي:

«حقوقي ما أعطيتها لغيري من الآلهة... كتب الأجانب من اليهود، والنصارى، والإسلام اقبلوا منها ما يوافق ويطابق سنني، ما يخالف منها فلا تقبلوه لأنهم غيَّروه».

هذا الكلام ينسبونه إلى طاووس ملك (الشيطان)، وتختلط فيه اللغة الفصحى بالعامية. وفي الفصل الخامس من كتاب «الجلوة» جاء ما يفيد المعنى نفسه، وفيه ما يلي:

«يا أيها الذين آمنوا أكرموا شخصي، وصورتي، لأنهم يذكرونكم بي،

احفظوا سنني وشرايعي، طيعوا واصغوا لخدّامي بما يلقنوكم من علم الغيب الذي هو من عندي. احتفظوا بالعلم الذي يلقّنوكم إياه ولا تجوا به قدام الأجانب كاليهود والنصارى والإسلام وغيرهم لأنهم لا يدرون ما هو تعليمي، ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يغيِّروها عليكم وأنتم لا تعلمون. احفظوا أكثر الأشياء غيباً لئلا تتغير عليكم».

يستفاد من هذا النص أن اليزيديين لا يحملون أسرار دينهم لسواهم ولا يطلعونهم عليها، ويستفاد كذلك بأنهم يزعمون وجود كيان ديني خاص بهم، ويسمون من يكونون خارجه أجانب، وهذا يذكرنا باليهود الذين يطلقون على غير اليهود اسم «الغوييم»، الأغيار؛ الأمميين.

وإذا أردنا معرفة موقف اليزيدية من العبادات، فإن واقع حالهم يشير إلى تحلل من هذه الضوابط ومن أداء الشعائر، وإن أدُّوا بعضها فهو خاص بهم ولا يشبهون به أحداً.. اللهم.. إلا لجهة الاسم.

واليزيديون «يذكرون أن الشيخ عدي أسقط عنهم الصوم والصلاة والعبادات التي يؤديها المسلمون، فاختصر بعضها وخفف غيرها وبدَّل فيها ما شاء. فعدلوا عن الحج إلى بيت الله الحرام، فزيارة الشيخ عدي تكون عوضاً عن بيت الله الحرام.. الخ»[(١)].

ومن المفيد تفصيل الحديث عن بعض شعائرهم:

١ ـ الصلاة: ليست الصلاة على جميع اليزيدية. وقد جاء عندهم في «مصحف رش»: «أما الصوم والصلاة إن الله لا يشابههم، لكن يريد الخير وعمل الصدقة».

بعض المتدينين منهم يؤدون صلاة هي دعاء مع بعض الحركات، وأهمها عندهم تلك التي تكون عند شروق الشمس. في العريضة التي سبق ذكرها يقولون في البند الثالث: «لازم على كل فرد من طايفتنا كل يوم في وقت طلوع الشمس أن يزور موضع شروق الشمس بشرط أن لا يوجد واحد من المسلمين والنصارى واليهود أو غير ذلك وإذا ما يعمل واحد منهم ذلك يكفر».

---

(١) الديوه جي، سعيد، م. س، ص ١٣٩.

ويقول السيد عبد الرزاق الحسني عن صلاتهم: «كل يزيدي متدين، يتوجه عند شروق الشمس إلى مطلعها، وعند غروبها في مغيبها يلثم الأرض ويعفّر وجهه بالتراب، ويدعو دعاءً خاصاً بلغة هي مزيج من العربية والكردية والفارسية»[١].

ونص الدعاء بالعربية كما أورده السيد الحسني هو على الشكل التالي:

«آمين آمين الله تبارك الدين، الله أحسن الخالقين، بهمة شمس الدين، ناصر الدين، سجاد الدين، الشيخ شمس الدين، مؤيد الدين، باني المجد القديم، السلطان الشيخ عدي، رئيس الأولين والآخرين.

أعطِ الخير تنجو من الشر، حق الحمد للّه رب العالمين. مهما كان عدد أعوان يزيد، فإن بينهم الكافرين والضالين، ومن بين الاثنين وسبعين ملّة والثمانين ألف مخلوق؛ إذا كان له صبر وستر، عقل وفهم، إيمان ثابت، ويقول الصحيح دون زيغ، وكان عنده الحياء والناموس، فإن الشيخ شمس يشفع له عند الإله».

أما شكل أداء الصلاة عندهم فيتم كما يلي: «ينهض اليزيدي قبل بزوغ الشمس ويتوجه نحو المشرق حيث يواجه الشمس ثمّ ينحني ويقبّل أقرب بقعة تقع عليها أشعة الشمس ثم يتلو دعاء الصباح ملتمساً المغفرة والبركة»[٢].

ومن الأدعية المستخدمة عندهم، دعاء أورده التحقيق الذي نشره ملحق جريدة النهار اللبنانية في ٢٥ آذار ١٩٩٥، ونصه:

«يا يزدان، أيها المقدس العطوف، امنح الخير واطرد الشر، آمين، آمين.

ليقم العرش في كردستان، وليقع البلاء على تركستان وليفرح اليزيديون في الغرب والشرق».

«يا فارس الشرق، يا شيشمي، بحق العرش، بحق الثور والسمك، بحق آدم وحواء، وعيسى بن مريم، يا طاووس الملك.

بحق الدرة الحمراء، بحق التراب والماء والنار.

---

(١) الحسني، السيد عبد الرزاق، م. س، ص ٩٠.

(٢) الأحمد، د. سامي سعيد، م. س، ص ١٢١.

بحق الأرض والسماء، تفقد أحوالنا، وانقذنا من البلاء».

هذا الدعاء يبدو أنه حديث العهد نسبياً، فقد أضافوا إليه أمراً سياسياً هو إقامة السلطة في كردستان. وعلى أي حال، ليس عند اليزيديين صلاة عامة واحدة، ولا بأركان متفق عليها، أو بالأحرى ليس عندهم صلاة فعلاً، كل ما عندهم هو استقبال للشمس عند الصباح انطلاقاً من طقس زرادشتي ينطلق من الثنوية: النور والظلمة. وقد يضيفون إليه دعاء وداع للشمس عند الغروب.

واليزيدي يؤدي أدعيته هذه منفرداً، ويحرص أن لا يكون في مرمى أنظار أحد، خاصة غير اليزيديين.

٢ ـ **الصوم**: الصوم عند اليزيدية هو إمساك عن الطعام والشراب طوال نهار الصوم، ولا يختلف كثيراً عن الصوم عند المسلمين، ولكنهم يجعلونه على نوعين.

١ ـ صوم العامة وهي ثلاثة أيام في السنة هي: الثلاثاء والأربعاء والخميس، الأولى من شهر كانون الأول الشرقي.

٢ ـ صوم الخاصة أو المتدينين، وهو ثمانون يوماً، تكون على مرحلتين: قسم منه يبدأ في ٢٠ كانون الأول الشرقي، والقسم الثاني في ٢٠ تموز الشرقي.

ويقول السيد عبد الرزاق الحسني عن صومهم بنوعيه:

«**ـ صوم العامة**. . . (صوم يزيد) ويقع في أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس الأول من شهر كانون الأول الشرقي ـ أي في أقصر أيام السنة، فينقطع اليزيدي، خلال هذه الأيام الثلاثة المتتالية عن الأكل، والشرب والدخان، من الصباح إلى المساء، زاعماً أن الحكم الذي نزل في الكتاب المقدس بحق الصيام، كان مجملاً لم يفسره الناس وفق نصِّه، فقد نزل باللغة الكردية (سه روز)؛ أي ثلاثة أيام، لا (سي روز) أي ثلاثون يوماً كما توهمه المسلمون. . .

ـ أما صوم الخاصة. . فعبارة عن ثمانين يوماً، يصوم رجل الدين نصفها في العشرين من شهر كانون الأول الشرقي، والنصف الثاني في العشرين من شهر تموز الشرقي. ففي هاتين المربعانيتين يذهب الرؤساء الروحانيون إلى مرقد

الشيخ عدي بن مسافر الأموي الهكاري في الشيخان فيصومون ثلاثة أيام ثم يعودون إلى قراهم ليتموا صيام أربعين يوماً»[١].

«وهم يرون أن المرء إذا نام وقد نوى الصيام، وأحضر إليه أحدهم طعاماً في صباح اليوم التالي، فإنه يأكله ويظلّ صائماً، ولا يحتاج إلى صيامه ثانية. وآداب صومهم ومبطلاته شبيهة بصوم المسلمين تقريباً... وفي أيام شهر رمضان يتظاهرون بالصوم مراعاة للمسلمين»[٢].

والمشهور عنهم أنهم يفطرون بتناول قليل من تراب مرقد الشيخ عدي، وغالباً على خبز مغموس بالملح، وهذا تقليد يعتمده اليهود في إفطارهم يوم السبت.

ولكنهم في العريضة التي قدموها للسلطات العثمانية لإعفائهم من الجندية (في ٢٨ شباط ١٨٧٢) قالوا عن طقوس صومهم تفاصيل لم ترد في المصادر التي تناولت ديانتهم. والجديد في العريضة أن من أصول صيامهم أن يكون في مكان إقامة الشخص، وأن يفطر الصائم على ما يسمونه الخمر المقدّس الذي يقدمه له شيخه، ولم يوضحوا ما هو هذا الخمر المقدس هل هو خمر فعلي؟ أم ماء ومعه خبز وملح؟ أم ماء مذاب فيه تراب من مرقد الشيخ عدي؟ لا أحد يعرف.

وما قالوه في العريضة المذكورة في البند الثامن ما يلي:

«من خصوص صيامنا كل فرد من طايفتنا إذا أراد أن يصوم، يلزم أن يصوم في محله، لا في غير محل، من سبب كل يوم من أيام الصيام وقت الصباح إلى بيت شيخه وبيره[٣] يمسك الصيام ثم وقت الإفطار أيضاً يلزم يروح إلى بيت شيخه وبيره، يفطر على الخمر المقدس مال ذلك الشيخ أو البير».

٣ ـ الحج: استبدل اليزيديون بالحج إلى مكة المكرمة الحج إلى منطقة مرقد الشيخ عدي بن مسافر بالقرب من عين سفني مركز قضاء شيخان في

(١) الحسني، السيد عبد الرزاق، م. س، ص ٨٨.

(٢) التونجي، د. محمد، م. س، ص ٩١.

(٣) البير: ربما كانت كلمة البير فارسية الأصل أو كردية بمعنى شيخ الطريقة أو رئيسها المسن. والبيرة يلون الشيوخ في مراتبهم الدينية.

الموصل. «ويقولون إن جبل لالش (أو ليلش) الذي يقع فيه المرقد المذكور، مثل مكة التي يحج إليها المسلمون، إن لم يكن أفضل منها، ولهذا يهرعون إليه في موسم الحج الذي يبتدئ من اليوم الثالث والعشرين من شهر أيلول الشرقي (٦ تشرين الأول الغربي) وينتهي في اليوم الثلاثين منه (١٣ تشرين الأول الغربي) فمن لم يزره فهو كافر في نظرهم، كبيراً كان أم صغيراً، قرب مسكنه أم نأى»[١]. هذا الحج هو الذي يسمونه عيد الجماعية.

الكعبة عندهم مرقد الشيخ عدي، وجبل لالش هو جبل عرفات، ونبع الماء الذي يخرج من جبل لالش هو نبع «زمزم».

ويصف سعيد الديوه جي حجهم على الوجه التالي:

«ولهم طواف وعرفات وزمزم وأضحية، وكلها في جبل لالش الذي هو جبل عرفات عندهم، يشرف على مرقد الشيخ عدي بن مسافر الهكاري، ولهم رتبة دينية يسمون صاحبها (ميرحاج) وهو أمير الحاج، كما عند المسلمين....

يقصدون جبل لالش يوم... ويطوف رؤساؤهم الروحانيون في فناء رباط الشيخ عدي، ثم يصعد اليزيدية ليلة العيد فوق جبل عرفات - جبل لالش - ويصعد في أعلى الجبل جاويش، حاملاً طبقاً فيه خبز رقاق، فينشره حواليه ويتهافت اليزيدية على قطعه، ومن أخذ قطعة أسرع إلى عين زمزم ليشرب من مائها مع قطعة خبز الرقاق، وأول من يصل إلى العين، يخطف علامة تكون على رأس البير الذي يكون واقعاً قرب العين علامة فوزه بقصب السبق»[٢].

ويتمتع مرقد الشيخ عدي عندهم بقداسة خاصة، حيث إن الداخل إليه يجب أن يخلع نعليه، وأن لا يطأ عتبات المرقد برجله، وعلى من يزور منطقة الضريح ألا يتوجه بأذى لمخلوق بما في ذلك الطيور والحيوانات. وفي معتقدهم «يعتبر آثماً كل من قتل طيراً أو حشرة أو قطع شجرة في هذا الوادي المقدس الذي يحج إليه الألوف من اليزيدية لزيارة مرقد الشيخ عدي»[٣].

---

(١) الحسني، السيد. عبد الرزاق، م. س، ص ٩١.
(٢) الديوه جي، سعيد، م. س، ص ١٦٧.
(٣) الحسني، السيد عبد الرزاق، م. س، ص ٣٩.

وتراب مرقد الشيخ عدي مبارك عندهم، ويصنعون منه قطعة بحجم حبة البندق تسمى: «البراة» وترابها معجون بماء العين التي تنبع في منطقة المرقد نفسه، وهي عندهم للتبرك وجلب الرزق ودفع الأخطار.

وفي شعائر وعادات اليزيديين أن «كل يزيدي ـ في العادة ـ يحمل براة في حلّه وترحاله ويقبّلها صباح مساء يشرب ماءها في مرضه (يذوبها في الماء). وإذا ما عقدت عشيرتان متنازعتان الصلح تعطي كل منهما للأخرى براة رمزاً للصلح والسلام، وإن استرجاع البراة منهما هو دليل على إعلان الحرب. وإذا ما علم اليزيدي أن عدواً له حاملاً معه براة فلا يمسّه بسوء أبداً ولو أن يطلبه بثأر»[1].

٤ ـ **في طعام اليزيديين وبعض المحرم عندهم**: اليزيديون يمتنعون عن مآكل عديدة وألوان من اللباس وتصرفات مسلكية، ويصنفونها جميعاً في خانة المحرمات، من ذلك ما جاء في «مصحف رش»:

«ثم حرام علينا أكل الخس لأنه على اسم نبيتنا الخاسية. والسمك علينا حرام، احتراماً ليونان النبي، والغزال لأنه غنم أحد أنبيائنا، والشيخ وتلامذته حرام عليهم أكل الديك لطاووس إلهنا. والقرع أيضاً ما يأكلوه هؤلاء المذكورين».

وقد حاول الدكتور محمد التونجي استطلاع هذا الأمر فقال: «لكنهم يمتنعون عن أكل عدد من الأطعمة يعتبرون تناولها من المحرمات، فهم لا يأكلون لحم الخنزير ويعدّون لحمه محرماً كالمسلمين، ولا يأكلون لحم الأسماك تقديراً للنبي يونان، ولأنهم يقولون إن يزيد حين ترك بلاده طالباً بلاد اليزيدية انتظم السمك تحت أقدامه انتظاماً عجيباً، حتى إنه تمكن من المشي على ظهره في البحر إلى أن وصل إلى البر.. وهم لا يشربون من كوز أو جرّة أو قارورة تبقبق لأنهم يزعمون أن ما يبقبق هو روح حية موجودة فيها.

ومن الأطعمة المحرمة جداً: الخس والملفوف واللوبياء والقرع، بل إن

---

(١) الأحمد، د. سامي سعيد، ج ٢، م. س، ص ١١٥.

مجرد رؤيتها حرام... كما يحرم على رجال الدين أكل لحم الديكة، لأن طاووس الملك جاء على هيئة ديك»[١].

واليزيديون لا يرتدون اللون الكحلي في لباسهم، ولا يستخدمون أدوات شخصية كانت لغير يزيدي إلا بعد تطهيرها حسب زعمهم بالماء الذي ينبع من العين القريبة من مرقد الشيخ عدي والتي تعد عندهم كبئر زمزم في مكة المكرمة بالنسبة إلى المسلمين.

وقد أكدوا على هذا الأمر في العريضة السالفة الذكر التي قدموها للسلطات العثمانية. فقد جاء في البند الثاني عشر منها: «لباس الكحلي ما نقدر نلبسه قطعاً. وفي مشط المسلم والنصراني واليهودي أو غير ذلك ما نقدر نمشط رأسنا أبداً، ولا في موس الذي يستعمله غيرنا نحلق رؤوسنا فيه، إلا إذا أردنا أن نغسله في الماء المبارك، الموجود في حضرة الشيخ عدي، ذلك الوقت إذا حلقنا رؤوسنا فيه جايز، وإذا لم يكن مغسولاً في ذلك الماء المبارك وحلقنا رؤوسنا نكفر».

مع تجاوز عدم سلامة اللغة في هذا النص، إلا أننا نلحظ فيه عنصرية مفرطة عند اليزيديين الذين يصل بهم الأمر إلى هذا الحد في التعاطي مع الأدوات الشخصية التي يستخدمها أحدهم.

وإذا تتبعنا بعض أشكال سلوكهم نراها جد غريبة، منها ما جاء في البند الثالث عشر من العريضة حيث يحرمون أن يأكل اليزيدي بملعقة مسلم، أو أن يشرب من إناء شرب منه مسلم، ومن فعل ذلك يصنف كافراً.

ومن الغريب عندهم أنه يمنع على اليزيدي أن يدخل بيت خلاء، وعليه أن يعتمد الخروج في الخلاء، وكذلك يحرم عندهم أن يستحم الإنسان للطهارة في حمام، ويجب أن يغتسل واحدهم في العراء، وهذا أحدث لهم مشكلات حين عاش بعضهم في المدن، وقد تجاوز سكان المدن منهم هذا الأمر نسبياً.

ومما جاء في «مصحف رش» حول هذه الأمور:

«وحرام البول وقوفاً. ولبس اللباس قعوداً. والاستخلاء في مكان مخصوص كعادة البلاد، وغسل الحمام جميع ذلك حرام».

---

(١) التونجي، د. محمد، م. س، ص ٦٤، ٦٥.

وعندهم يحرم على اليزيدي أن يبيع ممتلكاته لشخص غير يزيدي، وسبب ذلك ـ كما يبدو ـ حتى لا يختلط أحد معهم في مواطنهم إذا اشترى ممتلكات يزيدي، وما ذلك إلا لعنصريتهم أو لالتزامهم فكرة الانغلاق.

ويعتقد «اليزيديون أن الملائكة تتصل فيما بينها في شهر نيسان، لهذا فإنهم يحرمون الزواج وتعمير البيوت في الشهر المذكور ويقولون إن كثيراً من الذين تزوجوا بهذا الشهر ماتوا وهكذا الذين عمَّروا بيوتاً بهذا الشهر وما نجحوا»[1].

٦ ـ الفئات الدينية والاجتماعية لليزيديين

مجتمع اليزيديين مجتمع طبقي إن لجهة الموقع السياسي أو المهمة الدينية، لذلك ينقسم المجتمع عندهم إلى عدة فئات ولكل منها مسؤوليتها وترتيبها وخصائصها.

والمسؤولية عندهم موزعة بين قيادة سياسية لها الأرجحية، وينسبون المتقدم فيها، وهو الأمير، إلى يزيد بن معاوية، وقيادة دينية المتقدم فيها بابا شيخ من سلالة الشيخ فخر الدين. وتتوزع الرتب والمواقع عندهم على الوجه التالي[2]:

١ ـ الأمير: يعطونه صفة قداسة، ويظنون أن قبساً إلهياً قد حلَّ فيه، وهو من نسل يزيد بن معاوية والشيخ عدي، ويعتقدون بعصمته لذلك لا يُردُّ له طلب، ومن خالفه أو نال من كرامته تعرض لقصاص صعب، أقله إسقاطه من الحقوق المدنية والدينية، ويقاطعه حتى أهله إلى أن يعفو الأمير عنه.

مكان إقامة الأمير في قرية «باعدري» أو «باعذرا» وتبعد مسافة ٤٥ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من الموصل. ويُنتخب الأمير، وهو عندهم «ميرشيخان»،

---

(١) الحسني، السيد عبد الرزاق، م. س، ص ١١٠.

(٢) مادة هذا الموضوع مأخوذة من:
- الحسني، السيد عبد الرزاق، م. س، ص ٧٤ وما بعدها.
- التونجي، الدكتور محمد، م. س، ص ١٠٩ وما بعدها.
- ملحق جريدة النهار، (بيروت)، م. س.
- الأحمد، الدكتور سامي سعيد، م. س، ج ٢، ص ١٤٩ وما بعدها.

من نسل يزيد لكن شيوخ القبائل والمسؤولين الدينيين لا يشاركون في هذا الانتخاب. و«ميرشيخان» لا يعزل وتنتهي ولايته بالموت.

لميرشيخان لباس خاص، أبرزه تاج على رأسه لا يخلعه نهاراً ولا ليلاً. وهو الوارث لمن لا ورثة له. وقد ينذر له بعض الرعية ولداً فيصبح بمثابة ملك له يتصرف فيه بيعاً أو هبة كما يشاء.

٢ ـ **بابا شيخ**: إقامته في مرقد الشيخ عدي في وادي «لالش»، «شمال مدينة الموصل». وهو الرئيس الأعلى للطائفة اليزيدية دينياً، وهو عندهم من نسل الشيخ فخر الدين. وظائفه محصورة في الشؤون الدينية، وإليه يرجع الأمير في كل أمر ديني.

«بابا شيخ»، أو الشيخ الكبير، لا يأكل بغير ملعقته، ولا يشرب من فنجان أو كوب شرب فيه سواه، وله سجادة مخصوصة يجلس عليها، وله لباس خاص هو ثوب أبيض من الصوف أو الخام، ويلف وسطه بزنار أسود طويل ينتهي بحلقات يظنون فيها البركة.

وشيوخ اليزيدية يزعمون أنهم كالأمراء من نسل يزيد بن معاوية، وأن الشيخ عدي يأتي بابا شيخ في المنام ليعلمه ببعض الأمور.

٣ ـ **الشيخ**: الشيوخ يتوارثون موقعهم الديني وهم عندهم من ثلاثة أصول هي: الآدانية، والشمسانية، والقاتانية، ويبدو أنها كلمات عربية ملحونة، والآدانية قد تكون العدنانية والشمسانية من عبد شمس، وكلها من قريش.

وطوائف الشيوخ عند اليزيدية يتوزعون المهام الدينية بينهم، ويعتقدون أن شيئاً من الألوهية قد حلّ فيهم كحالة «بابا شيخ».

وللشيخ عندهم مريدون يطوف عليهم بمعدل مرتين سنوياً، حيث يقدمون له مما عندهم من إنتاج زراعي أو حيواني.

٤ ـ **البير**: والبير دون رتبة الشيخ، والكلمة من الفارسية أو الكردية، وتعني شيخ الطريقة، أو رئيسها المسن، وتجمع بلفظ (بيورة). والبيورة يقصدون تربة الشيخ عدي في عيد الجماعة وسائر المناسبات الدينية ليقوموا بإطعام المريدين من أموالهم، وإرشادهم إلى تعاليم اليزيدية. ولكل بير مجموعة مريدين له نصيب من حاصلاتهم نسبته خمسة بالمئة، ويسمى سنة الزكاة.

ويكون من البيورة واحد يسمونه «بابا چاويش» مهمته حراسة مرقد الشيخ عدي في لالش، ويشترط فيه أن يبقى عازباً.

٥ ـ **القوّال**: ويطلق عليه عند اليزيدية «مرتّل». وحتى زمن غير بعيد، كان القوالون وحدهم أصحاب الحق في إتقان القراءة والكتابة، وهم الذين يتولون تقديم الأناشيد في المناسبات الدينية. ويلبس القوالون طاقية خاصة تسمى «كمّة القوالين» لا يجوز عندهم حلف يمين كاذبة بها. ويحملون أثناء تنقلهم صورة «طاووس ملك» ويتباهون بأنهم يصاحبون طاووس ملك لينشدوا الأناشيد في الله والملائكة.

يقيم أغلب قوالي اليزيدية في قريتي «بعشيقا» و «بحزاني»، والزواج عندهم كالفئات السابقة محصور في ما بين أبناء فئتهم. ويطوف القوالون في القرى بالنيابة عن «ميرشيخان» لجمع النذور والصدقات.

٦ ـ **الگوچك**: الگواچك من الفئات المتميزة عند اليزيديين، وهم ممن يعيشون حول لالش، وأغلبهم ينتشر بين سنجار وشيخان.

يتميز الگواچك باللباس الأبيض، ونطاقهم الأسود أو الأحمر، وفي رأس وظائفهم تغسيل الأموات وتكفينهم ودفنهم. ويزعمون أنهم في حالات روحية يصلون إليها، يتمكنون من التعرف على بعض أسرار عالم الغيب، ويكتشفون مصير الأموات بعد الموت.

يقوم الگواچك بخدمة الأماكن ذات القداسة عند اليزيديين ـ خاصة مقام الشيخ عدي ـ ولهذه الغاية يتحملون الأعمال الشاقة في البناء والتنظيف كحمل الحجارة، وقطع الأخشاب، وتنظيف الساحات من القمامة. وعند حلول بلاء ببلادهم، يطلب إليهم «بابا شيخ» أن يقوموا بالصلاة والدعاء لرفع هذا البلاء.

٧ ـ **المريدون**: وهؤلاء عامة اليزيدية الذين لا ينتسبون إلى واحدة من الفئات السابقة الذكر. والمريد عليه الطاعة التامة لرؤساء الطائفة السياسيين والدينيين، ولا يجوز له التدخل في أمر يخصهم. والمريد يختار شيخاً له وبيراً، ويختار من الشيوخ أخاً وأختاً للآخرة. والمريدون يتزوجون من فئتهم، ولا يحق لهم الزواج من فئات اليزيدية الأخرى، وعليهم تقديم الأعطيات والنذور لشيوخهم وبيورتهم.

٨ ـ **الفقير**: الفقير «هشمان» وهو الزاهد الذي هجر الدنيا وملذاتها ولبس جبة صوف سوداء على جسده مباشرة. وفئة الفقراء لها احترام عند اليزيديين، وكلامها مسموع ومطاع في الجانب الديني.

٩ ـ **البسميرية**: ذكرهم الدكتور سامي سعيد الأحمد في كتابه السابق الذكر، وفي تعريفه لهم يقول بأنهم يلون الأمراء في المنزلة، ويزعمون أنهم أولاد عم لفئة الأمراء اليزيدية. فالأمراء ينسبون أنفسهم إلى الشيخ ملك بن الشيخ بكر، ويربط البسميرية نسبهم بالشيخ منصور بن الشيخ بكر. وهذه الفئة كانت في السابق بمثابة هيئة استشارية للأمراء، وكان أفراد منها ينوبون عن الأمير في القرى والنواحي.

٧ ـ متفرقات من شريعة اليزيدية

تحوي شريعة اليزيدية خليطاً مستمداً من شرائع متعددة، حتى ليصح القول: اليزيدية نسيج خاص، وليست من مصدر واحد.

وما دمنا نستعرض أحوال هذه الجماعة، فمن المفيد إضافة مواقفهم من بعض الأمور:

المهدية: يعتقد اليزيديون بأن ظهوراً ما سيحصل في مرحلة من الزمن لشخص له مهمة إزالة الفساد ونشر الصلاح والعدل.

ويزيديو سنجار يعدُّون العدة لهذا الظهور على طريقتهم الخاصة. ويقول السيد عبد الرزاق الحسني عن هذا الموضوع:

«وفي سنجار عادة عند اليزيدية غير معروفة لدى يزيدية الشيخان، ذلك أن السكان اليزيديين يرمون قطعاً من النقود الفضية الدارجة في شقٍّ بجبل سنجار ينتهي إلى هاوية لا يعرف مداها ولا منتهاها فلا يجرؤ سارق على الوصول إليها لأنه يقتل فوراً، ويهدر دمه. وهم يعتقدون بأن مهديهم المنتظر ـ وهو شرف الدين ـ سيظهر قريباً ويلتقط ما ادَّخره أصحابه له من نقود فيستعين بها على تطهير الأرض من الرجس والفساد»[1].

الكرافة: اليزيديون يقيمون مواثيق يحترمونها احتراماً شديداً، وهي مواثيق

---

(١) الحسني، السيد عبد الرزاق، م. س، ص ١١٣.

وصلات مشفوعة بالدم. هذه المواثيق المسماة «الكرافة» عندهم، ترتب بين الأشخاص رابطة لا تنفصم عراها، وترقى إلى مستوى الأخوة بكل ما للأخوة من قوة الربط بين الأشخاص.

أما الكرافة فهي «علاقة الدم ولها أهمية عظمى بين اليزيديين. فالمسلم الذي أجلس الطفل اليزيدي في حجره أثناء عملية الختان، وسقطت قطرات من دمه على ثوبه الذي يرتديه أو أُعطي قطرات من دم الطفل في منديل له، يصبح لعائلة الطفل المختون كريف دم (كريف خوني).

وللكرافة حرمة عظيمة لدى اليزيديين ويحترمونها.. ويحترم اليزيدي الكرافة احتراماً كبيراً، وتولد بينه وبين المسلم أخوة لا يمكن لها أن تنفصم»[١].

والكرافة رابطة يحرم بسببها الزواج بين المتكارفين من اليزيديين حتى سبعة أجيال، والكريف يحافظ على كريفه وعليه ثأره، وأن يحضر زواجه، ووفاته، مهما كانت ظروفه.

تعدد الزوجات: يبيح اليزيديون تعدد الزوجات، والتعدد عندهم محدود بأربع نساء، ويستثنى من ذلك الأمير «ميرشيخان» الذي يباح له أن يتجاوز ذلك إلى العدد الذي يريده. ولكن اليزيدية التي تبيح الطلاق لأتباعها، تمنع على الأمير تطليق من تزوج منهن، وحتى لو فعل ذلك، فعليه إبقاء المطلقة في بيته لأنه لا يستطيع أن يتزوجها أحد بعده. وهنا نلاحظ كيف أعطوه حالة شبيهة بوضع النبي محمد ﷺ عندما لم يطلق أحداً من نسائه، لأنهن أمهات المؤمنين، ولا يستطيع أحد أن يتزوج الواحدة منهن بعد رسول الله ﷺ.

ينقل الدكتور سامي سعيد الأحمد عن هذا الأمر الوقائع التالية: «وقد تزوج الأمير حسن بك سبع نساء في وقت واحد. وهناك من اكتفى بزوجة واحدة كما عمل الأمير سليم بك وسليمان بك. وقد تزوج الأمير سعيد بك والد الأمير تحسين بك أمير اليزيدية الحالي من عشر نساء.

ويُمنع اليزيدي من الجمع بين الأختين مثلهم في ذلك مثل المسلمين ولكن الأمير سعيد بك فعل ذلك..»[٢].

(١) الأحمد، الدكتور سامي سعيد، م. س، ص ١٠٥، ١٠٦.

(٢) الأحمد، الدكتور سامي سعيد، م. س، ج ٢، ص ١٣٤.

واليزيدية التي تبيح الطلاق لا تقيم وزناً لعدة المطلقة، ويعطون الحق للزوج أن يسترجع الزوجة باتفاق بينه وبينها دون أية إجراءات أخرى.

ولكي تكتمل الصورة عن نظرة اليزيدية إلى المرأة، من المفيد أن نذكر هذه الفقرة من كتابهم «مصحف رش» وفيها:

«وعند وصولها لبيت العريس، يلزم أن يضربها العريس بحجر صغيرة حتى تكون تحت سلطانه، وأن يكسر رغيف خبز على رأسها حتى تكون محبة للفقراء والمساكين، وليلة الأربعاء والجمعة يمنع من المضجع معها، وكل هذا لازم على كل يزيدي أن يحفظه ويصنعه ومن خالف كفر.

وإذا خطف أحد امرأة رفيقه أو امرأته الأولى، أو أخته، أو أمه، ليس ملزوم أن يعطي مهرها لأنها كسب يده. أما البنات ليس لهم وراثة في بيت أبيهن، إنما البنت تباع كالحقل، وإن أبت عن الزواج فيجب عليها أن توفي أباها بالخدمة وتعب يديها حتى يعتقها».

بذلك نرى كيف تحتقر اليزيدية المرأة، حيث للأب أن يبيع ابنته للزوج كأنها حقل، وكيف أنه يحرمها من الميراث، وكأنها ليست من نسله.

خاتمة

إن استعراض معتقدات وبعض مفاهيم الديانات يبيّن أن بعضها غير بعيد في بعض ما عندهم عن المسلمين والمسيحيين ورسالات السماء عموماً، وفريق نشأ من أصول إسلامية ومن ثم داخلته مفاهيم دخيلة شوشت عقيدته وشريعته فأبعدته، في كثير مما عنده، عن الإسلام.

وأتباع هذه الديانات ـ كما لاحظنا ـ منتشرون في الأرض كلها، لذلك لا يصح أن يسقطوا من الاهتمام عند الدارسين، وعند الساعين إلى صياغة المجتمع وفق منهج وحدوي وعلى قاعدة الانصهار الوطني، لتعطيل مشروعات الفتن والانقسامات التي يعمل لها العدو الإسرائيلي وكل الطامعين.

وإذا أراد الدعاة المخلصون والغيورون على الدين والأمة تبليغ هؤلاء بالهدى ودين الحق، فالواجب أن يقوموا بذلك ملتزمين بالإرشاد الإلهي: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل/ ١٢٥].

فالحكمة والأسلوب الحسن القائم على اللين والحِلم قد يستميلان ويرغِّبان، بينما الغلظة تزيد المدعوين نفوراً وتعنُّتاً بما هم عليه.

إن لغة التهجم والاتهام، لم تثمر، ولم تجدِ نفعاً، بل زادت الأمور تعقيداً، ودفعت هذه المجموعات إلى مواقف كانت خطراً على مجتمع الأمة.

لا أريد، من خلال هذا الكلام، أن أُعطي براءة ذمة لأحد، بل هو الإسلام نفسه علَّم الجميع أدب الدعوة وأصولها وحدَّد قواعدها وأنها يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى لو كانت لأعتى الكافرين، وليس لأهل شبهة كتاب أو لمذهب له ما يربطه بالإسلام، مهما كان ذلك الرابط متواضعاً. وما نذهب إليه في هذا الشأن نستفيده من الأمر الرباني لموسى وهارون عليهما السلام، عندما أُرسلا ليبلغا فرعون دعوة الله تعالى.

ففرعون وصل به الكفر إلى درجة طلب فيها من الناس أن يعبدوه بدل الخالق سبحانه، ومع ذلك لنستمع إلى ما جاء في شأن تبليغه، وهو قول الله تعالى:

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طـه/ ٤٣، ٤٤].

فالدعوة تذكير وتبليغ يحتاجان إلى اللِّين والحِلم، ولا يكون تبليغ بالعنف والغلظة، هذا مع الأفراد، فكيف مع مجموعات صالحهم السلف على أنهم أهل شبهة كتاب؟ أو مع أهل الكتاب أنفسهم الذين أُمرنا أن نجادلهم بالتي هي أحسن؟ أو مع مذاهب خرجت من صفوف المسلمين وبعدت بها الشقَّة لعوامل متعددة ليس هنا مجال بحثها، لكنها ما زالت بشكل أو آخر تقرُّ بصلة بالإسلام؟ وكيف إذا كان الأمر يعني أن نجنب المجتمع الصراعات والنزاعات التي كان ثمنها باهظاً فيما مضى؟

إن التحديات المعاصرة وهي كثيرة توجب على المؤسسات الأهلية، سواء أكانت دينية أم ثقافية أم اجتماعية أم غير ذلك، أن تعزز حركتها وأطروحتها الفكرية الانفتاحية بعيداً عن الغلو والتطرف، وذلك من أجل صياغة شبكة العلاقات الاجتماعية على أسس المنهج الوحدوي، لأن وحدة المجتمع المدني؛ أي الوحدة الوطنية هي مرتكز أساس لوحدة الأمة، والوحدة المجتمعية هي عامل النصر الرئيسي.

تأسيساً على ما تقدم يكون من المفيد أن يقبل الجميع مبدأ التنوع، وأن يتعاملوا على أسس الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة بعيداً من التشهير والاتهام.

الكلمة الطيبة تستقطب، والممارسة السليمة تجذب وتزيِّن، وخلاف ذلك لا يثمر سوى النفور والانقسام، ومثل هذا غير مجدٍ، لا بل مضر ومؤذٍ للأمة ولمشروعها الحضاري، كما أنه مسيء إلى دورها الرسالي.

المصادر والمراجع

الكتب

١ ـ ابن الأثير، **الكامل في التارخ**، بيروت، دار صادر، ط٥، سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢ ـ ابن حزم الأندلسي، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، وضع حواشيه أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، سنة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٣ ـ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار صادر، سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٤ ـ ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ.

٥ ـ ابن النديم، محمد بن إسحاق، **الفهرست**، تحقيق الدكتورة ناهد عباس عثمان، قطر، دار قطري بن الفجاءة، ط١، سنة ١٩٩٥.

٦ ـ الأحمد، الدكتور سامي سعيد، **اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم**، بغداد، سنة ١٩٧١.

٧ ـ آلفيزوبولس، الأب أنطونيوس، **زاد الأرثوذكسية**، عرّبه الأب قسطنطين ينّي، أعاد صياغته جورج إسبر، بيروت، منشورات النور، سنة ١٩٩٧.

٨ ـ **إنجيل بوذا**، ترجمة عيسى سابا، بيروت، دار صادر، سنة ١٩٥٣.

٩ ـ **أنظمة الأحوال الشخصية وأصول المحاكمات للطوائف المسيحية في لبنان**، بيروت، دار صادر، سنة ١٩٨٢.

١٠ ـ إيديميتسو، سازو، **كن يابانياً أصيلاً**، لا بلد نشر، ط١، سنة ١٩٧٣.

١١ ـ بارندر، جفري، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة الدكتور عبد الغفار مكاوي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، أيار/ مايو ١٩٩٣.

١٢ ـ براناتيس، **فضح التلمود**، إعداد زهدي الفاتح، بيروت، دار النفائس، ط١، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٣ ـ البلاذري، أبو الحس، **فتوح البلدان**، راجعه وعلّق عليه رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٤ ـ بندلي، كوستي، وآخرون، **مدخل إلى العقيدة المسيحية**، بيروت، منشورات النور، ط٤، سنة ١٩٨٨.

١٥ ـ البيروني، أبو الريحان، **الفلسفة الهندية**، راجعه وقدم له الدكتور عبد الحليم محمود، وعثمان عبد المنعم يوسف، صيدا ـ لبنان، المكتبة العصرية، بدون تاريخ.

١٦ ـ التلمود البابلي: **رسالة عبدة الأوثان**، ترجمة وتقديم نبيل فباض، دمشق، دار الغدير، ط١، سنة ١٩٩١.

١٧ ـ **الثوراة: تاريخها وغاياتها**، ترجمة وتعليف سهيل ديب، بيروت، دار النفائس، ط٤، سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٨ ـ توكاريف، سيرغي، **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ترجمة الدكتور أحمد فاضل، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر، ط١، سنة ١٩٩٨.

١٩ ـ التونجي، الدكتور محمد، **اليزيديون: واقعهم ـ تاريخهم ـ معتقداتهم**، الكويت، الدار السلفية، ط١، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٠ ـ توينبي، أرنولد، **تارخ البشرية**، تعريب الدكتور نقولا زيادة، بيروت، الدار الأهلية، سنة ١٩٨٥.

٢١ ـ الحسن، الدكتور يوسف، **البعد الديني في السياسة الأميركية تجاه الصراع العربي ـ الإسرائيلي**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، سنة ١٩٩٠.

٢٢ ـ الحسني، السيد عبد الرزاق، **الصائبون في ماضيهم وحاضرهم**، صيدا ـ لبنان، مطبعة العرفان، ط٢، سنة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م.

٢٣ ـ الحسني، السيد عبد الرزاق، **اليزيديون في ماضيهم وحاضرهم**، صيدا ـ لبنان، مطبعة العرفان، ط٣، سنة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م.

٢٤ ـ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر، ط٢، سنة ١٩٩٥.

٢٥ ـ حميد، فوزي محمد، **عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة**، ليبيا، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، سنة ١٩٩١.

٢٦ ـ خان، ظفر الإسلام، **التلمود: تاريخه وتعاليمه**، بيروت، دار النفائس، ط٧، سنة ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٧ ـ الدمشقي، القديس يوحنا، **المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي**، عرّبه الأرشمندريت أوريانوس شكور، ط٢، سنة ١٩٩١.

٢٨ ـ ديب، سهيل، **التوراة بين الوثنية والتوحيد**، بيروت، دار النفائس، ط١، سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٩ ـ ديورانت، ول، **قصة الحضارة**، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين، بيروت، دار الجيل، سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٠ ـ الديوه جي، سعيد، **اليزيدية**، بغداد، لا دار نشر، سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٣١ ـ الراغب الأصفهاني، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، تقديم وضبط أسعد السحمراني، بيروت، دار النفائس، ط١، سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٢ ـ الراغب الأصفهاني، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق نديم مرعشلي، بيروت، دار الكتاب العربي، سنة ١٩٧٢.

٣٣ ـ رايشاور، أدوين، **اليابانيون**، ترجمة ليلى الجبالي، مراجعة شوقي جلال، الكويت، عالم المعرفة، الرقم ٦٣٦، نيسان/ ابريل ١٩٨٩.

٣٤ ـ **رجاء جديد للبنان**، وجهه البابا يوحنا بولس الثاني، بيروت، منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام، سنة ١٩٩٧.

٣٥ ـ رحمات بن داتو بحر الدين، دجاج أورانج كاي، **التفكير الديني في العالم قبل الإسلام** ثم ترجمة وتعليق د. رؤوف شلبي، الدوحة ـ قطر، دار الثقافة، بدون تاريخ.

٣٦ ـ رزق، د. أسعد، **التلمود والصهيونية**، بيروت، الناشر، ط٢، سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٧ ـ روهلنج، د. أغسطس، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ترجمة د. يوسف نصر الله، مصر، مطبعة المعارف، ط١، سنة ١٨٩٩.

٣٨ ـ سبيريدوفيتس، شيريب، **حكومة العالم الخفية**، ترجمة مأمون سعيد، تحرير وتقديم أحمد راتب عرموش، بيروت، دار النفائس، ط١٤، سنة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٩ ـ السحمراني، أسعد، **المرأة في التاريخ والشريعة**، بيروت، دار النفائس، ط٢، سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٠ ـ السحمراني، أسعد، **من اليهودية إلى الصهيونية**، بيروت، دار النفائس، ط٢، سنة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤١ ـ السمّاك، محمد، **الصهيونية المسيحية**، بيروت، دار النفائس، ط٣، سنة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤٢ ـ سوسة، د. أحمد، **العرب واليهود في التاريخ**، دمشق، العربي بلا غلاف والنشر، ط٧، بدون تاريخ.

٤٣ ـ شاحاك، إسرائيل، **التاريخ اليهودي المكشوف والمستور**، ترجمة عبد الكريم محفوض، دمشق، دار البعث، ط١، سنة ١٩٩٦.

٤٤ ـ الشامي، د. رشاد عبد الله، **الرموز الدينية في اليهودية**، القاهرة، مركز الدراسات الشرقية في جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠٠.

٤٥ ـ الشامي، د. رشاد عبد الله، **الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية**، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، رقم ١٠٢، حزيران/ يونيو ١٩٨٦.

٤٦ ـ الشامي، د. رشاد عبد الله، **القوى الدينية في إسرائيل**، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٨٦، حزيران/ يونيو ١٩٩٤.

٤٧ ـ شبانة، عبد الفتاح محمد، **اليابان: العادات والتقاليد وإدمان التفوق**، القاهرة، مكتبة مدبولي، سنة ١٩٩٦.

٤٨ ـ شحانة سعفان، د. حسن، **كونفوشيوس**، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ.

٤٩ ـ شريف، د. حسين، **التحدي الياباني في التسعينات**، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، سنة ١٩٩٣.

٥٠ ـ الشريف، د. ريجينا، **الصهيونية غير اليهودية**، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥.

٥١ ـ شلبي، د. أحمد، **أديان الهند الكبرى**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٨، سنة ١٩٨٦.

٥٢ ـ شلبي، د. عبد الرؤوف، **الأديان القديمة في الشرق**، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ط٢، سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٣م.

٥٣ ـ شنوده، زكي، **المجتمع اليهودي**، القاهرة، مكتبة الخانجي، بدون تاريخ.

٥٤ ـ الشهرستاني، **الملل والنحل**، تحقيق محمد سيّد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٥٥ ـ صعب، د. أديب، **الأديان الحيّة: نشوؤها وتطورها**، بيروت، دار النهار، سنة ١٩٩٣.

٥٦ ـ الطباخ الحلبي، محمد راغب، **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، صححه وعلّق عليه محمد كمال، حلب، دار القلم العربي، ط٢، سنة ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩م.

٥٧ ـ الطبرسي، الفضل بن الحسن، **جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد**، بيروت، دار الأضواء، سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٥٨ ـ ظاظا، د. حسن، **أبحاث من الفكر اليهودي**، دمشق، دار القلم، بيروت، دار العلوم والثقافة، ط١، سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٥٩ ـ ظاظا، د. حسن، **الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه**، الإسكندرية، مكتبة سعيد رأفت، سنة ١٩٧١.

٦٠ ـ عبد الحميد، د. محمد بخر، **اليهودية**، القاهرة، مركز الدراسات الشرقية في جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠١.

٦١ ـ غارودي، روجيه، **قصة إسرائيل الصهيونية السياسية**، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، سنة ١٩٨٤.

٦٢ ـ فرويد، سيجموند، **موسى والتوحيد**، تعريب ودراسة د. عبد المنعم الحفني، القاهرة، دار الرشاد، ط١، سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٦٣ ـ فريدمان، بنيامين، **يهود اليوم ليس يهوداً**، إعداد زهدي الفاتح، بيروت، دار النفائس، ط٢، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٦٤ ـ فنكلستين، د. نورمان، **صناعة الهولوكست**، ترجمة د. سماح إدريس وأيمن حداد، بيروت، دار الآداب، ط١، سنة ٢٠٠١.

٦٥ ـ القاسمي، محمد جمال الدين، **ري الغليل في محاسن التأويل**، اختصار الشيخ صلاح الدين أرقة دان، بيروت، دار النفائس، ط١، سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٦٦ ـ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، وبيروت، مؤسسة الرسالة.

٦٧ ـ كوجيكي، **«وقائع الأشياء القديمة»**، ترجمة وتقديم محمد عضيمة، بيروت، دار الكنوز الأدبية، ط١، سنة ١٩٩٩.

٦٨ - كوربون، د.جان، **كنيسة المشرق العربي**، بيروت، منشورات النور، بدون تاريخ.

٦٩ - كولر، جون، **الفكر الشرقي القديم**، ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة د.إمام عبد الفتاح إمام، الكويت، عالم المعرفة، تموز/ يوليو ١٩٩٥.

٧٠ - لوريمر، جون، **تاريخ الكنيسة**، القاهرة، دار الثقافة، ط١، سنة ١٩٨٨.

٧١ - **الليتورجيا الحيّة**، ترتيب وتنسيق الخوري بطرس الجميل، بيروت، لا دار نشر، سنة ١٩٦٩.

٧٢ - الليدي دراودر، **الصابئة المندائيون**، الكتاب الأول، ترجمة نعيم بدوي وغضبان روحي، بغداد، مكتبة الأندلس، سنة ١٩٦٩.

٧٣ - **المجمع الفاتيكاني الثاني**، أشرف على الترجمة الأب حنا الفاخوري، بيروت، المكتبة البوليسية، ط١، سنة ١٩٩٢.

٧٤ - **مجموعة الشرع الكنيسي**، جمع وتنسيق الأرشمندريت حنانيا إلياس كساب، بيروت، منشورات النور، سنة ١٩٨٥.

٧٥ - المسعودي، **مروج الذهب**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ط٥، سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٧٦ - **المسيحية في عقائدها**، نقله عن الإلمانية المطران كيرلس سليم بسترس، بيروت، المكتبة البوليسية، ط١، سنة ١٩٨٨.

٧٧ - **منّوسمرني، أو شرع منّو**، عربه وشرحه وعلّق عليه د. إحسان حقي، بيروت، مؤسسة الرسالةن ط١، سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٧٨ - هنتنجتون، صامويل، **صدام الحضارات**، ترجمة طلعت الشايب، تقديم د. صلاح منصوه، القاهرة، سنة ١٩٩٨.

٧٩ - وير، تيموثي، **الكنيسة الأرثوذكسية: إيمان وعقيدة**، بيروت، منشورات النور، سنة ١٩٩٣.

المعاجم والموسوعات

٨٠ - **قاموس الكتاب المقدس**، د. بطرس عبد الملك وآخرون، القاهرة، دار الثقافة، ط٩، سنة ١٩٩٤.

٨١ - **معجم اللاهوت الأرثوذكسي**، إعداد بوريس بوبر نيسكوي، عرّبه الأب إبراهيم سّروج، طرابلس - لبنان، مكتبة السائح، ط١، سنة ١٩٩٩.

٨٢ ـ **معجم اللاهوت الكتابي**، بيروت، دار المشرق، ط٢، سنة ١٩٨٨.

٨٣ ـ **موسوعة الأديان الميسرة**، بيروت، دار النفائس، ط٤، سنة ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٨٤ ـ **موسوعة السياسة**، ج٥، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، سنة ١٩٨٧.

٨٥ ـ **الموسوعة العربية العالمية**، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة، ط٢، سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٨٦ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٢، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

المراجع الأجنبية والموسوعات

87 - Clarke, Peter B. et autres auteurs, **Le grand livre des religions du monde**, Paris, éditions Solar, l'année 1995.

88 - Delanourte, Michel, **Les Sikhs**, Paris, éditions Breplos, l'année 1988.

89 - **Les entretiens de confucius**, traduit par Pierre Reykmans, Paris, éditions de Gallimard, l'année 1987.

90 - Lènoir, Frédéric, et Masquéhier, Ysé, **Encyclopédie des religions**, Paris, éditions Bayard, l'année 1987.

91 - Garanti, Roger, **Encyclopédie Thematique Universselle**, Paris, éditions Bordas, l'année 1972.

92 - **The New Encyclopedia Britannica**, Volume 10 et 27, Macropoedia, in Depath, 15 éditions.

الدوريات

٩٣ ـ مجلة العربي (الكويت)، العدد ٣٢٦، السنة ٢٩، ربيع الثاني ١٤٠٦هـ ـ كانون الثاني/ يناير ١٩٨٦م.

٩٤ ـ مجلة الوحدة (طهران)، العدوان ١٥٣، ١٥٤، نيسان/ أبريل، وأيار/ مايو ١٩٩٣.

٩٥ ـ ملحق جريدة النهار (بيروت)، السبت في ٢٥/ ٣/ ١٩٩٥.



محتوى الكتاب

رقم: 522 - 09